شرح الطحاوية

في

العقيدة السلفية

تأليف

العلامة علي بن علي بن محمد

ابن أبي العز

المتوفى سنة ٧٩٢ هـ

ويليه

الطحاوية في سؤال وجواب

تهذيب وتحقيق

عبد المنعم إبراهيم

الناشر

مكتبة نزار مصطفى الباز

مكة المكرمة - الرياض

شرح الطحاوية
في
العقيدة السلفية

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

١٤٤٨٣ / ٢٠٠٢

مكتبة نزار مصطفى الباز

المملكة العربية السعودية
مكة المكرمة: الشامية - المكتبات ٥٧٤٩٠٢٢/٥٧٤٥٠٤٤
المستودع: ٥٣١٨٠٢١ ص.ب: ٣٠١٩
الرياض: شارع السويدي العام المتقاطع مع شارع
كعب بن زهير - خلف أسواق الراجحي ص.ب: ٦٦٩٣٠
المكتبة: ٤٢٤٠٣٥٣ المستودع: ٤٢٢١٩١١ الرمز البريدي: ١١٥٨٦

كلمة الناشر

«رجاء»

غفر الإله ذنوب هذا الناشر
وذنوب والديه معافي الناظر

غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ووالديه والمسلمين
أجمعين ومن دعا له بخير

امين عفو ربه

نزار مصطفى الباز

مقدمة تمهيدية

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد، كما صليت اللهم على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

أما بعد:

فمنهجى فى شرح الطحاوية أنى قسمت الشرح إلى جزئين استفدت فى كل جزء منهما بمن سبقنى إلى شرح الطحاوية مهذباً ومقرباً للطحاوية لا مطولاً فى شرحى ذلك لأن الذين هذبوها كثيرون منهم الدكتور صلاح الصاوى فى تهذيب الطحاوية وعمله فى هذا المهذب أنه جمع الطحاوية على ترتيب الأصول الستة الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وهذا نوع من التقريب لأنه ما من أحد إلا وهو يحفظ الحديث ومن لم يحفظ الحديث يحفظ الأصول الستة أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره فهذا نوع من التقريب معتبر من هذه الحيثية أن يجمع لك هذا النظم وهذا المتن المشتت على هذه الأبواب الستة المجتمعة فى رؤوس الكثير ثم جعل فى آخر كتابه فصلاً أو باباً فى المتفرقات ويعنى بذلك بعض المتون والمسائل فى المتن ليس لها مكان فى هذه الأصول الستة فجعلها فى مكان مستقل تحت عنوان متفرقات، ثم هذب كلام ابن أبى العز الحنفى فى شرحه المطول للطحاوية، واستبعد كثيراً من كلام المناطقة والمتكلمين فى مناظرات ابن أبى العز فى رده على المخالفين لعقيدة أهل السنة من أهل البدع والأهواء إلا أنه فى هذه الجزئية أيضا ترك أشياء للمتعقب، هذا والذى يقرأ تهذيب الطحاوية سيجد أيضا كلاماً ليس بالقليل من كلام المناطقة والمتكلمين استعان به ابن أبى العز فى الرد على أهل البدع والأهواء يحتاج المبتدئ من

أمثالنا إلى اختصاره لأنه فى الحقيقة قليل الفائدة لاسيما فى هذه الأيام، خاصة للمبتدئين ثم هو أيضا تصرف فى بعض كلمات لابن أبى العز الحنفى فوضع كلاماً من عنده بدلاً من كلام ابن أبى العز أيضا بقصد تقريب المعانى للقارىء وهذا الكلام كما هو له: قد يأخذه بعض الناس عليه فيقولوا: كيف يتصرف فى كلام الشارح ويضع كلامه هو؟!، كما أنه حينما جمع متن الطحاوية على الأصول الستة ـ برغم من أن هذا منهج معتبر فى التقريب كما تقدم ـ إلا أن للمستدرك عليه أن يقول: كيف لم يلتزم بترتيب صاحب المتن؟!، وكيف يقدم ويؤخر فى متن الطحاوية؟! فالتصرف فى كلام السلف بمثل هذه الطريقة لايروق لكل أحد حتى ولو من باب التهذيب والتقريب، ثم أيضا بعض المختصرين والمهذبين للطحاوية لم يفعل مثل ما فعل الدكتور صلاح، بل ترك المتن كما هو على حسب ترتيب الطحاوى ـ رحمه الله ـ ثم هذب كثيراً من كلام ابن أبى العز وترك أيضا أشياء للمتعقب حيث وضع حواشى طويلة أكثر مما حذفه من شرح ابن أبى العز ثم لمزيد من التقريب وضع أسئلة فى آخر الكتاب، وأشار إلى أجوبتها فى أثناء الكتاب، فالجديد أنه وضع أسئلة وأجوبة لم يضعها غيره وأشار إلى أن الإجابة فى صفحة كذا، مثلاً: سأل وقال: ماهى عقيدة أهل السنة والجماعة فى الإيمان؟ الإجابة: انظر صفحة كذا،ذلك لأن كثيراً من الناس يروق لهم طريقة السؤال والجواب، وربما لا يفهم إلا بهذه الطريقة. تسأل ثم تجيب بدلاً من أن تسرد الشرح سرداً على مسامعه، وهناك أيضا كما بلغنى أن الأخ عصام مرعى ـ رحمه الله ـ له تهذيب أيضا للطحاوية لكن لم أقف على طريقته فى هذا التهذيب، الحاصل أننى أردت أن أهذب وأقرب الطحاوية بطريقة تجمع كل هذه التهاذيب والتقاريب التى سُبقت إليها فى كتاب واحد، ثم أراعى قدر الإمكان ألا أقع فيما وقع فيه من سبقنى فى تهذيباته وتقريباته من مآخذ فمثلا: راق لى التقريب على طريقة الأصول الستة فجعلت هذا التقريب كمقدمة للكتاب معرفة به وبما أخذ عليه إجمالا حتى لا أُتهم بإننى قد تصرفت فى المتن بتقديم أو تأخير، ولكن هذه كالمقدمة وليست الكتاب نفسه، وهذه المقدمة إستفدت فيها من عدة كتب منها: حاشية ابن مانع، وابن باز، والألبانى على الطحاوية، وما لم أجده عند هؤلاء أخذته من تهذيب الطحاوية للدكتور صلاح، أو لحليمة، وبهذا نكون قد أخذنا فكرة لا بأس بها عن الكتاب، وعن المتن، وعن الشرح،والمآخذ بطريقة مهذبة ومقربة، وبين يدى كل باب هناك تمهيد ورسوم توضيحية وعناوين شبه معاصرة لكل فقرة من الفقرات، ثم للإستفادة من طريقة السؤال والجواب ومراعاة أيضا لترتيب الماتن فى متن الطحاوية: وضعته كما هو فى الجزء أو القسم الثانى ثم شرحته بطريقة السؤال والجواب كما فعلت فى كتاب الإيمان لمحمد نعيم ياسين فى س و ج، وهذه الطريقة راقت لقلوب كثير من الناس ووجدت قبولاً ـ ولله الحمد ـ عند كثير من الناس حتى أنى شرعت وعزمت بعد الإيمان فى وضع سلسلة فى تقريب هذه العلوم الشرعية كلها أو أغلبها.

منها «التيسير فى شرح مقدمة ابن تيمية فى أصول التفسير» وأيضا كتاب «التيسيرات فى شرح الورقات» وكتاب [الألماظ فيما يعم نفعه الخطباء والقصاص والوعاظ] وكتاب [الميسر على نزهة النظر] بطريقة معاصرة جمعت بين السلفية من حيث أن المتن سلفى وهو للجوينى وابن تيمية والحافظ ابن حجر والمعاصرة من حيث أن الشرح بطريقة مقربة ومهذبة فيها روح العصر. بالإضافة إلى مراعاة طريقة الأساتذة فى وضع المناهج الحديثة فى التقديم والتمهيد لكل باب ووضع الرسوم التوضيحية له ثم الدخول فى الباب وتقسيم الباب لفقرات ثم وضع أسئلة وأجوبة بعد الباب ثم وضع أسئلة تدريبية للتقويم الذاتى مع أسئلة بالطريقة الحديثة مثل «إختار، صح وخطأ، وصل» كما ستجده فى بعض هذه الكتب، الحاصل أن هذه الطريقة هى التى سأسلكها ـ إن شآء الله ـ فى الكتاب، أما المقدمة لشرح الطحاوية فهى تعريف مجمل للطحاوية بعد تقسيم الطحاوية على حسب الأصول الستة ثم الإستفادة فى الشرح لا من التهذيبات ولكن الأصل من حاشية ابن مانع وابن باز وكذلك الألبانى، حتى نكون أنا وأنتم مطمئنين على أن أى كلام للطحاوى عليه مأخذ ربما يفوت علينا وعلى أمثالنا ـ إن شاء الله ـ لن يفوت لا على ابن مانع، ولا ابن باز، ولا الألبانى ثم بعد التعريف الإجمالى وهذا هو الذى قصدته فى أيام العشر هذه من ذى الحجة أن أتقرب إلى الله تعالى بشرح الطحاوية شرحاً مختصراً مجملاً على هذا الترتيب ـ إن شاء الله ـ فى هذه العشر[1] ثم القسم الثانى وهو ما تبقى من شرح الكتاب على طريقة السؤال والجواب فى شرح شبه مطول: أيضا مبتعدًا قدر الإمكان عن الكلام الفلسفى، أو المنطقى، أو الكلام الذى فيه فلسفه، إلا أنه قليل الفائدة.

هذه هى طريقتى فى شرح وتهذيب الطحاوية.

وهذا وما كان فيه من توفيق وإصابة للمقصود فمن الله والحمد لله على توفيقه.

وماكان فيه بخلاف ذلك فمن الشيطان نعوذ بالله منه، ونستغفره سبحانه مما وقع ولا نعلمه، والحمدلله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل

عبد المنعم أبراهيم

وقفة عرفة٩ /ذى الحجة/ ١٤٢٢ هـ

(١) ذلك محاولة منى للعمل بقوله ﷺ «مامن أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الايام . . .» الحديث

فكان هذا الكلام الطيب النشر من بركات وثمرات العمل فى الأيام العشر.

مؤلف هذه العقيدة السلفية المفيدة

- هو الإمام العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الأزدى.
- إمام جليل القدر مشهور فى الآفاق وذكره الجميل مملوء فى بطون الأوراق.
- ولد سنة ٢٩٠هـ، وقيل: سنة ٢٣٠هـ.
- تفقه أولاً عَلَى خاله المزنى صاحب الإمام الشافعى عَلَى مذهب الإمام الشافعى، ثم تحول حنفياً فتفقه على مذهب الإمام أبو حنيفة.
- وهو رحمه الله كسائر الأئمة الكبار الذين لم يسلكوا مسلك المقلدين الذين لا بصيرة لهم، فى مدارك الأحكام، ولكن الأصول الشرعية التى مشى عليها وافقت أصول الإمام أبى حنيفة التى بنى عليها مذهبه.
- ولهذا لما ذكر ابن القيم جماعة من أهل العلم فى «النونية»[1] قال:

ما فى الذين حكيت عنهم آنفاً ... من حنبلى واحد بضمان

بل كلهم والله شيعة أحمد ... فأصوله وأصولهم سيان

- ألف رحمه الله مؤلفات كثيرة شهيرة: كـ «مَعَانى الآثار» و«مُشْكِل الآثار» وغير ذلك مات سنة ٣٢١ وهو منسوب إلى قرية «طحا» بأسفل أرض مصر. رحمه الله تعالى[2].

* * *

(١) بعد أن سرد الحافظ ابن القيم أقوال ومصنفات كثير من العلماء والأئمة من غير الحنابلة قال:

وَانظُرْ إلى قول الطحاوى الرضى ... وأجره من تَحْرِيف ذى بُهْتَان

رد بعد ذلك على خصوم الحنابلة الذين يتهمونهم بالحشو والتجسيم قائلاً لهم: أنه ليس فى الذين حكى أقوالهم وسرد مصنفاتهم آنفا حنبلى واحد ولكنهم مع ذلك هم شيعة أحمد المتفقون معه فى الأصول لا يسع أحد الخلاف فيها. وكلمة أهل الحق فيها متفقة كما صرحوا جميعاً بذلك فى كتبهم. راجع «النونية» بشرح هراس (١/ ٢٥١).

(٢) راجع ترجمته فى: الأنساب للسمعانى (١/ ١٩٨، ٤/ ٦٧، ٨/ ٢١٨) والمنتظم لابن الجوزى (٦/ ٢٥٠) وسير أعلام النُبلاء (١٥/ ٢٧ ـ ٣٣) وتذكرة الحفَّاظ (٣/ ٨٠٨ ـ ٨١١) والعبر (٢/ ١١) كلهم للحافظ الذهبى والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٧٤) وشذرات الذهب لابن العماد (٢/ ٢٨٨) وغيرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

* قال[1] العلامةُ حُجَّة الإسلام أبو جعفر الورَّاق الطَّحاوى ـ بمصرَ ـ رحمه الله:

«هذا ذِكْرُ بيَان عَقيدة أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة عَلَى مَذْهَب فُقَهَاء المِلَّة أَبى حَنيفَة النُّعْمَان بْن ثَابت الكُوفى، وَأَبى يُوسُف يَعْقُوب بْن إبراهيم الأنْصارى، وَأبى عبدالله محمد بْن الحَسَن الشَّيبانى، رضوان الله عليهم أجمعين، وَمَا يَعْتقدون من أُصُول الدِّين، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ العَالمين».

---

* **قوله[2] (على مذهب فقهاء الملة) إلخ:**

اعلم أن ما ذكره المصنف رحمه الله فى هذه العقيدة ليس مختصا بهؤلاء الأئمة المذكورين فقط، فإن أهل السُّنة والجماعة من الأولين والآخرين عقيدتهم واحدة؛ لأنَّهم مُعْتَصِمُون بالكتاب والسُّنة.

ومَن خَالَفَهُم فى مُعْتَقدهم صار مُبتدعًا ضَالاً، ولا يُعْذَر باجتهاده؛ لأن العُذْرَ مَقْبُولٌ فى الاجتهاد فى فروع الأحكام لا فى أُصول الدِّين.

فالعقائد الدينية ليس فيها تعدد مذاهب؛ بل الصواب مذهب «أهل السنة والجماعة» وَمَا عَدَاه باطل، فتنبه[3].

---

(١) **قلت:** هناك نكتة بسيطة حينما قال «رضوان الله عليهم أجمعين» الترضى معروف لا يكون إلا على الصحابة لماذا؛ لأن الله قطع لهم بالرضوان فقال الله تعالى ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[التوبة آية: ١٠٠] فهل يجوز الترضى على غير الصحابة وإذا كان لا يجوز فلماذا يترضى الطحاوى على أئمته فى الفقه أبى حنيفة وصاحبيه؟

الجواب: أن الترضى بالقطع لا يكون إلا للصحابة ويجوز لغير الصحابة من باب الدعاء طلب الرضوان له فحينما تقول فلان رحمه الله يعنى الله يرحمه، وليس نقطع له بالرحمة أو فلان رضى الله عنه أى نسأل الله أن يرضى عنه لا أنك تقطع له بالرضوان كما أنك لا يجوز لك أن تقطع لأحد بجنة ولا لأحد بنار كما سيأتينا أيضا فى هذه الطحاوية فلا يجوز أن نقطع لأحد أيضا بسعادة ولا بشقاوة أخروية ولا برضوان ولا برحمة لماذا؟

لأن هذا أمر غيبى أخروى مفقود كما سيأتينا، إذا قال بعض الأئمة فلان رضى الله عنه من غير الصحابة، إذن فهذا محمول على ماذا؛ على أنه يدعوا له بذلك لا أنه يقطع بذلك له.

(٢) **قلت:** المجتهد يؤجر على كل حال أخطأ أم أصاب هذا فى الفروع، والأصول بوب الشيخ محمد إسماعيل المقدم فى كتاب المانع (الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام) باباً بعنوان: «كل مجتهد استفرغ وسعه للوصول إلى الحق استحق الثواب وإن أخطأ سواء فى ذلك المسائل العلمية والعملية» واستدل على ذلك بكلام شيخ الإسلام «فى منهاج السنة النبوية» (٤/ ٧٦، ٧٧، ٩٩/ ١٠٠).

(٣) **قلت:** أى تنبه أن هذه العقيدة ليست قاصرة على الإمام أبى حنيفة رحمه الله وصاحبيه فقط بل هى تتعدى إلى كل إمام من أئمة أهل السنة دان بهذه الأصول لأنهم وإن اختلفوا فى الفروع إلى مذاهب حنفى وشافعى ومالكى وحنبلى فهذا سائغ فى الفروع ولكن لا يسوغ فى الأصول فهم أبناء علات عقيدتهم واحدة.

* **وقوله: (أبى حنيفة..):**

هو الإمام النُّعمان بن ثابت الكوفى ولد سنة ٨٠ هـ وأدرك جماعة من الصَّحابة[١].

* قال الخطيب: إنه رأى أنس بن مالك.

* وكان رحمه الله عالماً عاملاً زاهداً عابداً، وَرِعًا تقيًا، كثير الخُشوع، دائم التَّضرع إلى الله تعالى.

* مات سنة ١٥٠ هـ، وهى السنة التى ولد فيها الإمام الشَّافعى رحمه الله[٢].

* **وقوله: (وأبى يوسف..):**

أبو يوسف هو الإمام المتقن المجتهد المطلق أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى البجلى، ولد سنة ١١٣هـ أخذ العلم عن الإمام أبى حنيفة وغيره وأخذ عنه العلم جماعة منهم الإمام أحمد رحمه الله، وولاه الرشيد القضاء وظل عليه إلى أن مات سنة ١٨٣ هـ، ولما مات أبو يوسف أقر هارون الرشيد ابنه يوسف على القضاء إلى أن مات يوسف[٣]، ولما خرجت جنازة أبى يوسف جعل الناس يقولون: مات الفقه(*).

يا ناعى الفقه إلى أهله ... إن مات يعقوب وما تدرى

لم يمت الفقه ولكنه ... حُوِّل من صدر إلى صدر

---

(١) **قلت:** له مناقب كثيرة ذكرها أصلاً ورأساً من جاء من رؤوس الأئمة كالشافعى وغيره حينما قال إن الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة وحينما وجد بعض الناس التى لا تعرف ولا تقدر العلماء يغمزون الإمام، قال لوقايسكم أبو حنيفة على أعمدة هذا المسجد إنها من الذهب أو إنها من غير الخشب لصدقتموه يعنى أنه كان أقيس الناس ولو أتى بقياس وقال لكم: إن هذا الحائط من الذهب وليس من الرخام مثلاً لصدقتموه وسلمتم له أن هذا ذهب وليس رخامًا، انظروا إلى مدى عمق علمه وفقهه ـ رحمه الله ـ وهذا بالفعل: تجد أن من جهل شيئاً عداه. الذى جهل قدر الإمام أبى حنيفة وغيره من الأئمة يعاديه ويطعن فيه وظفر واحد من ظفر أبى حنيفة يساوى ملىء الأرض من كثير ممن يطعن فيه.

(٢) **ترجمته فى:** سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠) وتذكرة الحفاظ (١/ ١٦٨) والبداية والنهاية (١٠/ ١٠٧) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٤٩ ـ ٤٥٢) وشذرات الذهب (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩).

(٣) **ترجمته فى:** «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٥٣٥) و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٩٢) و«الجواهر المضية» (٢/ ٢٢٠) و«طبقات الحنفية» (١/ ١٢) و«الفوائد البهية» (٢٢٥).

قال الذهبى فى «السِّير» (٨/ ٥٣٩): «وما أنبل قوله الذى رواه جماعة عن بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول: العلم بالخصومة والكلام جهل، والجهل بالخصومة والكلام علم».

قلت (أى الحافظ الذهبى): مثاله شبه وإشكالات من نتائج أفكار أهل الكلام تورد فى الجدال على آيات الصفات وأحاديثها فيكفر هذا هذا، وينشأ الإعتزال والتجهم، والتجسيم وكل بلاء، نسأل الله العافية» اهـ.

(*) **قلت:** لما دفن محمد بن الحسن الشيبانى دفن الفقه ولما مات أبو يوسف مات الفقه أيضاً.

* **قوله: (وأبى عبدالله محمد بن الحسن الشيبانى...):**

* هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى.

* كان الرشيد ولاه القضاء، وخرج مع الرشيد فى سفره إلى خرسان فمات بالرى، ودفن بها.

* كان أبوه من جند أهل الشام فقدم واسطًا فولد بها محمداً سنة ١٣٢هـ.

* ونشأ بالكوفة وأخذ العلم عن أبى حنيفة ومالك وأبى يوسف وغيرهم وكان له مجلس فى مسجد الكوفة وهو ابن عشرين سنة(١).

* قال إبراهيم الحربى: قلت للإمام أحمد: من أين لك هذه المسائل الدقيقة؟

قال: من كتب محمد بن الحسن(٢).

* مات رحمه الله بالرى سنة ١٨٩هـ.

* قال السمعانى: «مات محمد بن الحسن والكسائى فى يوم واحد بالرى».

* وقيل إن الرشيد كان يقول: «دفنت الفقه والعربية بالرى»(٣).

* ومحمد بن الحسن المذكور ابن خالة الفراء الإمام المشهور بالنحو واللغة(٤).

رحم الله الجميع(٥).

---

(١) **قلت:** ومحمد بن الحسن الشيبانى أيضا مع أنه أخذ العلم، عن أبى حنيفة إلا أنه ليس متعصباً لأبى حنيفة ومشهور أنه من ألصق الناس وألصق التلاميذ والأصحاب لأبى حنيفة ومع ذلك تتلمذ على مالك بل تتلمذ على أبى يوسف وهو قرين له وهذا مبنى على تواضع له وعدم عصبية.
تواضع: لأنه تعلم من قرين له.
وعدم عصبية: لأنه تعلم من مالك وهو قرين لشيخه أبى حنيفة ـ رحمة الله على الجميع ـ وهناك رواية من موطأ مالك لمحمد بن الحسن الشيبانى، يعنى روى موطأ مالك كله برواية له هو محمد بن الحسن الشيبانى.

(٢) **قلت:** وهذا من إنصاف الإمام أحمد ومن زكاة علمه.

(٣) **قلت:** لما مات محمد بن الحسن الشيبانى دفن معه الفقه ودُفِنَتْ معه العربية لأنه كان عالماً بالفقه وعالماً باللغة العربية.

(٤) ترجمته فى: «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٣٤) و«تاريخ بغداد» (٢/ ١٧٢ ـ ١٨٢) و«شذرات الذهب» (١/ ٣٢١) و«الفوائد البهية» (١٦٣). وقد صنف الحافظ الذهبى جزءًا فى ترجمة أبى حنيفة وصاحبيه: أبى يوسف ومحمد بن الحسن، وهو مطبوع.

(٥) **قلت:** الإمام الفراء إمام فى اللغة وإمام فى النحو.
الإمام الكسائى إمام فى القراءات رحمة الله على الجميع.

الرسم التوضيحي لمحتويات الكتاب

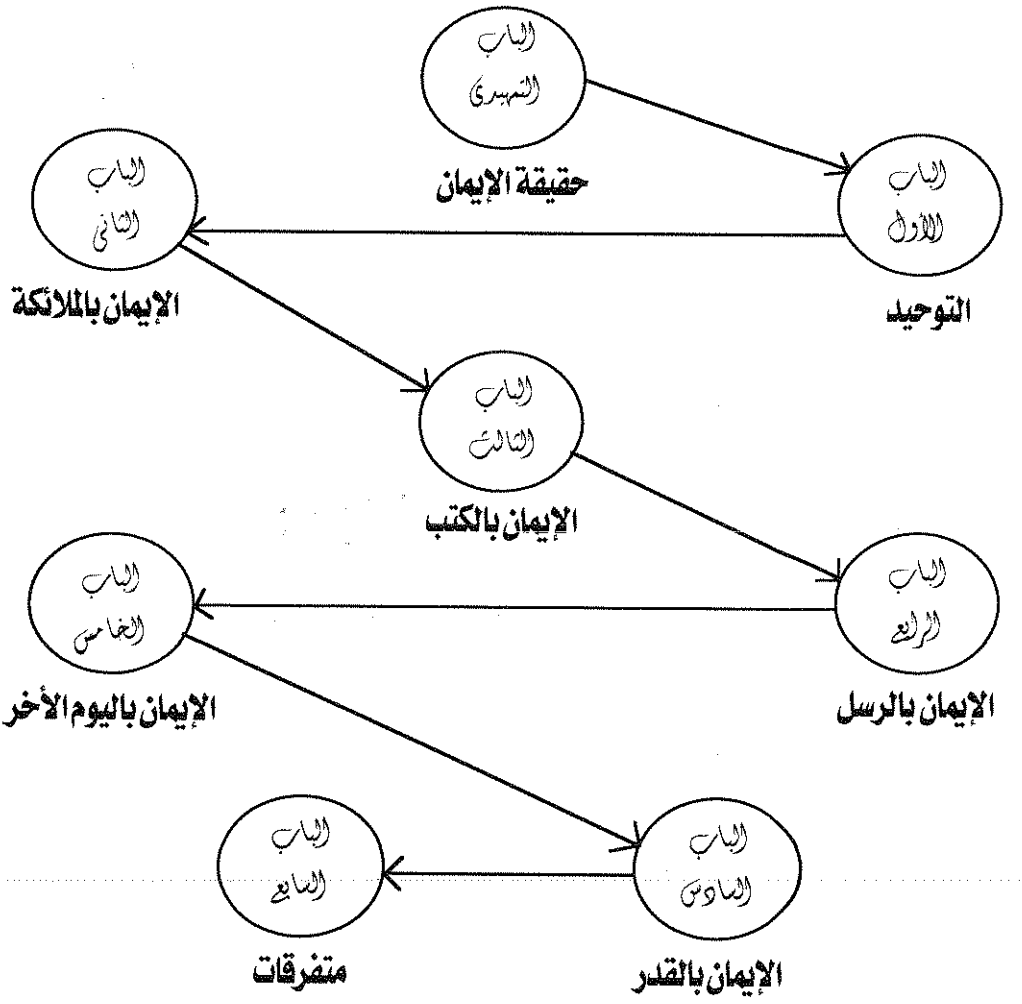

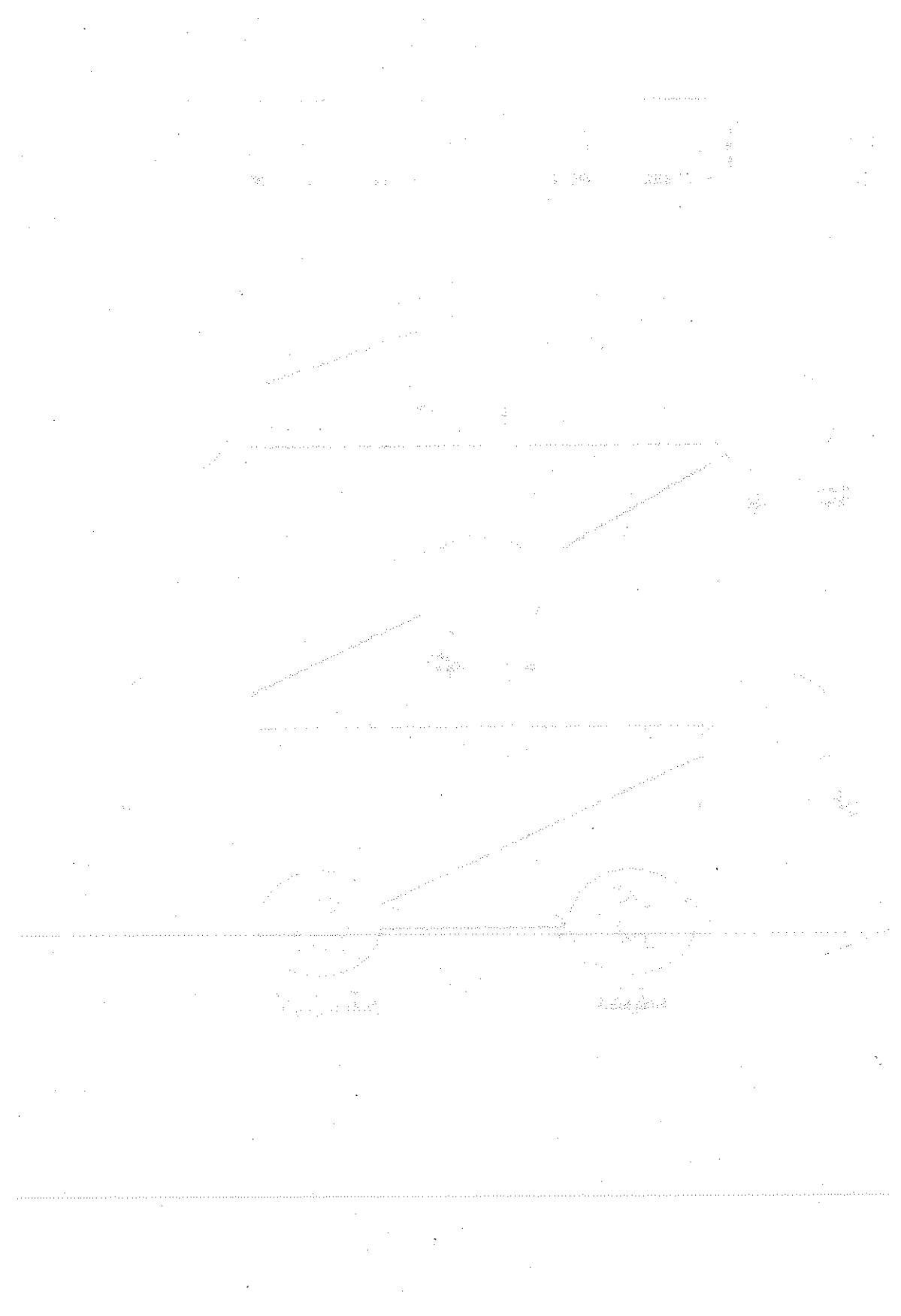

الباب التمهيدى

حقيقة الإيمان

الأهداف الخاصة

• • يتوقع منك أخى الدارس والداعى أختى الدارسة والداعية بعد دراستك لهذا الباب أن تكون ملماً بما يلى:

(١) حقيقة الإيمان عند أهل السنة ومن خالفهم.

(١) الخلاف فى مسمى الإيمان.

(٢) زيادة الإيمان ونقصانه.

(٣) الحكم بالإسلام والحكم بالكفر.

(٤) الحكم بالكفر وضوابطه.

(٥) الكبائر والصغائر.

(٦) حكم الشهادة لمعين بالجنة أو النار.

(٧) صحة الأقتداء بأهل القبلة.

(٨) أركان الإيمان.

.الإيمان عند أهل السنة ومن خالفهم:	(والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان..)
.زيادة الإيمان ونقصانه:	(.. والإيمان واحد وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى..)
.الحكم بالإسلام والحكم بالكفر، والربط بين الظاهر والباطن:	(ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين)، (.. ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى)، (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله)، (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه)، (ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين)، (ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ...)
.الكبائر والصغائر:	(وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل في كتابه ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته..)
.الشهادة لمعين بالجنة أو النار:	(ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً)
.الاقتداء بأهل القبلة:	(ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم).
.أركان الإيمان:	(والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره، من الله تعالى)، (ونؤمن بالملائكة، والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين)، (ونحن مؤمنون بذلك كله لا نفرق بين أحد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به.

التمهيد

مما ينبغى تقريره بين يدى مباحث الإيمان: أن حقيقة الإيمان مركبة من قول، وعمل:

أما القول فقسمان: قول القلب وهو: الاعتقاد، والتصديق، وقول اللسان وهو: التكلم بكلمة الإسلام.

وكذا العمل قسمان: عمل القلب. وهو: المحبة والانقياد، وعمل الجوارح.

فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء؛ فإن تصديق القلب شرط فى اعتبارها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهنا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع إنتفاء عمل القلب(١).

ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد لأطاعت الجوارح وانقادت، ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «**ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهى القلب**»(٢)، فمن صلح قلبه صلح جسده قطعاً، بخلاف العكس. ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان، فإن الإيمان ليس مجرد التصديق إنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد(٣).

---

(١) إشارة إلى قاعدة التلازم بين الظاهر والباطن، وهى من أعظم أصول أهل السنة. وانظر المبحث السادس.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «الإيمان»/ باب: فضل من إستبرأ لدينه (١/ ١٥٣/ ٥٢) ومسلم فى «المساقاة»/ باب: أخذ الحلال وترك الشبهات (٤/ ١١/ ٢٧. نووى).
وانظر «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠) بتخريجنا. ط. نزار الباز.

(٣) يقول ابن تيمية: (وأيضاً فقد جاء نفر من اليهود إلى النبى ﷺ فقالوا: نشهد إنك لرسول ـ ولم يكونوا مسلمين بذلك لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما فى أنفسهم، أى: نعلم ونجزم أنك رسول الله ـ قال: «فلم لا تتبعونى؟» قالوا: نخاف من يهود. فعلم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس بإيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد مع تضمن ذلك الإخبار عما فى أنفسهم. فالمنافقون قالوها مخبرين كاذبين فكانوا كفاراً فى الباطن، وهؤلاء قالوها غير ملتزمين ولا منقادين فكانوا كفاراً فى الظاهر والباطن). الفتاوى (٧/ ٥٦١).

المبحث الأول
الخلاف فى مسمى الإيمان

وَالإِيمَانُ: هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالجَنَانِ.

---

* قال ابن مانع:

* قوله: (وَالإِيمَانُ: هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالجَنَانِ):

اقتصر المصنف على هذين الركنين فى بيان الإيمان.

وهو قول «المرجئة»!![1].

وذهب مالك، والشافعى، وأحمد، وسائر أهل الحديث إلى أنه:

ـ تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

ـ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهذا هو الحق والصواب.

(*) قال الشيخ عبدالعزيز بن باز:

هذا التعريف فيه نظر وقصور!!

والصواب الذى عليه «أهل السنة والجماعة»: أن الإيمان قول، وعمل، واعتقاد يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر[2].

وقد ذكر الشارح ابن أبى العز جملة منها، فراجعها إن شئت.

وإخراج العمل من الإيمان هو قول «المرجئة».

وليس الخلاف بينهم وبين أهل السنة فيه لفظيا[3]، بل هو لفظى ومعنوى.

ويترتب عليه أحكام كثيرة، يعلمها من تدبر كلام «أهل السنة» وكلام «المرجئة» والله المستعان.

---

(١) قلت: سموا مرجئة لأنهم أرجئوا الأعمال عن مسمى الإيمان.

(٢) قلت: فعلاً أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، مثال ذلك ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ١٤٣] أى ليضيع ماذا؟ «صلاتكم». فسمى الصلاة إيمان مما يدل على أن العمل يدخل فى مسمى الإيمان شرعاً.

(٣) قلت: إنتبه قال بعض الناس: إن الخلاف بين أبى حنيفة وبين الجمهور خلاف لفظى وليس خلافاً حقيقياً لكن قال الشيخ ابن باز ليس الخلاف بين أهل السنة وبين المرجئة لفظياً بل هو لفظى ومعنوى ويترتب عليه أحكام كثيرة.

(**) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:

قلت: هذا مذهب الحنفية والماتريدية، خلافاً للسلف وجماهير الأئمة كمالك والشافعي، وأحمد، والأوزاعي، وغيرهم، فإن هؤلاء زادوا على الإقرار والتصديق: العمل بالأركان. وليس الخلاف بين المذهبين اختلافاً صورياً كما ذهب إليه الشارح رحمه الله تعالى بحجة أنهم جميعاً اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان، وأنه في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه. فإن هذا الإتفاق وإن كان صحيحاً، فإن الحنفية لو كانوا غير مخالفين للجماهير مخالفة حقيقية في إنكارهم أن العمل من الإيمان، لاتفقوا معهم على أن الإيمان يزيد وينقص وأن زيادته بالطاعة، ونقصه بالمعصية، مع تضافر أدلة الكتاب والسنة والآثار السلفية في ذلك. وقد ذكر الشارح طائفة طيبة منها ولكن الحنفية أصروا على القول بخلاف تلك الأدلة الصريحة في الزيادة والنقصان، وتكلفوا في تأويلها تكلفاً ظاهراً، بل باطلاً، ذكر الشارح نموذجاً منها، بل حكى عن أبي المعين النسفي أنه طعن في صحة حديث: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة..**»[1] مع احتجاج كل أئمة الحديث به، ومنهم البخاري، ومسلم في «صحيحيهما»! وهو مخرج في «الصحيحة [١٧٦٩]، وما ذلك إلا لأنه صريح في مخالفة مذهبهم![2].

ثم كيف يصح أن يكون الخلاف المذكور صورياً، وهم يجيزون لأفجر واحد منهم أن يقول: إيماني كإيمان أبي بكر الصديق! بل كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عليهم الصلاة والسلام! كيف وهم بناء على مذهبهم هذا لا يجيزون لأحدهم ـ مهما كان فاسقاً فاجراً ـ أن يقول:

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (١/٦٧/٩)، ومسلم (١/٢٧٨/٥٨)، وأبو داود (٤/٢١٨/٤٦٧٦) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

(٢) **قلت**: إذن الشيخ ابن باز بيّن أن الخلاف حقيقي بين أبي حنيفة والجمهور ولم يذكر أدلة، وترك ذلك للمتدبر، والشيخ الألباني بيّن أن الخلاف حقيقي وبين الأدلة على ذلك؟ قال لو أن الخلاف صوري ما ترتب عليه مخالفة أخرى عند الأحناف لأن الأحناف لما قالوا الإيمان هو تصديق وإقرار فهذا التصديق والإقرار لا يزيد ولا ينقص لذلك قالوا: إن الناس في أصله سواء، الناس في أصل الإيمان سواء ولكن التفاوت بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى، بذلك قال الطحاوي، أما أهل السنة فعندهم أن الناس في أصل الإيمان ليسوا سواء إذا كان الإيمان يزيد وينقص، ليس إيمان العاصي كإيمان الطائع وليس إيمان الطائع البطال كإيمان الطائع المجتهد، بل هذا أعلى من هذا، وليس أيمان جبريل كإيمان غيره، وليس إيمان الرسول ﷺ كإيمان سائر البشر، وليس إيمان الصحابة كإيمان غيرهم وعلى هذا فالشيخ الألباني قال: لا، إن الخلاف حقيقي والدليل على أنه حقيقي وليس صوري أنهم كانوا المفترض أن يقولوا إن الإيمان يزيد وينقص ويوافقوا على ذلك أهل السنة ولكن لما لم يقولوا: الإيمان يزيد وينقص خالفوا في ذلك. والأحاديث التي قالت إن الإيمان يزيد وينقص كثيرة مثل «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» إذن يزيد أم لا يزيد؟ فيه أعلى وفيه أدنى وفيه تفاوت في درجات الإيمان يزيد وينقص إذا كان هذا الذي صح عن النبي ﷺ والأدلة على ذلك كثيرة جداً فما هو موقفهم منها؟ إنهم أولوا هذه الأدلة بحيث تتفق مع مذهبهم أولا تصطدم مع مذهبهم في أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، بل يقول: أنا مؤمن حقاً! والله عز وجل يقول: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]. ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**﴾ [النساء: ٢٢]. وبناء على ذلك كله اشتطوا في تعصبهم فذكروا أن من استثنى من إيمانه فقد كفر! وفرعوا عليه أنه لا يجوز للحنفي أن يتزوج بإمرأة شافعية! وتسامح بعضهم ـ زعموا ـ فأجاز ذلك دون العكس، وعلل ذلك بقوله: تنزيلا لها منزلة أهل الكتاب! وأعرف شخصاً من شيوخ الحنفية خطب ابنته رجل من شيوخ الشافعية، فأبى قائلا: . . . لولا أنك شافعي! فهل بعد هذا مجال للشك في أن الخلاف حقيقي؟ ومن شاء التوسع في هذه المسألة فليرجع إلى كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «الإيمان» فإنه خير ما ألف في هذا الموضوع.

المبحث الثانى

زيادة الإيمان ونقصانه

وَالإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِى أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالخَشْيَةِ وَالتُّقَى(١)، وَمُخَالفَةِ الهَوَى، وَمُلازَمَةِ الأَوْلَى.

---

* **قال ابن مانع:**

الحق الذى لا إشكال فيه: أن الإيمان متفاوت فى أصله:

فإيمان آحاد الناس ليس كإيمان جبريل، ولا كإيمان رسول الله ﷺ(٢).

والقول بأن الناس بأصل الإيمان سواء: ليس من عقائد «أهل السنة»!!.

(*) قال الشيخ عبدالعزيز بن باز:

* **قوله: (وَالإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِى أَصْلِهِ سَوَاءٌ..):**

هذا فيه نظر، بل هو باطل!!

فليس أهل الإيمان فيه سواء، بل هم متفاوتون تفاوتا عظيما.

فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم.

كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضى الله عنهم مثل إيمان غيرهم.

وهكذا ليس إيمان المؤمنين كإيمان الفاسقين. وهذا التفاوت بحسب ما فى القلب، من العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وما شرعه لعباده. وهو قول «أهل السنة والجماعة»، خلافاً لـ «المرجئة»، ومن قال بقولهم والله المستعان.

(**) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: هذا على ما تقدم من قوله فى الإيمان أنه إقرار وتصديق فقط وقد عرفت أن الصواب فيه أنه متفاوت فى أصله. وأن إيمان الصالح ليس كإيمان الفاجر. فراجعه.

---

(١) فى نسخة: «بالحقيقة» قال العلامة ابن أبى العز: «فى بعض النسخ: «بالخشية والتقى» بدل قوله «بالحقيقة»، ففى العبارة الأولى يشير إلى أن الكل مشتركون فى أصل التصديق، ولكن التصديق يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت، كما تقدم تنظيره بقوة البصر وضعفه. وفى العبارة الأخرى: يشير إلى التفاوت بين المؤمنين بأعمال القلوب، وأما التصديق فلا تفاوت فيه، والمعنى الأول أظهر قوة، والله أعلم بالصواب» «شرح الطحاوية» (٢/ ٥٠٤، ٥٠٥).

(٢) قلت: وإلاّ فما معنى قول النبى ﷺ «**أما إنى أتقاكم لله وأخشاكم له إلى آخر الحديث....**» فالحق الذى لا مرية فيه أن الإيمان وأهله متفاوتون فى أصله.

المبحث الثالث

الحكم بالإسلام والحكم بالكفر

وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنا مُسْلِمِينَ، مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِي ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ.

الربط بين الظاهر والباطن

وَلاَ نَشْهَدُ عَلَيْهِم بِكُفْرٍ وَلاَ بِشِرْكٍ وَلاَ بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُم شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُم إِلَى اللهِ تعالى.

---

*قال ابن مانع:

* قوله: (وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِين):

وليس التَّصديق والاعتراف فقط كافيين فى الإسلام والإيمان، اللَّذَيْن أَمَرَ الله ورسوله بهما.

فالإسلام والإيمان اللَّذان عليهما مَدَارُ النجاة، هما المذكوران فى حديث جبريل المشهور عليه السلام[1] المتضمن للتَّصديق، والإقرار، والعَمَل[2].

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قال الشارح: «يشير الشيخ رحمه الله إلى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله.

والمراد بقوله: «أهل قبلتنا»، من يدعى الإسلام، ويستقبل الكعبة وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصى، ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ.

لأنا قد أُمرنا بالحكم بالظاهر، ونُهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم، قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾، وقال تعالى ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾.

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم فى «الإيمان»/ باب: تعريف الإسلام والإيمان (١/ ١/ ١٥٧ ـ النووى) وأبو داود فى «السنة»/ باب: فى القدر (٤/ ٢٢٢، ٢٢٣/ ح ٤٦٩٥) والترمذى فى «الإيمان»/ باب: ما جاء فى وصف جبريل للنبى ﷺ (٥/ ٧/ ٢٦١٠).

وانظر «جامع العلوم والحكم» الحديث الثانى بتخريجنا. ط. نزار الباز.

(٢) **قلت**: قوله ونسمى أهل القبلة..... وأخبر مصدقين» هذا الكلام أيضاً فيه قصور أو غير كامل لماذا؟ لأنه اعتبر أن التصديق والإقرار فقط هو الذى يكفى بالحكم لإسلام المسلم هذا إن كفى فى الدنيا لم يكفى فى الأخرة يعنى فى الدنيا أقر وصدق مع عدم المناقض أنت تحكم عليه بالإسلام ولكن هل الإسلام الحقيقى المنجى من النار إقرار وتصديق؟ لا هذا أيضاً تصديق وعمل ولذلك قال ابن مانع فالإسلام والإيمان اللذان عليهما مدار النجاة «ليس مدار الحكم على الناس فى الدنيا» هما المذكوران فى حديث جبريل المشهور ـ عليه السلام ـ المتضمن للتصديق والإقرار والعمل» الذى فيه أنه جاءه وسأله عن الإيمان، والإسلام، والإحسان كان فيه التصديق والإقرار والعمل بدرجاته.

المبحث الرابع
الحكم بالكفر وضوابطه

وَلاَ نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ[1].

---

* قال ابن مانع:

* قوله: (وَلاَ نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ..) إلخ:

المراد بـ «أهل القبلة»:

- هم الموحدون الله في عبادته.

- المخلصون له في معاملته.

- العاملون بمعنى كلمة التوحيد ظاهرًا وباطنًا.

- المصدقون لرسول الله ﷺ في جميع ما أخبر به.

- الممتثلون أمره.

- الذين لم يأتوا بما يناقض «لا إله إلا الله».

وإلى هذا المعنى أشار المصنف بقوله سابقاً: «**وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِي ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ**»؛ لأننا نعتقد أن المراد: الإيمان الكامل المتضمن للاعتقاد، والإقرار والعمل.

ومُرَادُ الشيخ رحمه الله بهذا الكلام: الرد على «الخوارج» القائلين بالتكفير بكل ذنب.

* قال الشيخ عبدالعزيز بن باز:

قوله (وَلاَ نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّه):

مراده رحمه الله: أن «أهل السنة والجماعة» لا يكفرون المسلم الموحد المؤمن بالله واليوم الآخر بذنب يرتكبه كالزنا، وشرب الخمر، والربا، وعقوق الوالدين، وأمثال ذلك ما لم يستحل ذلك.

فإن استحله كفر؛ لكونه بذلك مكذبا لله ولرسوله، خارجا عن دينه.

---

(١) **قلت:** نعم لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله وفي نفس الوقت لا نستهين ولا نتهاون فيها فهذه نقطة شائكة فإن الناس أمام العصاة طرفان ووسط؛ طرف كفَّر العاصي، وطرف قالوا له: افعل ما شئت، الذين كفروا: الخوارج والمعتزلة، والذين قالوا: افعل ما شئت إيمانك كإيمان جبريل هم المرجئة، نحن لا نقول بقول الخوارج فلا نكفر العاصي ولا نقول بقول المرجئة. بل نقول: إن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان لكبيرته متوعد بالنار عليها إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه.

أما إذا لم يستحل ذلك؛ فإنه لا يكفر عند «أهل السنة والجماعة»، بل يكون ضعيف الإيمان، وله حكم ما تعاطاه من المعاصى فى التفسيق وإقامة الحدود وغير ذلك، حسبما جاء فى الشرع المطهر.

وهذا هو قول «أهل السنة والجماعة» خلافاً لـ «الخوارج» و«المعتزلة» ومن سلك مسلكهم الباطل. فإن «الخوارج» يكفرون بالذنوب.

و«المعتزلة» يجعلونه فى منزلة بين المنزلتين، يعنى: بين الإسلام والكفر فى الدنيا وأما فى الآخرة فيتفقون مع «الخوارج» بأنه مُخَلَّد فى النار.

وقول الطائفتين باطل بالكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة.

وقد التبس أمرهما على بعض الناس لقلة علمه، ولكن أمرهما بحمد الله واضح عند أهل الحق كما بينا وبالله التوفيق.

**** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قلت: يعنى استحلالاً قلبياً اعتقادياً، وإلا فكل مذنب مستحل لذنبه عملياً أى مرتكب له، ولذلك فلابد من التفريق بين المستحل اعتقاداً، فهو كافر إجماعاً، وبين المستحل عملاً لا اعتقاداً فهو مذنب يستحق العذاب اللائق به إلا أن يغفر الله له، ثم ينجيه إيمانه خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين يحكمون عليه بالخلود فى النار وإن اختلفوا فى تسميته كافراً أو منافقاً، وقد نبتت نابتة جديدة اتبعوا هؤلاء فى تكفيرهم جماهير المسلمين رؤوساً ومرؤوسين؛ اجتمعت بطوائف منهم فى سوريا ومكة، وغيرها، ولهم شبهات كشبهات الخوارج مثل النصوص التى فيها من فعل كذا فقد كفر، وقد ساق الشارح رحمه الله تعالى طائفة منها هنا، ونقل عن أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص ـ أن الذنب أى ذنب كان، هو: كفر عملى لا اعتقادى، وأن الكفر عندهم على مراتب: كفر دون كفر، كالإيمان عندهم، ثم ضرب على ذلك مثالاً هاماً غفلت عن فهمه النابتة المشار إليها، فقال رحمه الله: «وهنا أمر يجب أن يتفطن له، وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً: إما مجازياً، وإما كفراً أصغر، على القولين المذكورين. وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله: فهذا كفر أكبر. وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه فى هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص ويسمى كافراً كفراً مجازياً، أو كفراً أصغر. وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه فى معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطىء، له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور».

وَلاَ نَقُولُ: لاَ يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.

---

* **قوله: (وَلاَ نَقُولُ: لاَ يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ..) إلخ:**

مُراده بهذا الكلام: الرد على «المرجئة» القائلين: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة[1].

فهؤلاء في طرف، و«الخوارج» في طرف؛ فإنهم يقولون: بكفر المسلم بكل ذنب أو بكل ذنب كبير.

وكذلك «المعتزلة» الذين يقولون: يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان.

لكن «الخوارج» يقولون: يخرج من الإيمان، ويدخل في الكفر.

و «المعتزلة» يقولون: يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر.

وهذه المقالة الخاطئة هي: المنزلة بين المنزلتين، التي هي خاصة مذهب «المعتزلة».

وبقولهم: بخروجه من الإيمان؛ أوجبوا له الخلود في النار.

تنبيه

كنت أقرأ في كتب المقالات واختلاف الناس في المعتقدات، فأقف على غلو «المعتزلة» في عقائدهم، فأرجع إلى كتب التراجم، وأبحث عن تراجم أكابر شيوخهم، فأجد فيها الأمر المنكر العيب، من التلاعب في الدِّين وانتهاك حرماته.

(*) **قلت:** انتبه فقد قال تعالى لرسوله ﷺ في محكم التنزيل: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥].

إن حال المشرك إذا أتى بأعمال الدنيا الصالحة في حال الشرك لا يقبل منه فلا ينفع طاعة مع كفر فكما أنه لا تنفع طاعة مع كفر إذن لا تضر المعصية مع الإيمان لو أنك عجزت في الرد على المرجئة في هذه الجزيئة إرجع إلى كلام الطحاوي على الفور وتقول: «**ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله**» وإلا فأين الأحاديث والآيات التي فيها بيان أن المذنب يضر بذنبه وإن لم يكفر وإلا ما معنى مثلاً قول الرسول كما في صحيح مسلم «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» خابوا وخسروا قيل من هم يا رسول الله قال: «**المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**».

ثم إنك لو قلت هذا للمرجئة ورددت عليهم بهذا الحديث لم تفلت من الخوارج. فالخوارج يقولون لك هذا حجة لنا، «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» وهم لم يعملوا كفرا إنهم عملوا صغائر أو كبائر ومع ذلك لهم هذا العذاب، فيقال لهم من قال أن هذا العذاب سيخلدون فيه. الحديث لم يرد فيه ذلك «**لهم عذاب أليم**» لهم عذاب موجع، ولو رجعت لكلام النووي في شرح الحديث لم تجد ما يذهب إليه بعض الخوارج ويستدل به على مذهبه الفاسد.

الحاصل أن الأمام وضع المتن للرد على المرجئة كما رد على الخوارج والمعتزلة مثل هذه المقالات الخاطئة.

وَلاَ يَخْرُجُ العَبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إِلاَّ بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ[1].

* **قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قلت: وذلك لأنه من قول المرجئة المؤدى إلى التكذيب بآيات الوعيد[2] وأحاديثه الواردة فى حق العصاة من هذه الأمة، وأن طوائف منهم يدخلون النار، ثم يخرجون منها بالشفاعة أو بغيرها[3].

يريد بذلك: الرد على «الخوارج» و«المعتزلة» الذين قالوا بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة[4].

* **قال الشيخ عبدالعزيز بن باز:**

هذا الحصر فيه نظر[5]! فإن الكافر يدخل فى الإسلام بالشهادتين إذا كان لا ينطق بهما فإن كان ينطق بهما دخل فى الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره[6].

وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود[7] لأسباب كثيرة بينها أهل العلم فى باب حكم المرتد.

---

(١) **قلت:** الذى أدخله فى الإيمان الإقرار والتصديق والعمل.

(٢) **قلت:** انتبهوا فبعض الفرق أخذت آيات الوعيد ثم نفخت فيها وبعضهم أخذوها ثم ضرب بها عرض الحائط.

الذى أخذها ونفخ فيها فهذا مغالى انتبهوا كلاهما مغالى المرجىء والخارجى لذلك قال النبى ﷺ: «**إياكم والغلو**». ديننا دين الوسط فهذا غالى فى التشدد وهذا غالى فى التراخى، وقال لا يضر مع الإيمان شىء وهذا غالى فى التشدد، ونفس الغلو أيضاً فى الأسماء والصفات كما سيأتينا، وأن أحدهم غالى فى الإثبات، والآخر غالى فى النفى، فالذين غالوا فى الإثبات هم المشبهة والممثلة الذين قالوا إن له يدكيدنا أو مثل يدنا، والذين غالوا فى النفى قالوا ليس له يد وليس كذا، ونفوا هذا كله، هذا معطل وهذا مشبه ممثل وهذا مغالى وهذا مغالى والوسط إننا لا نغالى فى الإثبات ولا فى النفى نثبت ثم ننفى المثل والتشبيه بدون مغالاه ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ ولهذا بالفعل قال النبى ﷺ: «**هلك المتنطعون**» وصدق فالمتنطع هذا المتشدق المتكلف المغالى.

هؤلاء هلكوا وإن كل هالك من أهل البدع والأهواء أصل هلاكه أنه تنطع وتشدد، فخذ بالوسط دائماً.

(٣) **قلت:** ولهذا لما وجدوا أحاديث الشفاعة هذه تصطدم بمنهجهم أى الخوارج والمعتزلة فأنكروا أحاديث الشفاعة على الإطلاق وقالوا: لا يوجد شىء إسمه شفاعة.

(٤) **قلت:** هو قال لا مجرد الإرتكاب ليس مخرج حتى يجحد.

(٥) **قلت:** إنك تقول لا يخرج من الإيمان إلا بالجحود فقط.

(٦) **قلت:** توضيح العبارة كلها أن هذا الحصر فيه نظر، «حصر ماذا» التكفير بالجحود فقط، أن تقول كافر بجحود ما أدخله فى الإسلام، قال هذا حصر فيه نظر لماذا؟ لأن الكافر يدخل فى الأسلام بالشهادتين إن لم ينطق بهما أصلاً أما إذا كان ينطق بهما ولكن ارتد مثل ما نعى الزكاة الذين ارتدوا يدخلون الإسلام بماذا؟ بالتوبة من منع الزكاة.

(٧) **قلت:** وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود إذن هو دخل الإسلام بماذا؟ فالبعض دخل الإسلام بالإقرار ولما خرج لم يخرج ينقض الإقرار مثل ما نعى الزكاة خرجوا بماذا؟ لا بجحود الإقرار هو مُقر لكن هو جحد الزكاة فقط ولما دخل مرة ثانية ما الذى يدخله؟ ليس الإقرار ولكن التوبة من هذا المنع.

من ذلك: طعنه فى الإسلام[1] أو فى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو استهزاؤه بالله ورسوله أو بكتابه أو بشيء من شرعه سبحانه؛ لقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦].

ومن ذلك: عبادته للأصنام، أو الأوثان، أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم، وطلبه منهم المدد والعون، ونحو ذلك؛ لأن هذا يناقض قول لا إله إلا الله؛ لأنها تدل على أن العبادة حق لله وحده، ومنها: الدعاء، والاستغاثة، والركوع، والسجود والذبح، والنذر، ونحو ذلك.

فمن صرف منها شيئا لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة والجن وأصحاب القبور وغيرهم من المخلوقين؛ فقد أشرك بالله، ولم يحقق قول لا إله إلا الله.

وهذه المسائل كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم، وهى ليست من مسائل الجحود، وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة[2].

وهناك مسائل أخرى كثيرة يكفر بها المسلم وهى لا تسمى جحوداً، وقد ذكرها العلماء فى باب حكم المرتد، فراجعها إن شئت وبالله التوفيق.

**** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قال الشارح: «يشير الشيخ إلى الرد على الخوارج والمعتزلة فى قولهم بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة».

قلت: وأمثال هؤلاء اليوم الذين يحكمون على مسلمى البلاد الإسلامية بدون استثناء بالكفر، ويوجبون على أتباعهم مباينتهم ومفاصلتهم، تماماً كما فعلت الخوارج من قبلهم، هداهم الله، وغفر للغلاة الذين كانوا السبب فى هذا الإنحراف الخطير.

---

(١) قلت: إذا طعن فى الإسلام وقال الإسلام ليس دين ولكن فكرة جديدة جميلة أتى بها واحد عظيم اسمه محمد لا نبى ولا شيء، فلو طعن فى الإسلام أو فى النبى أو أستهزء بالله أو بالرسول أو بالكتاب أو بأى شيء من ذلك فهذا كفر، قال تعالى ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ لم يقل كنتم تجحدون، وهذا يدل على أن المخرج من الإسلام ليس الجحود فحسب بل بصور أخرى كالإستهزاء مثلاً، قال تعالى ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

(٢) **قلت:** وهى ليست من مسائل الجحود حتى لا يقول أحد أن الذى أخرجه كفر الاعتقاد، فيوجد كفر قلبى هنا؛ قال الشيخ ابن باز: هذه ليست لها دخل أو علاقة بالقلب الأمر هنا مجرد أنه يسجد للصنم هو كافر؛ لا ننظر هنا هل هو معتقد أم ليس معتقد أو دعوته للأموات مثلاً لم نقل له أين قلبك هنا؟! أو اعتقاده هنا؟!.

رد حكم الكتاب

فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ كَانَ مِنَ الكَافِرِينَ(١).

ما يحل به دم المسلم

ولا نَرى السَّيْفَ عَلى أحَدٍ مِنْ أمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلاَ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْف.

إعلم أن مبنى العبودية، والإيمان بالله، وكتبه، ورسله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة فى الأوامر والنواهى والشرائع، ولهذا كان سلف هذه الأمة التى هى أكمل الأمم عقولاً ومعارف وعلوماً لا تسأل نبيها لم أمر الله بكذا؟ ولم نهى عن كذا؟ لِمَ قدّر كذا؟ ولم فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والإستسلام(٢) وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم وأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به ثم العزم الجازم على امتثاله ثم المسارعة إليه والمبادرة به والقواطع والموانع ثم بذل الجهد والنصح فى الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأموراً به بحيث لا يتوقف الإتيان به على معرفة حكمته فإن ظهرت له فعله وإلا عطله فإن هذا ينافى الإنقياد ويقدح فى الإمتثال ولا شك فى تكفير من رد حكم الكتاب. ولكن من تأول حكم الكتاب لشبهة عرضت له يُبين له الصواب ليرجع إليه(٣).

*** قال ابن أبى العز:**

فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ **«لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**(٤).

(١) **قلت:** الإمام الطحاوى نفسه يبين أنه لعله لم يقصد الحصر هناك قال هناك: «ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه» لكن الشيخ ابن باز قال هذا الحصر فيه نظر وهو نفسه الإمام الطحاوى جاء بمكفر ومخرج عن الملة غير الجحود قال هنا فى الفقرة (٦٥) «من رد حكم الكتاب كان من الكافرين» هنا مجرد الرد كفر ولم يقل هذا جحود إذن لعله هناك لم يقصد الحصر.

(٢) **قلت:** لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان الذى مبناه على الإسلام والإستسلام أنت مسلم لا تسأل لماذا فعل هذا؟ فلتنظر لقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام لما رأى فى المنام أنه يذبح ابنه هل ناقش ربنا وقال لماذا أذبحه؟ وما الحكمة فى الذبح؟ لم يناقش وأنما أسلم.

(٣) **قلت:** ولكن من تأول حكم الكتاب لشبهة عرضت له يبين له الصواب ليرجع إليه ولكن لا يكفر.
لكن إذا كانت الأسئلة هذه لما فعل؟ ولما أمر؟ ولما نهى؟ من باب الرد هذا يكون كفرًا إذا انتفت الموانع كالتأويل مثل (حينما سمعت أم المؤمنين عائشة أن النبى ﷺ يقول: **«إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»** وهو فى الصحيح ردت ذلك متأوله قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وإن كان هناك وجه جمع بين الآية والحديث: إن كان النوح من سنته كما فهم البخارى.

(٤) **[متفق عليه]** أخرجه البخارى (١٢/ ٢٠٩/ ٦٨٧٨)، ومسلم (٦/ ١٧٩/ ٢٥)، وأبو داود (٤/ ١٢٤/ ٤٣٥٢) والترمذى (٤/ ١٩/ ١٤٠٢).
جميعاً من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه.
قال الترمذى: حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح.

المبحث الخامس

الكبائر والصغائر

وَأَهْلُ الكبَائِر مِنْ أُمَّة مُحَمَّد ﷺ فِى النَّار لاَ يُخَلَّدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُم مُوَحِّدُونَ.

وَإِنْ لَم يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا الله عَارِفِينَ مُؤمنِينَ(١).

وَهُمْ فِى مَشِيئَته وَحُكْمه، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُم بِفَضْله؛ كَمَا ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ فِى كِتَابه: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦](٢).

وإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُم فِى النَّار بِعَدْله.

ثُمَّ يُخْرِجُهُم مِنْها بِرَحْمَته وَشَفَاعَة الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْل طَاعَته، ثُمَّ يَبْعَثُهم إِلى جَنَّته.

وَذَلِكَ بِأَنَّ الله تَعَالى مَوْلَى(٣) أَهْل مَعْرِفَته، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِى الدَّارَيْن كَأَهْل نُكْرَته، الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَته، ولَمْ يَنَالُوا مِن وِلاَيَته.

اللَّهُمَّ يَا وَلِى الإِسْلاَمِ وَأَهْلِه، ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلامِ(٤) حَتَّى نَلْقَاكَ بِه.

---

* **قال ابن مانع:**

* **قوله (عارفين..):**

لا يخفى أن المعرفة القلبية وحدها ليست كافية بالإيمان.

وقد خالف المصنف ما ذهب إليه سابقاً: من أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان(٥).

* وهذا مذهب أبى حنيفة، وأصحابه، فى الإيمان.

* وأما مذهب «السلف»:

---

(١) **قلت:** حتى لو ماتوا ولم يتوبوا من هذه الكبيرة أسأل الله لى ولكم التوبة والمغفرة من كل ذنب.

(٢) **قلت:** ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء لذلك قال النووى فى أهل الكبائر هم تحت خطر المشيئة إن شاء الله عذبهم فى النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وفضله وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى الجنة.

(٣) فى نسخة «تولى» كما فى بعض الطبعات.

(٤) فى نسخة: «مسكنا بالإسلام» بدل من «ثبتنا على الإسلام» «شرح الطحاوية» (٢/ ٥٢٩) طبعة مؤسسة الرسالة.

(٥) **قلت:** هنا وضع الإيمان بالمعرفة فقط وقد اعتبر الشيخ ابن مانع أن لا يخفى إن المعرفة القلبية وحدها ليس هى الإيمان وإن المصنف خالف الذى قبل ذلك وقال إنه تصديق وإقرار وجاء هنا وقال إنه معرفة قلبيه فقط وهذا مذهب أبى حنيفة وأصحابه فى الإيمان وأما مذهب السلف فهو أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان.

فالإيمان: اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان.

وهذا هو الصواب.

وذهبت «الكرامية» إلى: أنه قول باللسان.

* وقالت «الجهمية»: إنه الإعتقاد بالجنان.

وهذا هو الذى اقتصر عليه المصنف!!

فعلى هذا: ليس فى الناس كافر، فإنهم معترفون بوجود الله، وأنه ربهم وخالقهم، [قال] الله تعالى: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**﴾ [لقمان: ٢٥].

فالله سبحانه وتعالى كفر المشركين مع اعترافهم بأنه خالق السموات والأرض.

وكذلك إبليس، وأبو جهل، وفرعون، وقارون، وهامان، وغيرهم من طوائف الكفر، كلهم مؤمنون على زعم «الجهم» وأتباعه؛ لأنهم يعترفون بأن الله ربهم وخالقهم.

فهم مؤمنون على هذا القول الباطل المردود!!

وقد رد ما ذكره المصنف أئمة الإسلام، كابن القيم وغيره.

* قال رحمه الله فى «النونية»:

قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلاقهم هو منتهى الإيمان
والناس فى الإيمان شىء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ... والاهم من عابدى الأوثان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف ... الخلاق أم ذا نكران
واسأل كذاك إمام كل معطل ... فرعون على قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق الر ... ب العظيم مكون الأكوان
ليبشروا ما فيهم من كافر ... هم عند جهم كاملوا الإيمان

* **قوله: (بأنَّ الله تَولَّى أهل مَعْرفته):**

يقال فيه ما تقدم، من التحرير والبيان.

* **قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

ما بين المعكوفتين لم ترد فى المخطوطات الثلاث. ولا فى مطبوعة (خ) وحذفها أصح، لأن مفهوم هذه الزيادة أن أهل الكبائر من أمة غير أمة محمد ﷺ قبل نسخ تلك الشرائع به حكمهم مخالف لأهل الكبائر من أمة محمد. وفى ذلك نظر، فإن النبى ﷺ أخبر أنه: «**يخرج من النار من**

كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان»[1]. ولم يخص أمته بذلك، بل ذكر الإيمان مطلقاً، فتأمله. واعلم أنهم اختلفوا فى تعريف الكبائر على أقوال أمثلها أنهـا ما يترتب عليها حد، أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة أو الغضب. وراجع «الشرح» و«مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (١١/ ٦٥٠)(*).

**** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

زيادة من مخطوطة (أ، ب، غ) وهى زيادة هامة لم تثبت فى بعض النسخ ومنها نسخة الشارح فقال: «وقوله: (عارفين) لو قال: مؤمنين بدل (عارفين) كان أولى، لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر، وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم وقوله مردود باطل...».

***** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

يعنى الشرك وهو الكفر، ولا فرق بينهما شرعاً، فكل كفر شرك وكل شرك كفر، كما يدل عليه محاورة المؤمن للكافر صاحب الجنتين المذكورة فى سورة (الكهف) فتنبه لهذا فإنه به يزول عنك كثير من الإشكالات والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

**** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

هذا الدعاء ورد مرفوعاً وهو مخرج فى «الصحيحة» (١٨٢٣).

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١/ ١٢٧/ ٤٤)، ومسلم (٢/ ٥٣/ ٣٢٥) كلاهما من حديث أنس ـ رضى الله عنه.

(*) **قلت**: هذه نكتة طيبة وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون يريد أن يقول أن هذا يُفهم منه أن أهل الكبائر من غير هذه الأمة لهم حكم آخر، الشيخ الألبانى قال: لا. فإن حكمه فى أهل الكبائر فى غير هذه الأمة كحكم أهل الكبائر فى هذه الأمة لان الرسول ﷺ قال: «**إن الله يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان**» وأطلق بدون تقيد بهذه الأمة.

المبحث السادس

حكم الشهادة لمعين بالجنة أو النار

وَلاَ نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُم جَنَّةً وَلاَ نَارًا(١).

---

* قال ابن أبى العز:

أى لا نشهد لأحدٍ معين من أهل القبلة أنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا من وردت بشأنه النصوص كالعشرة المبشرين بالجنة، وإن كنا نقول أنه لابد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله له ذلك(٢)، ثم يخرج منها بالشفاعة. أما الشخص المعين فإنّا نقف فيه فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم لأن الحقيقة باطنة وما مات عليه لا نحيط به وللسلف فى الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

(١) لا يُشهد لأحد إلا الأنبياء: وهذا يُنقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعى.

(٢) يُشهَد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص وهو قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

(٣) أنه يُشهَد لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون. ففى الصحيحين «**أنه مر بجنازة فأثنوا عليها بخير فقال النبى ﷺ: وجبت، ومر بأخرى فأُثنِىَ عليها بشر فقال: وجبت فقال عمر: يا رسول الله ما وجبت، فقال ﷺ: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض**»(٣).

---

(١) **قلت:** هذا كلام الطحاوى ومعناه لا يُقطع لأحد معين بجنة ولا نار إلا بنص فالنبى عليه الصلاة والسلام إذا قال فلان فى النار إذن هو فى النار فلان بعينه إذن فلان بعينه أو ربنا سبحانه وتعالى نص على فلان بعينه فى النار قلنا: فلان فى النار.
مثال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وفى الآخر ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ليس هناك مانع أن نقول أبو لهب فى النار لأنه يوجد نص لكن هل نقول س أو ص من المعاصرين أو أشباه المعاصرين ممن ليس فيهم نص بدخولهم النار ونقول هو فى النار؟ لا نقدر.

(٢) **قلت:** مثلاً إنسان مات على الكبيرة مثلاً بيزنى ومات لماذا لم تقطع له بالنار؟ وهذه من علامات سوء الخاتمة لماذا لم تقطع؟ لأننا قلنا ان أصحاب الكبائر تحت خطر المشيئة، إنسان يقول: صاحب الكبيرة لا يعذب إذا تاب، وهذا لم يتب الجواب: قوله: وإن لم يكونوا تائبين لأن العفو عنهم بفضل الله وشفاعة رب العالمين وشفاعة الشافعين ليست بتوبة أصلاً لأن التوبة إن قبلت تجبّ ما قبلها.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «الجنائز»/ باب: الثناء للناس على الميت (٣/ ٢٧٠/ ١٣٦٧) وفى «الشهادات»/ باب: تعديل كم يجوز (٥/ ٢٩٩/ ٢٦٤٢) ومسلم فى «الجنائز»/ باب: فيمن يُثنى عليه خيراً أو شراً من الموتى (٣/ ٧/ ١٨ و ١٩ النووى) وانظر «رياض الصالحين» (ح ٩٥٢) بتخريجنا.

* قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: إلا العشرة المبشرين بالجنة، وعبدالله بن سلام، وغيرهم فإنا نشهد لهم بالجنة على شهادة الرسول ﷺ، وقد صرح المصنف رحمه الله بذلك فى الفقرة (٩٥) ومن ضلال بعض الكتاب اليوم وجهلهم غمزهم لعبدالله بن سلام بيهوديته قبل إسلامه، مع شهادة النبى ﷺ له بالجنة كما فى «صحيح البخارى» وليت شعرى أى فرق بين من كان يهودياً فأسلم، وبين من كان وثنياً وأسلم لولا العصبية القومية الجاهلية بلى هناك فرق، فقد جاء فى «الصحيحين» قوله ﷺ: «**ثلاث يؤتون أجرهم مرتين...**» فذكر منهم «**ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبى ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه**»[1] فهذا له أجران دون الوثنى إذا أسلم، فله أجر واحد.

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٦/ ١٦٩/ ٣٠١١)، ومسلم (١/ ٤٦٤/ ٢٤١)، وابن ماجه (١/ ٦٢٩/ ١٩٥٦) جميعاً من حديث أبى بردة عن أبيه به.

المبحث السابع

صحة الإقتداء بأهل القبلة

وَنَرَى الصَّلاَةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَة، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُم.

---

* قال ابن مانع:

* قوله: (وَنَرَى الصَّلاَةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ..):

مراده بذلك: الرد على «الرافضة».

* وقد اختلف العلماء رحمهم الله فى صحة الصلاة خلف الفاسق:

ـ فذهب الشافعى وأبو حنيفة: إلى صحتها مع الكراهة.

ـ وذهب الإمام أحمد ومالك: إلى عدم الصحة.

والفاسق: هو الذى ارتكب الكبيرة، وأصر على الصغيرة.

ـ ولا فرق فى صحة الصلاة خلف الفاسق عند الإمام أحمد؛ بين أن يكون فسقه من حيث الاعتقاد أو العمل.

وعند الإمام أحمد:

تصح خلف كل بر وفاجر صلاة الجمعة والعيد؛ إذا تعذر فعلهما خلف غيره.

وأما سائر الصلوات: فلا تصح خلف الفاسق على المذهب.

لقوله عليه السلام: «**اجعلوا أئمتكم خياركم**»(١).

وقوله: «وَلاَ يَؤُمُّ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا»(٢).

---

(١) [**ضعيف**] أخرجه الدارقطنى فى «سننه» (٢/ ٨٧/ ١٠) والبيهقى فى «الكبرى» (٣ / ٩٠) من طريق محمد بن أحمد بن أسد الهروى حدثنا الحسين بن نصر المؤدب ثنا سلام بن سليمان ثنا عمر عن محمد بن واسع عن سعيد بن جبير عن ابن عمر... الحديث.
وسلام بن سليمان ضعيف وعمر شيخ سلام فى هذا السند هو ابن يزيد قاضى المداين قال ابن عدى: منكر الحديث. وحسين بن نصر المؤدب: قال ابن القطان لا يعرف. وانظر «نيل الأوطار» (ح ١٠٨٨) بتخريجنا.
وقال البيهقى: إسناد هذا الحديث ضعيف.

(٢) [**ضعيف جداً**] أخرجه ابن ماجه فى «إقامة الصلاة»/ باب: فرض الجمعة (١/ ٣٤٣ / ١٠٨١) والبيهقى (٩٠١٣، ١٧١/ ٥١٣١، ٥٥٧٠) والعقيلى فى «الضعفاء» (٢/ ٢٩٨/ ت ٨٧١) من طريق عبدالله بن محمد العدوى عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن جابر.
وذكره الحافظ فى «التلخيص» (٢/ ٣٢/ ٥٦٩) وقال: والعدوى اتهمه وكيع بوضع الحديث «شيخه ضعيف» وضعفه الألبانى فى «الارواء».
وانظر «منار السبيل» (ح ٥٧٩) بتخريجنا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأمّا احتجاج المعارض بقوله: تجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر. فهذا حديث لم يثبت»[1].

وقد بسط العلماء الكلام على هذه المسألة فى باب الإمامة من كتب الفقه.

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: والدليل على ذلك جريان عمل الصحابة (رضى الله عنهم) عليه، على ما تراه بينا فى «الشرح» وكفى بهم حجة، ومعهم مثل قوله ﷺ فى الأئمة: «**يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم**»[2] أخرجه البخارى، وأحمد، وأبو يعلى. وفى الصلاة على من مات منهم أدلة أخرى تراها فى «أحكام الجنائز» (ص: ٧٩) وأما حديث: «**صلوا وراء كل بر وفاجر**» فهو ضعيف الإسناد كما أشرت إليه، وبينته فى «ضعيف أبى داود» (٩٧)، و«الإرواء» (٥٢٠)، ولا دليل على عدم صحة الصلاة وراء الفاسق، وحديث: «**اجعلوا أئمتكم خياركم**»[3] إسناده ضعيف جداً كما حققته فى «الضعيفة» (١٨٢٢)، ولو صح فلا دليل فيه إلا على وجوب جعل الأئمة من الأخيار، وهذا شىء. وبطلان الصلاة وراء الفاسق شىء آخر، لا سيما إذا كان مفروضاً من الحاكم. نعم لو صح حديث: «. . . . **ولا يؤم فاجر مؤمناً**. . . .»[4] لكان ظاهر الدلالة على بطلان إمامته ولكنه لا يصح أيضاً من قبل إسناده كما بينته فى أول «الجمعة» من «الإرواء»[*].

---

(١) أخرجه الدارقطنى (٢/ ٥٧)، والبيهقى فى «الكبرى» (٤/ ١٩).
من طريق: أبو روق الهزانى أحمد بن محمد بن بكر بالبصرة، ثنا بحر بن نصر، ثنا ابن وهب، حدثنى معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول، عن أبى هريرة به.
قال الدارقطنى: مكحول لم يسمع من أبى هريرة ومن دونه ثقات.

(٢) [**صحيح**] أخرجه البخارى (١/ ٢١٩/ ٦٩٤)، وأحمد فى «مسنده» (٢/ ٣٥٥).
كلاهما من طريق: عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - به.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) [**ضعيف**] أخرجه ابن ماجة (١/ ٣٤٣/ ١٠٨١)، والبيهقى فى «الكبرى» (٣/ ١٧١).
من طريق: الوليد بن بكير، ثنا عبدالله بن محمد، عن على بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن جابر ابن عبدالله به.
وانظر «نيل الأوطار» (ح ١٠٨٧ - بتخريجنا).

(*) **قلت**: بعد كلام الشيخ الألبانى: قال الإمام الشوكانى فى «نيل الأوطار» وغيره من العلماء «أن من صحت صلاته لنفسه صحت لغيره» إذا كانت صلاة الفاسق هذه صحيحة فما الداعى الذى يبطل صلاة من خلفه هذه من الناحية الفقهية ومن الناحية الحديثية لم تصح أحاديث لا فى المنع ولا فى العدم بل صحت أدلة عامة أن الصحابة صلوا خلف الحجاج بن يوسف الثقفى بل والنبى ﷺ ثبت عنه عند مسلم من حديث أبى ذر قال يا أبا ذر كيف أنت إذا كان عليك امراء يميتون الصلاة؟ أو يؤخرون الصلاة عن وقتها؟ قلت: فما تأمرنى؟ قال: صل الصلاة لوقتها ثم صل معهم» الشاهد: صل معهم والحديث فى مسلم (٣/ ١٥٨/ ٢٣٨) وانظر الدرارى بتحقيقنا حرقم (٢٥٢).

المبحث الثامن

أركان الإيمان

وَالإِيمانُ: هُوَ الإِيمانُ بِاللهِ، وَمَلائكتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، وَاليومِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ ومُرِّهِ، مِنَ اللهِ تَعالى.

ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين.

وَنَحْنُ مُؤْمِنُون بِذَلِكَ كُلِّه.

لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه، ونُصَدِّقُهُم كُلَّهُم عَلَى مَا جَاؤُوا بِهِ.

*** قال ابن أبى العز:**

هذه الخصال هى أصول الدين وبها أجاب النبى ﷺ عندما سُئِلَ عن الإيمان فى حديث جبريل[1] المتفق عليه والكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق قال تعالى ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ وقال تعالى ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾، وقال تعالى ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾.

فنفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل على أنها فرض على الناس فمن تركها كان من أهل الوعيد ولم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذى وُعِدَ أهله بدخول الجنة بلا عذاب[2].

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

إعلم أنه لا ينافى هذا قوله ﷺ فى دعاء الاستفتاح: «**والخير كله بيديك، والشر ليس إليك**»[3] رواه مسلم[4]، لأن المعنى: فإنك لا تخلق شراً محضاً، بل كل ما تخلقه فيه حكمة، هو

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٨/ ٣٧٣/ ٤٧٧٧)، ومسلم (١/ ١٧٩/ ٥)

كلاهما من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه.

(٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٣/ ٣٠٩/ ٢٠١)، وأحمد فى «مسنده» (١/ ٩٤، ٩٥)، وأبو داود (١/ ١٩٩/ ٧٦٠) جميعاً من طريق: عبدالرحمن الأعرج، عن عبيد الله بن أبى رافع، عن على به.

وانظر «نيل الأوطار» (ح ٦٨٢ ـ بتخريجنا).

(٤) **قلت:** نحن قلنا نؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى. حلوه ومره الإثنين من الله وانظر إلى قول النبى عليه الصلاة والسلام فى دعاء الإستفتاح قال «والخير كله بيديك والشر ليس إليك» ماذا نفعل هنا؟ الجواب:

=

باعتبارها[1] خير ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس فهذا الشر جزئى إضافى، فأما شر كلى أو شر مطلق، فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه أفاده فى «الشرح» وراجع التفصيل إن شئت فى «شفاء العليل» لابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ ومنه تعلم كذب من نسب إلى أن للشر خالقاً غير الله تعالى، فى مقال نشر مع الأسف فى مجلة الحضارة بقلم متعصب حاقد (ص: ٥٠ ـ ٥٢ العدد ٥ السنة ١٨).

الخلاصة

ـ حقيقة الإيمان مركبة من قول (القلب واللسان)، وعمل (القلب والجوارح).

فالإيمان هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد باطنا وظاهرا.

ـ لفظ الإيمان إما أن يذكر فى النصوص مطلقا (فهو حينئذ مستلزم للأعمال وهى داخلة فى مسماه)، أو يذكر تارة مقرونا بالإسلام (فيتقيد الإيمان بأصوله الستة، والإسلام بالأعمال الظاهرة)، وتارة يعطف عليه العمل الصالح فيكون من باب عطف بعض الشىء على كله.

ـ الأعمال الظاهرة دليل الباطن وفرع له وليست كلها شرط فى كمال الإيمان بل بعضها شرط صحة وكثير منها شرط كمال.

ـ الإيمان يزيد وينقص من جهة ما أمر العباد به، ومن جهة ما يقع منهم من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ـ الاستثناء فى الإيمان جائز فى الكمال الواجب والمستحب، وغير جائز فى أصل الإيمان.

ـ تفرقت مذاهب المرجئة إلى ثلاثة أصناف مخالفة لأهل السنة فى تعريف الإيمان، من ضمنها

= لا تعارض بين الكلامين لأن هذا من باب التأدب هو بزعمه هنا يقول: ان الشر ليس من أقدار الله. لا: والشر أيضاً. الله عز وجل مقدر للأمرين وخالق لكل شىء لكن أنت من باب الأدب لا تنسب الشر إلى الله لكن تنسبه فى الجملة، فى الجملة نقول الله خالق كل شىء يقصد به الخير والشر كما قال تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ المقصود هنا أن الله خلق الشر أيضا من شر ما خلق إذن من حيث الجملة ينسب إلى الله تعالى.

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ ولم يقل وإذا أمرضنى قال «اذا مرضت» وقال حكاية عن أيوب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ ولم ينسب الشر إلى الله تادباً مع الله لا لأن الله لم يقدر ذلك أو لم يخلقه وأيضاً هذا كثير ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وهذا قول الجن «أشر أريد» ولم يقل أراده الله انظر إلى الأدب، وحينما جاء إلى قوله «رشداً» نسبه لله سبحانه وتعالى وهذا ليس من باب عدم نسبة الشر خلقاً وايجاداً لله ولكن هذا من باب الأدب مع الله.

(١) **قلت:** فعلاً المرض ربنا خلق المرض أم لا؟ خلق المرض لكن خلقه لحكمة وهى كفارة أو رفعة للدرجات فالمرض باعتبار الحكمة لم يكن شراً وهذا الكلام ذكرته فى كتابى «مغنى المريد شرح كتاب التوحيد».

مذهب مرجئة الفقهاء من أصحاب أبى حنيفة الذين أخرجوا العمل من مسمى الإيمان، واستدلوا على ذلك بجملة أدلة، وهى مردودة عند أهل السنة والجماعة.

ـ تسقط عقوبة جهنم عن فاعل السيئات بنحو عشرة أسباب عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة.

ـ اتفق أهل السنة ـ خلافا لما ذهبت إليه الخوارج والمرجئة ـ أن أصحاب الكبائر وأهل البدع لا يكفرون بنقلهم عن الملة إلا بالإستحلال، وهم معرضون للوعيد ما لم يتوبوا، مع كونهم تحت المشيئة إذا ماتوا وهم موحدون.

ـ الكبائر هى ما يترتب عليها حدود، أو يتوعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب.

والصغائر هى ما ليس فيها حد فى الدنيا وهى دون ما سبق من الوعيد فى الآخرة.

ـ فى الأحكام الشرعية: يحكم على الناس بظواهرهم التى ناط بها الشارع الأحكام (لقاعدة التلازم بين الظاهر والباطن). ولا يحكم بالكفر على معين ثبت له الإسلام بيقين إلا بعد ثبوت شروط التكفير فى حقه وانتفاء موانعه.

ـ لانشهد لشخص معين بجنة ولا نار إلا عن علم، ولكن من مات على الكفر فيما ظهر لنا فإننا ننزله النار.

ـ الصلاة جائزة باتفاق خلف مستور الحال الذى لم يعلم منه بدعة ولا فسق، كما أنها جائزة خلف الفجار والمبتدعة مالم يبلغ حالهم الكفر الذى ينقل عن الملة، والأولى: الصلاة خلف البر.

ـ أركان الإيمان هى المذكورة فى حديث جبريل حين سأل النبى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان.

أسئلة تدريبية على الباب

س١: «حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل». وضح ذلك مع بيان ضرورة اجتماع عناصر الإيمان كشرط لصحته؟

س٢: الخلاف فى مسمى الإيمان من أقدم الخلافات التى وقعت بين أهل القبلة فى مسائل أصول الدين. وضح ذلك، مع بيان المذاهب المختلفة التى حادت عن الصواب فى تعريف الإيمان، وأوجه بطلان ما ذهبت إليه كل منها؟

س٣: هل الاختلاف بين أبى حنيفة وأهل السنة فى تعريف الإيمان إختلاف صورى ونزاع لفظى؟ بيّن مدى صحة هذه العبارة مع توضيح مواضع الاتفاق والاختلاف بين كلا الفريقين؟

س٤: الإيمان مغاير للتصديق لفظا ومعنى. وضح ذلك؟

س٥: ما أدلة أبى حنيفة وأصحابه على مذهبهم فى تعريف الإيمان؟ وكيف يمكن الرد عليها فى قواعد مختصرة؟

س٦: تتنوع دلالة لفظ الإيمان فى النصوص بالإطلاق والتقييد، وبالاقتران والتجريد.

وضح ذلك مع بيان مختلف دلالات لفظ الإيمان إذا جاء مطلقا، أو مقرونا بالإسلام، أو مقرونا بالعمل الصالح؟

س٧: هل الإسلام منحصر فى مبانيه الخمسة؟ ولم خصها النبى ﷺ بالذكر حين سئل عن الإسلام؟ علل لما تقول؟

س٨: قال المصنف رحمه الله: «والإيمان واحد، وأهله فى أصله سواء» ما مدى دقة هذا القول؟ وما أوجه تفاضل الإيمان؟ اذكر الأدلة والآثار على ذلك.

س٩: ما حكم الاستثناء فى الإيمان؟

س١٠: الناس فى تكفير أصحاب الكبائر وأهل البدع على طرفين ووسط. من هم الطرفان؟ وما أقوالهم فى ذلك؟ وبم أجاب عليهم أهل السنة؟

س١١: كيف تجيب على شبهة تكفير أصحاب الكبائر حيث إن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفراً؟

س١٢: ما تعريف الكبيرة والصغيرة؟ وما حكم مرتكب الكبيرة إذا مات موحدا ولكن دون توبة من كبيرته؟

س١٣: ما الأسباب التى تسقط عن فاعل السيئات عقوبة جهنم؟ دلل على ما تقول.

س١٤: ما الحالات التى نشهد فيها على شخص معين بالجنة أو النار؟

س١٥: متى يكون الخوف والرجاء محموداً؟ وكيف يصير مذموماً؟

س١٦: ما حكم الصلاة خلف مستور الحال والمبتدع؟ وما حكم الصلاة على من مات منهم؟

س١٧: الفلاسفة والمعتزلة والرافضة فرق ضلت فى فهم أركان الإيمان. وضح الأصول الفاسدة لكل منهم مع بيان الحق الذى عليه أهل السنة والجماعة فى ذلك؟

س١٨: بالنظر إلى الحكم الشرعى، هل يكفى فى إثبات أصل الإيمان اعتقاد الحكم؟ وضح ذلك فى ضوء فهمك لعناصر الإيمان عند أهل السنة، موازناً بينها وبين عناصر الإيمان عند أهل الإرجاء. ثم طبق ذلك على مسألة الحكم بغير ما أنزل الله.

س١٩: وقع فى تعريف الإمام الطحاوى ـ رحمه الله ـ للإيمان شبهة الإرجاء. وضح ذلك على ضوء تعريفات الإيمان المتنوعة عند السلف والخلف من أهل السنة والجماعة؟

س٢٠: متى نشأ الخلاف فى مسمى الإيمان؟ ومن أول من قال بقول المرجئة الفقهاء؟ وكيف أنكر علماء السلف حينئذ هذا القول؟

س٢١: للإيمان درجات ثلاثة. اذكرها، وبيّن حد كل منها، ومآل أهل كل درجة فى الآخرة، مع سوق الأدلة من الكتاب والسنة؟

س٢٢: تحت ظلال الجهل بالدين، اختلط فى أذهان كثير من عوام المسلمين معنى الإيمان والإسلام. ادرس هذه الظاهرة، ثم وضح على ضوء دراستك اختلاف دلالات الإيمان والإسلام؟

س٢٣: كيف ترد على شبهة كون الإيمان معان قلبية لا يمكن تقييدها بحدود وأحكام لأنها لا تنضبط بنصوص ظاهرة؟ عضد قولك بأدلة الكتاب والسنة وأقوال السلف(*).

(*) من كتاب تهذيب الطحاوية للدكتور/ صلاح الصاوى.

الباب الأول

التوحيد

الأهداف العامة للباب

ينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول، يتوقع منك أخى الدارس والداعى وأختى الدارسة والداعية بعد الدراسة لهذا الباب أن تكون ملما بما يلى:

•• الفصل الأول: توحيد الربوبية وفيه ثلاث مباحث

المبحث الأول: المقصود من توحيد الربوبية، وفطر القلوب على هذا التوحيد.

المبحث الثانى: الميثاق الذى أخذه الله من آدم وذريته.

المبحث الثالث: الخلاف فى أول هذا العالم وتقدير الأقدار.

•• الفصل الثانى: توحيد الإلهية

المبحث الأول: المقصود من توحيد الإلهية، وبيان أنه مقصد دعوة الرسل.

المبحث الثانى: معرفة الضوابط الشرعية فى الدعاء، والاستشفاع، والتوسل.

المبحث الثالث: أحكام الكهانة، والسحر، والتنجيم.

المبحث الرابع: مراتب الولاية، والفرق بين المعجزة والكرامة، وتفضيل الأنبياء على الأولياء.

المبحث الخامس: حتمية التسليم والاستسلام لنصوص الكتاب والسنة، وفساد منهج المتكلمين.

•• الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات

المبحث الأول: بعض القواعد الكلية فى باب الأسماء والصفات.

المبحث الثانى: المقصود من بعض أسمائه تعالى: كالأول، والآخر، والحى، والقيوم.

المبحث الثالث: المقصود من بعض صفاته تعالى: كصفة الكلام، والعلوّ، والعلم، والقدرة.

المبحث الرابع: بيان فساد المذاهب الباطلة فى هذا الباب: كالمشبهة، والمعطلة، والمعتزلة.

الباب الأول

التوحيد

الفصل الأول: توحيد الربوبية

الفصل الثانى: توحيد الإلهية

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات

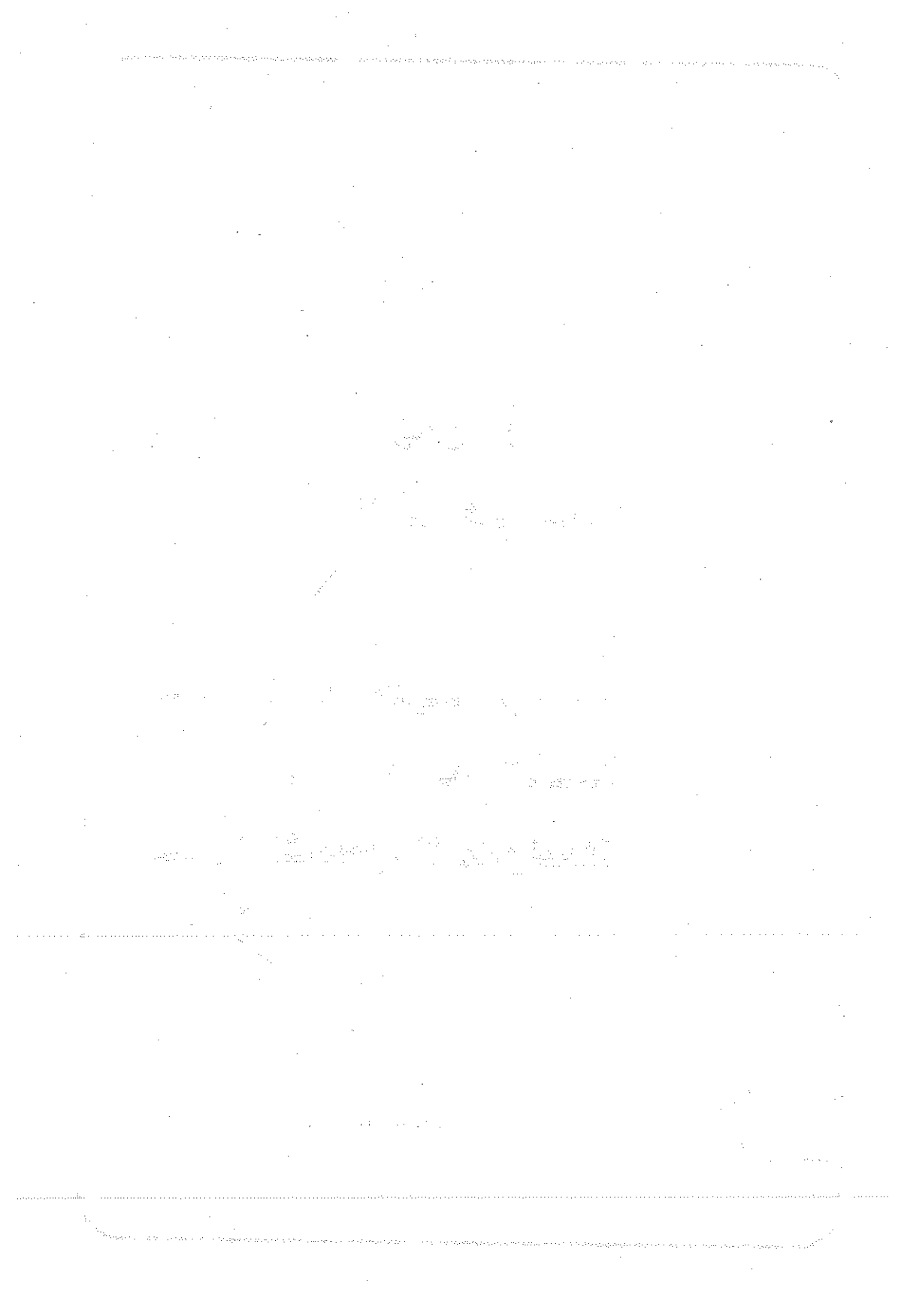

التمهيد

التوحيد أول واجب على المكلف، وهو أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم به السالك إلى الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ [النحل: ٣٦].

وقال النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله**»(١).

ولهذا فإن أول واجب(٢) يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله(٣).

فقد اتفق أئمة السلف على أن أول ما يؤمر به العبد: الشهادتان، وأن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد عقيب البلوغ.

*** والتوحيد الذى دعت إليه الرسل نوعان:**

ـ توحيد الإثبات والمعرفة: وهو معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله، كما أخبر به عن نفسه، وأخبر به عنه رسوله، وهو التوحيد العلمى والخبرى، ويشمل توحيد الربوبية: وتوحيد الأسماء والصفات. وذلك مثل ما تضمنته سورة الإخلاص، وأول سور: الحديد، وآل عمران، والسجدة، وآخر سورة الحشر، وغير ذلك.

ـ توحيد القصد والطلب: وهو عبادة الله وحده، وخلع ما يُعبد من دونه، وهو التوحيد العملى الإرادى، ويتمثل فى توحيد الألوهية، وذلك مثل ما تضمنته سورة الكافرون، وأول سورة الأعراف، ويونس، والزمر، وجملة سورة الأنعام، وغيرها.

وبناء على ذلك فإننا سوف نتناول فى الفصول الثلاثة التالية أقسام التوحيد على النحو التالى:

الفصل الأول: توحيد الربوبية. الفصل الثانى: توحيد الإلهية.

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «الإيمان» / باب: ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**﴾ (١/ ٩٤/ ح٢٥) ومسلم فى «الإيمان» / باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/ ١/ ٢١١ ـ النووى).

وانظر «رياض الصالحين» (ح٣٩١) بتخريجنا.

(٢) الواجب هنا يمتد ليشمل: النطق بها، وفهمها، والعمل بمدلولها، واجتناب نواقضها.

(٣) كما جاء فى البخارى من حديث معاذ حين أرسله النبى ﷺ إلى اليمن: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل**». وفى هذا رد على ما ذهب إليه أهل الكلام المذموم من المعتزلة والأشاعرة، من أن أول واجب على المكلف هو النظر، أو مقدمات النظر، أو الشك. (انظر شرح الأصول الخمسة للقاضى المعتزلى عبدالجبار، والإنصاف للقاضى الأشعرى الباقلانى، والإرشاد للجوينى). نقلاً عن تهذيب الطحاوية للدكتور/ صلاح الصاوى.

الفصل الأول
توحيد الربوبية

الأهداف الخاصة

يتوقع منك أخي الدارس والداعي أختي الدارسة والداعية بعد دراستك لهذا الفصل أن تكون ملماً بما يلي:

- فطر القلوب على هذا التوحيد.
- الميثاق الذي أخذه الله من آدم وذريته
- الخلاف في أول هذا العالم وتقدير الأقدار.

المبحث الأول

المقصود من توحيد الربوبية

وفطر القلوب على هذا التوحيد

نَقُولُ فى توحيد الله معتقدينَ بتوفيق الله(*):

إنَّ الله وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ.

(*) **قال الشيخ ابن باز:** قوله: (**نقول فى توحيد الله... إلخ**).

اعلم أن التوحيد الذى بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب ينقسم إلى أقسام ثلاثة حسب استقراء النصوص من الكتاب والسنة وحسب واقع المكلفين:

القسم الأول: توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه.

وهو الإيمان بأنه الخالق الرازق المدبر لأمور خلقه، المتصرف فى شئونهم فى الدنيا والآخرة لا شريك له فى ذلك.

كما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ**﴾ [يونس: الآية ٣].

وهذا النوع قد أقر به المشركون عباد الأوثان، وإن جحد أكثرهم البعث والنشور ولم يدخلهم فى الإسلام؛ لشركهم بالله فى العبادة وعبادتهم الأصنام والأوثان معه سبحانه وعدم إيمانهم بالرسول محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

* **قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

أن نفى الشريك عن الله تعالى لا يتم إلا بنفى ثلاثة أنواع من الشرك:

الأول: الشرك فى الربوبية، وذلك بأن يعتقد أن مع الله خالقاً آخر - سبحانه وتعالى - كما هو اعتقاد المجوس القائلين بأن للشر خالقاً غير الله سبحانه. وهذا النوع من هذه الأمة قليل والحمد لله، وإن كان قريباً منه قول المعتزلة: إن الشر إنما هو من خلق الإنسان، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «**القدرية مجوس هذه الأمة..**»(١). الحديث، وهو مخرج فى مصادر عدة عندى أشرت إليها فى «صحيح الجامع الصغير وزيادته» رقم: [٤٣١٨].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٢١/ ٤٦٩١)، ومن طريقه الحاكم (١/ ٨٥) من طريق: موسى بن إسماعيل، ثنا عبدالعزيز بن أبى حازم، قال حدثنى يمنى عن أبيه، عن ابن عمر به.

المبحث الثانى

الميثاق الذى أخذه الله من آدم وذريته

وَالميثَاقُ الَّذى أخَذَهُ اللهُ تَعَالىٰ مِنْ آدمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ.

قال تعالى: ﴿ وإذْ أخَذَ ربُّكَ من بنى آدمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأشْهَدَهُمْ علىٰ أنفُسِهِمْ ألَسْتُ بربِّكُمْ قالُوا بَلىٰ شَهِدْنَا أن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أوْ تَقُولُوا إنَّمَا أشْرَكَ آبَاؤُنَا من قَبْلُ وكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ (١٧٣) وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ ولَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أخبر الله عز وجل أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم لا إله إلا هو.

معنى قوله: ﴿شَهِدْنَا﴾ فى الآية الكريمة.

- أى قالوا شهدنا أنك ربنا وهذا قول ابن عباس وأبى بن كعب وقال ابن عباس: أيضاً: أشهد بعضهم على بعض.

- وقيل ﴿شَهِدْنَا﴾ من قول الملائكة، والوقف على قوله ﴿بَلىٰ﴾ هو قول مجاهد والضحاك والسدى.

- وقال السدى أيضاً: هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بنى آدم والأول أظهر.

- وقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿ألَسْتُ بربِّكُمْ قالُوا بَلىٰ شَهِدْنَا﴾ إلى قوله ﴿المُبْطِلُونَ﴾**(١).

- وروى الإمام أحمد أيضاً عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «**إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح بظهره فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون....**» الحديث(*)(٢).

---

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (١/ ٢٧٢) (٢٤٥٥) والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٥٤٤) وابن أبى عاصم فى «السنة» (ح٢٠٢) وابن جرير فى «التفسير» (٦/ ٩/ ٧٥).
قال الحاكم فى «المستدرك»: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
وقال الألبانى فى «ظلال الجنة» إسناده حسن.
وذكره فى «السلسلة الصحيحة» (ح١٦٢٣).

(*) انظر «تهذيب الطحاوية» للصاوى.

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (١/ ٤٤/ ح٣١١) وأبو داود فى «السنة» (٤/ ٢٢٦/ ٤٧٠٣) والترمذى فى «التفسير» (٣٠٧٥) وابن أبى عاصم فى «السنة» (ح١٩٦). =

خَالِقٌ بِلا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلا مَؤُونَةٍ.

**** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قلت: يشير إلى بعض الأحاديث المصرحة بأن الله تعالى استخرج الذرية من صلب آدم عليه الصلاة والسلام، وقد ذكر فى الشرح أربعة منها، وهى مخرجة فى «تخريج السنة» (رقم: ١٩٥ - ٢٠٥).

قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾.

وقال ﷺ من حديث أبى ذر رضى الله عنه: «**يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا دخل فى البحر**»(١)(*).

**** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

أى بلا ثقل وكلفة.

= قال أحمد شاكر: أسانيده صحاح وإن كان ظاهره الإنقطاع.

وقال الترمذى: هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر.

وقال الألبانى: إسناده ضعيف لانقطاعه بين مسلم بن يسار وعمر.

وأخرج أبو داود (ح٤٧٠٤) رواية عن نعيم بن ربيعة بين مسلم بن يسار وعمر ولكن نعيم هذا مجهول الحال وغير معروف إلا فى هذا الحديث.

(١) أخرجه مسلم فى «البر والصلة»/ باب: تحريم الظلم (٨/ ٣٧٥/ ح٣٥٧٧) وأحمد فى «مسنده» (٥/ ١٥٤). وابن ماجه فى «الزهد»/ باب: ذكر التوبة (٢/ ١٤٢٢/ ح٤٢٥٧).

وانظر «رياض الصالحين» (ح١١٢) بتخريجنا.

(*) «تهذيب الطحاوية» للصاوى.

المبحث الثالث:

الخلاف فى أول هذا العالم

خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ.

تقدير الأقدار

وَقَدَّرَ لهمْ أقْدَارًا.

---

* **قال ابن أبى العز:** قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.

وروى البخارى عن عمران بن حصين قال: قال أهل اليمن للنبى ﷺ: **جئناك لنتفقه فى الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال: «كان الله ولم يكن شىء قبله ـ وفى رواية ـ «ولم يكن شىء معه» ـ وفى رواية ـ «غيره» وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السماوات والأرض» وفى لفظ «ثم خلق السماوات والأرض»**(١).

اختلف الناس فى فهم هذا الحديث على قولين:

أحدهما: كان الله موجوداً وحده ولم يزل كذلك دائماً، ابتدأ إحداث جميع الحوادث فصار فاعلاً بعد أن لم يكن يفعل شيئاً.

الثانى: المراد إخباره عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود، الذى خلقه فى ستة أيام ثم استوى على العرش، وهذا هو الصحيح.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

وفى صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»**(٢)(*).

خلاصة توحيد الربوبية:

ـ القلوب مفطورة على الإقرار بتوحيد الربوبية أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات.

---

(١) [صحيح] أخرجه البخارى (١٣/ ٤١٤ و٤١٥/ ٧٤١٨).

من حديث عمران بن حصين بلفظ (كان الله ولم يكن شىء قبله).

(٢) أخرجه مسلم فى «القدر»/ باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٨/ ٤٥٢/ ح٢٦٥٣) والترمذى فى «القدر»/ باب: منه (٤/ ٤٥٨/ ح٢١٥٦) من حديث عبدالله بن عمرو.

(*) «تهذيب الطحاوية» الدكتور الصاوى.

ـ لم يذهب إلى نقيض هذا التوحيد بالكلية طائفة معروفة من بنى آدم، إنما وقع الشرك منهم فى بعض الربوبية، لذا لم يقدهم إلى إفراد الله وحده بالعبادة؛ فالإقرار بالربوبية لا يكفى وحده للبراءة من الشرك.

ـ الميثاق الذى أخـذه الله من بنى آدم حجة عليهم يوم القيـامة، والمراد منه على الراجح: فطرهم على التوحيد.

ـ الشـرك حادث طارىء تقلده الأبنـاء عن الآباء، ولا يصح قيـاسه علـى تقليدهم فى العـادات الدنيوية التى قد لا يعلمـون فسادها ابتداء؛ بخلاف الشرك الذى كان عندهم مـن المعرفة الفطرية ما يبين فساده.

أسئلة تدريبية على الفصل الأول

س١: أهل الشرك متفقون على الإقرار ببعض صفات الربوبية من جانب، ولكنهم يشركون فى بعضها من جانب آخر. وضح ذلك مع ضرب الأمثلة على الجانبين؟

س٢: ما المراد بالميثاق الذى أخذه الله عز وجل من بنى آدم؟ وهل هو حجة عليهم يوم القيامة؟ دلل على ما تقول.

س٣: آية الميثاق أبطلت حجة المشركين فى أنهم تقلدوا شركهم من آبائهم، وضح ذلك على ضوء تفسير هذه الآية؟

س٤: هل يصح قياس تقليد الآباء فى العادات الدينية الفاسدة على تقليدهم فى العادات الدنيوية؟ وما الفرق بين تقليدهم فى الحالتين؟

س٥: ما الرأى الراجح فى المراد من حديث النبى ﷺ: «**كان الله، ولم يكن شىء قبله**»؟ اذكر أدلة صحة هذا الرأى(*).

(*) من «تهذيب الطحاوية» للدكتور صلاح الصاوى.

الفصل الثانى

توحيد الإلهية

الأهداف الخاصة

• يتوقع منك أخى الدارس والداعى وأختى الدارسة والداعية بعد دراسة جادة لهذا الفصل أن تكون ملماً بما يلى:

• **المبحث الأول:** التوحيد الذى دعت إليه الرسل: (.. ولا إله غيره)

• **المبحث الثانى:** الدعاء وأثره فى جلب المنافع ودفع المضار: (والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضى الحاجات)

• **المبحث الثالث:** الكهانة والتنجيم: (ولا نصدق كاهنا ولا عرافا، ولا من يدعى شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة

• **المبحث الرابع:** الولاية ومراتبها

• **المبحث الخامس:** المعجزة والكرامة

• **المبحث السادس:** الأنبياء ثم الأولياء

• **المبحث السابع:** دور العقل مع النقل وفساد منهج المتكلمين

• **المبحث الثامن:** حجية أخبار الآحاد

المبحث الأول:
التوحيد الذى دعت إليه الرسل

ولاَ إِلَه غَيْرُهُ.

---

* **قال ابن أبى العز:**

هذه كلمة التوحيد التى دعت إليها الرسل كلهم. وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفى والإثبات المقتضى للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال، ولهذا لما قال تعالى: ﴿**وإِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ**﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال بعده: ﴿**لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: ١٦٣]. فإنه قد يخطر ببال أحد هذا الخاطر الشيطانى: هب أن إلهنا واحد فلغيرنا إله غيره، فقال: ﴿**لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾.

توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلهية:

والقرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد، فهو يبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم ألا يعبد إلا الله، فيجعل من توحيد الربوبية دليلاً على توحيد الإلهية، إذ كانوا يسلمون بالأول وينازعون فى الثانى. قال تعالى: ﴿**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّه وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِه الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِه حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّه بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾ [النمل: ٥٩ ـ ٦٠].

فهذا استفهام إنكار، فقد كانوا مقرين أنه لم يفعل ذلك غير الله، فاحتج عليهم بذلك، أى: إن من خلق هو الذى يستحق أن يكون إلهاً، وأن يتوجه إليه وحده بالعبادة. ونفس المعنى أيضاً فى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[البقرة: ٢١].

* **قال ابن أبى العز:** وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس فمن لا يقدر على الخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً. قال تعالى: ﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾ فالإقرار بان الله وحده هو الذى يستحق أن يعبد، يتضمن الإقرار بأنه وحده الخالق والمحيى والمميت.

أما توحيد الربوبية فلا يتضمن توحيد الإلهية لأنه قد يقر بأن الله هو الخالق وحده والمدبر وحده ثم يعبد من دونه آلهة يزعم أنها تقربه إليه.

* **قال الشيخ ابن باز** والقسم الثانى: توحيد العبادة: ويسمى توحيد الالوهية وهى العبادة.

وهذا القسم هو الذى أنكره المشركون فيما ذكر الله عنهم سبحانه بقوله: ﴿**وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم**

مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٤، ٥] وأمثالها كثير.

وهذا القسم يتضمن: إخلاص العبادة لله وحده، والإيمان بأنه المستحق لها وأن عبادة ما سواه باطلة. وهذا هو معنى لا إله إلا الله فإن معناها لا معبود حق إلا الله، كما قال الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

* **قال الشيخ الألبانى**: والنوع الثانى من الشرك الذى لا يتم توحيد الله. إلا بنفيه هو:

الشرك فى الألوهية أو العبودية، وهو أن يعبد مع الله غيره من الأنبياء والصالحين، كالاستغاثة بهم وندائهم عند الشدائد ونحو ذلك. وهذا مع الأسف فى هذه الأمة كثير، ويحمل وزره الأكبر أولئك المشايخ الذين يؤيدون هذا النوع من الشرك باسم التوسل «يسمونها بغير اسمها»!.

المبحث الثانى:

الدعاء وأثره فى جلب المنافع، ودفع المضار

وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ.

---

* قال ابن أبى العز:

الذى عليه أكثر المسلمين وغيرهم أن الدعاء من أقوى الأسباب فى جلب المنافع، ودفع المضار قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[سورة غافر الآية: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦] الآية وقد أخبر الله عن الإنسان أنه إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعداً أو قائماً وأخبر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر فى البحر دعوا الله مخلصين له الدين.

وإجابة الله لدعاء العبد مسلماً أو كافراً من جنس رزقه لهم وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقاً ثم يكون ذلك فتنة فى حقه إذ كان كفره وفسوقه يقتضى ذلك.

وذهب قوم من المتفلسفة وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة فيه لأن المشيئة إذا كانت اقتضت وجود المطلوب فلا حاجة للدعاء وإن لم تقتضيه فلا فائدة فى الدعاء.

وقولهم هذا معلوم الفساد بضرورة العقل والشرع. والجواب عنه:

أن ثم قسماً ثالثاً وهو أن تقتضيه بشرط لا تقتضيه من عدمه، وقد يكون الدعاء من شرطه كما توجب الثواب مع العمل الصالح ولا توجبه مع عدمه وكما توجب الرى والشبع عند الشرب والأكل ولا توجبه مع عدمهما فإذا قُدِّرَ وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة فى الدعاء كما لا يقال: لا فائدة فى الأكل والشرب وسائر الأسباب وكذلك قولهم: إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة للدعاء، يُرد عليه بأنه قد تكون إليه حاجة من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة أو آجلة أو دفع مضرة أخرى عاجله أو آجلة بل لو لم يكن فيه إلا افتقار العبد إلى ربه ولجوئه إليه لكفى.

المبحث الثالث:

الكهانة والتنجيم

وَلاَ نُصَدِّقُ: كَاهِنًا وَلاَ عَرَّافًا، وَلاَ مَن يَدَّعِى شَيْئًا يُخَالِفُ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الأُمَّةِ.

---

* قال ابن أبى العز:

قال ﷺ: «من أتى عرافًا فسأله عن شىء لم يقبل له صلاة أربعين ليلة»(١).

وقال ﷺ: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»(٢).

فإذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسئول؟

وعن عائشة قالت: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الكهان فقال: ليس بشىء. فقالوا: يا رسول الله إنهم أحيانًا يحدثون عن شىء يكون حقاً. فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»(٣).

وقال ﷺ: «ثمن الكلب خبيث، ومهر البغى خبيث، وحلوان الكاهن خبيث»(٤) وحلوانه الذى تسميه العامة حلاوته ويدخل فى هذا المعنى ما يتعاطاه المنجم وصاحب الأزلام التى يُستقسم بها والضارب بالحصى، والذى يخط فى الرمل وما يتعاطاه هؤلاء فهو حرام. حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء(*).

---

(١) [صحيح] أخرجه مسلم فى «السلام»/ باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٥/ ١٤/ ٢٢٧) وأحمد فى «مسنده» (٤/ ١٦٨) (٥/ ٣٨٠) من حديث صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبى ﷺ.
وانظر «كتابنا مغنى المريد» (٥/ ص١٨٧٠).

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٢/ ٤٢٩) والحاكم فى «المستدرك» (١/ ٨) ومن طريقه البيهقى (٨/ ١٣٥)
وانظر «فتح المجيد» (ح ٥٣٥) بتخريجنا.

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٥٧٦٢) ومسلم فى «السلام» (٧/ ٤٨٢/ ١٢٢)
وانظر «كتابنا مغنى المريد» (٤/ ص١٣٤٢).

(٤) [صحيح] أخرجه البخارى فى «البيوع»/ باب: ثمن الكلب (٤/ ٤٩٧/ ٢٢٣٧) ومسلم فى «المساقاة» / باب: تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن (٤/ ١٠/ ٢٣١) وأحمد فى «مسنده» (٤/ ١١٨، ١٢٠) من حديث أبى مسعود الأنصارى.

(*) «تهذيب الطحاوية» للصاوى.

المبحث الرابع:
الولاية ومراتبها

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُم أَوْلِياءُ الرَّحْمَنِ.

التفاضل بين المؤمنين بالتقوى

وَأَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعَهُمْ وَأَتْبَعَهُمْ لِلْقرآن.

---

* **قال ابن مانع:**

(أولياء الرحمن) هم: الذين عملوا بما ورد في الكتاب والسنة.

فأدوا ما أوجب الله عليهم، وتركوا ما حرمه من المعاصي.

فهم المتقربون إلى الله بطاعته وطاعة رسوله عليه السلام.

وأما أهل التدجيل والتلبيس بزعمهم دخول النار، ومسك الحيات.

فهؤلاء أولياء الشيطان(١).

* **قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

قلت: وهم الموصوفون في قوله تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]. وليست الكرامة بإدعاء الكرامات وخوارق العادات كما يتوهم كثير من الناس بل ذلك من الإهانات التي تشوه جمال الإسلام.

* **قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

قلت: فيه إشارة لطيفة إلى الرد على متعصبة المذاهب، الذين يؤثرون اتباع المذهب على اتباع

---

(١) **فائدة:** قال العلامة ابن مانع صاحب الحاشية في شرحه للعقيدة السفارينية المسمى «الكواكب الدرية» ص (٣٢٦، ٣٢٧) في كلامه على كرامات الأولياء والخوارق.

الكرامة: وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي تكلف شريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد، والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح، أم لم يعلم بها، ولا تدل على صدق من ظهرت على يديه، ولا على ولايته؛ لجواز سلبها، وأن تكون استدراجا ومكرا.

وبهذا يتبين: أن من ظهر على يديه شيء من الخوارق التي يسمونها كرامات الأولياء، وهو مصر على دعوة غير الله تعالى، من الأحياء والأموات، معتقدا أنهم ينفعونه أو يضرون، فهو من الحيل والشعوذة لا من الكرامات؛ إذ من شروط حصولها؛ صحة الاعتقاد، وأي اعتقاد أفسد من الإشراك بالله تعالى؟ وكذا يتبين كذب من ادعى الولاية، وهو تارك للصلوات مع المسلمين في مساجدهم، ويزعم أنه يصلي بمكة جميع الصلوات، ولو كان بينه وبينها مسافة أيام.

وكذلك: من سالم الحيات وسالَمَنهُ فأمسكهن، فإن ذلك ليس من الكرامات في شيء؛ لأنه معصية لأمر رسول الله ﷺ بقتلهن». اهـ.

وَنُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ وَالأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الجَوْرِ وَالخِيَانَةِ.

الكتاب والسنة، ذلك لأنه لا تلازم بين اتباع المذاهب واتباع القرآن، فإن المذاهب مختلفة، والقرآن لا اختلاف فيه، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢]، فالمسلم كلما كان أتبع للقرآن كان أكرم عند الله تعالى وكلما ازداد تقليداً ازداد بعداً، وإليه أشار المصنف ـ رحمه الله ـ بقوله: «لا يقلد إلا عصبى أو غبى» انظر «صفة الصلاة» (ص: ٢٣).

*** قال ابن أبى العز:**

هذا من كمال الإيمان وتمام العبودية. فإن العبودية تتضمن كمال الحب وكمال الذل فالمحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب فى محبوبه ومكروهه وولايته وعداوته.

فمحبة الأنبياء والصالحين من عباد الله إنما هى من محبة الله فغير الله يحب فى الله لا مع الله وبغض المفسدين والمستكبرين إنما هو من محبة الله كذلك لإن المحب يحب ما يحبه محبوبه ويبغض ما يبغضه.

وفى الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان فى قلبه: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار**»(١).

فمن أحب الله المحبة الواجبة فلابد أن يبغض أعدائه وأن يحب ما يحبه من جهادهم قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾.

والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر. فإن العبد قد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة فيكون محبوباً من وجه، ومبغوضاً من وجه والحكم للغالب.

---

(١) أخرجه البخارى فى «الإيمان»/ باب: حلاوة الإيمان (١/ ٧٧/ ١٦) ومسلم فى «الإيمان»/ باب: خصال الإيمان (١/ ٢/ ١٣ ـ النووى).
وانظر «رياض الصالحين» (ح٣٧٦) بتخريجنا.

المبحث الخامس:

المعجزة والكرامة

وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ.

---

* قال ابن مانع:

قوله: (ونؤمن بما جاء من كراماتهم..):

كرامات الأولياء حق ثابتة بالكتاب والسنة وهى متواترة[1]، لا ينكرها إلا أهل البدع كـ: «المعتزلة» ومن نحا نحوهم من «المتكلمين».

وقد ضلل أهل الحق من أنكرها؛ لأنه بإنكارها صادم الكتاب والسنة، ومن عارضهما وصادمهما برأيه الفاسد وعقله الكاسد، فهو ضال مبتدع.

* قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: لقد أحسن المؤلف صنعاً بتقييد ذلك بما صح من الروايات. ذلك لأن الناس وبخاصة المتأخرين منهم قد توسعوا فى رواية الكرامات إلى درجة أنهم رووا باسمها الأباطيل التى لا يشك فى بطلانها من له أدنى ذرة من عقل، بل إن فيها أحياناً ما هو الشرك الأكبر، وفى الربوبية! وكتاب «طبقات الأولياء» للشعرانى من أوسع الكتب ذكراً لمثل تلك الأباطيل التى منها قول أحد الأولياء!: تركت قولى للشيء كن فيكون عشرين سنة أدباً مع الله! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١) راجع كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لابن تيمية.

المبحث السادس:

الأنبياء أولا ثم الأولياء

وَلاَ نُفَضِّلُ أحَدًا مِنَ الأَوْلِيـاءِ عَلَى أحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَنَقُـولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ.

---

* قال ابن مانع:

قوله: (ولا نفضل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء..):

يريد بهـذا: الرد على «أهل الاتحـاد» القـائلين: إن الولاية أعظم من النبـوة والنبـوة أعظم من الرسالة، وينشدون[1]:

مقام النبوة فى برزخ فويق الرسول ودون الولى

ويقولون: إن ولاية النبى أعظم من نبوته، ونبوته أعظم من رسالته.

وهذا من الجهل بالله وبأنبيائه ورسله!!

وهل كان الولى وليًـا إلا بتقوى الله؛ بامتثـال أوامره، وترك نواهيه، واقتـفائه لرسل الله الذين أوجب الله طاعتهم واقتفاء آثارهم؟

ولكن هذا من غلو «الاتحادية» و«المتصوفة، وخروجهم عن الصراط المستقيم!!.

* قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

«يشير الـشيخ رحمه الله إلى الرد على الاتحـادية وجهلة المتصوفـة وإلا فأهل الاستقـامة يوصون بمتابعة العلم ومـتابعة الشرع. فـقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعـة الرسل، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [النساء: ٦٤].

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده فى العـبادة، وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم!.

ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء!!.

ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخـذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدعى لنفسه أنه خاتم الأولياء.. ويكون ذلك العلم هو حقيـقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صـانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعـون أظهر الإنكار بالكليه،

---

(١) منهم ابن عربى فى «الفتوحات المكية» (٢/ ٢٥٢).

وراجع فى الرد عليهم: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١٠/ ٤ - ٢).

لكن كان فرعون فى الباطن أعرف بالله منهم ، فإنه كان مثبتاً للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق، كابن عربى وأمثاله.. وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره ـ قال: النبوة ختمت لكن الولاية لم تختم وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها. كما قال:

مقام النبوة فى برزخ فويق الرسول ودون الولى

وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين كما قال تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]. والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة، كما تقدم التنبيه على ذلك»[1].

(١) راجع كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لابن تيمية.

المبحث السابع:

دور العقل مع النقل وفساد منهج المتكلمين

ولا تَثْبتُ قَدَمُ الإسلام إلا على ظَهْرِ التَّسْلِيم والاسْتِسلامِ.

القول على الله بغير علم

فمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُه، ولم يَقنعْ بالتَّسليم فَهْمُهُ، حَجَبَه مَرامُهُ عَنْ خَالصِ التَّوحيدِ، وصَافى المعرفةِ، وصَحيح الإيمان.

***قال ابن أبى العز:**

أى لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين وينقد إليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه فلو قال رجل لرسول الله ﷺ: إن هذا القرآن قد تضمن أشياء تناقض العقل الذى ما علمنا صدقك إلا به. فلو قبلناه لقدحنا فيما علمنا به صدقك وإذاً فنحن نعرض عن قولك إلى ما قضى به العقل فإن مثل هذا الرجل لا يكون مؤمناً بما جاء به الرسول ﷺ لأنه بهذا يفتح باباً واسعاً لرد كثير مما جاء به الرسول ﷺ.

*** قال ابن أبى العز:**

هذه زيادة تحذير أن يتكلم فى أصول الدين بل وفى غيرها بغير علم. قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ**﴾.

وعن أبى أمامة الباهلى قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» ثم تلا ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا**﴾[1] رواه الترمذى وقال حديث حسن.

وعن عائشة قالت: قال ﷺ: «**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الأخصم**»[2].

فمن لم يسلم لرسول الله ﷺ نقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول ﷺ فإنه إذا يقول برأيه وهواه أو يقلد ذا رأى وهو بغير هدى من الله يكون قد اتخذه فى ذلك إلهاً غير الله.

---

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٥/ ٢٥٦) وابن جرير فى «تفسيره» (٢٥/ ٥٣) والترمذى فى «تفسير القرآن»/ باب: ومن سورة الزخرف (٥/ ٣٧٨/ ٣٢٥٣) وابن ماجه فى «المقدمة»/ باب: اجتناب البدع والجدل (١/ ١٩/ ٤٨) والطبرانى فى «الكبير» (٨/ ٣٣٣/ ٨٠٦٧) والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨). قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار وحجاج ثقة مقارب الحديث.

وانظر «الإتقان فى علوم القرآن» (ح١٧٣٣) بتخريجنا. ط نزار الباز.

(٢) أخرجه البخارى فى «المظالم»/ باب: قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٥/ ١٢٧/ ح٢٤٥٧) وأحمد فى «مسنده» (٦/ ٦٣).

الشك والحيرة لمن عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام

فيتذبذبُ بينَ الكُفر والإيمان، والتَّصْديق والتَّكْذيب، والإقرارِ والإنكار، مُوَسْوساً تائهاً، شاكّاً، لا مُؤْمِناً مُصدِّقاً. ولا جاحداً مُكذِّباً.

التفويض إلى الله فيما أشتبه علينا علمه

ونَقُولُ: الله أعْلَمُ، فيما اشْتُبِهَ عَلَيْنَا عِلْمُه.

---

* قال ابن أبى العز:

يتذبذب: يضطرب ويتردد هذا حال من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم وأراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة وعند التعارض يتأول النص ويرده إلى الآراء المختلفة فيؤول أمره إلى الشك والحيرة.

لا يسلم فى دينه إلا من سلم لله ورسوله ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه فكل من تكلم بغير علم فإنما يتبع هواه قال تعالى: ﴿ **ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ** ﴾[سورة الفصص: ٥٠] وقال تعالى: ﴿**ومِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ [سورة الحج الآيه: ٣ ـ ٤].

وعندما سُئِلَ ﷺ عن أطفال المشركين قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»(١).

وقال عمر رضى الله عنه: «يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم لقد رأيتنى يوم أبى جندل ولو أستطيع رد أمر رسول الله لرددته»(٢).

وقال أيضاً: السنة ما سنه الله ورسوله لا تجعلوا خطأ الرأى سنة للأمة.

وقال أبو بكر: «أى أرض تقلنى، وأى سماء تظلنى إن قلت فى آية من كتاب الله برأيى أو بما لا أعلم»(٣).

---

(١) أخرجه البخارى فى «القدر»/ باب: الله أعلم بما كانوا عاملين (١١/ ٥٠٢/ ح٦٥٩٧) وأبو داود فى «السنة» / باب: فى ذرارى المشركين (٤/ ٢٢٨/ ح٤٧١١).

(٢) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١/ ٧٢/ ٨٢) من طريق: على بن عبدالعزيز، ثنا يونس بن عبيدالله العميرى، ثنا مبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن عمر ـ رضى الله عنه به.

(٣) أخرجه الطبرى (٧٨، ٧٩) من طريق: أبى معمر عبدالله بن سخبرة الأزدى، قال: قال أبو بكر: ... فذكره.

المبحث الثامن:

حُجية أخبار الآحاد

وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رسول الله ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ.

---

* قال ابن مانع:

قوله: (وجميع ما صح عن رسول الله...) إلخ:

يريد بذلك: الرد على سائر «الجهمية المعطلة» و«المعتزلة» و«الرافضة» القائلين: بأن الأخبار قسمان: متواتر، وآحاد. فالمتواتر، وإن كان قطعي السند، لكنه غير قطعي الدلاله فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين.

ولهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات.

قالوا: والآحاد تفيد العلم، ولا يحتجون بها من جهة متنها.

فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وأفعاله من جهة الرسول وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية.

والحق والصواب: ما ذهب إليه كبار أئمة المحققين: من أن خبر الواحد العدل يفيد العلم، كما في «فتح المجيد»، ورسالة شيخ الإسلام ابن تيمية «في أصول التفسير»، وكذلك ابن القيم أطال البحث في «النونية» و«الصواعق» بما يشفي ويكفي[1].

وذهب غير واحد إلى أن خبر الصحيحين يفيد العلم اليقيني.

راجع: أوائل «لوامع الأنوار» للسفارينى[2]، وهو الحق.

* قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: يعني دون تفريق بين ما كان منه خبر آحاد أو تواتر، ما دام أنه صح عن رسول الله ﷺ، وهذا هو الحق الذى لا ريب فيه، والتفريق بينهما. إنما هو بدعة وفلسفة دخيلة في الإسلام، مخالف لما كان عليه السلف الصالح والأئمة المجتهدون كما حققته في رسالتى «وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين».

---

(١) «فتح المجيد» (١/ ١٠٨)، «مقدمة في أصول التفسير - ضمن مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٥١، ٣٥٢)، «القصيدة النونية» (١/ ٣٩١) «الصواعق المرسلة» (٢/ ٢٣٢ - ٤٤٢). نقلاً عن محقق الحاشية.

(٢) «لوامع الأنوار» (١/ ١٨، ١٩). وأيضاً: «الإحكام» لابن حزم (١/ ١٩٩). نقلاً عن محقق الحاشية.

خلاصة توحيد الإلهية:

- توحيد الإلهية هو عبادة الله وحده، وخلع ما يعبد من دونه، وهو المقصود من شهادة أن لا إله إلا الله.

- وتوحيد الإلهية هو مقصد دعوة الرسل لأقوامهم، إذ جعلوا من توحيد الربوبية مدخلاً ودليلاً عليه.

- شهد الله لنفسه بهذا التوحيد: فقد أخبر، وبين، وقضى، وأعلم الخلق أنه لا يستحق العبادة سواه، وأن إلهية من سواه باطلة وبناء عليه، فقد شهد بذلك الملائكة، والرسل، وأولوا العلم.

- خواص المؤمنين يستدلون بأسماء الله وصفاته على أفعاله، بينما الجمهور يستدلون على توحيد الله بآياته المشهودة.

- الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع، ودفع المضار، وذلك إذا حصلت شروطه، وانتفت موانعه، سواء كان العبد مسلماً، أو كافراً؛ إذ إن إجابة الله للداعين من جنس رزقه، وربوبيته لهم.

- التوكل يتألف من وجوب التوحيد، والشرع، والعقل. فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، والإعراض عنها: قدح في الشرع، ومحو الأسباب أن تكون أسباب: نقص في العقل.

- التوسل بالأنبياء والصالحين يكون مشروعاً من جهة المحبة والاتباع، ومحذوراً من جهة الإقسام بذواتهم.

- الكهان، والسحرة، والمنجمون صناعاتهم محرمة بالكتاب والسنة والإجماع.

- محبة الله تستلزم موافقته في محبوبه ومكروهه، وولايته وعداوته. لذا فإن محبة الصالحين والمؤمنين، وموالاتهم في الله من تمام محبة الله، كذلك بغض المفسدين والمستكبرين، ومعاداتهم في الله من تمام محبته تعالى. والحب والبغض يكون بحسب ما في العبد من خير وشر.

- الإسلام قائم على التسليم والاستسلام لنصوص الوحيين، وبنقصان التسليم ينقص التوحيد حتى يجر صاحبه إلى الكفر إذا اتخذ هواه إلهاً مطاعاً من دون الله.

أسئلة تدريبية على الفصل الثانى

س١: توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية، دون العكس. وضح ذلك مع الاستدلال؟

س٢: ما مراتب الشهادة بكلمة التوحيد؟ وكيف بيّن الله تعالى هذه الشهادة؟

س٣: ضع علامة (✓) أو (✗) أما العبارات الآتية:

المشركون الأوائل كانوا يسلمون بالألوهية، وينازعون فى الربوبية. ( )

توحيد الربوبية متضمن لتوحيد الإلهية، دون العكس. ( )

يصح تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع: عامة، وخاصة، وخاصة الخاصة. ( )

يستدل خواص المؤمنين بأسماء الله وصفاته على أفعاله. ( )

خرق العادة دليل كرامة العبد على ربه. ( )

إذا صح الدين علماً وعملاً، فلابد أن يوجب خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه. ( )

الكشف المتعلق بكلمات الله الشرعية هو العلم بالحوادث الكونية. ( )

الفراسة الإيمانية تحصل بالجوع والسهر والتخلى. ( )

س٤: إجابة الله لدعاء العباد من جنس ربوبيته لهم. اشرح هذه العبارة موضحاً صور إجابة الله تعالى للدعاء؟

س٥: كيف ترد على الشبهات الآتية:

* إذا اقتضيت المشيئة المطلوب، فلا حاجة إلى الدعاء.
* الداعى أثر فى ربه حتى أعطاه سؤله.
* قد يسأل العبد فلا يعطى، أو يعطى غير ما سأل، مما ينافى استجابة الدعاء التى وعد الله تعالى بها.
* الأخذ بالأسباب قدح فى التوكل.

س٦: متى يكون الاستشفاع بالنبى ﷺ فى الدعاء ممنوعاً؟ ومتى يكون مشروعاً؟

س٧: اذكر أدلة الكتاب والسنة على حرمة صناعة التنجيم، والكهانة، والسحر، ثم وضح أحكام أهل العلم فى أصحاب هذه الصناعات؟

س٨: وضح معنى الولاية، ومراتبها والفرق بين ولاية الله تعالى لعباده، وبين ولاية المخلوق لغيره؟

س٩: التفاضل بين الناس يكون على أساس التقوى والدين. اشرح ذلك مبيناً فساد المعايير الأخرى للتفاضل؟

س١٠: قد يجتمع فى المؤمن ما يستلزم ولايته من وجه،ومعاداته من وجه. وضح ذلك، مع بيان منزلة الحب فى الله؟

س١١: ما الفرق بين المعجزة والكرامة؟ وما أنواع الأمور الخارقة للعادة؟ وكيف يتنوع الكشف والتأثير بتنوع كلمات الله؟

س١٢: من شروط ولوازم الإيمان الإنقياد والتسليم لأمر النبى ﷺ دون معارضة أو تعقيب. إشرح ذلك مع ذكر الأدلة؟

س١٣: ما موقف أهل السنة من خبر الآحاد الصحيح؟ وكيف يرد على منكرى حجية أخبار الآحاد فى العقائد(*).

(*) من كتاب «تهذيب الطحاوية» للدكتور صلاح الصاوى.

الفصل الثالث

توحيد الأسماء والصفات

الأهداف الخاصة

• يتوقع منك أخي الدارس والداعي وأختي الدارسة والداعية بعد دراسة جادة لهذا الفصل أن تكون ملماً بما يلي: وينقسم هذا الفصل إلى أثنى عشر مبحثا

• المبحث الأول: قواعد كلية في باب الأسماء والصفات: (ولا شئ مثله)، (ومن لم يتوق النفي والتشبيه..)، (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر..)، (لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام)، (مازال بصفاته قديما قبل خلقه..)، (فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية..)، (ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق..)، (له معنى الربوبية ولا مربوب..)، (وكما أنه محي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل احيائهم).

• المبحث الثاني: القرآن كلام الله: (وأن القرآن كلام الله بدا منه بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيا..).

• المبحث الثالث: استغناؤه عن خلقه: (وهو مستغن عن العرش ومادونه، ومحيط بكل شئ وفوقه..).

• المبحث الرابع: رؤية الله: (والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية)، (فإنه ما سلم في دينه إلا ما سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ)، (ولا يصح الإيمان بالرؤيا لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أوتأولها بفهم..)

• المبحث الخامس: علمه وقدرته: (خلق الخلق بعلمه)، (ولا يخفى عليه شئ قبل أن يخلقهم و...)، (ولا شئ يعجزه).

• المبحث السادس: الأول والآخر: (قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء).

• المبحث السابع: الحي القيوم: (حي لا يموت، قيوم لا ينام)، (لا يفنى ولا يبيد).

• المبحث الثامن: العرش والكرسي: (والعرش والكرسي حق).

• المبحث التاسع: الغضب والرضا: (والله يغضب ويرضى، وليس كأحد من الورى).

• المبحث العاشر: الخلة والمحبة: (ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم الله موسى تكليما..).

• المبحث الحادي عشر: منزه عن الظلم: (يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً)، (يهدي من يشاء ويعصم من يشاء..).

• المبحث الثاني عشر: تنزيه الله: (عز وجل عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات).

المبحث الأول:

قواعد كلية فى باب الصفات

القاعدة الأولى: نفى التشبيه وبطلان التعطيل

وَلاَ شَيْءٌ مِثْلُهُ.

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله ليس كمثله شيء، لا فى ذاته، ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله. ولنفى التشبيه معنيان:

أحدهما: وهو الصحيح: أن خصائص الرب لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات فى شيء من صفاته. فمن جعل صفات الخالق كصفات المخلوق، فهو المشبه المبطل، ومن جعل صفات المخلوق كصفات الخالق فقد ضاهى النصارى فى كفرهم.

والثانى: أن يراد به ألا يثبت لله شيء من الصفات، فلا يقال: ليست له قدرة، ولا علم، ولا حياة، لاتصاف العبد بها، وهذا غاية فى التعطيل والفساد.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو الإيمان بكل ما ورد فى كتاب الله العزيز، وفى السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ من أسماء الله وصفاته وإثباتها لله سبحانه على الوجه الذى يليق به من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

كما قال الله سبحانه: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

وقال سبحانه: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١].

وقال عز وجل: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال سبحانه فى [سورة النحل: ٦٠] ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

والآيات فى هذا المعنى كثيرة.

والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى الذى لا نقص فيه.

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأتباعهم بإحسان؛ يمرون آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت، ويثبتون معانيها لله سبحانه؛ إثباتاً بريئاً من التمثيل، وينزهون الله سبحانه عن مشابهة خلقه تنزيهاً بريئاً من التعطيل.

وبما قالوا تجتمع الأدلة من الكتاب والسنة وتقوم الحجة على من خالفهم وهم المذكورون فى قوله

سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

جلعنا الله منهم بمنه وكرمه والله المستعان.

*** قال الشيخ الألباني: والنوع الثالث من الشرك الذى لا يتم توحيد الله إلا بنفيه هو:**

الشرك فى الصفات، وذلك بأن يصف بعض خلقه تعالى ببعض الصفات الخاصة به عز وجل، كعلم الغيب مثلاً، وهذا النوع منتشر فى كثير من الصوفية ومن تأثر بهم، مثل قول بعضهم فى مدحه النبى ﷺ.

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم!

ومن هنا جاء ضلال بعض الدجالين الذين يزعمون أنهم يرون الرسول ﷺ اليوم يقظة ويسألونه عما خفى عليهم من بواطن نفوس من يخالطونهم، ويريدون تأميره فى بعض شؤونهم، ورسول الله ﷺ ما كان ليعلم مثل ذلك فى حال حياته ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فكيف يعرف ذلك بعد وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى؟!.

هذه الأنواع الثلاثة من الشرك من نفاها عن الله فى توحيده إياه، فوحده فى ذاته وفى عبادته، وفى صفاته، فهو الموحد الذى تشمله كل الفضائل الخاصة بالموحدين، ومن أخل بشىء منه، فهو الذى يتوجه إليه مثل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فاحفظ هذا فإنه أهم شىء فى العقيدة، فلا جرم أن المصنف رحمه الله بدأ به، ومن شاء التفصيل فعليه بشرح هذا الكتاب وكتب شيوخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن عبدالوهاب وغيرهم ممن حذا حذوهم واتبع سبيلهم ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

هذا أصل من أصول التوحيد، وهو أن الله تعالى ليس كمثله شىء، لا فى ذاته ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله ولكن المبتدعة والمتأولة قد اتخذوه أصلاً لإنكار كثير من صفات الله تبارك وتعالى، فكلما ضاقت قلوبهم عن الإيمان بصفة من صفاته عز وجل سلطوا عليها معاول التأويل والهدم، فأنكروها، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، متجاهلين تماماً الآية: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فهى قد جمعت بين التنزيه، والإثبات. فمن أراد السلامة فى عقيدته فعليه أن ينزه الله تعالى عن مشابهته للحوادث، دون تأويل أو تعطيل، وأن يثبت له عز وجل من الصفات كل ما أثبته لنفسه فى كتابه أو حديث نبيه دون تمثيل، وهذا هو مذهب السلف وعليه المصنف رحمه الله تبعاً لأبى حنيفة وسائر الأئمة. كما تراه مفصلاً فى الشرح، ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وَمَن لَم يَتَوقَّ النَّفْى وَالتَّشْبِيهَ، زَلَّ وَلَمْ يُصِب التنزيه[1].

* قال ابن أبى العز:

والنفى والتشبيه مرضان من أمراض القلوب، وأمراض القلوب نوعان:

١ـ مرض الشهوة: كقوله تعالى: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾.

٢ـ مرض الشبهة: كقوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾.

ومرض الشبهة أردأ من مرض الشهوة.

والتشبيه نوعان:

١ـ تشبيه الخالق بالمخلوق: وهذا الذى يتعب أهل الكلام فى إبطاله ورده.

٢ـ تشبيه المخلوق بالخالق: كعباد الشمس والقمر والأصنام وكعباد المشايخ والملائكة وعُزير والمسيح.

دين الإسلام وسط بين التشبيه والتعطيل:

فيجب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تشبيه ولا تعطيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1، 2].

* قال ابن مانع:

قوله: (زل ولم يصب التنزيه):

وذلك أن «المعتزلة» يزعمون أنهم ينزهون الله تعالى بهذا النفى، وهل يكون التنزيه بنفى صفات الكمال، فإن نفى الرؤية ليس بصفة كمال، إذ المعدوم هو الذى لا يرى، وإنما الكمال فى إثبات الرؤية[3].

---

(١) «تهذيب الطحاوية» للصاوى.

(٢) **قلت:** يعنى الذى لم يتق النفى والتشبيه معًا فينفى عن الله المثيل فلا يشبهه بخلقه ولا يشبه خلقه به، من لم يتق ذلك زل وأخطا ولم يصب التنزيه. فلا يكون منزه ولا موحد، لأننا قلنا أن المشبه يعبد صنماً فكيف يكون موحداً. والمعطل يعبد عدماً وهكذا زل ولم يصب التنزيه فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس فى معناه أحد من البرية. انتهى.

(٣) **قلت:** والمعتزلة حينما نفوا وعطلوا. زعموا أنهم ينزهون الله بهذا النفى وهل يكون التنزيه بنفى صفات الكمال؟ إذ الله عز وجل وصف نفسه بصفات الكمال. مثال كالرؤية مثلاً: فالمعتزلة نفوا الرؤية وزعموا أنه تنزيه لأننا لو رأيناه فبذلك لم ننزهه، والرد عليهم بسيط جدًا «الكمال يرى أو لا يرى»؟ إذا لم ير الكمال هل يكون كمالاً؟!، وهل من الكمال ألا يرى أم من الكمال أن يرى؟ من الكمال=

بطلان التشبيه

وَمَنْ وَصَفَ الله بمعنًى مِنْ مَعانى البشَر، فقدْ كَفَر، فمن أبْصرَ هذا اعْتبَر، وعَنْ مثل قَول الكفَّارِ انْزَجَر، وعلِمَ أنَّهُ بصفاته ليسَ كالبشَر.

الرد على المشبهة

لا تَبلُغُه الأوْهَامُ، ولا تُدْرِكُهُ الأفْهَامُ[1].

---

* قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: وذلك لأن نفاة الصفات والرؤية من المعتزلة وغيرهم إنما ينفونها تنزيهاً لله تعالى بزعمهم عن التشبيه، وهذا زلل وزيغ وضلال، إذ كيف يكون ذلك تنزيهاً، وهو ينفى عن الله صفات الكمال ومنها الرؤية، إذ المعدوم هو الذى لا يرى، فالكمال فى إثبات الرؤية الثابتة فى الكتاب والسنة والمشبهة إنما زلوا لغلوهم فى إثبات الصفات وتشبيه الخالق بالمخلوق سبحانه وتعالى. والحق بين هؤلاء وهؤلاء إثبات بدون تشبيه، وتنزيه بدون تعطيل. وما أحسن ما قيل: المعطل يعبد عدماً، والمجسم يعبد صنماً.

* قال ابن أبى العز:

نبه الشيخ بذلك إلى أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشرْ نفياً للتشبيه فإن الله ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ فدين الإسلام بين التشبيه والتعطيل. وما أحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولا تعطيل باللبن الخالص السائغ للشاربين يخرج من بين فرث التعطيل ودم التشبيه فالمعطل يعبد عدماً، والمشبه يعبد صنماً وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه.

=أن يرى، ومن نفى الكمال ألا يرى. فكيف يكون كاملاً ولا يرى، فهم زعموا أنهم حينما نفوا مثل هذه الصفات كالرؤية زعموا أنهم ينزهونه وكذلك حينما زعموا أيضا أن الله لم يتكلم، إذن هل من الممكن أن يكون الكامل لا يتكلم؟ تعالى الله عن ذلك علو كبيرا، لأن الخرس صفة كمال أم صفة نقص؟ فإذا وصفنا الله بهذه الصفات، ثم جاء آخرون فنفوا هذه الصفات الكمالية، يصبحوا منزهين لرب العالمين. فلا يتصور أن هذا تنزيه. انتهى.

(١) قوله: (**لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام**).

قال الله تعالى: ﴿**ولا يحيطون به علما**﴾ [طه: ١١٠] قال فى «الصحاح»: توهمت الشىء ظننته، وفهمت الشىء: علمته، فمراد الشيخ رحمه الله، أنه لا ينتهى إليه وهم، ولا يحيط به علم فالله سبحانه وتعالى لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى وإنما نعرفه سبحانه بصفاته وهو أنه أحد، صمد لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحدا. اهـ من «شرح الطحاوية».

وَلا يُشْبِهُ الأَنَام(١).

* قال ابن أبى العز:

توهمت الشيء: ظننته، وفهمت الشيء علمته؟ والمعنى لا ينتهى إليه وهم ولا يحيط به علم فلا يعلم كيف الله إلا الله وإنما نعرفه بصفاته وأسمائه قال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الآية.

قال أبو حنيفة: لا يشبه شيئاً من خلقه وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا(٢).

* قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

فيه رد لقول المشبهة. الذى يشبهون الخالق بالمخلوق. سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وليس المراد نفى الصفات كما يقول أهل البدع. فمن كلام أبى حنيفة رحمه الله فى «الفقه

---

(١) قوله: **(ولا يشبه الأنام)** ليس المراد نفى الصفات كما يقول أهل البدع فمن كلام أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ فى الفقه الأكبر: لا يشبه شيئا من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، ثم قال بعد ذلك وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا» اهـ.

(٢) **قلت:** إن كل ما يخطر ببالك فالله بخلاف ذلك، وقلنا فيما نقله صاحب «المعارج» حافظ حكمى والعجز عن درك الإدراك إدراك والبحث فى كنه ذات الإله إشراك وهذا معنى من معانى قول الطحاوى أيضا أن من وصف الله بمعانى البشر فقد كفر لماذا؟ لأنه يتكلم فى الكنه والذات والبحث فى الكنه والذات إشراك والعجز عن درك الذات والكنه وحقائق الأسماء والصفات؛ العجز هذا إدراك. أنت أدركت أنك عاجز فقف عند حدك واجعل العقل تابعاً للنقل كما قلنا. لا تطلق للعقل العنان بل العقل محدود بالشرع وليس الشرع تابعاً للعقل. إنما العقل تابع للشرع خلافاً للمعتزلة الذين أولوا النصوص الشرعية لتتفق مع المعقول. كما قلنا بزعمهم أن العقل هو الطريق الموصل لصدق الرسول ﷺ وإذا جاءت بعض النصوص الشرعية من الوحيين. من الكتاب والسنة فتعارض العقل. فلابد من تأويلها حتى لا يحدث التناقض لأننا هكذا سوف نكذب العقل وبهذا كذبنا الطريق الموصل لتصديق الرسول، فإما أن نأول النصوص لتتفق مع العقل أو نكذب الرسول فهذا كلام غير صحيح. وبهذا جعلنا الأصل فرعاً. والفرع أصل، والأصل هو الشرع، والفرع هو العقل. والعقل محدود بهذا الأصل لا يخرج عنه. يُعمل العقل حيث أمره الشرع أن يُعمله ثم يوقف العقل حيث أمره أن يوقفه ويرد علم المشتبه على عقله إلى الله عز وجل كما فعل سيد الخلق ﷺ حينما سئل عن أطفال المشركين. فقال «الله أعلم بما كانوا عاملين» وحينما سئل ابن عباس حبر الأمة. ترجمان القرآن الذى سئل من قبل مجاهد عن التفسير آية آية وعرض عليه القرآن ثلاث مرات. ومع ذلك سئل مرة عن «يوم مقداره خمسين ألف سنة فقال ما يوم مقداره ألف سنة وما يوم مقداره خمسين ألف سنة فقال السائل إنما أسألك لتجيبنى ولم أسألك لتسألنى: فقال ابن عباس هما يومان فى كتاب الله، الله أعلم بهما، ولم يتكلم فى هذه المسأله بغير علم.

والحاصل: أن العقل إذا كان هذا حاله؛ فهو عاجز ابتداء عن إدراك حقائق الأسماء والصفات. فلهذا قال لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام انتهى.

مَا زالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيماً قَبْلَ خَلْقِهِ.

وكما كانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيّاً، كذلك لا يزالُ عَلَيْها أبديًا.

الأكبر»: لا يشبه شيئاً من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه. ثم قال بعد ذلك: وصفاته كلها صفات المخلوقين. يعلم لا كعلمنا. ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا. انتهى[1].

*** قال ابن أبى العز:**

أى أن الله عز وجل لم يزل متصفاً بصفات الكمال: صفات الذات، وصفات الفعل. ولا يجوز أن يعتقد أن الله وُصِفَ بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها لأن صفاته صفات كمال وفقدها صفة نقص ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده.

ولا يردُ على ذلك صفات الفعل والصفات الإختيارية كالخلق والإحياء والغضب والنزول وإن كانت هذه الأحوال تحدث فى وقت دون وقت كما فى حديث الشفاعة[2]: «**إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله**»[3]. لأن الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع ولا

---

(١) «تهذيب الطحاوية» للصاوى.

(٢) **قلت:** إذ يوجد فرق بين صفات الذات وصفات الأفعال. ما الفرق؟ إن صفات الفعل تحدث فى وقت دون وقت أما صفات الذات دائمة. شخص هنا يقول: معنى هذا أن الذى تحدث فى وقت دون وقت ليس معناها أزلية. ونحن نقول ما زال بصفاته قديما قبل خلقه أى أن الله عز وجل لم يزل متصفاً بصفات الكمال وأنه لا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بغيره وضده كيف وصفات الفعل تحصل أحيانا وفى وقت آخر لا تحدث؟ مثلا كما فى حديث «**أن ربى قد غضب اليوم**». إذا الغضب هذا غضب وفى وقته فقط لم يغضبه من قبل ذلك ولم يغضب من بعد ذلك فكيف تكون صفة أزلية وهذه من صفات الفعل؟ وهذا الحديث يقول أنه لم يغضب مثل هذا الغضب؟، والرد هنا بسيط أن أصل الغضب ثابت وأنه زاد فى هذا الوقت عنه قبل ذلك وعنه بعد ذلك مثلاً: رجل اليوم ظل ساكت لم يتكلم مثل «**إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم أنسيا**» كانت قبل ذلك متكلمة وفى هذه الحالة مريم عليها السلام لا تتكلم ومن صفاتها الكلام وهنا أيضا فى حالة سكوتها هى أيضا متكلمة بالقوة والإرادة إن شاءت أن تتكلم تكلمت. لكن لما تكلمت سميت متكلمه بالفعل، فالله عز وجل قبل أن يغضب هو يغضب بقوته وإرادته إن شاء أن يغضب؛ غضب وبعد أن غضب بالفعل يوصف بالغضب فعلا. أيضا لهذا لا يرد على ما قرره الطحاوى من صفات الفعل أو الصفات الإختيارية التى إن شاء الله فعلها وإن شاء لم يفعلها مع ثبوتها فى الله بقوته وإرادته سبحانه فهو إن شاء فعلها بقوته وإرادته فعلها وإن شاء لم يفعلها مع ثبوتها فى الله وعدم إنفكاكها عنه فما زال بصفاته قديما قبل خلقه ولم يزدد بكونهم شيئا. لم يكن قبلهم من صفته كما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبدياً بمعنى: هو كان وما زال.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «التفسير»/ باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٨/ ٢٤٧/ ٤٧١٢) ومسلم فى «الشفاعة»/ باب: منه (٣/ ٦٥ ـ ٦٩ ـ النووى).
وانظر «رياض الصالحين» (ح١٨٦٩) بتخريجنا. ط/ نزار الباز.

تنزيه الرب بصفاته

فَإِنَّ رَبَّنا جَلَّ وعَلاَ موصوفٌ بصفاتِ الوحْدَانِيَّةِ، مَنْعوتٌ بِنعُوتِ الفَرْدَانِيَّةِ، ليسَ فى معناهُ أحَدٌ من البَرِيَّةِ.

هو الخالق البارىء

لَيْسَ مُنذُ خَلَقَ الخَلق اسْتَفَادَ اسْمُ «الخَالِق» ، وَلاَ بِإِحْدَاث البريَّة إستفاد اسم «البارى»[1].

يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن كمن تكلم اليوم وكان بالأمس ساكتاً لآفة فلا يقال: أنه حدث له الكلام بل هو فى حالة سكوته متكلم بالقوة وفى حالة تكلمه هو متكلم بالفعل.

*** قال ابن أبى العز:**

يشير الشيخ بذلك إلى تنزيه الرب بالذى هو وصفه كما وصف نفسه إثباتاً ونفياً وكلامه مأخوذ من سورة الإخلاص.

والوصف يكون للذات، والنعت يكون للفعل.

والوحدانية تكون للذات، والفردانية للصفات[2].

*** قال ابن أبى العز:**

ظاهر كلام الشيخ أنه يمنع تسلسل الحوادث فى الماضى وإن كان لا يمنعها فى المستقبل بدليل تنصيصه على عدم فناء الجنة والنار. والأظهر عدم التفرقة فإن الله لم يزل حياً والفعل من لوازم الحياة.

---

(١) **قلت:** ليس منذ خلق الخلق إستفاد اسم «الخالق» وكان قبل الخلق خالق. خالق كيف؟ هل كان يوجد خلق قبل الخلق؟ نعم كان يوجد خلق غيرنا وقبل الخلق غيرنا خلق آخر وقبل أى خلق هو خالق بالقدرة على الخلق.

ولله المثل الأعلى. دكتور لم يعمل ولم يكشف على أحد من قبل منذ تخرجه فهل هو طبيب أم غير طبيب ولو لم يمارس الطب. ولله المثل الأعلى. هو خالق قبل أن يخلق الخلق فهو خالق بالقدرة وخالق بعد الخلق بالفعل بفعله. انتهى.

(٢) **قلت:** يشير الشيخ هنا بذلك إلى تنزيه الرب بالذى هو وصفه كما وصف نفسه إثباتاً ونفياً وكلامه مأخوذ من سورة الإخلاص فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ليس فى معناه أحد من البرية ولا يكافئة أحد ولا مكافئ ولاند ولا نظير ولا مثيل ولا شبيه من البرية. موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس فى معناه أحد من البرية والوصف يكون للذات والنعت يكون للفعل إذ موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية فى أفعاله. انتهى.

لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ ولا مَرْبُوب. ومعنى الخالق ولا مخلُوق.

هو المحيي

وكما أنَّه مُحيي المْوتَى بَعْدَ ما أَحْيَا، استحقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيائهم، كذلكَ استحقَّ اسْمَ الخَالقِ قبلَ إِنْشَائِهم.

قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ فلم يزل فعالاً لما يريد وقد دلت الآية على أمور منها:

(١) أنه تعالى يفعل بمشيئته وإرادته.

(٢) وأنه لم يزل كذلك لأنه ساق ذلك في معرض الثناء والمدح لنفسه ولا يجوز أن يكون عادماً لذلك الكمال في وقت من الأوقات.

(٣) تلازم فعله وإرادته فما أراد أن يفعله فعله وما فعله فقد أراده بخلاف المخلوق فإنه يريد ما لا يفعل وقد يفعل ما لا يريد.

أي إن الله تعالى موصوف بأنه الرب قبل أن يوجد مربوب وموصوف بأنه الخالق قبل أن يوجد مخلوق.

أي أنه سبحانه موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائهم وكذلك بأنه خالق قبل خلقهم خلافاً للمعتزلة ومن قال بقولهم[1].

---

(١) «تهذيب الطحاوية» للصاوي.

المبحث الثاني:

القرآن كلام الله

وإنَّ القرآنَ كَلامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَا بلا كَيْفِيَّة قَوْلاً، وأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُوله وَحْيًا.

وصَدَّقَهُ المُؤْمِنُون عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّه كَلامُ اللهِ تَعَالَى بالحَقِيقةِ، لَيْسَ بمَخْلُوق ككَلام البَرِيَّة.

فَمَنْ سَمِعَهُ، فَزَعَمَ أَنَّه كَلامُ البَشَر فَقَدْ كَفَرَ.

وَقَد ذَمَّهُ اللهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بسَقَر، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿**سأُصْلِيه سَقَر**﴾ [المدثر: ٢٦]. فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بسَقَر لمَنْ قال: ﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ**﴾ [المدثر: ٢٥]، عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْل خَالِق البَشَر، وَلاَ يُشْبِهُ قَوْل البَشَر.

---

* **قال ابن مانع:**

قوله: (**وإن القرآن كلام الله...**):

القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه: فلا يقال القرآن اللفظ دون المعنى كما هو قول «أهل الاعتزال».

ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول «الكلابية» الضلال، ومن تابعهم على باطلهم من «أهل الكلام» الباطل المذموم.

فـ «أهل السنة والجماعة» يقولون ويعتقدون: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ألفاظه ومعانيه عين كلام الله.

سمعه جبريل من الله، والنبي ﷺ سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي ﷺ، فهو المكتوب بالمصاحف، المحفوظ بالصدور، المتلو بالألسنة(١).

قال الحافظ «ابن القيم» رحمه الله:

وكذلك القرآن عين كلامه ... مسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظًا ومعنى ماهما خلقان
تنزيل رب العالمين ووحيه ... اللفظ والمعنى بلا روغان

---

(١) **قلت:** أنتم تعرفون أن القرآن له تعريف اصطلاحي: هو كلام الله المنزل على رسول الله ﷺ والمنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه. وهذا بعض خصائص القرآن وأقوى الخصائص الملتصقة به. كلام الله المنزل على محمد ﷺ. وكلام الله إخراج لكلام غير الله سبحانه وتعالى، وكلام الله المنزل على محمد لإخراج كلام الله المنزل على غير محمد من الرسل كالتوراة والإنجيل،=

* قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

نقل هذا الكلام عن المصنف رحمه الله شيخ الإسلام ابن تيمية فى (مجموع الفتاوى ـ ١٢/ ٥٠٧) مستشهداً به. وقال الشارح ابن أبى العز رحمه الله:

«وهذا الذى حكاه الطحاوى رحمه الله هو الحق الذى دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطرة السليمة التى لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة.

وقد افترق الناس فى مسألة الكلام على تسعة أقوال:

ثم ساقها، ومنها الثالث: وهو أنه معنى واحد قائم بذات الله هو: الأمر والنهى والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعرى وغيره.

قال: وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه فى غيره، وهذا قول أبى منصور الماتريدى.

وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة[1].

=والمنقول إلينا بالتواتر لإخراج القراءات الشاذة التى نقلت لكنها ليست متواترة المتعبد بتلاوته لإخراج الحديث النبوى والحديث القدسى لأن الحديث النبوى والقدسى وإن كانا وحيًا نزلا على محمد إلا أننا غير متعبدين بتلاوة هذا ولا ذاك لا فى الصلاة ولا «الم» تشبه. مثلا «**إنما الأعمال بالنيات**» فى الأجور والحسنات. هذا فقط خاص بالقرآن وكلام الله الموحى أو المنزل على محمد ﷺ المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته فى الصلاة المتحدى بأقصر سورة منه هذا أيضا إخراج للحديث القدسى لأن النبى ﷺ لم يتحدى الكافرين وقال لهم ءاتونى بحديث مثل النبوى أو القدسى. لأنه قد يوجد أناس كثيرون كلامهم يشبه كلام الأنبياء مثل الحسن البصرى. ولأن كثيراً من الوضاعين أخذوا من كلام الحسن البصرى وجعلوه حديثًا مثل «ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل». الحسن البصرى بالذات. قال عنه بعض السلف هذا الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء. لذلك كان التحدى من الله ورسوله أن يأتوا بأقصر سورة من القرآن. مثل: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ فلم يوجد من يأتى بمثل هذه الآية أيضا. انتهى.

(١) يعنى مثلا ونحن نقول الآن «**قل هو الله أحد**» هل الصوت الذى يصدر منا قديم أم لا؟ الجواب: لا. لأنه حادث وليس أزلى لأنه حادث بحدوث المتكلم لكن برغم أن الكلام أو الصوت المعين حادث إلا أن أصل الكلام قديم أزلى وإن كان الصوت المعين ليس بقديم ومن هنا حصل الإشكال كيف تقول أن هذا كلام ربنا. ولكنه ليس كلام ربنا ولكنه كلامك أنت؟ فإنه من حيث الصوت الحادث كلامى ولكن من حيث نوع الكلام قديم قد تكلم الله به بصوت مسموع من الله بدأ بلا كيف، كيف بدا؟ لا ندرى، مثل حقائق الأسماء والصفات. انتهى.

وقوله: «كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً» رد على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبد منه، كما تقدم حكاية قولهم. ثم أتى بكلام ابن مانع المتقدم.

ثم قال: «وكلام الطحاوى ـ رحمه الله ـ يرد قول من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه، وإن المسموع المنزل المقروء والمكتوب ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عنه. فإن الطحاوى ـ رحمه الله ـ يقول: «كلام الله منه بدا»، وكذلك قال غيره من السلف، ويقولون: منه بدا وإليه يعود، وإنما قالوا: منه بدا؛ لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون إنه خلق الكلام فى محل، فبدا الكلام من ذلك المحل. فقال السلف: «منه بدا» أى: هو المتكلم به، فمنه بدا، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]. ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾(١) [النحل: ١٠٢]. ومعنى قولهم: وإليه يعود: أنه يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى فى الصدور منه آية ولا فى المصاحف كما جاء ذلك فى عدة آثار.

قوله: «بلا كيفية: أى: لا تعرف كيفية تكلمه به «قولاً» ليس بالمجاز، «وأنزله على رسوله وحياً»، أى: أنزله إليه على لسان الملك، فسمعه الملك جبريل من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من الملك، وقرأه على الناس، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]. وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ﴾(٢).

(١) **قلت:** إذًا روح القدس منزل فقط وظيفته وظيفة رسول يبلغ. ـ ولله المثل الأعلى ـ «كملك بلغ رسالة شفوية إلى بعض عبيده وبعض خدامه وحشمه أو بعض جنوده وبعد ذلك بلغها الرسول هل يكون الكلام من الرسول بدا أم من الملك بدا؟ ـ ولله المثل الأعلى ـ وإن كان اللفظ المنقول حين النقل من الرسول لكان بدا الكلام بلفظه ومعناه من الملك أصلا فكلام الطحاوى يرد على هؤلاء ومعنى قولهم «وإليه يعود» أنه يرفع من الصدور والمصاحف وهذه من علامات الساعة نسأل الله العفو والعافية. انتهى.

(٢) **قلت:** نزل به الروح ولم يكن من الروح بدا ولكن الروح نزل به (على قلبك) ولم يكن قلب النبى ﷺ هو مبدا الكلام إنما نزل به الروح على الرسول ﷺ فلم يكن من جبريل بدأ. ولا من محمد بدأ ﷺ وهذا خلاصة الكلام فى مسألة خلق القرآن الذى يجب أن يعرف. وهنا شخص يقول: كيف نرد على شبه المعتزلة والماتردية والناس الذين أولوا الآيات التى فيها صفة الكلام. الجواب: مثلما قلت لكم ربما أن يكونوا حرفوا أيضا. كما قلت لكم مرارًا حينما أولو أو على الصحيح حرفوا قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾. قالوا: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ فجعلوا موسى هو الفاعل والله لفظ الجلالة مفعول به. فرد عليهم أهل السنة بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ فهنا نقول ربنا كلمة وكل هذه التأويلات نقول لماذا تريدون أن تأولوا؟ فقالوا نريد التأويل لتنزيه ربنا عن أنه لو تكلم حينئذ يشبه كلامه كلام المخلوقين. جواب آخر: نقول لهم نفترض لله تعالى صفة ما فبماذا تأولوها؟ فأى تأويل تأولوها؟ سوف يعود عليكم بنفس الكلام. مثلا الغضب أولوها بإرادة الغضب إذا هنا أثبتوا لله إرادة=

المبحث الثالث:

استغناؤه عن خلقه

وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَه.

---

* قال ابن أبى العز:

أما قوله (**وهو مستغن عن العرش وما دونه**) فقد ذكره الشيخ بعد ذكر العرش والكرسى ليبين أن خلقه تعالى للعرش لم يكن لحاجة إليه وإنما لحكمة اقتضته قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾.

فكما أن السماء فوق الأرض وليست مفتقرة إليها فالله أعظم من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه:

فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته.

=وللخلق إرادة فماذا تقولون فى صفة الإرادة التى أثبتموها ستقولون إرادة ليست كإرادة الخلق إذًا قولوا نفس الكلام فى الغضب. أن الغضب ليس كغضب الخلق نفس الكلام أيضا أننا نقول بلا كيف. تنبه أن المعتزلة أشد أعدائهم وأقوى خصوم لهم هم أهل السنة وممكن أن يشتموهم شتائم قبيحة وقلت لكم سابقا أن الزمخشرى ـ رحمه الله ـ كان يشتم أهل السنة فى «الكشاف» فى تفسيره ويسميهم حمر. ويذكرنى بهذا كلام الطحاوى عندما قال بلا كيف قال مثل قول الزمخشرى عن جماعة أهل السنة:

لجماعة سمو هواهم سنة لجماعة حمر لعمرى موكفه

قد شبهوه بخلقه فتخوفوا شنع الورى فتسروا بالبلكفة. يعنى أسمهم جماعة حمير وكمان حمير مربوطة وليست مفككة لجماعة حمر لعمرى موكفه قد شبهوه بخلقه لأنهم أثبتوا ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات الذى منها صفة الكلام وصفة الرؤية وهم لم يقنعوا بها فلا يثبتوا هذه ولا غيرها ويثبتوا أشياء معينة.

قالوا نحن نثبت بلا كيف وهذا لا يكون تستر فهذه حقيقة أنت محتاج أن تثبت وتنزه فى نفس الوقت الإثبات وفى نفس وقت التنزيه بلا تعطيل فتقول بلا كيف لأن حقائق هذه الأمور بالفعل لا نعلمها ولم نقف على حقائقها ولم تدل آية ولا حديث على ذلك وإنا لو قلنا بالمعنى من أين لنا أن نقول بالكيف فالقول بالكيف قول على الله بغير علم وقول على الرسول ﷺ بلا علم. ولكن أهل السنة ردوا عليهم سواء فى مسألة الرؤية أو فى مسألة تأويل الآيات التى تثبت لله صفة الكلام. وهذه كانت من المعارك ـ وإن لم تدرك الآن أنها من المعارك ـ بين أهل السنة وبين خصوم أهل السنة فى الأسماء والصفات لا سيما ولكل من الفريقين مقلدين لا يعرفون حقيقة الموضوع وهناك العارف والفاهم فلا يجرؤ أن يتكلم فى هذه المسألة إلا بعلم هناك مكافح عن هذا الباطل ومجادل عنه ويدعوا إليه وأيضا يدعوا له ويعادى من يقول بخلاف ذلك من أهل السنة فلا تظنون أن هذا كلام فلسفى ونظرى ونحن نعرف أن هذا الكلام كان زمان ولكن نحن فيه الآن. ما زال المعتزلة وأفراخ المعتزلة موجودة، وما زال الخوارج، وأفراخ الخوارج موجودة، وقائمين على ذلك فى دول الخليج أباضية كلهم من أكبر راس إلى أصغر راس أباضى والمذهب الأباضى أحد مذاهب الخوارج والمعتزلة، وهذا مذهب قائم إلى الآن ويدافع عنه بالحديد والنار ودول قائمة على المذهب الشيعى تحارب وتنافح عنه انتهى.

مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ وَفَوْقَهُ[1]، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.

وغناه عن العرش وفقر العرش إليه.

وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به[2].

أما كونه محيطاً بكل شيء فالمراد منه إحاطة عظمته وسعة علمه وقدرته وأن المخلوقات بالنسبة لعظمته كخردلة وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة قال تعالى: ﴿**أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ**﴾ وقال تعالى: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا**﴾.

---

(١) **قلت:** إن الله سبحانه وتعالى مستغن عن العرش محيط بكل شيء وفوق كل شيء إثبات العلو والفوقية. الله سبحانه وتعالى مستغن عن العرش محيط بكل شيء بالعرش وبغير العرش وفوق كل شيء.

* **مسألة:** لماذا قالت المعتزلة كلام الله كلام مخلوق؟ وما الذى أنبأهم أن الله لم يتكلم وهذه صفة كمال لأنه لو لم يتكلم إذًا أننا ننسب لله نقص، ولو أردت أن تثبت لله الكمال إذًا فأثبت له صفة الكلام. أما أن تنفى الصفة؟ فهنا تنفى الكمال عن الله ولم تنزهه. فما الذى أتعبهم فى إثبات هذا الكلام؟ وما القصد الخبيث وراء هذا الأمر؟ فى الحقيقة أن من يرفع اليوم شعار (**أن الحكم إلا لله أمرا لا تعبدوا إلا إياه**) وتحكيم شرع الله عز وجل فينا. هذا شيء طيب ولا بد أن يتفطن إلى أن مقصد المعتزلة وأفراخ المعتزلة الخبيث كيف يسهل عليهم التحريف، والتسعير، والتبديل فى كلام الله فى عصر خلافة إسلامية كيف يظهر هذا وكيف يجرؤا عليه. سوف يجرؤ بتسهيل الأمر على الأمراء ولذلك كان ثلاثة من أمراء الدوله العباسية يعتنقوا هذا المذهب ويفتنوا العلماء عليه لذلك لا يتصور أن نقول أن هذا كلام الله ويجرؤ مهما كان الخليفه المسلم فى عهد خلافة إسلامية أيضا فيها من الرشد ويأتى من يقول حرف وبدل. ويُسمع كلامه؟! لا يتصور ولكن يسهل عليه المسألة ويمررها فيهون من كلام الله. ويلقى الشبه والشكوك ويقول هذا ليس كلام الله. كيف؟ هذا كلامك أنت. كيف؟ وأنت الذى تتكلم؟ هل هذا كلام الله؟ هذا منك أنت الله خلقه فيك ويظل يكرر هذا الكلام. لذلك يسهل التحريف والتبديل وبعد ذلك محو كلام الله مطلقًا حتى فى وجود خلافة. انتهى.

(٢) **قلت:** الرحمن على العرش استوى فلو قلت أنه استوى إذًا معنى هذا أنك تقول أن ربنا استوى على العرش إذًا العرش أحاط بربنا ويكون هذا كلام غلط. فلا يوجد شيء يحيط بربنا أبدا. ويكون مؤدى ذلك أن ربنا محتاج إلى العرش ليستوى عليه وهذا غلط أيضا ثانى إذ نحن نعرف أن الله غنى عن العالمين وأن الله غنى بالذات وأن كل مخلوق فقير بالذات بذاته فقير إلى الله عز وجل ومن هنا قالوا استوى. وبمعنى استولى (**الرحمن على العرش استوى**) قالوا الرحمن على العرش استولى. واستدلوا ببيت شعر مكذوب:

استوى بشر على العراق
من غير سيف ولا دم مهراق

قالوا استوى بشر على العراق يعنى استولى على العراق من غير سيف ولا دم مهراق وهذا بيت شعر لشخص كافر استدلوا به وهو أصل مذهبهم وليس لهم دليل غير ذلك فضلاً عن أنه محرف يعنى دليل لشخص كافر غير مسلم أيضًا محرف، كما تقرأون ذلك للدكتور «سفر الحوالى» ـ حفظه الله ـ =

ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: «ما السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن فى يد الرحمن إلا كخردلة فى يد أحدكم»[1] ومن المعلوم أنه لو كان فى يد أحدنا خردلة فإنه إن شاء قبضها أو جعلها تحته وهو فى الحالين مباين لها عالٍ عليها من جميع الوجوه فكيف بالعظيم الذى لا يحيط بعظمته واصف؟

وفى حدث أبى رزين: «... **فقال له أبو رزين: كيف يسعنا يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال ﷺ: سأنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله: هذا القمر آية من آيات الله كلكم يراه مخلياً به والله أكبر من ذلك وإذا أفل تبين أنه أعظم وأكبر من كل شىء**»[2](*).

=الحاصل أنهم قالوا نخرج من الموضوع هذا ونأول استوى هذه باستولى لأنه لو استوى إذًا العرش أحاط به هو محتاج للعرش ويصبح هذا الكلام كله غير صحيح. نقول يا شباب. نحن قلنا استوى الإستواء معلوم والكيف مجهول. فلو قلنا أن الكيف معلوم يلزم. منه الكلام الذى تقولونه كان يلزم من علمنا وعلمكم بالكيف وبحقيقة الاستواء أننا نقول فعلا أن العرش يحده هو محتاج للعرش ولكننا لم نعلم كيف الإستواء. الكيف مجهول إنما أنتم كأنكم تقولون الكيف معلوم كأنكم تكيفوا تقولوا نحن عرفنا كيف أستوى. استوى إذا جلس ولو جلس أحاط العرش به ويصبح هو محتاج للعرش هذا الكلام كله غير صحيح. لأننا قلنا إستوى إستواء يليق بجلاله وكماله لا نعرف حقيقته، أما أنتم تريدون أن تقولوا على الله بغير علم: هذا شىء أخر.

أما نحن أهل السنة والجماعة لا نقول على الله إلا بعلم لهذا قالوا العرش حق والكرسى حق وأن الله عز وجل مستغنى عن العرش وما دونه أى «الكرسى» وهو محيط بكل شىء وفوق كل شىء. بما فيهما العرش وفوق كل شىء وظاهر على كل شىء. وقد أعجز عن الأحاطة خلقه. أعجز الخلق أن يحطيوا به علما كيف يكون هذا الكلام؟ إذا يكون إستوى على العرش والعرش غير مستغن عنه ويبقى هو فوق العرش مثال من الواقع ولله المثل الأعلى. أن السماء فوق الأرض ومع ذلك هى غير مفتقرة للأرض وغير محتاجة للأرض بل الأرض فقيرة إلى السماء فلا يبعد ذلك على الله من باب أولى أن يكون مستوى على العرش أستواء يليق بجلاله وكماله ولا يحيط العرش به والعرش محتاج إليه والله لا يحتاج إلى العرش. انتهى.

(١)

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٣، ٢٣٤/ ٤٧٣١)، وابن ماجه (١/ ٦٤/ ١٨٠)، وأحمد فى «مسنده» (٤/ ١١).

جميعًا من طريق: يعلى بن عطاء، عن وكيع، قال موسى ابن حُدُس، عن أبى رزين به.

(*) **قلت**: يعنى كيف هو معنا أينما كنا والمعية هذه معية حقيقية؟ نعم هى المعية حقيقية ولله المثل الأعلى. هذا القمر. قمر يسير معنا تقول أنا سرت والقمر. القمر معنا حقيقة أم لا؟ ومع كل الذى يراه كأنه هو معه بمفرده وهذه معية حقيقية أم غير حقيقية حقيقية من حيث أن القمر معه وحده معه فعلا وليست معية علمية فقط وكما أن هذه المعية لم تقتضى حلول القمر فيك ولا حلولك فى القمر فأنت لم=

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

قال الشارح رحمه الله تعالى:

«وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا؛ لأنه لما ذكر العرش والكرسى، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبين أن خلقه العرش؛ لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له فى ذلك حكمة اقتضته، وكون العالى فوق السافل، لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالى محيطاً به، حاملاً له ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه. فانظر إلى السماء، كيف هى فوق الأرض وليست مفتقرة إليها؟ فالرب تعالى أعظم شأنا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهى حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته عز وجل به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق[1].

ونفاة العلو، أهل التعطيل، لو فصلوا بهذا التفصيل لهدوا إلى سواء السبيل، وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل، فضلوا عن سواء السبيل، والأمر فى

=تصبح القمر ولا القمر أنت بل العلو والفوقية. ما زالت للقمر والمباينة والمغايرة والإنفصال ما زال موجوداً. القمر شيء وأنت شيء آخر والقمر مباين لك وأنت مباين له ومع ذلك يصدق أن نقول سرت ومعى القمر.

حينما نضرب مثل هذه الأمثال فهى للتفهيم والتقريب والتعليم ومع ذلك نقول: ولله المثل الأعلى يعنى المثل الذى لا يدانيه مثل الوصف الذى لا يقاربه وصف وهذا تقريب للمعنى فإذا كنت قبلت الكلام والصورة هذه صورة لمخلوق مع مخلوق فما بالك بصورة الخالق مع المخلوق. بالطبع ستكون أعظم لا سيما مع القمر يعنى مع ذهاب القمر كما قال إبراهيم هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين. أفل يعنى «غاب وذهب» انتهى.

(١) **قلت:** ما الحكمة من خلق العرش؟ الجواب: يريد الله أن يظهر لنا كمال القدرة لأننا لا نعرف أحداً من المخلوقين عمل عرشاً ليستوى عليه ومع استواءه بحمله ويسعه ويحيط به والعرش مفتقر إليه ولا يحيط به ولا يحمله ولا أى شيء هذه هى القدرة التى ليست لأحد من البشر لامن بعيد ولا من قريب ولا يوجد تقريب لهذا المعنى. إلا فى بعض الصور كصورة السماء التى فوق الأرض ومع ذلك لا نفتقر إلى الأرض بل الأرض مفتقرة إليها إذاً الحكمة فى خلق العرش أن تتجلى خصائص الربوبية فى كونه أنه خلق العرش وهو مستغن عنه وخلق العرش وهو يحمله ويحمل من يحمله ولهذا أورد شيخ الإسلام فى فضل لا حول ولا قوة إلا بالله: أن حملت العرش حينما أمرهم الله عز وجل أن يحملوا العرش قالوا يا ربنا كيف نحمله وعليه جلالك وعظمتك وكبرياؤك: فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله فحملوا بحول الله وقوته العرش فكانت هذه أيضا من الحكم فى خلق العرش مع غناه عنه وإحاطته به وعدم إستغناء العرش عنه وعدم إحاطة العرش بالله سبحانه وتعالى. انتهى.

ذلك كما قال الإمام ـ رحمه الله ـ، لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٣] وغيرها: كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

قلت: اختلفت النسخ في هذه الكلمة (وفوقه)، ففي نسخة الشارح كما ترى، وكذلك في مخطوطتي (أ، ب) ومطبوعة الشيخ ابن مانع، وفي مخطوطة (ج)ومطبوعة (خ): (فوقه) بحذف الواو العاطفة، وشذت مخطوطة (غ) فوقع فيها (وبما فوقه)! ولا شك في شذوذها هي والتي قبلها رواية ومعنى. أما الرواية فلمخالفتها لأكثر النسخ، وأما المعنى فقد بينه الشارح بقوله: «والنسخة الأولى هي الصحيحة ومعناها: أنه تعالى محيط بكل شيء وفوق كل شيء، ومعنى الثانية: أنه محيط بكل شيء فوق العرش. وهذا ـ والله أعلم ـ إما أن يكون أسقطها بعض النساخ سهواً، ثم استنسخ بعض الناس من تلك النسخة، أو أن بعض المحرفين الضالين أسقطها قصداً للفساد، وإنكار لصفة الفوقية. وإلا فقد قام الدليل على أن العرش فوق المخلوقات وليس فوقه شيء من المخلوقات، فلا يبقى لقوله: «محيط» ـ معنى محيط بكل شيء فوق العرش ـ والحالة هذه معنى!. إذ ليس فوق العرش من المخلوقات ما يحيط به، فتعين ثبوت الواو. ويكون المعنى: أنه سبحانه محيط بكل شيء، وفوق كل شيء»(*).

المبحث الرابع:

رؤية الله تعالى والرد على دعاة التأويل

وَالرُّؤْية حَقٌّ لأَهلِ الجَنَّة، بِغَيرِ إِحَاطَة وَلاَ كَيْفِيَّة.

كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

وَتَفْسِيرُهُ: عَلَى مَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَه، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الحَدِيث الصَّحِيح عَنِ الرَّسُول ﷺ فَهُوَ كَمَا قَالَ.

وَمَعْنَاهُ: عَلَى مَا أَرَادَ، لاَ نَدْخُلُ فِي ذَلِك مُتَأَوِّلِين بِآرَائِنا وَلاَ مُتَوَهِّمِين بِأَهْوَائِنا.

فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلاَّ مَنْ سَلَّم للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِرَسُولِهِ ﷺ وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَه عَلَيه إِلَى عَالِمِه.

قوله: (والرؤية حق..):

لا شك أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة من فوقهم، كما ثبت ذلك عن النبى ﷺ، فهم يرون ربهم بأبصارهم رؤية حقيقية، كما يرون القمر والشمس صحوا ليس دونهما سحاب؛ وهذا متواتر عن النبى ﷺ(١) لم ينكره سوى «المعتزلة» ومن تابعهم على الضلال.

* قال فى «النونية»(٢):

ويرونه سبحانه من فوقهم ... نظر العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسول الله ... لم ينكره إلا فاسد الإيمان

وأما فى الدنيا: فإنه سبحانه وتعالى لا يراه أحد من عباده.

ولما سئل النبى عليه السلام: «**هل رأيت ربك قال نوراً أنى أراه**»(٣).

أى حالت بينى وبين رؤيته تعالى الأنوار.

---

(١) راجع: «حادى الأرواح» ص(٢٧٧)، «شرح الطحاوية» لابن أبى العز و«النهاية» لابن كثير (٢/ ٣٠٠)، و«الشريعة» ص(٢٦٤ ـ ٢٧٠) و«التصديق بالنظر إلى وجه الله تعالى» كلاهما للآجرى.

(٢) قال ابن القيم سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول فى قوله ﷺ: «نور أنى أراه؟» معناه «كان ثم نور وحال دون رؤيته نور فأنى أراه» وجزم شارح الطحاوية بأن معناه: النور الذى هو الحجاب يمنع من رؤيته فأنى أراه، أى: كيف أراه، وهو حجاب بينى وبينه يمنعنى من رؤيته؟» «شرح ابن أبى العز» للطحاوية (١/ ٢٢٤) و«مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٠٧، ٥٠٨). نقلاً عن محقق حاشية ابن مانع.

(٣) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٢/ ١٥/ ٢٩١)، والترمذى (٥/ ٣٩٦/ ٣٢٨٢).

كلاهما من طريق: عبدالله بن شقيق، عن أبى ذر به.

قال الترمذى: هذا حديث حسن.

وقالت عائشة: «**من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب**»(١).

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

اعلم أن الأحاديث الواردة فى إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة كثيرة جداً حتى بلغت حد التواتر كما جزم به جمع من الأئمة. منهم الشارح، وقد خرج بعضها ثم قال:

«وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً. ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها، ولولا أنى التزمت الاختصار لسقت ما فى الباب من الأحاديث».

ثم قال: ليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئى بالمرئى، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه. وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟! ومن قال: يرى لا فى جهة فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابراً لعقله أو فى عقله شىء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائى ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة»(*).

قلت: وأما رؤيته تعالى فى الدنيا، فقد أخبر رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح: «**أن أحداً منا لا يراه حتى يموت**»(٢) [رواه مسلم]. وأما هو نفسه عليه الصلاة والسلام، فلم يرد فى إثباتها له ما تقوم به الحجة، بل قد صح عنه الإشارة إلى نفيها حين سئل عنها بقوله: «**نور، أنى أراه**»(٢) ومع ذلك جزمت السيدة عائشة رضى الله عنها بنفيها كما فى الصحيحين، وهذا هو الأصل فينبغى التمسك به.

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٨/ ٤٧٢/ ٤٨٥٥)، ومسلم (٢/ ٨/ ٢٨٧)، والترمذى (٥/ ٢٦٢، ٢٦٣/ ٣٠٦٨).

جميعًا من حديث أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها.

قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

(*) **قلت:** لماذا يقولون هذا الكلام؟ لأنهم يقولون أنك لو قلت رأوه من بين يديه مثلاً. أصبحت تحدد لله جهة والله ليس محدودًا بجهة وسوف يأتينا من كلام الطحاوى نفسه أنه تعالى لا تحده حدود ولا هو مغيا بغايات. فكيف تقول ذلك وأنت تثبت له جهة بإثبات رؤيته؟ الجواب: أننا نثبت الرؤيا بلا كيف. وهذه سبب المشكلة بالنسبة لهم، بلا كيف. لأنك بقولك يلزم من إثبات جهة له أنك تقول إن للرؤية كيف. لأنك بذلك حددت فى ذهنك كيفية للرؤية. ونحن نقول أننا سنراه حقيقة لا مجازًا بلا كيف بلا تحديد لكيفية الرؤية، ومن أجل هذا فلا يرد علينا لو أننا أثبتنا الرؤية أن نثبت جهة. لأننا لا نعرف كيف سنراه لكن نعرف أننا سنراه حقيقة وأن هذه الرؤية لا يلزم منها عدم إثبات العلو والفوقية أو لا يلزم منها الإحاطة بالمرئى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. انتهى.

(٢) تقدم تخريجه.

وَلا يَصِحُّ الإِيمانُ بِالرُّؤيةِ لأهلِ دَارِ السَّلام، لِمَنِ اعتَبَرها مِنْهم بوَهْمٍ أَوْ تَأوَّلَها بِفَهْمٍ إِذ كَانَ تَأْويلُ الرُّؤْيَة، وتَأْويل كُلِّ مَعْنىً يُضَافُ إِلى الرُّبُوبيـة، تَرْكُ التَّأويلِ، ولُزُوم التَّسليمِ، وعَلَيهِ دِينُ المُسْلِمين.

---

* **قال ابن مانع:**

قوله: **(ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم)**:

أي: توهم أن الله تعالى يرى على صفة كذا، فيتوهم تشبيهًا.

وقوله: **(أو تأولها بفهم)**:

أي ادعى أنه فهم لها تأويلاً يخالف ظاهرها، وما يفهمه كل عربي من معناها.

* **قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

أي: توهم أن الله تعالى يرى على صفة كذا، فيتوهم تشبيهاً.

* **قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

أي: أدعى أنه فهم لها تأويلاً يخالف ظاهرها، وما يفهمه كل عربي من معناها[1].

---

(١) **قلت:** فالعربي عندما تقول له فلان رأى فلانًا إذًا رآه حقيقة إنما هم تؤلوها تأويلاً حقيقته التحريف فمثلا عندما يقول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تأول النظر بنظر الرحمة، يقول إلى رحمة ربها ناظرة فهذا لا يفهمه العربي عندما تقول له: فلان رأى فلانًا فلا يصح الإيمان منه.

المبحث الخامس

علم الله

خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِه.

لم يَخَفَ عَلَيْهِ شيءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ.

وعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَن يَخْلُقَهُمْ.

قدرة الله

وَلاشَيءٌ يُعْجِزَهُ.

---

* **قال ابن أبى العز:**

خلق: أوجد وأنشأ وأبدع وتأتى بمعنى قدر، والخلق بمعنى المخلوق أى خلقهم عالماً بهم قال تعالى: ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ وكقوله تعالى: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**﴾ الآية

والدليل العقلى على علمه تعالى:

(١) أن إيجاد الأشياء يستلزم الإرادة، والإرادة تستلزم العلم بالمراد.

(٢) وأن المخلوقات من الأحكام التى يستلزم علم الفاعل لها.

(٣) ولأن العلم صفة كمال ومن المخلوقات من هو عالم فيمتنع أن يكون الخالق لها غير عالم[١].

قوله: **(لا شيء يعجزه)**.

هذا بيان لكمال قدرته تعالى قال عز وجل: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً**﴾ فهذا النفى فى كلام الشيخ لثبوت كمال ضده وكذلك كل نفى يأتى فى صفات الله تعالى فإنما هو لثبوت كمال ضده فقوله تعالى: ﴿ **وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً** ﴾ لكمال عدله[٢].

---

(١) **قلت:** لأن فاقد الشيء لا يعطيه فكيف خلق علماء وهو ليس كذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علو كبيرا.

(٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

المبحث السادس
هو الأول والآخر

قَدِيمٌ بِلا ابتِداء دَائِمٌ بِلا انتِهَاء.

---

* قال ابن مانع:

قوله: (قديم بلا ابتداء):

يوصف سبحانه بالقدم، بمعنى أنه يخبر عنه بذلك[1] كما ذكره «ابن القيم» فى «البدائع»[2]، «وباب الإخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية»[*].

---

(١) **قلت:** هذا كلام صحيح بمعنى أن، العلماء قالوا يجوز فى باب الإخبار ما لا يجوز فى باب الأسماء والصفات فيجوز أن نخبر عن الله بشىء لم يصف به نفسه، فيجوز مثلاً أن يخبر عن الله بأنه المنعم مع أنه ليس من أسماء الله الحسنى المنعم ولكن يجوز ذلك من باب الإخبار. كذلك القديم أنت لا تصفه بذلك بل تخبر ولم تخبر عنه بالمنعم؟ لأن معك عمومات تعينك على هذه الإخبار فمثلا. الله عز وجل وصف نفسه بالإنعام فقال تعالى﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وقال تعالى: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم﴾ فهذه الأدلة تسعف من أراد أن يخبر عنه بأنه المنعم لهذا نجد فى كلام السلف أيضا أنهم أخبروا عن الله بالمنعم، كيف وهم يقولون بأنه ليس من أسمائه الحسنى. المنعم؟ فنقول قالوا ذلك من باب الإخبار كذلك حينما يقول إمام كالإمام الطحاوى. قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء والقديم والدائم هنا لا يوجد عليهما بعينه فنقول كما قال ابن مانع: يوصف سبحانه بالقدم بمعنى أنه يخبر عنه بذلك.

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٢).

(*) **قلت:** ما معنى توقيفية؟ بمعنى أنه لا يجوز أن تسمى الله باسم لم يسم به نفسه ولا سماه به الرسول ﷺ فلا مجال للتأليف ومن هنا قولنا أنه لا يجوز أن تقول عبدالعال لأن الله لم يسم نفسه (عال) ولكن سمى نفسه (متعال) إذا يمكن أن تقول عبدالمتعال إلا أن نقول هذا من باب الإخبار وليس من باب التسمية لأن باب الأسماء وباب الصفات توقيفى. وإياك أن تقول اسمه كذا إلا بدليل فيكون باب الإخبار عن الله أوسع إذا كان معك دليل ما يسعفك عن الإخبار عن الله باسم لم يسم به نفسه أو بصفة لم يصف بها نفسه. فهو باب أوسع كما قال ابن القيم فى «بدائع الفوائد» وباب «الإخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية».

ملحوظة: باب الإخبار هذا أيضاً ليس فى الأسماء والصفات ولا فى العقيدة فقط بل فى الفروع. يصح مثلاً أن أقول هذا مسجد بلال المجاور بجانبنا. وهل هذا مسجد بلال أم مسجد الله؟ قال تعالى فى سورة الجن «**وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا**». نقول مسجد بلال مسجد الشيخ فلان هل يجوز؟ نعم يجوز من باب الإخبار لأننى لم أقصد حقيقة الموضوع ولكن مقصدى أن أخبر أن المسجد كائن بهذا الوصف. ولهذا يجوز من باب الإخبار أن أقول مسجد الرسول ﷺ وهو قال «**مسجدى هذا**» فى حديث «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد**». ولهذا بوب البخارى رحمه الله. باب هل يقال مسجد بنى فلان. وهذا وارد فى السنة هل يقال مسجد بنى فلان. نعم ورد أن يقال من باب الإخبار فباب الإخبار يصلح فيه ما لا يصلح فى غيره فهو واسع سواء فى باب الأسماء والصفات أو فى غيره.

وأهل العلم [لم] يذكروا لفظة «القديم» فى الأسماء الحسنى، ولكنهم يخبرون عنه سبحانه بذلك.

وقال فى النونية:

وهو القديم فلم يزل بصفاته متفرداً بل دائم الإحسان(١)

*** قال الشيخ ابن باز: قوله (قديم بلا ابتداء):**

هذا اللفظ لم يرد فى أسماء الله الحسنى كما نبه عليه الشارح رحمه الله وغيره.

وإنما ذكره كثير من علماء الكلام؛ ليثبتوا به وجوده قبل كل شىء.

وأسماء الله توقيفية لا يجوز إثبات شىء منها إلا بالنص من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة.

ولا يجوز إثبات شىء منها بالرأى كما نص على ذلك أئمة السلف الصالح.

ولفظ القديم لا يدل على المعنى الذى أراده أصحاب الكلام؛ لأنه يقصد به فى اللغة العربية المتقدم على غيره وإن كان مسبوقاً بالعدم، كما فى قوله سبحانه: ﴿**حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ [يس: ٣٩]، وإنما يدل على المعنى الحق بالزيادة التى ذكرها المؤلف وهو قوله: (قديم بلا ابتداء).

ولكن لاينبغى عده فى أسماء الله سبحانه؛ لعدم ثبوته من جهة النقل.

ويغنى عنه اسمه سبحانه «الأول».

كما قال عز وجل: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**﴾ [الحديد: ٣] والله ولى التوفيق.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

اعلم أنه ليس من أسماء الله تعالى: (القديم) وإنما هو من استعمال المتكلمين فإن القديم فى لغة العرب التى نزل بها القرآن ـ هو المتقدم على غيره ـ فيقال: هو قديم. للعتيق. وهذا جديد للحديث، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا فى المتقدم عن غيره لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى: ﴿**حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ [يس: ٣٩] والعرجون القديم: الذى يبقى إلى حين وجود العرجون الثانى. فإذا وجد الجديد قيل للأول قديم. وإن كان مسبوقاً بغيره، كما حققه شيخ الإسلام فى «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٤) والشارح فى «شرحه»، لكن أفاد الشيخ ابن مانع هنا فيما نقله عن ابن

(١) القصيدة النونية (٢/ ٣٧) بشرح هراس. وفيها «متوحداً» بدل «متفرداً».
والمعنى: أنه لم يزل بصفاته كلها إلهًا واحداً قديم الإحسان دائم الجود والإمتنان.

القيم فى «البدائع» أنه يجوز وصفه سبحانه بالقدم بمعنى أنه يخبر عنه بذلك وباب الإخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية.

قلت: ولعل هذا هو وجه استعمال شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الوصف فى بعض الأحيان، كما سيأتى فيما علقته على الفقرة[1].

(١) **قلت**: كثير من أهل العلم يستخدمون هذه الألفاظ مع أنهم يعلمون أن قواعد الأسماء والصفات توقيفية ولا يوجد دليل على أن الله سمى نفسه بذلك ولايجوز أنت أن تقول: و«القديم» تحلف بهذا إذا جازت فى الإخبار فلا يجوز فى الاستعمالات الأخرى فلا تحلف بها ولا تستعين بها أو تستغيث بها حتى ولو مضافه إلى الله عز وجل.

وقد سمعت أحدهم يقول خفف علينا الموت يا حنين يجوز هذا؟ حتى ولو جاز أن تصف ربنا بهذا من باب الإخبار فلا يجوز أن تدعوه به.

نعم يوجد فى الحديث «**يا حنان يا منان**» ولكن الْحُنَيِّنَ هذه لا توجد وممكن أن تقول حنان وليست حُنَيِّنَ لماذا؟ لأن الحنان صيغة مبالغة مثل عال ومتعال ولماذا ليست عبدالعال ولماذا عبدالمتعال؟ لأن المتعال هذه مبالغة وهى من الأسماء الحسنى يعنى تناهت فى الحسن فضلا أنها تضمنت معنى أيضا تناهى فى الحسن فالعال غير متناهى فى العلو إنما المتعال متناهى فى العلو. كما أن الحنان متناهى فى ذلك بخلاف الْحُنَيِّنَ.

المبحث السابع

الحي القيوم

حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ.

لا يَفْنى وَ لاَ يَبِيدُ.

---

* قال ابن أبى العز:

قال تعالى ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾ فنفى السنة والنوم دليل على كمال حياته و قيومته. وقد أشار بذلك إلى ما تقع به التفرقة بينه وبين خلقه بذكر ما يتصف به تعالى دون خلقه.

من ذلك أنه حي لا يموت فالحياة الباقية خاصة به دون خلقه لأنهم يموتون.

ومن ذلك أنه قيوم لا ينام بخلاف خلقه فإنهم ينامون.

[لا يفنى ولا يبيد].

هذا اقرار بدوام بقائه، والفناء والبيد متقاربان فى المعنى والجمع بينهما للتأكيد قال تعالى ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**﴾.

المبحث الثامن
العرش والكرسى

وَالعرْشُ وَالكرْسى حَقٌّ.

---

* قال ابن مانع.

* قوله: (وَالعَرْشُ وَ الكُرْسى حَقٌّ..):

لما ذكر المصنف العرش والكرسى، الذى هو بين العرش، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، كما قال تعالى ﴿هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان:٢٦]؛ ليبين سبحانه أن خلقه للعرش؛ لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له فى ذلك حكمة اقتضته.

ثم اعلم أن الإستواء على العرش، إنما حصل بعد خلق السموات والأرض كما قال تعالى﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

و﴿ثُمَّ﴾ هنا للترتيب، لا لمجرد العطف؛ كما قال الناظم:

قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه ... ومن علمه لم يخل فى الأرض موضع

وأما معنى الإستواء فى لغة العرب التى نزل بها القرآن: فهو العُلو والإرتفاع والإستقرار والصُّعود، كما ذكر ذلك «ابن القيم» بقوله:

ولهم عبارات عليها أربع ... قد حصلت للفارس الطعان
منها استقر وقد علا وكذلك ار ... تفع الذى ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذى هو رابع ... وأبو عبيدة صاحب الشيبانى
يختار هذا القول فى تفسيره ... أدرى من الجهمى فى القرآن
والأشعرى يقول تفسير استوى ... بحقيقة استولى من البهتان
نون اليهود ولام جهمى هما ... فى وحى رب العرش زائداتان

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الالبانى:

إعلم أن العرش خلق عظيم جداً كما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولذلك أضافه تعالى إلى نفسه فى قوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ [البروج: ١٥]. وفيه آيات أخر تجدها فى «الشرح»، وهو لغة سرير الملك، ومن أوصافه فى القرآن: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧]، وأنه على الماء وفى السنة: «أن أحد حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة

سبعمائة عام[1]**، وأن له قوائم**[2]**، وأنه سقف جنة الفردوس**»[3]. جاء ذلك فى أحاديث صحيحة مذكورة فى «الشرح»، وذلك كله مما يبطل تأويل العرش بأنه عبارة عن الملك وسعة السلطان!.

وأما الكرسى. ففيه قوله تعالى: ﴿**وسع كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والكرسى هو الذى بين يدى العرش، وقد صح عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفاً عليه من قوله: «الكرسى موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى»[4]. وهو مخرج فى كتابى«مختصر العلو ـ للذهبى»، ولم يصح فيه مرفوعاً سوى قوله عليه الصلاة والسلام: «**ما السموات السبع فى الكرسى، إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة**». وذلك مما يبطل أيضاً تأويل الكرسى بالعلم. ولم يصح هذا التأويل عن ابن عباس رضى الله عنهما كما بينته فى «الصحيحة»(١٠٣)[*].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٢/ ٤٧٢٧) من طريق: أحمد بن حفص بن عبدالله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر عن عبدالله به.

(٢) **[متفق عليه]** أخرجه البخارى (٦/ ٥١٩/ ٣٤١٤)، ومسلم (٨/ ١٣٩، ١٤٠/ ١٥٩)

كلاهما من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وفيه «.... **فأكون أول من يبعث فإذا موسى آخذ بالعرش..**».

(٣) **[صحيح]** أخرجه البخارى (١٣/ ٤١٥/ ٧٤٢٣)، وأحمد فى «مسنده» (٢/ ٣٣٥).

كلاهما من حديث أبى هريرة وفيه «إذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن».

(٤) أخرجه أبو الشيخ فى «العظمة» (ص١٠٤/ ح١٩٨)، وابن خزيمة فى «التوحيد» (ص:١٠٧، ١٠٨).

كلاهما من طريق: عمار الدهنى، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.

(*) **قلت**: فلا يجوز أن تقول وسع كرسيه السموات والأرض أى وسع علمه السموات والأرض لماذا؟ لأنه يقول تعالى أيضًا نقول ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ يعنى كان علمه على الماء هل يجوز؟ ويجوز أن تقول ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾. أى يحمل علم ربك يومئذ ثمانية. نجد المأول المحرف على الحقيقة؟ سيصدم مع نصوص أخرى فاذا هرب من هذا وأوله وسوغه لنفسه. فما يقول فى باقى النصوص؟ لهذا لم يصح تأويل من أولها بالعلم.

المبحث التاسع:
الغضب والرضا

وَاللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى.

---

* قال ابن أبى العز:

مذهب السلف وسائر الأئمة اثبات صفة الغضب والرضا أو العدواة والولاية، والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات: ومنع التأويل الذى يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى. قال تعالى ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ وقال تعالى ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾.

وقول الشيخ [لاكأحد من الورى] نفى للتشبيه.

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: فيه رد على المتأولة المعطلة من الأشاعرة وغيرهم الذين قالوا بأن المراد بالبغض والرضا إرادة الإحسان! وليت شعرى[1] ما الفرق بين تسليمهم بصفة الإرادة وإنكارهم للصفتين المذكورتين بتأويلهما وهى مثلهما فى اتصاف العبد بها أيضاً! فهلا قالوا فيهما كما قالوا فى الإرادة الإلهية: إنها مخالفة للإرادة التى يوصف بها العبد[2]، وإن كان كل منهما حقيقة تناسب الموصوف بها، وقد بسط القول فى ذلك الشارح رحمه الله فراجعه.

---

(١) **قلت:** ليت شعرى. أى ليت علمى لأن الشعر فى اللغة بمعنى العلم بخلاف الشعر الإصطلاحى. فهو كلام موزون مقفى قصدا. ومعناه فى اللغه العلم. وقصداً هذه لم توضع إعتباطا فى حد الشعر إصطلاحًا. إنما وضعت لإخراج كلام الله وكلام الرسول الذى أتى على بعض الأوزان وبعض القوافى الشعرية لكن بغير قصد الشعر. فمثلاً

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة.

فارحم **اللهم** الانصار والمهاجرة

فمن الممكن أن تجد لها بحراً ولكن النبى ﷺ ليس بشاعر فلم يقصد إلى الشعر بهذا الكلام وإن كان موزونًا ومقفى وموافق لبعض بحور الشعر أحيانا كذلك الآيات أيضاً فى بعضها وهذا من الإعجاز.

(٢) **قلت:** المخلوق له إرادة وأن أرادة المخلوق بخلاف إرادة الخالق وإرادة الخالق بخلاف إرادة المخلوق فقولوا هذا الكلام فى صفة الرضاء والغضب. فقولوا أيضاً أن رضا الله وغضب الله بخلاف رضا المخلوق وغضبه بخلاف غضب الخالق سبحانه وتعالى.

لماذا؟ لأن غضب المخلوق يغلق على عقله ومن هنا لا يقع طلاق الغضبان قال رسول الله ﷺ فيما أخرجه أبو داود «**لاطلاق ولا عتاق فى غلاق**» أى فى غضب وهو فى حال الغضب الذى أغلق على عقله وجعله كالمجنون لا يكلف ولا يذم ولهذا لم نسمع أن الله ذم موسى عليه السلام حينما جاء إلى قومه فوجدهم عبدوا العجل فغضب وأسف والقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه. لأن الغضب أغلق على العقل فتصرف تصرف لا يؤاخذ عليه كما لا يؤاخذ الغضبان إذا أغلق الغضب عقله على ما يفعله فى هذه الحاله فإذا طلق لا يقع الطلاق وهذا فارق شاسع بين غضب المخلوق وغضب الخالق سبحانه وتعالى وهذا مؤدا كلام الشيخ فى الرد على من نفى من الأشاعرة صفتى الغضب والرضا.

المبحث العاشر

الخلة والمحبة

ونَقُولُ: إنَّ الله اتَّخَذَ إبْراهيمَ خَليلاً، وَ كَلَمَ مُوسَى تَكْليماً إيماناً وَ تَصْديقاً وَ تَسْليماً.

---

* قال ابن أبى العز:

الخلة: هى كمال المحبة وهى ثابتة لله عز وجل على الوجه الذى يليق به قال تعالى ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا**﴾ وقال ﷺ: «**لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله**».

وفى رواية «**إنى أبرأ إلى كل خليل من خلته ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً**»(١).

ـ الفرق بين الخلة والمحبة:

الخلة أخص من مطلق المحبة. فقد بين ﷺ أنه **لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر، مع أنه ﷺ وصف نفسه بأنه يحب أشخاص كقوله لمعاذ «والله إنى لأحبك»**(٢).

فالخلة إذن أخص من مطلق المحبة ومن كمالها أن المحبوب بها محبوب لذاته وأنها لا تقبل الشركة ففيها كمال التوحيد وكمال الحب(*).

---

(١) أخرجه مسلم «الفضائل» / باب: من فضائل أبى بكر الصديق (٨/ ١٦١/ ح٢٣٨٣) من حديث ابن مسعود.

البخارى فى «فضائل الصحابة» / باب: قول النبى ﷺ. لو كنت متخذاً خليلاً (٧/ ٢١/ ح٣٦٥٦) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٨٧، ٨٨/ ١٥٢٢)، والنسائى فى عمل اليوم والليلة (٦/ ٣٢/ ٩٩٣٧).

كلاهما من طريق: حيوة بن شريح، قال: سمعت عقبة بن مسلم يقول: حدثنى أبو عبدالرحمن الْحُبُلِّى، عن الصنابحى، عن معاذ بن جبل به.

(*) **قلت**: ولذلك حينما وصف الله حال العصاة يوم القيامة الذين كانوا على صداقة وإن بلغت إلى درجه كبيرة ولكنها مذمومه لانها لم تكن على الله وليست فيه. قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا**﴾. وأيضاً قال تعالى فى سورة الزخرف ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾ فانظر هنا الذين وصلوا القمة فى المحبة يأكلون ويشربون سويًا ويلبسون مثل بعض ويمشون معا ويذهبون إلى معصيه الله سويا. ويوم القيامة بعضهم لبعض عدو. فالله عز وجل يقول ﴿**بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾ فهل هذه صفة ثابتة لله؟ نعم ثابتة نقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليما إيمانا وتصديقا وتسليما.

المبحث الحادى عشر

تنزيه الله تعالى عن الظلم

يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً.

يهدى من يشاء، ويعصم ويعافى فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلى عدلاً.

وَكُلُّهُم يَتَقَلَّبُونَ فِى مَشيئتهِ. بين فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ(١).

الذى دل عليه القرآن تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد يقتضى قولاً وسطاً بين قولى القدرية والجبرية قال تعالى ﴿**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾، وقال تعالى ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا**﴾ وقال تعالى فى الحديث القدسى «**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته فيما بينكم محرماً فلا تظالموا**(*)»(٢).

قلت:

إن هداية الله العباد فضل وإغوائهم عدل:

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.

---

(١) قوله: (يهدى من يشاء، ويعصم ويعافى فضلا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلى عدلا، وكلهم يتقلبون فى مشيئته، بين فضله وعدله). فإنهم كما قال تعالى ﴿**هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ**﴾ [التغابن: ٢] فمن هداه الله إلى الإيمان فبفضله وله الحمد، ومن أضله فبعدله وله الحمد. وفى مناظرة جرت بين الأستاذ أبو إسحاق الإسفريينى، وبين القاضى عبد الجبار الهمدانى، أحد أئمة المعتزلة:
قال القاضى عبدالجبار: أرأيت إن منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن إلى أم أساء؟
قال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ماهو له فهو يختص برحمته من يشاء» ذكرها السبكى فى «طبقاته» (٤/ ٢٦١، ٢٦٢). نقلاً عن تحقيق حاشية ابن مانع

(*) قلت: إذًا لا داعى لكى تثبت أن الله خالق الشر ومقدر الشر أن الله ظالم. هو شئ من إثنين. أما أن تقول أن الله ظالم وإما أن تقول أن الله لم يخلق الا الخير ولم يقدر إلا الخير ولم يخلق الشر ولم يقدر الشر. فماذا تقول أيها الأخ الكريم؟ عن نفسى أنا لا أقول هذا ولا هذه لأنى أعرف أن الله لا يظلم أحدًا وله كمال العدل وبالتالى سوف أقول خلقه لكل شئ وتقديره لكل شئ لا يلزم منه الظلم لأن الله لم يخلق الشر لذاته وإنما خلقه لحكمة هذه الحكمة تجعل الشر خيرًا. كما قلت لكم فيما تقدم: إن الله ـ عز وجل ـ خلق المرض وهو شر لكنه ليس شرًا محضًا لأنه خلقه لتطهير المؤمن من الذنوب ورفع الدرجات وتطهير النفس من السيئات فهو لهذه الحكمه ليس شرًا محضًا بل هو خير كما قلت لكم لهذا فنهى النبى ﷺ: «**عن سب بعض الأمراض كسب الحمى**».

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٨/ ٣٧٥/ ٥٥).
من حديث أبى ذر ـ رضى الله عنه.

* **قال ابن كثير**: أى ولولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه ويزكى النفوس من شركها وفجورها ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خير ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ**﴾ أى من خلقه ويضل من يشاء ويرديه فى مهلك الضلال والغى، وقوله ﴿**وَاللَّهُ سَمِيعٌ**﴾ أى سميع لأقوال عباده (عليم) بمن يستحق منهم الهدى والضلال.

* **قال زيد بن أسلم**: والله ما قالت القدرية كما قال الله، ولا كما قال رسله، ولاكما قال أهل الجنة، ولا كما قال أهل النار، ولا كما قال أخوهم إبليس. قال الله ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ وقالت الملائكة ﴿**لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا**﴾ وقال شعيب ﴿**وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ وقال أهل الجنة ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ وقال أهل النار ﴿**غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا**﴾ وقال أخوهم إبليس: ﴿**رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي**﴾.

وقال ـ تعالى ـ : ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ وقال ـ تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**﴾[1].

قال تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ**﴾ فمن هداه إلى الإيمان فبفضله وعدله وله الحمد ومن أضله فبعدله وله الحمد.

فعزاب الله عدل، ورحمته فضل:

قال تعالى ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ** (٥١) **فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** (٥٢) **يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾ إلى قوله ﴿**فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾.

قال ابن كثير، أى إنما كان هذا بفضله عليهم وإحسانه إليهم كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال «**اعملوا وقاربوا واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل**»[2].

قال تعالى ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ**﴾ . . . . الآية.

إفقار الله للعباد عدل وإغناؤهم فضل:

قال تعالى ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ فسمى التجارة فضلاً. وقال تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**﴾.

---

(١) انظر كتابى فقه الخطابة (خطبة: «أقدار الله دائرة بين الفضل والعدل») (١/ ٢٦٢).

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١٠/ ١٣٢/ ٥٦٧٣)، ومسلم (٩/ ١٧٥/ ٧٦).
كلاهما من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه.

ذلك بأنَّه عَلَى كُلِّ شئ قديرٌ، وكلُّ شئ إليه فَقيرٌ، وكلُّ أمرٍ عليه يَسيرٌ. لا يحتاجُ إلى شَئ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «**إياكم والمعاصى إن العبد يذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هُيِّئَ له**»(١) ثم تلا. ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ **قد حُرِموا خير جنتهم بذنبهم.**

ـ تسليط الله الكافرين على المؤمنين عدل، ونصره للمؤمنين فضل:

اعلم أن من عدل الله تسليط الظالم لينتقم ممن عصاه ثم ينتقم الله منهم جميعاً. فعن ابن عمر قال: «**كان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه... اللهم لا تسلط علينا؟ من لا يخافك ولا يرحمنا**»(٢).

قال تعالى ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾، وقال تعالى ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾(٣).

*** قال ابن مانع:**

*** قوله: (ذلك بأنه على كل شئ قدير...):**

يجئ فى كلام بعض الناس: «وهو على ما يشاء قدير»، وليس ذلك بصواب !!.

بل الصواب ما جاء بالكتاب والسنة: «وهو على كل شئ قدير»، لعموم مشيئته وقدرته تعالى.

خلافاً ل«أهل الاعتزال» الذين يقولون: إن الله سبحانه لم يرد من العبد وقوع المعاصى، بل وقعت من العبد بإرادته، لا بإرادة الله(*).

---

(١) ذكره السيوطى فى «الدر» (٦/ ٣٥٩) ونسبة لا بن أبى حاتم، وابن مردويه.

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن.

(٣) انظر كتابى فقه الخطابة (خطبة: «أقدار الله») (١/ ٢٦٢).

(*) قلت: قبل أن ننتقل إلى الجزئية التى تليها هل يجوز هذا الكلام وهو قول على ما يشاء قدير؟ الجواب: نعم لأن هذه الكلمة، ليست فيها شئ لأن مفهومها غير مراد وليس أننى على ما أشاء قدير إذًا يصبح هو على ما يشاء فقط قدير.

أما على غير ما يشاء ليس بقدير هذا مفهوم المخالفه غير المراد ولماذا مفهوم المخالفه غير مراد هنا؟ لأن الكلمة صحيحة فى أصلها ولأن المفهوم خالف المنطوق. فالله عز وجل نطق بأنه على كل شئ قدير شاءه أم لم لا؟ والمفترض أن هذا ظنى الدلالة بمعنى أن الله أراده ومن المحتمل لم يرده الله لم يرد. هذا المفهوم؟ الجواب لأنه عارض ذلك المنطوق. فقوله ولكنى (أنى على ما أشاء قدير) ليس فيه تعارض مع إثبات مطلق المشيئة لله سبحانه وتعالى لأنك لو فهمت خطا أن مفهوم المخالفة مراد وأنى على ما أشاء فقط أما على ما لم أشأ ليس بقدير فهذا فهم خاطئ منك لماذا؟.. لأنك تستدل بشئ ظنى ضد القطعى والقطعى هو: أن الله صرح بأنه على كل شئ قدير سواء شاءه أم لا. أضف إلى ذلك أن=

= هذه اللفظة وردت في الصحيح عند مسلم في قصة دخول آخر أهل الجنة الجنة. أن الله عزوجل أعطى له الأرض وعشر أمثالها فقال أتستهزء مني وأنت رب العالمين؟.

فقال الله في آخر الحديث «**ولكني على ما أشاء قدير**» [أخرجه مسلم (٢/ ٤٣/ ٣١٠ ـ ١٨٧ نووي) باب آخر أهل النار خروجًا]. نفس اللفظ في صحيح مسلم. في باب آخر أهل النار خروجًا.

والحاصل أنه يجب أن نفرق بين إراداتين. إرادة شرعية.

وإرادة كونية قدرية. الإراده الشرعية هي الأوامر والنواهي. والإرادة الشرعية هي افعل أو لا تفعل الإرادة الكونية القدرية هي قوله لشئ كن فيكون الإرادة الشرعية هي محل الثواب والعقاب والإرادة الكونية القدرية لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب فلو قُدر أزلاً على العاصي أنه عاصي وأراد أزلاً إرادة قدرية كونية للعاصي أنه عاصي فهو لم يحاسبه على هذه الإرادة ولا يترتب عليها ثواب ولا عقاب وإنما يترتب الثواب على الإرادة الشرعية وهي إفعل أو لا تفعل فإن لم يفعل عُذب. شخص هنا يقول إن الله كتب عليه هذا فعلا فكيف يريدُ له هذا؟! وبعد هذا يحاسبني؟ الجواب: نقول له إذا كنت تقصد أن الله لا يعلم إذن تقول إنه يجهل أو يلزم ذلك حتى يكون عادلاً مع عباده لابد أن يجهل ـ على قولك ـ ما كانوا عاملين قبل أن يعملوا فهل يجهل؟ الجواب: تعالى الله لا لم يجهل لأن الجهل صفه نقص ونحن نثبت لله صفات الكمال إذا يلزم من هذا أن نثبت له صفة العلم وليس هذا فقط بل يجب أن نثبت صفة الكمال في العلم ومن كمال العلم أنه يعلم مالم يكن ويعلم ماسيكون ومن ذلك ماقدره أزلاً من معصية العصاة أو من كفر الكافرين. وهم التقدير الأزلي هل هو الزمه به. فاين الظلم؟ هل أطلعه عليه. وهل أطلع أحد آخر؟ الجواب: لا لأنه من الغيب. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ**﴾ ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾ يعرف الشقي من السعيد وهذا شئ لا يعلمه أحد. لا ملك ولا نبي لماذا؟ لكي تتحقق كمال القدرة وكمال العلم لأنه يمكن أن يحتج بالقدر إن علمه. فكيف تحتج بالقدر الذي لم تعلمه؟! إذاً تحتج بجهل. شئ مجهول عنك وعن غيرك. تقول يارب أنت كتبتني عندك عاصيًا. والبعيد كذاب لانه لم يطلع على الغيب. مثلا آخر: أنت كتبتني عندك شقي إذا أنا شقي وما يدريك؟! هل تحتج بشئ لا تعرفه أنت ولا غيرك؟!

والقدر هنا لكي نؤمن به ولا تحتج به. يقول: أنا غير مصلى إذاً أنا كذلك مكتوب عند الله غير مصلى إذا أنا لا أصلى لأن الله كتبني غير مصلى وأنا عرفت إن ربنا كتبني غير مصلى من الممكن أن أحتج على الله بالقدر أنني غير مصلى لأن الله كتبني غير مصلى.؟ تقول له أنت كاذب من عدة وجوه.

الوجه الأول. أن الله أراد لك شرعاً أن تصلى بقوله تعالى ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ في آيات كثيرة جداً. **الوجه الثاني** أنك لم تعرف من الغيب شيئاً. يقول: وأنا غير مصلى فعلا. نقول: الأعمال بالخواتيم (**أن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**) أو كما قال ﷺ. فالاعمال الحاليه الآن لا تدل على المآل المكتوب عند الله ولذلك نحن نكون بين الخوف والرجاء. الطائع والعاصي بين الخوف والرجاء لأنه لا أحد يعلم الخاتمه فلا يدري ماذا يختم له وحتى عند الموت نقول الله يرحمه من باب الدعاء أو نُقطع له بما مات عليه ولم نقطع له بشئ قبل هذا ولهذا إبراهيم عليه السلام قال ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي**﴾ قال تعالى في الآيات ﴿**فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ**﴾ تبين له عندما مات. لأنه مات كافراً فتبرأ منه. لأنه كان يدعوا رجاء أن يسلم وما المانع في ذلك في أن تدعوا له بهذا الرجاء قبل أن يتبين لك أنه سيموت على الكفر ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ ويتبين=

* ولهذا يقول أحد ضلالهم:

زعم الجهـــول ومن يقـول بـقـولـه ... أن المعـاصـى من قـضـاء الخـالق
إن كـان حقـا مـا يقول فـلم قضـا ... حـــد الزنا وقطـع كف الســـارق

* وقال «أبو الخطاب» رحمه الله[٢]. فى بيان الحق والصواب:

قـالوا: فأفـعـال العـباد فـقلت مـا ... من خـــالق غـيـــر الإلَه الأمـجـد
قـالوا: فـهل فِـعلُ القـبـيح مُـراده ... قلـت الإرادة كلهـــا لـلسَّـيـــد
لو لم يُرِدْهُ وكـان كـــان نقـيـصـة ... سـبُـحـانه عـن أن يُعْـجِـزهُ الرَّدى

وهذه الإرادة التى ذكـرها أبو الخطاب فى السـؤال هى الإرادة الكونيـة القدرية، لا الإرادة الكونيـة الشرعية، كما سيأتى بيان ذلك مُوضحًا.

=أنه مات على الكفـر فلا يجوز هنا الإستـغفار ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ الحاصل يا إخوانى أننا نثبت لله العدل الكامل ولا نثبت لله ظلمًا لا من قريب ولا من بعـيد وأن الإيمان بالقدر لا يعنى القول بنفى شئ من الكمال عن الله سبحانه وتعالى أو إثبات شئ من الظلم ولو قليل لله سـبحانـه وتعالى للأمـور التى تقدمت وربما يأتى شئ أكـثر من ذلك فى مـسأله القـدر التى ستأتينا. إن شاء الله فى الباب السادس.

(١) قوله: (له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق):
يعنى: أن الله تعالـى موصوف بأنه «الرب» قـبل أن يوجد مربوب، ومـوصوف بأنه «خـالق» قبل أن يوجد مخلوق. من شرح الطحاوية.

(٢) هو: أبو الخطاب محـفوظ بن أحمد بـن الحسن الكلوذانى البغدادى المـولود سنة ٤٣٢هـ والمتوفى سنة ٥١٠ هـ ترجمته فى: «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ١١٦ ـ ١٢٧).
والأبيات: من قـصيدته فى عقيـدة أهل السنة، أوردها الحافظ ابن الجوزى فى كـتابه «المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك» (٩/ ١٩٠)». نقلاً عن تحقيق حاشية ابن مانع.

المبحث الثاني عشر:
تنزيه الله عز وجل عن الحدود والغايات
والأركان والأعضاء والأدوات

وتَعالَى عَن الحدُود والغَايات، والأرْكَان والأعْضاءِ والأدَواتِ، لا تحويه الجِهَاتُ السِّت كسائر الْمُبْتَدعَاتِ.

---

* قوله: (عن الحدود) الخ:

مراده بذلك: الرد على «المشبهة».

ولكن هذه الكلمات مجملة، مبهمة، وليست من الألفاظ المتعارفة عند «أهل السنة والجماعة»؛ والرد عليهم بنصوص الكتاب والسنة أحق وأولى من ذكر ألفاظ توهم خلاف الصواب.

ففي قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. رد على «المشبهة» و«المعطلة».

فلا ينبغي لطالب الحق الالتفات إلى مثل هذه الألفاظ ولا التعويل عليها فإن الله سبحانه موصوف بصفات الكمال منعوت بنعوت العظمة والجلال.

فهو سبحانه فوق مخلوقاته، مستو على عرشه المجيد بذاته، بائن من خلقه، ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، ويأتي يوم القيامة؛ وكل ذلك على حقيقته ولا نؤوله.

كما لا نؤول اليد بـ: القدرة، والنزول: بنزول أمره، وغير ذلك من الصفات، بل نثبت ذلك إثبات وجود لا إثبات تكييف. وما كان أغنى الإمام المصنف عن مثل هذه الكلمات المجملة الموهمة المخترعة ولو قيل: إنها مدسوسة عليه وليست من كلامه لم يكن ذلك عندي ببعيد إحسانا للظن بهذا الإمام.

وعلى كل حال: فالباطل مردود على قائله كائناً من كان.

ومن قرأ ترجمة المصنف «الطحاوي» لاسيما في «لسان الميزان»[1] عرف أنه من أكابر العلماء وأعاظم الرجال، وهذا هو الذي حملنا على إحسان الظن فيه في كثير من المواضع التي فيها مجال لناقد.

* قوله: (ولا تحويه الجهات..):

دلت دلائل الكتاب والسنة على أن الله تعالى فوق مخلوقاته، مستو على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

---

(١) «لسان الميزان» (١/ ٢٧٤ ـ ٢٨٢).

وقال تعالى ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام: ١٨].

فالجهات الست عدمية في حقه؛ لأنه تعالى فوقها.

كما قال «ابن القيم» في «النونية»[١]:

كُلُّ الجِهَاتِ بأسْرِها عَدَمِيَّةٌ ... فِي حَقِّهِ هو فوقها بِبَيَانِ

قد بَانَ عنها كلِّها فهو المُحِيـ ... ـطُ ولا يحاط بخالق الأكوان

(*) قال الشيخ عبدالعزيز بن باز: قوله: (تعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات والجهات الستِّ كسائر المبتدعات):

هذا الكلام فيه إجمال قد يستغله أهل التأويل والإلحاد في أسماء الله وصفاته!! وليس لهم بذلك حجة؛ لأن مراده رحمه الله تنزيه البارئ سبحانه عن مشابهة المخلوقات، لكنه أتى بعبارة مجملة تحتاج إلى تفصيل حتى يزول الاشتباه.

ـ فمراده بـ **(الحدود)**: يعني التي يعلمها البشر، فهو سبحانه لا يعلم حدوده إلا هو سبحانه؛ لأن الخلق لا يحيطون به علماً، كما قال عز وجل في سورة طه: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ [طه: ١١٠].

ومن قال من السلف بإثبات الحد في الاستواء أو غيره، فمراده: حد يعلمه الله سبحانه ولا يعلمه العباد.

ـ وأما **(الغايات، والأركان والأعضاء والأدوات)**: فمراده رحمه الله: تنزيهه عن مشابهة المخلوقات في حكمته وصفاته الذاتية من الوجه واليد والقدم ونحو ذلك.

فهو سبحانه موصوف بذلك، لكن ليست صفاته مثل صفات الخلق، ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه.

وأهل البدع يطلقون مثل هذه الألفاظ؛ لينفوا بها الصفات، بغير الألفاظ التي تكلم الله بها، وأثبتها لنفسه حتى لا يفتضحوا، وحتى لا يشنع عليهم أهل الحق. والمؤلف الطحاوي رحمه الله لم

(١) «القصيدة النونية» بشرح هراس (١/ ٢٢٢).

(٢) قال الحافظ الذهبي بعد أن أورد عبارة للإمام أبي زكريا يحيى بن عمار السجستاني الواعظ فيها قوله: **«بل نقول هو بذاته على العرش»**. قال: « **قلت: قولك «بذاته» هذا من كيسك، ولها محمل حسن، ولا حاجة إليها فإن الذي يؤول يقول: أي قهر بذاته، واستولى بذاته، بلا معين ولا مؤازر**» اهـ. **«العلو للعلي الغفار»** ص (٢٤٥). وقال. قبل ذلك ص(٢٣٦) بعد أن ذكر طرفاً ممن أطلق هذه اللفظة: «وقد تلفظ بالكلمة المذكورة جماعة من العلماء كما قدمناه، وبلا ريب أن فضول الكلام تركه من حسن الإسلام» اهـ. نقلاً عن محقق حاشية ابن مانع.

يقصد؛ لكونه من أهل السنة المثبتين لصفات الله، كلامه فى هذه العقيدة يفسر بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً ويفسر مشتبهه بمحكمه.

ـ وهكذا قوله: **(لا تحويه الجهات الستُّ كسائر المبتدعات)**: مراده الجهات الست المخلوقة، وليس مراده نفى علو الله واستوائه على عرشه؛ لأن ذلك ليس داخلاً فى الجهات الست، بل هو فوق العالم ومحيط به. وقد فطر الله عباده على الإيمان بعلوه سبحانه وأنه فى جهة العلو وأجمع أهل السنة والجماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأتباعهم بإحسان على ذلك والأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة كلها تدل على أنه فى العلو سبحانه فتنبه لهذه الأمر العظيم أيها القارئ الكريم واعلم أنه الحق وما سواه باطل والله ولى التوفيق.

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: مراد المؤلف رحمه الله بهذه الفقرة الرد على طائفتين:

الأولى: المجسمة والمشبهة الذين يصفون الله بأن له جسماً وجثة وأعضاء وغير ذلك تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والأخرى: المعطلة الذين ينفون علوه تعالى على خلقه، وأنه بائن من خلقه. بل يصرح بعضهم بأنه موجود بذاته فى كل الوجود! وهذا معناه حلول الله فى مخلوقاته. وأنه محاط بالجهات الست المخلوقة، وليس فوقها، فنفى المؤلف ذلك بهذا الكلام، ولكن قد يستغل ذلك بعض المبتدعة، ويتأولونه بما قد يؤدى إلى التعطيل كما بينه الشارح رحمه الله تعالى وقد لخص كلامه الشيخ محمد ابن مانع عليه رحمة الله وتقدم كلام ابن مانع بنصه.

خلاصة توحيد الأسماء والصفات:

ـ التشبيه والتعطيل فى باب الأسماء والصفات طرفان باطلان، والوسط المعتدل بينهما هو دين الإسلام.

ـ المشبهة غلوا فى إثبات الصفات فصاروا كأنما يعبدون صنماً، والمعطلة غلوا فى نفى المماثلة من باب التنزيه فصاروا كأنما يعبدون عدماً، أما أهل السنة فيصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، من غير تشبيه، ولا تعطيل.

ـ الله عز وجل متصف بصفات الكمال فى الذات، والفعل أزلاً وأبداً.

ـ القرآن كلام الله عز وجل بالحقيقة، ليس بمخلوق، تكلم به سبحانه وتعالى على وجه يليق بجلاله، بكيفية لا يعلمها إلا هو، فكلامه عز وجل صفة من صفات كماله.

ـ الله عز وجل فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، محيط به، وغنى عنه. كما أن علوه سبحانه

على خلقه مطلق على جميع المراتب ذاتاً، وقدراً، وشرفاً، ولا منافاة يبين علوه على عرشه، وبين معيته لخلقه، سواء معيته العامة بعلمه وقدرته وسلطانه، أو معيته الخاصة بعباده المتقين بعونه ونصرته وتأييده.

- اتفق أهل السنة على إثبات رؤية الله عز وجل، ولكن لايراه أحد فى الدنيا بعينه. أما المعتزلة فقد تأولوا نصوص الرؤية لينفوها حتى لا يقعوا فى التشبيه الذى يزعموه.

- تعددت أنواع التأويل على حسب معناه فى كلام السلف، وفى كلام المفسرين، وفى كلام المتأخرين من الفقهاء. والتأويل الصحيح هو الذى يوافق ما جاءت به السنة.

- علم الله المطلق وقدرته المطلقة من صفات الكمال لله عز وجل.

- الله عز وجل هو الأول الذى لا يسبقه عدم، وهو الآخر الذى لا يلحقه عدم.

- الحى القيوم إسمان لله عز وجل، عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وذلك لتضمنهما إثبات كل صفات كمال الله سبحانه وتعالى.

- العرش هو موضع استواء الله عز وجل، والكرسى بين يدى العرش كالمرقاة إليه.

- الله عز وجل يغضب ويرضى على الوجه الذى يليق به تعالى. وقد يأمر بما يحبه ويرضاه وإن كان لا يريد وقوعه، كما أنه قد ينهى عما يسخطه وإن كان قد أراد وقوعه.

- اختص الله نبيه محمداً ونبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام بمنزلة الخلة: وهى أخص من مطلق المحبة إذ إن المقصود منها كمال المحبة،وهى ثابتة لله عز وجل على الوجه الذى يليق به.

- الله سبحانه وتعالى منزه عن أدنى الظلم، لأن الظلم صفة نقص لا تنبغى له عز وجل، فقد وصف الله نفسه بأن له المثل الأعلى وهو الكمال المطلق فى كل ما يتعلق به.

- تعالى الله عز وجل عن أن يحيط أحد بحده لأنه مباين لخلقه، محيط بهم دون أن يحيط به شئ(*).

(*) من كتاب «تهذيب الطحاوية» للصاوي.

أسئلة تدريبية على هذا الفصل

س١: التشبيه والتعطيل طرفان باطلان بينهما وسط الإسلام المعتدل. اشرح هذه العبارة موضحاً أسباب بطلان التشبيه والتعطيل، وكيفية الرد على المشبهة والمعطلة؟

س٢: تسمية المخلوق ووصفه ببعض أسماء الخالق وصفاته، هل يستلزم التشبيه؟ أو هل يستدعى نفى صفات الخالق بدعوى نفى التشبيه؟ أجب مع ذكر الأدلة .

س٣: هل يجوز اعتقاد وصف الله بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها؟ وكيف نفهم حدوث بعض صفات الفعل الإختيارية فى وقت دون وقت؟

س٤: اشرح قول المصنف رحمه الله: «له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق».

س٥: اذكر أدلة أهل السنة فى إثبات صفة الكلام لله عز وجل. ثم أجب على استدلالات المعتزلة والأشاعرة الباطلة فيما ذهب إليه كل منهم فى مسألة الكلام.

س٦: شهدت نصوص الكتاب والسنة بعلو الله على خلقه. وضح ذلك؟

س٧: كيف ترد على الشبهات الآتية:

- علو الله وفوقيته فى المكانة والمنزلة فحسب.
- دلالة آية: «**فأينما تولوا فثم وجه الله**» على نفى حقيقة العلو.
- المنافاة بين علو الله على عرشه، وبين معيته لخلقه.

س٨: ما أدلة أهل السنة والجماعة فى إثبات رؤية الله عز وجل؟ وهل نفى استطاعة الرؤية فى الدنيا يستلزم نفيها فى الآخرة؟ أجب على ضوء قوله تعالى لنبيه موسى حين طلب منه رؤيته: «قال لن ترانى».

س٩: رؤية النبى ﷺ لربه ليلة المعراج موضع خلاف عند السلف والخلف. وضح أدلة الفريقين فى هذا الخلاف والترجيح بينهما.

س١٠: اشرح قول المصنف رحمه الله: « **ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم**». مع بيان أنواع التأويل وضرب الأمثلة على كل نوع؟

س١١: أهل السنة يثبتون صفات الله تعالى على التفصيل وينفونها على الإجمال وضح فائدة ذلك، مع مقارنة هذه الطريقة بطريقة أهل الكلام المذموم؟

س١٢: لماذا كان استخدام اسم الله «**الأول**»، واسم الله «**القيوم**» أبلغ وأولى من استخدام لفظ «**القديم**»؟

س١٣: «**الحي القيوم**» اسمان عظيمان لله عزوجل يستلزمان سائر صفات الكمال. وضح ذلك؟

س١٤: اذكر الأدلة التى تدل على أن العرش والكرسى حق؟

س١٥: كيف تأول الجهمية صفتى الغضب والرضا لله عز وجل؟ وبم يرد عليهم عقلاً ونقلاً؟

س١٦: ما الفرق بين الخلة والمحبة؟ عضد إجابتك بأدلة النصوص؟

س١٧: خلة النبى ﷺ لنا ممتنعة، وخلتنا له ثابتة. وضح ذلك؟

س١٨: الظلم من أوصاف النقص التى تتنافى مع وصف الله نفسه بأن له المثل الأعلى. وضح ذلك مستشهداً بأدلة النصوص؟(*).

(*) من كتاب «تهذيب الطحاوية» للصاوي.

الباب الثاني

الإيمـان بالملائكـة

يتوقع منك أخي الدارس والداعي وأختي الدارسة والداعية بعد دراسة جادة لهذا الباب أن تكون ملماً بما يلي:

(١ / أ) (أصناف الملائكة، ومراتبهم (ونؤمن بالملائكة..)

(١ /ب) الكرام الكاتبون (ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين)

(١ / ج) ملك الموت (ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين).

المبحث الأول

أصناف الملائكة ومراتبهم

وَنُؤْمِنُ بِالْمَلائِكَةِ.

يقول ابن حجر فى تعريف الملائكة(*): جمع ملك بفتح اللام، فقيل: مخفف من مالك، وقيل: مشتق من الألوكة، وهى الرسالة، وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله لاك، وقيل: أصله الملك بفتح الميم وسكون اللام، وهو الأخذ بقوة، وأصل وزنه «مفعل» فتركت الهمزة لكثرة الإستعمال، وظهرت فى الجمع...، وقال جمهور أهل الكلام من المسلمين: الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات(**).

الملائكة هم الموكلون بالسماوات والأرض، وكل حركة فى العالم فهى ناشئة عنهم. قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]. وهم الملائكة عند أهل الإيمان، والنجوم عند أهل الجحود والكفران. والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، وقد دل الكتاب والسنة على أصناف منهم:

فمنهم الموكل بالجبال، ومنهم الموكل بالسحاب، ومنهم الموكل بالرحم، ومنهم الحفظة، ومنهم الموكل بسؤال أهل القبور، ومنهم الموكل بالنفخ فى الصور، ومنهم الموكل بالنار وعذابها، ومنهم الموكل بالجنة ونعيمها، ومنهم حملة العرش، ومنهم من وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التى لا يحصيها إلا الله.

وقد أطت السماوات بهم وحق لها أن تئط، فما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله تعالى، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه(١). والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم، ومراتبهم، فتارة يقرن الله اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم ويضيفهم إليه فى مواضع التشريف، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم والتقريب والإخلاص. قال تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الإنفطار: ١١]. قال تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢١]. قال تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]. قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

(*) **قلت**: الملائكة هى مخلوقات نورانية بين ذلك رسول الله ﷺ أنها خلقت من نور والجن من نار.

(١) [**حسن**] أخرجه أحمد فى «مسنده» (٥/ ١٧٣)، والترمذى فى« الزهد/ باب: فى قول النبى ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً**». (٤/ ٥٥٦/ ٢٣١٢)، وابن ماجه فى «الزهد /باب« الحزن والبكاء» (٢/ ١٤٠٢/ ٤١٩٠). من حديث أبى ذر.

وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى.

(**) انظر كتاب « ٢٠٠ سؤال من الإيمان» لمحمد نعيم ياسين من جمعى.

المبحث الثانى

الكرام الكاتبون

وَنؤْمنُ بالكِرامِ الكَاتبينَ، فَإنَّ الله قَدْ جَعَلَهُم عَلَيْنَا حَافِظِين.

---

* قال ابن أبى العز:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الإنفطار] وقال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

وفى الصحيح، عن النبى ﷺ أنه قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر. فيصعد إليه الذين كانوا فيكم فيسألهم والله أعلم بهم كيف تركتم عبادى؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وفارقناهم وهم يصلون**»(١).

وفى الحديث الآخر «**إن معكم من لايفارقكم إلا عند الخلاء، وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم**»(٢).

جاء فى التفسير: إثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحرسانه ويحفظانه: واحد من وراءه، وواحد من أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً. حافظان وكاتبان(*).

وبدليل الحديث القدسى «**إذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها، فاكتبوها**

---

(١) أخرجه مالك فى «الموطأ» (١/ ١٥٥) والبخارى فى « مواقيت الصلاة» / باب: فضل صلاة العصر (٢/ ٤٠/ ٥٥٥) ومسلم فى «المساجد » / باب: فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليها (٥١٢/ ٣٣ ـ النووى) من حديث أبى هريرة.

(٢) أخرجه الترمذى فى «الأدب» /باب: ما جاء فى الإستتار عند الجماع (٥/ ١١٣، ح ٢٨٠٠) من حديث ابن عمر.

(*) **قلت**: إن من رحمة الله بالبشر ومكانتهم عند ربهم، جعل لكل واحد منهم أربعة ملائكة يحرسانه وجعل قرين واحد فقط.

وهذا فضل من الله، وهؤلاء الحفظة يحفظانه من أمر الله، كما قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾

وقيل إن هؤلاء الحفظة لا يخلوا بينهم وبين المصيبة إلا المصيبة التى كتبت وقدرت.

ولا يستطيع الحفظة أن يحفظوه من الموت، فإذا جاءه الموت تركوه.

عليه سيئة، وإذا هم عبدى بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشراً»(١)(*)(**).

(١) أخرجه مسلم فى «الإيمان»/ باب: إذا هم العبد بالحسنة كتبت (١/ ٤٢٣/ ح١٢٨) من حديث أبى هريرة.

(*) **قلت:** نحن نؤمن بالكرام الكاتبين. ولا نسميهم إلا إذا نقل إلينا أسماء بعضهم.

والكثير من الناس يشيع أسماء للملائكة وهمية، لا دليل عليها من القرآن والسنة، مثل: تسميتهم للملكين على اليمين واليسار (رقيب وعتيد) وهذه ليست من أسمائهم بل الآية تقول «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد».

وهم أسباب المعية العامة والمعية الخاصة.

ـ **المعيه العامة:** ـ أن الله معه معية عامة والملائكة هم سبب هذه المعية فهو يعلم وهم يكتبون.

ـ **المعيه الخاصة :** ـ وهى مدد من الله للإنسان. فالإنسان العادى له أربعة من الملائكة، والإنسان الغير عادى مؤيد بالكثير من ذلك. فعلى قدر ولايته لله بقدر ولاية الله له بقدر زيادة هذه المعية.

ـ **فمن زيادة المعية:** ـ النصر ـ التأييد ـ الهداية ـ التوفيق.

(**) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

المبحث الثالث:

ملك الموت

ونُؤْمنُ بِمَلَكِ الموْتِ، الموكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمِينَ.

---

* قال ابن أبى العز:

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.

ولا تعارض بين هذه الآيات فملك الموت يتولى قبض الأرواح واستخراجها، ثم تأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ويتولونها بعده. كل هذا بإذن الله وحكمه وأمره، فصحت إضافة التوفى إلى كل بحسبه.(١).

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: هذا هو اسمه فى القرآن، وأما تسميته بـ (عزرائيل) كما هو الشائع بين الناس، فلا أصل له، وإنما هو من الإسرائيليات.

الخلاصة:

- الملائكة خلق من نور، لا يحصى أصنافهم ولا أعدادهم إلا الله، وهم الموكلون بالسماوات والأرض وكل حركة فى العالم.
- الكرام الكاتبون من الملائكة، يسجلون على بنى آدم الحسنات والسيئات من الأقوال والأفعال والنيات.
- ملك الموت يقبض الروح بإذن الله، ثم تأخذها منه ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب.
- تعددت الأقوال فى المفاضلة بين الملائكة، وبين الأنبياء وصالحى البشر، إلا أن الأدلة سيقت فى ذكر فضل كل منهم، لا فى ذكر الأفضلية بينهم، فالسكوت عن الكلام فى هذه المسألة أولى.

---

(١) قلت:

س - هل الملائكة تموت؟

جـ - نعم تموت - لقوله تعالى: - ﴿ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

س - وهل تموت قبل ذلك؟

جـ - لا يوجد دليل ولكنها سوف تموت.

س - هل الملائكة أفضل أم البشر أفضل؟

جـ - باعتبار ماقبل الجنة فالملائكة أفضل. وباعتبار مابعد دخول الجنة فالبشر أفضل. وهذا مختصر كلام شيخ الإسلام: - ابن تيمية.

أسئلة تدريبية على الباب

س١: من هم الملائكة؟ وبم كلفوا؟ وما واجبنا الذى كلفنا به نحوهم؟

س٢: اذكر الأدلة التى توجب الإيمان بالكرام الكاتبين من الملائكة؟

س٣: كيف يمكن الجمع بين الآيات التى أضافت التوفى تارة لله عز وجل، وتارة لملك الموت، وتارة لبقية الملائكة؟

س٤: ما أقوال الفرق فى المفاضلة بين الملائكة والأنبياء؟ اذكر الصحيح منها مع التعليل.

س٥: استخرج من نصوص الكتاب والسنة، الأوصاف التى ذكرت فى شأن كل من الأصناف الآتية من الملائكة: حملة العرش ـ الموكلون بالجنة ـ زبانية النار ـ الموكلون بقبض الروح ـ الموكلون بسؤال القبر؟

س٦: ما المنزلة والمهمة المنوطة بكل من الآتى أسماؤهم من الملائكة: جبريل ـ ميكائيل ـ إسرافيل ـ مالك ـ رضوان؟

س٧: يزعم الملاحدة الذين ينكرون حقيقة وجود الملائكة، أن الكون محكوم بقوانين قائمة وثابتة، وأسباب محكمة يرتبط بعضها ببعض، فلا داعى لتوهم وجود مخلوقات قائمة على تسخير الرياح والأمطار والجبال . . . إلخ، كيف يمكن دحض هذه الشبهة؟

س٨: ما أثر الإيمان بالملائكة فى حياة الإنسان؟

س٩: جبريل عليه السلام كان يتمثل للنبى ﷺ فى عدة صور مختلفة. اذكرها مع بيان المواقف التى وردت متعلقة بكل منها؟(*)

(*) «تهذيب الطحاوية» للصاوى.

الباب الثالث

الإيمان بالكتب

يتوقع منك أخى الدارس والداعى وأختى الدارسة والداعية بعد دراسة جادة لهذا الباب أن تكون ملماً بما يلى:

(١ /أ) **الإيمان بالكتب عموماً** (ونؤمن بالملائكةوالنبيين والكتب المنزلة علي المرسلين..)

(١ / ب) **الإيمان بأن القرآن كلام الله** (ولا نجادل فى القرآن، ونشهدأنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمداً صلى الله عليه وسلم. وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شئ من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف

المبحث الأول

الإيمان بالكتب عموماً

ونؤمنُ بالملائكةِ والنَّبيينَ، والكتب المنزلةِ على المرسلين.

---

* قال ابن أبي العز:

وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة، والإنجيل، والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسمائها وعددها إلا الله تعالى.

وأما الإيمان بالقرآن فبالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب.

*تكميل:

سؤال: كيف يمكن الإيمان بها وهي على هذا النحو؟ وما يجب علينا إزاء ذلك؟

الجواب: الإيمان بها على هذا النحو، والواجب علينا نحوها بأمور منها:

(١) نؤمن بأصل تنزيلها من عند الله.

(٢) لا نصدق ولا نكذب ما فيها إذا لم نقف على موافقة أو مخالفة.

(٣) أن نكذب إذا خالف.

(٤) أن نصدق إن وافق.

سؤال: ما مقتضى إيماننا بالقرآن؟

الجواب: يقتضي إيماننا بالقرآن أمور منها:

(١) التصديق بكل ما فيه جملة وتفصيلاً.

(٢) الإنقياد له على الجملة والتفصيل.

(٣) أن نحكمه ولا نحكم أهواء البشر.

(٤) أن نحفظه ونتلوه ونعمل به.

(٥) أن نرد المتشابه إلى المحكم[١].

---

(١) انظر كتابنا «٢٠٠ سؤال من الإيمان» لمحمد نعيم ياسين.

المبحث الثانى

الإيمان بأن القرآن كلام الله

وَلاَ نُجَادِلُ فِى القُرْآنِ.

وَنَشْهَدُ: أَنَّهُ كَلاَمُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين، فَعَلَّمَه سَيِّدَ الْمرْسَلِين مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِين.

وَهُوَ كَلاَمُ اللهِ تَعَالَى، لاَ يُسَاوِيهِ شَئٌ منْ كَلاَمِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَلاَ نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

---

* **قال ابن أبى العز:**

* **فى قوله: (ولا نجادلُ فى القُرآن):**

يحتمل أنه أراد به أنا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا، بل نقول: إنه كلام رب العالمين.... إلخ كلامه.

ويحتمل أنه أراد: أنا لا نجادل فى القراءة الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح، وكل من المعنيين حق.

ويشهد للثانى ما روى، عن ابن مسعود، أنه قال: سمعت رجلاً قرأ آية سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك، فعرفت فى وجهه الكراهة، وقال: «**لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»(١). وفيه نهى عن الاختلاف الذى فيه جحد كل منهم ما مع صاحبه من الحق لأن كلا منهما كان محقا.

* **قال ابن مانع:**

* **قوله: (.. ولا نقول بخلقه):**

اعلم أن القائلين بخلق القرآن، أشهرهم طائفتان:

إحداهما: «المعتزلة» فإنهم يقولون: القرآن الذى جاء به جبريل، هو كلام الله حقيقة ولكنه مخلوق.

الثانية: «**المتكلمون من الكلابية**» وأتباعهم، فهم يقولون: كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى، إن عبر عنه بالعبرانية صار «توراة» وإن عبر عنه بالسريانية صار «إنجيلاً»، وإن عبر عنه بالعربية صار «قرآنا».

---

(١) أخرجه البخارى فى «فضائل القرآن»/ باب: اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم (٨/ ٧٢٠/ ٥٠٦٢).

وهذه الخرافة يعتقدونها ديناً يدينون الله به، وهم يوافقون «المعتزلة» فى أن القرآن الذى جاء به جبريل مخلوق إلا أن «المعتزلة» يقولون هو كلام الله حقيقة، و«الكلابية» وأتباعهم يقولون: هو عبارة وحكاية عن كلام الله. فعلى قول هؤلاء «الكلابية» وأتباعهم: يكون النبى عليه السلام لم يبلغ كلام الله، وإنما بلغ ما يدل عليه وما هو حكاية عنه[1].

وفى هذا إنكار للرسالة؛ لأن الرسول إنما يبلغ كلام المرسل، وقد ألزمهم «أهل السنة» بذلك.

***قال ابن القيم فى «النونية».**

وإذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الكلام كذلك الـ ... إرسال مَنفى بلا فُرقان

فَرِسَالَةِ المَبعوثِ تبلغ كَلام ... المرسِل الدّاعى بلا نُقْصان

إلى آخر ما ذكره من الأبيات العظيمة التى يعض عليها بالنواجذ.

ومن أعجب العجب: أن يتذاكر العالم من أتباع «الكلابية» فى مثل هذه الأبحاث، فإذا مر ذكر «الجهمية» و«المعتزلة» قال: إنهم قد انقرضوا ولم يبق لهم ولا لعقائدهم عين ولا أثر، ولم يدر المسكين أنه هو وارث التجهم والاعتزال، وأن معتقده معتقدهم سواء بسواء.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قلت: إن من أكبر الفتن التى أصابت بعض الفرق الإسلامية بسبب علم الكلام أنه انحرف بهم عن الإيمان بأن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين حقيقة لامجازاً. أما المعتزلة الذين يقولون بأنه مخلوق، فأمرهم فى ذلك واضح مفضوح. لكن هناك طائفة تنتمى إلى السنة وترد على المعتزلة هذا القول وغيره مما انحرفوا فيه عن الإسلام، ألا وهم الأشاعرة، والماتريدية، فإنهم فى الحقيقة موافقون للمعتزلة فى قولهم بخلق القرآن، وأنه ليس من قول رب العالمين، إلا أنهم لا يفصحون بذلك، ويتسترون وراء تفسيرهم للكلام الإلهى، بأنه كلام نفسى قديم غير مسموع من أحد من الملائكة والمرسلين، وأنه تعالى لا يتكلم إذا شاء، وأنه متكلم منذ الأزل، وقد رأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ بحثاً هاماً فى إبطال تفسيرهم هذا، فقال بعد أن أثبت قدم الكلام:

والكلام صفة كمال، فإن من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، كما أن من يعلم ويقدر، أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر، الذى يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وأكمل ممن يتكلم

(١) **قلت:** إن قولهم أن النبى ﷺ لم يبلغ كلام الله وإنما بلغ ما يدل عليه وماهو حكاية عنه، هذا القول مكذوب لأن النبى ﷺ بلغ كلام الله وليس معناه، وإذا كان الرسول بلغ كلامه هو عن المرسل، ولم يبلغ كلام المرسل فإن الرسول ﷺ لم يبلغ الرسالة، وقد ثبت بالتواتر أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة حتى أتاه الموت.

بغير مشيئته وقدرته إن كان ذلك معقولا. ويمكن تقريرها على أصول السلف بأن يقال: إما أن يكون قادراً على الكلام أو غير قادر، فإن لم يكن قادراً فهو الأخرس، وإن كان قادراً ولم يتكلم فهو الساكت.

وأما الكلابية (متبوع الأشاعرة في هذه المسألة) فالكلام عندهم ليس بمقدور، فلا يمكنهم أن يحتجوا بهذه. فيقال: هذه قد دلت على قدم الكلام، لكن مدلولها قدم كلام معين بغير قدرته ومشيئته؟ أم مدلولها أنه لم يزل متكلماً بمشيئته وقدرته؟

والأول: قول الكلابية.

والثاني: قول السلف والأئمة وأهل الحديث والسنة، فيقال: مدلولها الثاني، لا الأول، لأن إثبات كلام يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته غير معقول ولا معلوم، والحكم على الشئ فرع عن تصوره.

فيقال للمحتج بها: لا أنت ولا أحداً من العقلاء يتصور كلاماً يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته، فكيف تثبت بالدليل المعقول شيئاً لا يعقل.

وأيضاً فقولك: «لو لم يتصف بالكلام لاتصف بالخرس والسكوت» إنما يعقل في الكلام بالحروف والأصوات؛ فإن الحي إذا فقدها لم يكن متكلماً، فإما أن يكون قادراً على الكلام ولم يتكلم، وهو الساكت، وإما أن لا يكون قادراً عليه وهو الأخرس.

وأما ما يدعونه من الكلام النفسي، فذاك لا يعقل، أن من خلا عنه كان ساكتاً أو أخرس، فلا يدل بتقدير ثبوته على أن الخالي عنه. يجب أن يكون ساكتاً أو أخرس.

وأيضاً فالكلام القديم النفساني الذي أثبتوه لم تثبتوا ماهو؟ بل ولا تصورتموه، وإثبات الشئ فرع عن تصوره، فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته، ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة (يعني الأشاعرة) وإمامها في هذه المسألة لا يذكر في بيانها شيئاً يعقل، بل يقول: هو معنى يناقض السكوت والخرس!.

والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام، فالساكت هو الساكت عن الكلام والأخرس هو العاجز عنه، أو الذي حصلت له آفة في محل النطق تمنعه عن الكلام، وحينئذ لا يعرف الساكت والأخرس حتى يعرف الكلام، ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس.

فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه ولم يثبتوه، بل هم في الكلام يشبهون النصارى في (الكلمة) وما قالوه في (الأقانيم) و(التثليث) و(الإتحاد) فإنهم يقولون ما لا يتصورونه ولا يبنونه، والرسل عليهم السلام إذا أخبروا بشئ ولم تتصوره وجب تصديقهم.

وأما ما يثبت بالعقل فلا بد أن يتصوره القائل به، وإلا كان قد تكلم بلا علم، فالنصارى تتكلم بلا علم؛ فكان كلامهم متناقضاً، ولم يحصل لهم قول معقول. كذلك من تكلم فى كلام الله تعالى بلا علم كان كلامه متناقضاً،ولم يحصل له قول يعقل. ولهذا كان مما يشنع به على هؤلاء أنهم أحتجوا فى أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام؛ كلام الله وكلام جميع الخلق ـ بقول شاعر نصرانى يقال له الأخطل:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقد قال طائفة إن هذا ليس من شعره، وبتقدير أن يكون من شعره فالحقائق العقلية، أو مسمى لفظ الكلام الذى يتكلم به جميع بنى آدم لا يرجع فيه إلى قول ألف شاعر فاضل، دع أن يكون شاعراً نصرانياً اسمه الأخطل...»[1].

الخلاصة:

- نهى الشارع عن الإختلاف بين طرفين حال كون كل منهما يحمل الحق.
- نزل القرآن على سبعة أحرف، وقراءته بها جائزة لمشقة الإجتماع على حرف واحد.
- جبريل عليه السلام هو حامل الوحى إلى الرسل[2].

(١) انتهى ملخصاً من «مجموع الفتاوى» (٦/ ٢٩٤ ـ ٢٩٧).
(٢) «تهذيب الطحاوية» د/ الصاوى.

أسئلة تدريبية على الباب

س١: اشرح قول المصنف رحمه الله: **(ولا نجادل فى القرآن)**.

س٢: اختر الإجابة الصحيحة، مع تصويب العبارات الخاطئة:

ترتيب السور فى المصحف ثابت ومنصوص عليه.

ترتيب الآيات داخل السور ليس بواجب.

قراءة القرآن على سبعة أحرف رخصة من الله عز وجل.

ينبغى جمع المسلمين على قراءة واحدة للقرآن وجوباً.

س٣: ما الكتب التى أنزلت على الرسل وسماها الله عز وجل فى القرآن الكريم؟

وعلى من أنزلت؟ اذكر الآيات التى وردت فيها ذكر هذه الكتب؟

س٤: اختص الله تعالى القرآن الكريم بمزايا تميز بها عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة. اذكر هذه المزايا مع بيان مواضع الاتفاق والاختلاف بين جميع الكتب المنزلة(*)؟

(*) راجع «تهذيب الطحاوية» د/ الصاوى.

الباب الرابع

الإيمان بالرسل

يتوقع منك أخى الدارس والداعى وأختى الدارسة والداعية بعد دراسة جادة لهذا الباب أن تكون ملماً بما يلى:

(١) المقصود من الإيمان برسل الله (ونؤمن بالملائكة والنبيين)

(٢) الأدلة على نبوة محمد ﷺ (وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى)

(٣) ختم النبوة بمحمد ﷺ (.. وأنه خاتم الأنبياء)، (وكل دعوى للنبوة بعده فغى وهوى).

(٤) عموم بعثته ﷺ (وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى بالحق والضياء).

(٥) المفاضلة بين الأنبياء (.. وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين)، (ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله..)

(٦) الإسراء والمعراج (والمعراج حق، وقد أسرى بالنبى ﷺ وعرج بشخصه فى اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، ماكذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه فى الآخرة والأولى).

المبحث الأول

المقصود من الإيمان برسل الله

ونؤمن بالملائكة والنبيين.

* قال ابن أبي العز:

يجب علينا الإيمان بمن سمى الله في كتابه من الأنبياء والمرسلين، والإيمان بأن الله أرسل رسلاً وبعث أنبياء سواهم مما لا يعلم أسماءهم ولا عددهم إلا الله تعالى.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾ [غافر: ٧٨]. كذلك يجب الإيمان بأنهم جميعاً قد بلغوا ما أمروا بتبليغه، وبينوه بما لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله. وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه، واتباع ما جاء به جملة وتفصيلاً.

أولو العزم من الرسل:

أما أولو العزم من الرسل منهم، فقد قيل فيهم أقوال، أحسنها ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ: وهم المذكورون في آيتي: الأحزاب والشورى. قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾ [الأحزاب: ٧]. وقال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [الشورى: ١٣][1].

تكميل:

سؤال: ما هو موضوع الرسالة؟

جواب: إن موضوع الرسالة هو أن الله بعث رسله إلى الخلق لتبشيرهم وإنذارهم، تبشيرهم برضوان الله وثوابه وجنته، إن آمنوا به وبرسله وأطاعوه، وإنذارهم من غضب الله إن كفروا وعصوا. قال عزوجل: ﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾.

كما يجب علينا أن نؤمن بأن جميع هؤلاء الرسل بعثهم الله لتحقيق غرض أساسي واحد هو عبادة الله عزوجل، وإقامة دينه، وتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فقد قال سبحانه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾، وقال أيضاً: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾[2].

---

(١) «تهذيب شرح الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

(٢) انظر كتابنا ٢٠٠ سؤال من الإيمان لمحمد نعيم ياسين.

المبحث الثانى

الأدلة على نبوة محمد ﷺ

وإنَّ محمَّدًا عَبدُهُ المصطفَى، ونبيُّهُ المجتَبى، وَرَسُولَه المرْتَضى.

---

* قال ابن أبى العز:

الاصطفاء والاجتباء والارتضاء: متقارب المعنى.

كمال المخلوق فى تحقيق عبوديته لله تعالى:

واعلم أن كمال المخلوق فى تحقيق عبوديتـه لله تعالى، ومن توهم أن الخروج عن العبودية أكمل فهو من أجـهل الخلق وأضلهم. قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ**﴾ [الانبياء: ٣٦].

وقد ذكر الله نبيه محمداً ﷺ باسم العـبد فى أشرف المقامات. فقال فى ذكر الإسراء: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ**﴾ [الإسراء: ١]، وقال: ﴿**فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ**﴾ [النجم: ١٠]. وقال: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾ [الكهف: ١].

أدلة النبوة:

* **المعجزات**: وهى دليل صحيح، وقد استدل بها أهل الكلام على نبوة الأنبياء، ولكن الدليل ليس محصوراً فيها.

* **قرائن الأحوال**: فقرائن الأحوال تفرق أيضـاً بين الصادق والكاذب، فلم يدع النبوة أحد من الكاذبين إلا وقد ظهر عليه من الكذب والفجور ما يعرف به أمره.

ولهذا قال ﷺ لابن صياد: «**قد خبأت لـك خبئاً**، فقال: هو الـدخ . فقال: **اخسـأ، فلن تعدو قدرك**» **يعنى إنما أنت كاهن**(١).

وإذا كان صدق المخـبر وكذبه يعلم ممايقترن بـه من الدلائل والقرائن، كما قالوا: مـا أسر أحد سريرة إلا أظهـرها الله فى صفـحات وجهـه وفلتات لسـانه، فكيف يخفى صـدق مـن يدعـى أنـه رسـول الله من كذبه؟

ولهذا قالت خديجة للنبى ﷺ وقد قال لها لما جاءه الوحى: «**إنى قد خشيت على نفسى**»: والله

---

(١) أخرجه البخارى فى «الجهاد والسير» / باب: كيف يعرض الإسلام على الصبى (٦/ ١٩٨، ح٣٠٥٥). ومسلم فى «الفتن وأشرط الساعة» / باب: ذكر ابن صياد (٩/ ٢٧٨/ ٢٩٣٠).

لا يخزيك الله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق [1]، وذلك لما تعلمه من صدقه وبره ﷺ.

وكذلك قال النجاشى لما استخبرهم عما يخبر به، واستقرأهم القرآن، فقرأوا عليه: إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة[2].

وكذلك هرقل عندما سأل أبا سفيان عن نسبه ﷺ وأتباعه ودعوته وغير ذلك من الأسئلة فأدرك من خلال ذلك أن هذا هو النبى المرتقب، وإن كان قد آثر ملكه على النجاة بنفسه[3].

* **الفرق بين النبى والرسول**: إن أحسن ما يفرق بين النبى والرسول أن من نبأه الله بخبر السماء إن أمر بتبليغه فهو نبى رسول وإن لم يؤمر فهو نبى وليس برسول، فالرسول أخص من النبى، فكل رسول نبى، وليس كل نبى رسولاً.

* **قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى**:

اعلم أن كل رسول نبى، وليس كل نبى رسولا، وقد ذكروا فروقاً بين الرسول والنبى، تراها فى «تفسير الألوسى» (٥/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠) وغيره، ولعل الأقرب أن الرسول من بعث بشرع جديد والنبى من بعث لتقرير شرع من قبله، وهو بالطبع مأمور بتبليغه، إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك، فهم بذلك أولى. كما لا يخفى.

---

(١) أخرجه البخارى فى «بدء الوحى» (١/ ٣٠،ح٣) عن عائشة.

(٢) أحمد فى «مسنده» (٥/ ٢٩٠) والهيثمى فى «المجمع (٦/ ٢٤، ٢٧)

وقال: رواه أحمد ورجاله رجاله الصحيح غير اسحاق وقد صرح بالسماع.

(٣) أخرجه البخارى (١/ ٤٢/ ٦)، وأحمد (١/ ٢٦٢) من حديث ابن عباس.

المبحث الثالث

ختم النبوة بمحمد ﷺ

و إنَّه خَاتم الأنبياء، وإمامُ الأتقياء، وسيِّدُ المرسلين، وَحَبيبُ رَبِّ العَالَمِينَ.
وَكُلُّ دَعْوىٰ نُبُوَّةٍ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوًى.

---

* قال ابن أبى العز:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال ﷺ: «**إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**»(١). رواه البخارى.

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**وإنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبى، وأنا خاتم النبيين، لانبى بعدى**»(٢). وراه مسلم.

* قال ابن أبى العز:

الغى: ضد الرشد، والهوى: عبارة عن شهوة النفس.

فلما ثبت أنه ﷺ خاتم النبيين علم أن كل من ادعى النبوة بعده فهو كاذب ولا يقال: فكيف إذا جاء مدعى النبوة بعده بالمعجزات؟ لأن هذا من باب فرض المحال. بل لابد أن تظهر أمارة كذبه فى دعواه.

* قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: وقد أخبر النبى ﷺ أمته نصحاً لهم وتحذيراً فى أحاديث كثيرة أنه سيكون بعده دجالون كثيرون، وقال فى بعضها: «**كلهم يزعم أنه نبى، وأنا خاتم النبيين، لا نبى بعدى**» [رواه مسلم وغيره (الأحاديث الصحيحة ١٦٨٣)]. ومن هؤلاء الدجالين «مبرزا غلام أحمد القادياني» الذى ادعى النبوة وله اتباع منتشرون فى الهند وألمانيا وإنكلترا وأميركا، ولهم فيها مساجد يضلون بها المسلمين، وكان منهم فى سورية أفراد، استأصل الله شأفتهم وقطع دابرهم، ولهم عقائد كثيرة. غير اعتقادهم

---

(١) أخرجه البخارى فى «المناقب»/ باب: خاتم النبيين (٦/ ٦٤٥/ ح٣٥٣٤) ومسلم فى «الفضائل»/ باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (٨/ ٥٦/ ح٢٢٨٦).

(٢) أصل الحديث عن مسلم فى «الفتن وأشرط الساعة» (٩/ ٢٤٠/ ٢٨٨٩) هذه اللفظة ليست عنده وإنما أخرجها أبو داود فى «الفتن والملاحم»/ باب: ذكر الفتن ودلائلها (٤/ ٩٥/ ح٤٢٥٢).

بقاء النبوة بعده ﷺ، وسلفهم فيه ابن عربى الصوفى ولهم فى ذلك رسالة جمعوا فيها أقواله فى تأييد اعتقادهم المذكور. لم يستطع المشايخ الرد عليها لأنها مما قاله ابن عربى! مع جزمهم بتكفيرهم. ولا مجال لذكر شئ من عقائدهم الآن، وهم بلا شك ممن عناهم رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح عنه: «**يَكُونُ فِى آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ الأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ. فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ. لاَ يُضِلُّونَكُمْ وَلاَ يَفْتِنُونَكُمْ**»(١). [رواه المؤلف فى «مشكل الآثار» (٤/ ١٠٤)، وهو عند «الإمام مسلم» (١/ ٩)].

وإن من أبرز علاماتهم أنهم حين يبدأون بالتحدث عن دعوتهم إنما يبتدئون قبل كل شئ بإثبات موت عيسى عليه الصلاة والسلام فإذا تمكنوا من ذلك بزعمهم انتقلوا إلى مرحلة ثانية وهى ذكر الأحاديث الواردة بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام ويتظاهرون بالإيمان بها، ثم سرعان ما يتأولونها، ما دام أنهم أثبتوا بزعمهم موته، بأن المقصود نزول مثيل عيسى! وأنه هو غلام أحمد القادياني! ولهم من مثل هذا التأويل الشئ الكثير والكثير جداً. مما جعلنا نقطع بأنهم طائفة من الباطنية الملحدة.

(١) أخرجه مسلم فى المقدمة (١/ ١١١/ ٧) من طريق: أبى شريح أنه سمع شراحيل بن يزيد يقول: أخبرنى مسلم بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول . . . . الحديث.

المبحث الرابع:

عموم بعثته ﷺ

وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ وكافَّةِ الوَرَى، بالحقِّ والهُدَى، وبالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

---

* **قال ابن أبى العز:**

أشار الشيخ ـ رحمه الله ـ بهذه العبارة إلى عموم بعثته ﷺ إلى الجن والإنس.

عموم بعثته إلى الجن: أما الأدلة على بعثته إلى عامة الجن فكثيرة منها:

* سورة الجن.

* قوله تعالى: ﴿**يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللهِ وآمِنُوا بِهِ**﴾ الآية [الأحقاف: ٣١]. فهذه حكاية لقول الجن لما سمعوا القرآن.

* قوله تعالى: ﴿**يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ**﴾ الآية [الأنعام: ١٣٠]. والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيره من السلف.

عموم بعثته إلى الإنس ﷺ:

أما عموم بعثته إلى الناس كافة فهو مما علم من الدين بالضرورة: قال تعالى: ﴿**قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف:١٥٨]. وقال تعالى: ﴿**وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال ﷺ: «**لا يسمع بى رجل من هذه الأمة، يهودى ولا نصرانى، ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار**»(١).

وقال ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى.... وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»(٢).

بطلان ما زعمه النصارى من أنه رسول إلى العرب خاصة:

وأما قول النصارى أنه رسول إلى العرب خاصة فظاهر البطلان، لأنهم إذا سلموا برسالته لزمهم تصديقه فى كل ما أخبر به، وقد أخبر عن نفسه أنه رسول الله إلى الناس عامة، وبعث رسله وكتبه إلى كافة أقطار الأرض(٣).

---

(١) أخرجه مسلم فى «الإيمان» / باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ (١/ ٤٦٣/ ح١٥٣).

(٢) أخرجه البخارى فى «التيمم»(١/ ٥١٩/ ح٣٣٥). ومسلم فى «المساجد ومواضع الصلاة» (٣/ ٥/ ح٥٢١).

(٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

أما قوله: [**بالحق والهدى، وبالنور والضياء**] فهذه أوصاف ما جاء به من الدين والشرع المؤيد بمختلف البراهين.

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

أقول: ومن ضلالات القاديانية إنكارهم لـ (الجن) كخلق غير الإنس، ويتأولون كل الآيات والأحاديث المصرحة بوجودهم ومباينتهم للإنس فى الخلق، بما يعود إلى أنهم الإنس أنفسهم أو طائفة منهم حتى إبليس نفسه يقولون أنه إنسى شرير! فما أضلهم!!.

المبحث الخامس
المفاضلة بين الأنبياء

وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ،

---

* **قال ابن أبي العز:**

الأدلة على كونه ﷺ سيد المرسلين: قال ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**»(١). (رواه مسلم).

* وفي أول حديث الشفاعة: «**أنا سيد الناس يوم القيامة....**»(٢).

هل يجوز تفضيله ﷺ على موسى؟:

فإن قيل: كيف يجمع بين هذا وبين قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشاً بساق العرش، فلا أدري هل أفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله ؟!**»(٣).

فالجواب: أن المنهي عنه إنما هو التفضيل على وجه الحمية والفخر.

أوعلى وجه الانتقاص بالمفضول، وعلى هذا يحمل قوله ﷺ: «**لا تفضلوا بين الأنبياء**»(٤).

وقيل: إن المنهي عنه هو التفضيل الخاص، أي لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه بخلاف التفضيل العام فلا يمنع منه كقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»(٥).

هل يجوز تفضيله ﷺ على يونس بن متى؟:

أما ما يروى عنه ﷺ أنه قال: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»(٦).

فالجواب: أنه لم يثبت بهذا اللفظ، بل الثابت الصحيح: «**لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**»(٧).

---

(١) أخرجه مسلم في «الفضائل»/ باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٨/ ٤٢/ ٢٢٧٨) وأبو داود في «السنة»/ باب: في التخيير بين الأنبياء (٤/ ٢١٧/ ٤٦٧٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) [**متفق عليه**] تقدم تخريجه.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء»/ باب: قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٦/ ٥١٩/ ٣٤١٤) ومسلم في «الفضائل»/ باب: من فضائل موسى عليه السلام (٨/ ١٣٩/ ح٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) ما قبله.

(٥) أخرجه ابن ماجه في «الزهد»/ باب ذكر الشفاعة (٢/ ١٤٤/ ح٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٦) قال ابن أبي العز: فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يَرْوِه أحدٌ من أهل الكتب التي يعتمد عليها.

(٧) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء»/ باب: قوله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، (٦/ ٥٢٠/ ح٣٤١٦) ومسلم في «الفضائل» / باب ذكر يونس عليه السلام (٨/ ١٤٥/ ح٢٣٧٦).

وَحبيبُ رَبِّ العَالَمِينَ.

وفى رواية: «**من قال: إنى خير من يونس بن متى فقد كذب**»(١).

وهذا اللفظ يدل على العموم، فهو نهى لكل أحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى، وذلك لأن الله قد أخبر عنه أنه فعل ما يلام عليه: قال تعالى: ﴿**فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾ [الصافات: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فقد يقع فى نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس(*).

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قلت هذه العقيدة ثبتت فى أحاديث كثيرة مستفيضة، تلقتها الأمة بالقبول، وقد ذكر الشارح طائفة منها فلتراجع منه، فهى تفيد العلم واليقين، فهو ﷺ سيد المرسلين يقيناً، ومن المؤسف أن أقول: إن هذه العقيدة لا يؤمن بها أولئك الذين يشترطون فى الحديث الذى يجب الإيمان به أن يكون متواتراً، فكيف يؤمن بها من صرح بأن العقيدة لا تؤخذ إلا من القرآن كالشيخ شلتوت وغيره، وقد رددت على هؤلاء جميعاً من عشرين وجهاً فى رسالتى «**وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى العقيدة والرد على شبه المخالفين**» وذكرت فى آخرها عشرين مثالاً من العقائد الثابتة فى الأحاديث الصحيحة يلزمهم جحدها وعدم الإيمان بها. وهذه العقيدة واحدة منها فراجعها فإنها مطبوعة وهامة.

المحبة مراتب أعلاها الخلة. وقد ثبتت الخلة للنبى ﷺ كما ثبتت لإبراهيم. قال ﷺ: «**إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**»(٢).

أما المحبة فهى عامة، وقد ثبتت لغيره ﷺ. قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٥].

العلاقة بين العبد وربه لا توصف بالعشق:

واعلم أن العشق وهو أحد مراتب المحبة لا توصف به العلاقة بين العبد وربه:

(*) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(١) أخرجه البخارى فى «صحيحه» فى التفسير/ باب: قوله تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ (٨/ ١١٦/ ح٤٦٠٤) من حديث أبى هريرة بلفظ «من قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب».

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم (٣/ ١٦/ ٢٣)، والنسائى فى «الكبرى» (٦/ ٣٢٨/ ١١١٢٣).

كلاهما من طريق: عبيد الله، عن زيد بن أبى أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن عبدالله بن الحارث، قال: حدثنى جندب، أنه سمع النبى ﷺ يقول ..... الحديث.

ونَحْنُ مُؤْمنُونَ بِذَلكَ كُلِّه، لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه، ونُصدِّقُهُم كلهم. عَلَى مَا جَاؤُوا به.

---

* لأنه محبة مع شهوة.

* وقيل لعدم التوقيف.

* وقيل غير ذلك.

وغنى عن الذكر أن وصف الله بالمحبة والخلة هو كما يليق بجلاله وعظمته كسائر صفاته تعالى، ويوصف الله تعالى ـ من مراتب المحبة ـ بالإرادة والود والمحبة والخلة، حيثما ورد النص[1].

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: بل هو خليل رب العالمين، فإن الخلة أعلى مرتبة من المحبة وأكمل، ولذلك قال ﷺ: **«إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»**[2]. ولذلك لم يثبت فى حديث أنه ﷺ حبيب الله. فتنبه، وراجع فى الفقرة الآتية (٥٢) بسطاً لهذا فى كلام الشارح عليها.

*** قال ابن أبى العز:**

الإشارة بذلك إلى ما تقدم مما يجب الإيمان به تفصيلاً.

وقوله: **﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِه﴾** [البقرة: ٢٨٥]. أى لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، فإن من فعل ذلك فهو كافر بالكل، ذلك أن الرسول الذى زعم أنه آمن به قد جاء بتصديق بقية المرسلين، فإذا لم يؤمن ببعض المرسلين كان كافراً بمن فى زعمه أنه يؤمن به لأن ذلك الرسول قد جاء بتصديق المرسلين كلهم. قال تعالى: **﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾** [النساء: ١٥٠، ١٥١][3].

(١، ٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) فى الذى قبله.

المبحث السادس

الإسراء والمعراج

وَالمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِىَ بالنَّبِىِّ ﷺ وَعُرِجَ بِشَخْصِه فِى اليَقَظَةِ إلى السَّمَاء، ثُمَّ إلى حَيْثُ شَاءَ الله من العُلاَ وَأَكْرَمَه الله بماشَاء، وأَوْحَى إليه مَا أَوْحَى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]. فَصَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم فِى الآخِرة وَالأُولَى.

---

* قال ابن أبى العز:

اختلف الناس فى الإسراء:

* فقيل: كان بروحه ولم يفقد جسده، وقد نقل هذا عن عائشة والحسن.

* وقيل كان الإسراء مرتين: مرة يقظة، ومرة مناماً، وكأن أصحاب هذا القول أرادوا الجمع بين حديث شريك وقوله ثم استيقظت، وبين سائر الروايات.

* ومنهم من قال: بل كان مرتين، مرة قبل الوحى ومرة بعده.

* ومنهم من عكس فقال مرة قبل الوحى، ومرتين بعده، وقد تعجب ابن القيم من هؤلاء القائلين بالتعدد، كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه فى كل مرة تفرض عليهم الصلوات خمسين، ثم تنقص إلى خمس ويقول الله: «**أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى**»(١)، فإذا كانت المرة الثانية عادت إلى خمسين، واستقرت على خمس؟!.

والصحيح أنه أسرى بجسده ﷺ فى اليقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق فى صحبة جبريل ثم عرج به إلى السماوات العلا، فرأى فى الأولى آدم، وفى الثانية يحيى ابن زكريا وعيسى ابن مريم، وفى الثالثة يوسف، وفى الرابعة إدريس، وفى الخامسة هارون، وفى السادسة موسى، وفى السابعة إبراهيم، عليهم السلام، وكلهم قد رحب به، وأقر بنبوته ﷺ، ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع إلى البيت المعمور ثم عرج به إلى الجبار جل جلاله، فدنا حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة فى اليوم والليلة، فأشار عليه موسى عند عودته أن يرجع إلى ربه ويسأله التخفيف فلم يزل بين موسى وربه حتى جعلها الله خمساً، ثم نادى مناد، قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى.

ومما يدل على أن الإسراء كان بجسده فى اليقظة قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِه لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا**﴾ [الإسراء: ١]، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح معاً(*).

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «بدء الخلق» /باب: ذكر الملائكة (٦/ ٣٤٨/ ح٣٢٠٧) ومسلم فى «الإيمان»/ باب: الإسراء برسول الله ﷺ (١/ ٤٩٠/ ح٢٦٤).

(*) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

معنى المعراج:

المعراج هو الآلة التى يعرج بها ـ أى يصعد ـ وهو بمنزلة السلم، وهو حق، وحكمه حكم غيره من المغيبات نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته[1].

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت يعنى من آيات ربه الكبرى، وأما القول بأنه عليه الصلاة والسلام رأى ربه ليلتئذ بعينه، فلم يثبت كما تقدم التنبيه عليه قريباً، ولذلك قال الشارح وغيره: «والصحيح أنه رآه بقلبه ولم يره بعين رأسه»[2].

الخلاصة:

يجب الإيمان بأن الرسل جميعاً بلغوا رسالات ربهم بلاغا مبيناً بما لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله.

ـ الإيمان بمحمد ﷺ يتحقق بتصديقه، واتباع ما جاء به جملة وتفصيلاً.

ـ أدلة النبوة تتمثل فى عدة وجوه منها: المعجزات التى أيد الله بها أنبياءه، وقرائن أحوالهم الدالة على صدقهم، والآثار التى تثبت نصر الله لهم، وإهلاكه لأعدائهم.

ـ النبى ﷺ هو خاتم الأنبياء؛ فكل من ادعى النبوة بعده كاذب فى دعواه.

ـ وهو المبعوث للجن والإنس كافة بشيراً ونذيراً.

ـ ورد النهى عن إجراء المفاضلة الخاصة بين الأنبياء بأعيانهم، بخلاف التفضيل العام الذى عرف به أن النبى ﷺ هو سيد المرسلين، وسيد ولد آدم.

ـ أسرى بالنبى ﷺ فى اليقظة، بجسده وروحه، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماوات العلا حيث فرض الله عليه الصلاة[3].

(١، ٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) **قلت:** هل يرى الله عز وجل فى المنام أو لا يرى؟

الجواب: قيل أنه يرى وأجاز بعض أهل العلم رؤية البارى فى المنام كما نقل الحافظ ذلك فى شرحه لحديث البخارى قال ﷺ **«من رأنى فى المنام فقد رآنى حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بى»**. فذكر أن بعض أهل العلم أجازوا رؤية البارى فى المنام ـ ويروى عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ «أنه رأى ربه كثيراً».

أسئلة تدريبية على الباب

س١: ما المقصود بالإيمان بالرسل عموماً، والإيمان بالنبى ﷺ خصوصاً؟

س٢: كمال المخلوق فى تحقيق عبوديته لله تعالى. اشرح ذلك مع ذكر الأدلة؟

س٣: يعلم صدق الرسل من وجوه متعددة. اذكر ثلاثة منها؟

س٤: صدق الأنبياء دليل على صدق نبوتهم. وضح ذلك مع سوق الشواهد عليه؟

س٥: كيف يكون إنكار رسالة النبى ﷺ طعناً فى الرب تبارك وتعالى؟

س٦: اذكر الأقوال المختلفة لأهل العلم مع ترجيح الصحيح منها فى كل من المسائل التالية:

الفرق بين النبى والرسول.

إسراء النبى ﷺ.

المفاضلة بين الأنبياء.

س٧: تكرر لفظ «الدنو» فى سورة النجم، وفى حديث الإسراء. فما الفرق فى كلا الموضعين؟

س٨: اذكر أدلة الكتاب والسنة على ما يلى:

كون النبى ﷺ هو خاتم الأنبياء.

بعثته إلى الجن والإنس كافة(*).

(*) «تهذيب الطحاوية» د/ الصاوى.

الباب الخامس

الإيمان باليوم الآخر

الفصل الأول: البرزخ

وفيه ثلاث مباحث:

(١) أشراط الساعة: (ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها)، (مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة).

(٢) عذاب القبر وفتنته: (ونؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهل، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه.. والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران).

(٣) انتفاع الموتى بالدعاء والصدقة: (وفي دعاء الأحياء وصدقتهم منفعة للأموات).

الفصل الثاني: المعاد

وفيه أربعة مباحث

(١) القيامة والعرض والصراط والميزان: (ونؤمن بالبعث، وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، والصراط والميزان: (وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان).

(٢) الحوض: (والحوض، الذي أكرمه الله به غياثاً لأمته، حق).

(٣) الشفاعة: (والشفاعة التي ادخرها لهم حق...)

(٤) وجود الجنة والنار: (والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه...).

المبحث الأول

أشراط الساعة

وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام مِنَ السَّمَاءِ.

وَنُؤْمِنُ: بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا[1]

---

* قال ابن أبى العز:

أشراط الساعة كثيرة وقد ذكر الشيخ منها أربعاً: الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة. روى مسلم، عن حذيفة بن أسيد، قال: «**اطلع علينا النبى ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال ما تذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة. فقال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج**

---

(١) **قلت:** ولكن علامات الساعة أكثر من ذلك، وهو لا يعنى الحصر، وأن أشراط الساعة محصورة فى هذه الأربعة فقط بل فيها وفى غيرها.

وذكر النبى ﷺ عشر علامات للساعه أكثر من المصنف بأربع آيات، فقال أنها لن تقوم حتى ترون عشر آيات.

أى من علامات الساعة الكبرى ولأن الأشراط صغرى وكبرى.

والصغرى ظهرت، ولعل الفارق بين الصغرى والكبرى، أن الصغرى: ليس فيها خوارق للعادات، ولكن خارقة للشرع.

كما قال النبى ﷺ «**نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنه**».

أو كما قال ﷺ. فهى ليست خارقه للعادة. ولكنها خارقة مخارقة للشرع غالبًا.

أما أشراط الساعة الكبرى فهى خارقة للعادة كون الشمس تخرج من المشرق بدلاً من المغرب.

والدجال خارق للعادة. فيأت معه مثل الجنة ومثل النار، ويحيى ويميت، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، ومن يؤمن به يغدق عليه من رزقه، ومن يكفر به أجدب حروثهم وأجدب رزقهم.

وهذه أمور يجريها الله على يديه فتنة له ولأتباعه.

وخروج الدابة من الأرض أمر خارق للعادة وذكر تعالى ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ**﴾ وستقول للمؤمن مؤمن، والمنافق منافق، والكافر كافر، وتسم كُلاً منهم بهذا المسيم.

ويأجوج ومأجوج لهم صفات كثيرة جداً، وعددهم أكثر من عدد بنى آدم، والله لم يأذن لأحد أن يقاتلهم وذكر الحافظ أن لهم صوراً وأشكالاً كثيرة جداً، منهم من طالت أذنه حتى أنه ليلتحف بأذن ويفترش الأخرى، وأن الله حينما يأذن لهم بالخروج ويكون عيسى ابن مريم عليه السلام قد نزل، فيأمره الله تعالى والمؤمنين معه، أن يذهبوا إلى جبل الطور، لأن الله لم يأذن لأحد من خلقه أن يقاتلهم [صحيح مسلم بلفظ «**أوحى الله إلى عيسى أنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور**» الحديث من حديث النواس بن سمعان (فتح ١٣/ ١١٧)] ويخرجوا فيقضوا=

= على الأخضر [أخرج عبد ابن حميد من حديث عبدالله بن عمرو «**فلا يمرون بشيء إلا أهلكوه**» (فتح ١٣/ ١١٧)] واليابس فيمروا على البحر فلا يبقى شئ فى البحر فيمر آخرهم فيقولون قد كان هنا ماء [فى حديث النواس بن سمعان المتقدم بلفظ: «**لقد كان بهذه مرة ماء**»] ثم يضربون السماء فيردها الله عليهم مخضوبة دماً [فى رواية لمسلم أيضاً أشار بها الحافظ فى الفتح (١٣/ ١١٧، ١١٨)] وقالوا قبل ذلك قتلنا من فى الأرض فهلم نقتل من فى السماء وهذه فتنه لهم يرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى فيرسل طيراً كأعناق البخت فتحملهم ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه مدر ولا وبر فتغسل الأرض منهم ثم ينزل عيسى من الطور حينئذ وبعد ذلك تعم البركة والله يأمر الأرض أن تخرج بركاتها، فتخرج الرمانه يأكل منها الرهط ويستظلون تحتها [هذا مؤدى حديث النواس بن سمعان].

* وكلنا يعلم أن الدجال قال النبى ﷺ إنه يسيح فى الأرض أربعين يوماً يوماً كسنة ويوماً كشهر، ويوم كأسبوع، وباقى الأيام كأيامكم، فكان الصحابة يسألون النبى ﷺ هل نصلى فى هذه الأيام صلاة يوم فقال ﷺ «**لا ولكن اقدروا لها قدرها**» أى تصلى فى اليوم كسنة صلاة سنة [هذا مؤدى حديث النواس بن سمعان].

ويقال أنه حينما يخرج يدعى الصلاح ثم النبوة ثم الربوبية وأنه سيأتى بمثل الجنة ومثل النار وأن من قرأ آخر سورة الكهف ثم شرب من النار ستصبح ماء عذبًا وأن طعام المؤمنين فى زمن الدجال التسبيح وأن هذه الفتنة من ذهب إليها أضاعته، ولهذا نصح النبى ﷺ عدم التصدى لها ولا لغيرها وسيكون أكثر أتباعه من النساء واليهود، وهو مليكهم الذى ينتظرونه الآن ويبنون له مملكة صهيونية، وهو مسيح الضلال، ولكن مسيح الهدى هو مسيح الحق . هو عيسى ابن مريم، وهو مسيح المسلمين، وسمى بالمسيح لأنه يمسح الأرض، ويقتل الدجال، وسمى المسيح الدجال لأنه كذاب، ويقول النبى ﷺ مكتوب على جبينه كفر يقرؤها كل مؤمن قارئ، وغير قارئ، أما المنافق فلا يقرؤها، وأيضا صفة أخرى تدل على كذبه، أنه أعور والله ليس بأعور، لأن هذا من صفات النقص، والله سبحانه وتعالى له صفات الكمال.

وهو موجود الآن فى بعض الجزر، وهذا فى حديث تميم الدارى حينما رأى دابة تكلمه تسمى الجساسة لايرى قبلها من دبرها من كثرة الشعر، فقالت له يوجد رجل يتشوق لخبركم، وهو الدجال فدخلوا فوجدوه مكبلاً.

فسألهم عن خروج النبى ﷺ وعن بحيرة طبرية هل جفت أم لا، وعن نخل بيسان، فأنبأهم ما سيحدث لنخل بيسان. وما سيحدث من جفاف بحيرة طبرية، والنبى ﷺ قال: «**مامن نبى إلا وأنذر قومه الدجال وقال: «إن يظهر وأنا فيكم فأنا حجيجكم**» وحينما قالوا إن ابن صياد هو الدجال تصدى له النبى ﷺ تصديقا للحديث وحينما أراد عمر رضى الله عنه أن يقتل ابن صياد لظنه أنه الدجال فقال النبى ﷺ إن كان هو فلن تستطيع الوصول إليه، لأن الذى سيقتله ليس أنا ولا أنت؛ إنما الذى سيقتله عيسى ابن مريم عليه السلام.

وهنا يقول قائل: كيف يقول النبى ﷺ فى الحديث إن يظهر وأنا فيكم فأنا حجيجكم؟!

نعم محاجة النبى ليس بقتل المسيح الدجال، ولكنه بالتصدى إليه، لأنه يعلم أن قتله على يد عيسى ابن مريم.

فقال: إن كان هو فلن تستطيع الوصول إليه، وإن كان غيره فليس فى قتله خير، وتصدى هو عليه الصلاة والسلام مصداقاً للحديث، «**وإن يظهر بعدى فالله خليفتى على كل مسلم**».

وقال النبى ﷺ إنه لن يدخل مكة ولا المدينة فإذا أراد أن يدخلها وجد ملائكة على أنقابها بمطارق تدفعه وتتصدى له. =

= وإذا وصل إلى المدينة ومكة فيرجفان ٣ رجفات، فيخرجان كل من فيها من المنافقين رغم أنفهم ويقول النبى ﷺ فتخرج خبثها.

وأيضاً قيل أنه سينزل فى قصر فى عوالى المدينة وهو موجود الآن، وحينما قال العلماء أن هذا القصر هو الذى سينزل فيه، فلم يُسكن فيه، فلا يستطيع الدجال الدخول للمدينة، فيسكن القصر وينظر إلى المسجد النبوى، ويقول: هذا قصر محمد يعنى ليس مسجد محمد ولا مسجد الرسول، وحينما قال النبى ﷺ كان المسجد من البوص، وهذا ما سيؤيد تلبيس الدجال لأتباعه من اليهود، فيقول لهم هذا قصر محمد.

ويكون فى هذا الوقت ملاحم مع عيسى والمهدى المنتظر، ثم يظهر، وفى ترتيب الحديث ونزول الدخان والدجال، والدابة وخروج الشمس من مغربها، ونزول عيسى قبل ذلك.

نعم نزول عيسى بعد الدجال، لكن بين الدجال وعيسى، ظهور المهدى، والراجح أنه قبل الدجال.

ويفتح المسلمين روما فى هذا الوقت وهم يجمعون الغنائم فيسمعون صارخ وهو إبليس يقول لهم أن المسيح الدجال خلفكم فى أهلكم ونساءكم، فيلقون مامعهم من أموال، ثم يرجعون لمقاتلة الدجال ومؤازرة الأهل الذين خُلِّفوا فى الديار.

ثم يحدث للمسلمين شده وفقر مع المهدى وزلزلة فبينما هم كذلك مع المهدى يسمعون صوتاً فيقول أمامهم هذا صوت رجل شبعان عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل فيقربه المهدى فلا يتقدم ويصلى مأموماً خلف إمامنا.

دليلاً على أنه لن ينزل بشريعة جديدة إنما ينزل تابعاً لشريعة محمد.

وغير أنه لا يقبل الجزية وهذه من شريعة محمد ﷺ فى آخر الزمان.

فقبل نزول عيسى تقبل الجزية من اليهود والنصارى عن يدهم صاغرون.

أما بعد نزول عيسى فلن يقبل الجزية ولكنه يقبل الإسلام أو القتل.

ينزل عيسى عليه السلام كما قال النبى ﷺ فى حديث أبى هريرة «**والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها**».

ثم يقول أبى هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ وهذا دليل على أنه لم يموت.

فينزل عيسى فيصلى خلف المهدى وحينما يشم رائحته الدجال يذوب كما يذوب الملح فيقول لولا قضى الله لى أن أقتلك برمحى لتركتك تذوب، فيقتله برمحه فيستريح البلاد والعباد من شروره.

وبعد ذلك يخرج يأجوج ومأجوج، فيؤمر عيسى ابن مريم بالذهاب إلى الطور ثم يقضى الله ما تقدم ثم ينزل عيسى بعد القضاء على يأجوج ومأجوج لذا جاء فى الحديث عيسى وبعده يأجوج.

ثم ينزل عيسى ابن مريم وتملأ الأرض بركة [راجع فى ذلك كله شرح كتاب الفتن فى فتح البارى (١٣/ ٩٦: ١١٨) باب ذكر الدجال، وباب يأجوج ومأجوج أحاديث (٧١٢٢: ٧١٣٤)].

ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «تقبل توبة العبد مالم يغرغر» وفى رواية «تقبل توبة العبد مالم تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً أن سواء هو مالم يثبت لو تاب بعد طلوع الشمس فلن تقبل أو كان تائياص ولم يفعل خيراً ثم فعله بعد طلوع الشمس من مغربها فلن تقبل أن.

اختلف العلماء فى أول أشراط الساعة ظهوراً، فقال بعض أهل العلم:

إن أول الظهور الدخان. . .الدجال . . .الدابة. . .ثم طلوع الشمس.=

ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك ناراً تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»(١).

وفى الصحيحين عن ابن عمر، قال: ذُكِرَ الدجال عند النبى ﷺ فقال: **«إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأنه عنبة طافية»**(٢).

= واستدلوا بحديث أبى حذيفة المتقدم، حيث قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، فقالوا إنها ستخرج على هذا الترتيب فى هذا الحديث.

واستدلوا بأدلة أخرى أيضاً على أولية هذه الأمور: الدخان.. الدجال.. الدابة.. طلوع الشمس.

فقال بعضهم الأولية لما جاء فى ـ حديث ابن عمرو ـ قال ﷺ **«وإن أول الآيات ظهوراً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس»** ـ أو كما قال ﷺ ـ هذا نص آخر فى المسألة على الأولية.

وذهب بعض أهل العلم إلى الجمع بين الحديثين: حديث أولية طلوع الشمس ثم الدابة.

وبين من قال أن الأولية للدخان ـ للدابة.

قالوا إن أول الآيات خروجاً وهى خارقة للعادة، ما ذكر فى حديث، عبدالله بن عمر، وأما الآيات المألوفة للعادة، مثل الدخان، والدجال، والدابة، قالوا إنها أول الآيات التى ليست مألوفة قبل ذلك، وإن كان الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، قبل ذلك إلا أنها أمور مألوفة.

* ـ قوله ﷺ فى حديث عبدالله بن عمرو المتقدم، قال بعد أن ذكر ترتيباً: «أيهما ما كان قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا».

* ـ مثل قوله ـ ﷺ فى أشراط الساعة «كخرزات منظومات فى سلك انقطع».

* ـ كأنه شخص معه سُبحة فانقطعت فأى الحبات أولاً رأيتها وأيتها الأخيرة لا يعلم أحد بهذا أبداً فإذا وقعت الأولى فالأخرى على إثرها.

* ـ فمثل ذلك علامات الساعة إذا ظهرت واحدة فالباقى يليها.

* ـ إذن فإننا لا تستطيع أن نحدد الأولوية المطلقة من كلام أهل العلم.

* ـ أيضاً فلا فائدة فى معرفه الأولية وذلك لأنها ستأتى كلها على أثر الأولى ونسأل الله العفو والعافيه

* ـ فيجب علينا أن نبادر بالاعمال وذلك لأننا ننتظر الفقر أو المرض وإذا لم تبتلى بالفقر أو المرض فإنك ستقابل الدجال ونسأل الله العفو والعافيه وهذا شر غائب ينتظر وإذا عشت بعد ذلك فإنك ستقوم عليك الساعه والساعه أدهى وأمر.

* ـ لهذا جاء فى صحيح مسلم «بادروا بالأعمال الصالحة فتنًا كقطع الليل المظلم فتنًا يرقق بعضها بعضاً». فذكر نحوًا مما تقدم.

* ـ ذكر الماتن أولاً أشراط الساعة ثم ذكر الموت ثم ذكر عذاب القبر.

فلهذا يذكر الإماتة والبعث فى هذا الموقف «مميت بلا مخافة باعث بلا مشقة».

ثم بعد ذلك عذاب القبر وسؤال الملكين.

(١) أخرجه مسلم فى «الفتن وأشراط الساعة»/ باب: الآيات التى تكون قبل الساعة (٩/ ٢٥٤/ ح٢٩٠١) وأبو داود فى «الملاحم» / باب: أمارات الساعة (٤/ ١١٢/ ح٤٣١١).

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخارى فى «أحاديث الأنبياء» / باب: قول الله تعالى ﴿واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ (٦/ ٥٥٠/ ٣٤٣٩) ومسلم فى «الفتن»/ باب: ذكر الدجال (١٨/ ٥٩ ـ النووى).

روى البخارى وغيره عن أبى هريرة: قال ﷺ: «**والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها**»، ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**﴾ [النساء:١٥٩](١).

وقال تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ**﴾ [الإنعام:١٥٨].

وروى البخارى عند تفسير هذه الآية عن أبى هريرة: قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل**»(٢).

وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**﴾ [النمل:٨٢].

وروى مسلم عن عبدالله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها. وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً**»(٣).

أى أول الآيات التى ليست مألوفة، إن كان الدجال ونزول عيسى من السماء وخروج يأجوج ومأجوج قبل ذلك إلا أنها أمور مألوفة لأنهم بشر مشاهدة مثلهم مألوفة، أما الدابة التى تكلم الناس وتسمهم بالإيمان أو الكفر، والشمس التى تطلع من مغربها فذلك مما يخرج عن مجارى العادات، فالدابة على هذا أول الآيات الأرضية، وطلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية.

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: والأحاديث فى ذلك متواترة كما شهد بذلك كثير من الحفاظ المهرة، ولى رسالة فى ذلك

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «البيوع»/ باب: قتل الخنزير (٤/ ٤٨٣/ ح٢٢٢) ومسلم فى «الإيمان»/ باب: نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ (١/ ٤٦٦/ ح١٥٥) من حديث أبى هريرة.

وأنظر «كتابنا» ٢٠٠ سؤال من الإيمان».

(٢) أخرجه البخارى فى «التفسير»/ باب: لا ينفع نفساً إيمانها (٨/ ١٤٧/ ح٤٦٣٦).

(٣) أخرجه مسلم فى «الفتن»/ باب: خروج الدجال، ومكثه فى الارض (٩/ ٣٠٣/ ح٢٩٤١) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

حياة البرزخ(١)

مُميتٌ بلا مَخَافة ، بَاعِثٌ بلا مَشَقَّة.

أسميتها «قصة المسيح الدجال، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه» أرجو أن ييسر الله لى تبييضها.

*** قال ابن أبى العز:**

الموت(٢) صفة وجودية وليس عدماً كما يقول الفلاسفة ومن وافقهم، لأنه وصف فى القرآن بكونه مخلوقاً والعدم لا يوصف بذلك. قال تعالى: ﴿**الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الملك: ٢](٣).

وقال ﷺ: «**يُؤْتَى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار**»(٤). وهو

---

(١) **قلت** : حياة البرزخ: الحياة الفاصلة بين الموت والحياة. بينهما حياة تسمى الحياة البرزخية.
وسمى برزخاً من قول الله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾[الرحمن: ١٩ , ٢٠] وأيضاً البرزخ هو الفاصل بين الدنيا والآخرة هذه الحياة البرزخية وهى حياة أخروية من جهه أنها غيبيه..

(٢)**قلت** : وأنا أقول بالنسبه لنا.
لأن الله عز وجل خلقه يوم خلقنا فهو موجود له ذات، أما بالنسبه لنا عرضاً.
ويوم القيامه يذبح بين الجنة والنار ويقول لأهل الجنة خلود بلاموت ويقول لأهل النار عذاب بلا موت فيزاد أهل النار عذاباً فوق عذابهم ويزداد أهل الجنة نعيماً فوق نعيمهم.
قلت : ذكر بين يدى هذا الباب.
أن الله عز وجل مميت بلا مخافة.
مميت بلا مخافة لمن يميتهم لأن من يميت من البشر يكن فى تخوف من فعله وذلك من نقصه لكن الله سبحانه وتعالى مميت بلا مخافة.
ولأن كل شئ عليه يسير.

(٣) **قلت**: إذن قول الله سبحانه وتعالى ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.
دليل على أن الموت ليس بعدم كما ذهب إلى ذلك الفلاسفه ومن شايعهم.
إذن له وجود فيأتى فى صوره كبش والدليل على هذا الحديث المذكور أن له وجود.
قلت : الله سبحانه وتعالى يقلبه ذاتاً، جسماً، جرماً وإن كان بالنسبة لنا الآن ليس جسماً وإنما عرضاً، ويبقى دليل آخر على أن صاحب سورة البقرة وسورة آل عمران ليستا الآن كذلك فتأتى يوم القيامة كغمامتان أو غيايتان أو طائران يطران فوق صاحبيهما.
إذن فإن الله يقلب هذه الأعمال الصالحه بعد أن كانت لنا عرضاً يقلبه كذلك إلى ذات.

(٤) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «التفسير»/ باب: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ (٨/ ٢٨٢/ ح ٤٧٣٠) ومسلم فى «الجنة وصفة نعيمها»/ باب: النار يدخلها الجبارون (٩/ ٢٠٠/ ح٢٨٤٩). من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ.

وإن كان عرضاً فإن الله يقلبه عيناً، كما ورد فى العمل الصالح أنه يأتى صاحبه فى صورة الشاب الحسن، والعمل القبيح على أقبح صورة [1].

وكما رود فى القرآن أنه يأتى على صورة الشاب الشاحب اللون[2]، كما ورد فى سورة البقرة وآل عمران أنهما يوم القيامة يظلان صاحبهما كأنهما غمامتان، أو غيايتان أو فرقان من طير صواف[3].

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٤/ ٢٨٧) والحاكم فى «المستدرك» (١/ ٣٧) من حديث البراء بن عازب ـ رضى الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٥/ ٣٤٨) وابن ماجة فى «الأدب»/ باب: ثواب القرآن (٢/ ١٢٤٢/ ح٣٧٨١) والدارمى (٢/ ٤٥٠) من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه.
قال فى الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) ما قبله.

المبحث الثانى

عذاب القبر وفتنته

وَبِعَذَابِ القَبْرِ[1] لِمَن كَانَ لَهُ أَهْلاً، وَسُؤالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِى قَبْرِه عَن رَبِّه وَدِينِه، وَنَبِيِّه، عَلَى مَا جَاءَتْ بِه الأَخْبَار عَن رَسُولِ الله ﷺ وَ عَن الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِم.

وَالقَبْر رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّة، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.

---

* قال ابن أبى العز:

عذاب القبر:

وعذاب القبر هو عذاب البرزخ، وهو ينال من مات مستحقاً له قبر أو لم يقبر، ولو أكلته السباع، أو احترق حتى صار رماداً تذروه الرياح، أو غرق فى البحار، فيصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور.

تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ فى ثبوت عذاب القبر ونعيمه، فيجب الإيمان بذلك ولا يتكلم فى كيفيته.

قال تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾

(*) قلت: عذاب القبر وسؤال الملكين:

وقول الله سبحانه وتعالى هذا يرد على أشباه وأفراخ المعتزله والقرآنيين الذين يؤمنون بالقرآن ولا يؤمنوا بالسنة.

فنقول لهم هو ثابت فى القرآن فى أكثر من موضع ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[غافر: ٤٦].

والتكرار هنا له فائدة وليس عبثاً

أى هنا يوجد فرق بين العذابين هذا عذاب القبر ويوم تقوم الساعة يوجد عذاب آخر.

إذن فيجب عدم إنكار عذاب القبر وادعاء أنه لم يثبت فى القرآن.

وأيضاً يقول تعالى ﴿**وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.

دون ذلك قالوا عذاب القبر وهو محتمل لعذاب القبر أو غيره. أو عذاب البرزخ وهو أظهر.

* - وفى الصحيحين عن ابن عباس أن النبى ﷺ **مر بقبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير.**

وفى بعض الروايات **بلى إنه لكبير** أى عند الله لكبير.

أما أحدهما كان لا يستنزه من بوله أى لا يتطهر.

والثانى كان يمشى فى الناس بالنميمة.

نعم أشياء بسيطة فيما يبدو لنا أن يستبرىء من بوله أو أن يمسك بلسانه وعدم النميمة لكن عند الله كبير لذا قال ﷺ «**أنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير**». فدعا بجريدة رطبة ثم شقها نصفين لعلهما يخفف عنهما مالم يبسا وهنا اثبت أنهما يعذبان وأثبت أنهما أيضاً يمكن أن يخفف عنهم العذاب.

قلت: يجب عدم السؤال عن كيفية العذاب فى القبر لأنه عالم غيبى ولذا فلا نسأل عنه وعذاب القبر=

[غافر: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الطور: ٤٧]. وهو محتمل لعذاب القتل وغيره فى الدنيا، أو عذاب البرزخ، وهو أظهر لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب فى الدنيا.

وفى الصحيحين عن ابن عباس: أن النبى ﷺ مر بقبرين: فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة**» فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين، وقال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»(١).

وروى أحمد وأبو داود حديث البراء بن عازب، وفيه أن العبد المؤمن يفرش له فى قبره من الجنة ويفتح له باب إليها ويفسح له فى قبره مد البصر بعد أن يوفق للإجابة على أسئلة الملكين. وفيه أيضاً أن العبد الكافر يفرش له فى قبره من النار، ويفتح له باب إليها فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه بعد أن يخزل عند سؤال الملكين ولا يجد الجواب(٢).

والعذاب أو النعيم فى القبر إنما يكون للنفس والبدن معاً جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة فيجب الإيمان بذلك ولا يتكلم فى كيفيته إذ ليس للعقل مدخل فى ذلك لأنه لا عهد له به فى هذه الدار.

سؤال منكر ونكير:

أما سؤال منكر ونكير فقد استفاضت به أيضاً النصوص روى البخارى عن أنس: أن رسول الله

=سيحصل لمن يستحقه سواء قبر أولم يقبر مثل الرجل الذى أمر أولاده أن يحرقوه بعد موته ثم يسحقوه فيلقوه فى البحر وقال لإن قدر على ربى ليعذبنى عذاباً شديداً وهو إذا كان مكتوباً عليه عذاب القبر فسيجمعه الله ويعذبه فنؤمن بهذا العذاب وإن كنا لا نعرف كيفيته.

* وهنا يقول الملكان ما كنت تقول فى محمد وهنا نوع من أنواع التمويه فلا يقولا له ما كنت تقول فى الرسول محمد ﷺ.

وحينما جاء فى هذا الحديث أسماء الملكين صريحًا. كان لنا أن نقول أسمائهم، وأما باقى الملائكة فنؤمن بهم بالإجمال.

وهنا نقول أن هذه الأمة تبتلى فى قبورها وأيضاً بعض الأمم السابقة تبتلى فى قبورها.

ولكن لهذه الأمة مزية فى أن عذاب القبر قد يخفف عنهم بعض عذاب الأخرة وعذاب يوم القيامة.

كما قال ﷺ أمته أمة حرمومة لا عذاب عليها فى الأخرة عذابها فى الدنيا القتل الزلازل والفتن أو كما قال ﷺ.

قلت: وقولهم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران لا دليل على ذلك بنصه.

ولكن معنى الكلام هو إثبات عذاب القبر وأما هذه الجزئية فلا دليل عليها.

(١) **[متفق عليه]** أخرجه البخارى «الجنائز»/ باب: عذاب القبر من الغيبة والبول (٣/ ٢٨٦/ ح١٣٧٨) ومسلم فى «الطهارة»/ باب: نجاسة البول (١/ ٣/ ٢٠٠ ـ النووى) من حديث ابن عباس.

وانظر رياض الصالحين. (ح٨٥٤) بتخريجنا.

(٢) تقدم تخريجه وهو عند أحمد والحاكم.

ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه يسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان، فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله، فيقول له: أنظر إلى مقعدك فى النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً**»(١).

وفى صحيح أبى حاتم عن أبى هريرة، قال: قال النبى ﷺ: «**إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير....**»(٢).

هل سؤال منكر ونكير خاص بهذه الأمة:

فى المسألة ثلاثة أقوال ثالثها: التوقف، وهو قول جماعة منهم أبو عمر بن عبدالبر قال: وفى حديث زيد بن ثابت عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها**»(٣). منهم من يرويه «**تسأل**» وعليه يحتمل اختصاص هذه الأمة بذلك، وهذا أمر لا يقطع به ويظهر عدم الاختصاص، والله أعلم.

والسؤال فى القبر للروح والبدن معاً فيجب الإيمان بذلك وعدم السؤال عن الكيفية.

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: يعنى من الكفار، وفساق المسلمين، والأول مقطوع به منصوص عليه فى القرآن، والآخر كذلك وهو منصوص عليه فى أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر كما ذكر الشارح وغيره، فيجب الاعتقاد به، ولكن لا يجوز الخوض فى تكييفه، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته. والشرع لا يأتى بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتى بما تحار فيه العقول، فيجب التسليم به، وتجد بعض الأحاديث المشار إليها فى «الشرح»، وفى «السنة» لابن أبى عاصم (رقم: ٨٦٣ ـ ٨٧٧ ـ بتحقيقى وتخريجى).

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: وهى متواترة كما ذكرت آنفاً، إلا تسمية الملكين بمنكر ونكير ففيه حديث بإسناد حسن. مخرج فى «الصحيحة» (١٣٩١).

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

هذا قطعة من حديث أخرجه الترمذى (٢/ ٧٥) عن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ مرفوعاً بسند ضعيف، والطرف الأول أخرجه أبو يعلى، وفيه دراج كما فى «المجمع» وهو ذو مناكير. [والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران].

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٣/ ١٨٤ ـ الفتح) ومسلم (٧/ ٢٠٣ ـ النووى).
وانظر كتابنا (٢٠٠) سؤال وجواب فى الإيمان.

(٢) أخرجه الترمذى فى «الجنائز» / باب: ماجاء فى عذاب القبر (٣/ ٣٧٤/ ح١٠٧١) وقال: حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه مسلم فى «الجنة ونعيمها» (٩/ ٢١٨/ ح٢٨٦٧).

المبحث الثالث

انتفاع الموتى بالصدقة والدعاء

وَفِي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَاتِ(١).

---

* **قال ابن أبي العز:**

اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين:

* أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

* الثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم، والصدقة، والحج على نزاع فيما يصل من ثواب الحج. هل هو ثواب النفقة والحج للحاج كما روى عن محمد بن سيرين، أم هو ثواب الحج كما هو الرأي عند عامة العلماء.

واختلف في العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن؛ فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها. والمشهور من مذهب مالك والشافعي عدم وصولها. وزعم بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء من ذلك ألبتة لا الدعاء ولا غيره.

أدلة الجمهور:

استدل الجمهور على جواز انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه من غير تفرقة بين العبادات المالية والبدنية بالكتاب والسنة والإجماع والقياس.

---

(١) **قلت**: أدلتهم على النوع الأول حديث مسلم «**إذا مات ابن آدم أنقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به**».

* وفي رواية أخرى ذكرها المنذري قال فيها ﷺ نهراً أجراه، أوبيت لابن السبيل بناه. فبين صورة من صور الصدقة الجارية التي تسبب فيها إلا أنه سينتفع بها بعد موته مثل.

- علم ينتفع به أي مصحف ورثه.

- أو ولد صالح يدعو له.

* فإن كان لا يوجد فائدة في الدعاء للأموات فلماذا دعا النبي ﷺ لهم في الحديث؟! والأصل هو التأسي بالنبي ﷺ.

* أما من قال بجواز الأضحية عن الميت كالحنابلة فرأو ذلك قياساً على الصدقة.

ويقال لو صح هذا القياس لصح في هذه الصورة أنه لو وجد شخص ماتت أمه أو أبوه فجأة وأنه لو كان حيًا لتصدق. إذن فإن القياس بصح في مثل هذه الصورة.

* وأرى أن القياس لا يصلح في مثل هذه الأمور.

* وأرى والله أعلم أن المالكية والشافعية هم أسعد الناس بخلاف أبي حنيفة والإمام أحمد.

فمن أدلتهم على انتفاعه بالدعاء:

* قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠]. فقد أثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين من قبلهم، فدل على انتفاعهم بذلك.

* إجماع الأمة على الدعاء في صلاة الجنازة، وكذلك الدعاء بعد الدفن.

* قال ﷺ «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل**»(١).

* وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم كما في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، نسأل الله لنا ولكم العافية**»(٢).

ومن الأدلة على وصول ثواب الصدقة: ما جاء في الصحيحين عن عائشة: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»(٣).

*** قال ابن مانع:**

* قوله: «**وَفِي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِم مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَاتِ..**» الخ:

يعني: أن الأحياء هم الذين يدعون للأموات، ويسألون الله لهم الرحمة والمغفرة وقد عكس ذلك عباد الأموات؛ فدعوهم مع الله، ومن دون الله.

ودعوتهم شرك أكبر، مع أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم ولا يستجيبون لهم بشئ.

---

(١) أخرجه أبو داود في «الجنائز»/ باب: الإستغفار عند القبر للميت (٣/ ٢١٣/ ح٣٢٢١) من حديث هانى مولى عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في «الجنائز»/ باب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء (٣ / ٧ / ٤٥ ـ النووى) من حديث بريدة ـ رضى الله عنه.
انظر رياض الصالحين (ح٥٨٤) بتخريجنا.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى في «الجنائز»/ باب: موت الفجاءة البغتة وفي «الوصايا» / باب: ما يستحب لمن توفى فجاءة أن يتصدقوا عنه. (٥/ ٤٥٧/ ح٢٧٦٠) ومسلم في «الزكاة» / باب: وصول الصدقة عن الميت إليه (٣ / ٧ / ٨٩ ـ النووى).
انظر رياض الصالحين (ح٩٥٠) بتخريجنا.

قال الله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤].

فسمى هذا الدعاء شركاً.

وعباد القبور يدعون أن الأموات يقربونهم إلى الله زلفى.

* قوله: «الحين» الحين بالفتح: الهلاك.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قلت: نقل الشارح رحمه الله تعالى اتفاق أهل السنة على ذلك، ثم ساق الأدلة من الكتاب والسنة عليه، ولكنه فيما يتعلق بالصدقة لم يذكر إلا ما يدل على انتفاع الوالد بصدقة ولده، وهذا أخص من الدعوى كما لا يخفى. وقد شرحت هذا ونظرت فى الاتفاق المذكور فى «أحكام الجنائز» (ص: ١٧٣) فراجعه.

الفصل الثانى:
الإيمان بالمعاد

ونُؤْمِنُ بِـ : البعْث، وجَزَاءِ الأعْمَالِ يَوْمَ القيامَة، والعَرْضِ والحِسَاب[1]، وقِرَاءَةِ الكِتَاب، والثَّوَابِ والعِقَابِ، والصِّرَاطِ، والمِيزَان.

---

* قال ابن أبى العز:

الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل، والفطرة. وقد أكثر القرآن الكريم من إقامة الأدلة عليه، ودفع شبه المنكرين له فى غالب سوره، وذلك لأن الإقرار بالربوبية أمر فطرى بخلاف البعث فإن منكريه كثيرون.

ولما كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء فقد بين تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد فى شئ من كتب الأنبياء، حتى ظن بعض المتفلسفة أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ وجعلوا هذا حجة لهم فى أنه من باب التمثيل والخطاب الجمهورى! وهؤلاء ينكرون معاد الأبدان وينكرون القيامة الكبرى، وقولهم هذا غاية فى الفساد.

المسألة الأولى

عموم العلم بالقيامة الكبرى عند جميع الأنبياء

القيامة الكبرى معروفة عند جميع الأنبياء من لدن آدم إلى محمد ﷺ: ففى قصة آدم، قال تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]. ولما قال إبليس: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص: ٧٩ ـ ٨١].

---

(١) **قلت:** فالحساب للمؤمنين يسير بالنسبة لمن يؤتى كتابه بشماله أو يأخذ كتابه من وراء ظهره.

* وفى حديث الرؤية أن الله سبحانه وتعالى يقول يتبع كل من كان يعبد شيئاً ـ أى فى الدنيا ـ فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها كل من يعبد الله فقط سواء كان باراً وفاجراً.

فيقول لهم الله سبحانه وتعالى أنا ربكم أسجدوا فيقولون نعوذ بالله منك.

فيقول لهم وهل تعرفونه بعلامة فيكشف الله سبحانه وتعالى عن ساق فيسجد المؤمن ولا يستطيع أن يسجد الفاجر فيؤمر بهم فيطرحون فى النار [أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم (١١/ ٤٥٣/ ٦٥٧٣) من حديث أبى هريرة].

وفى رواية أبى هريرة: فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب جسرُ جهنم فتاج مسلم وتاج مخدوش وواقع فيها.

وأما نوح فقد قال: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ ـ ١٨]. وقال إبراهيم: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

وقد أمر الله نبيه أن يقسم على المعاد: قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾[سبأ: ٣]. وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

وأخبر عن اقترابها: قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]. وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وذم المكذبين بالمعاد: قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]. وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٨ ـ ٣٩].

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ إلى آخر السورة: [يس: ٧٨ ـ ٨٣].

افتتح سبحانه هذه الحجة بسؤال أورده ملحد، اقتضى جواباً، فكان في قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ ما يفي بالجواب. فلما أراد تأكيد الحجة وزيادة تقريرها قال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فاحتج بالإبتداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الآخرة، فمن قدر على تلك قدر على هذه، ولو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز. ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾. فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول، فإذا كان تام العلم كامل القدرة فكيف يتعذر أن يحيى العظام وهي رميم. ثم أكد الأمر ببرهان آخر يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر يقول: إن العظم إذا رم أصبح ذا طبيعة باردة يابسة، فكيف يرجع إلى الحياة التي لابد لها من طبيعة حارة رطبة؟ فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾. فأخبر بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ من الرطوبة والبرودة، فالذي يخرج الشيء من ضده ولا يستعصي عليه شيء، هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه!!.

جزاء الأعمال:

قال تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤]. وقال تعالى: ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ [النور: ٢٥]. والدين هو الجزاء. وقال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «يا عبادى، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(١).

العرض(*)

قال تعالى: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ [الحاقة: ١٨]. وقال تعالى: ﴿وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ [الكهف: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه (٦) فأما من أوتى كتابه بيمينه (٧) فسوف يحاسب حسابا يسيرا (٨) وينقلب إلى أهله مسرورا (٩) وأما من أوتى كتابه وراء ظهره (١٠) فسوف يدعو ثبورا (١١) ويصلى سعيرا﴾ [الإنشقاق: ٦ ـ ١٢].

وقال تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف: ٤٩].

وروى البخارى عن عائشة: أن النبى ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا

---

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (٨ / ٣٧٥ / ٥٥). من حديث أبى ذر ـ رضى الله عنه.

(*) قلت: وبعد دخول المؤمنين الجنة لا يكون أحداً أكثر دفاعاً عن الذين آمنوا فى النار إلاهم ويقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا يشفعهم الله فيهم ويأمر الملائكة فينزلون جهنم فيجدوهم قد امتحشوا.

لأن النار تأكل جميع الجسد إلا مواضع السجود فيخرجون ثم يضعهم الله سبحانه وتعالى فى نهر الحياة فينبتوا كما ينبت البقل وينختموا بختم الجهنميين ثم يكتب لهم الجنة.

* الحاصل: العرض والحساب والميزان والصراط وقراءة الكتاب حق وهنا قول المولى سبحانه وتعالى والوزن يومئذ الحق ﴿فأما من ثقلت موازينه (٦) فهو في عيشة راضية﴾.

* إذن نؤمن بالصراط والميزان تؤمن به ونؤمن بالأحاديث التى جائتا فيه والتى بلغت حد التواتر ونحن مع ذلك لا ندرى ماهو الكيف مع عدم إنكار ماله كأنكار بعض الطوائف الأخرى له.

* ولهذا ذكر الطحاوى فى طحاويته وسماها عقيدة لأهل أهل السنة والجماعة تميزاً عن غيرهم. من أهل البدع والأهواء فخالفهم أهل البدع وثبتت أهل السنة فى ذلك فجمعها وقال نؤمن.

بالبعث ونخالف من لا يؤمن بها من الطوائف الآخرى =

هلك». فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الإنشقاق: ٨]. فقال رسول الله ﷺ: «**إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب**»(١).

يعنى أنه لو ناقش فى حسابه لعبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم، لكنه تعالى يعفو ويصفح. قال ﷺ: «**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فعرضتان جدال ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتى كتابه بيمينه وحوسب حساباً يسيراً دخل الجنة، ومن أوتى كتابه بشماله دخل النار**»(٢). (رواه أحمد والترمذى عن أبى موسى الأشعرى)(*).

= * وأيضاً فى أشراط الساعه أنكر القاديانيه نزول عيسى عليه السلام وقالوا أنه لن ينزل ولكنهم قالوا أن الذى ينزل القاديانى الصغير.

* والميزان بحق لا ندرى عن كيفيته شيئاً ولا ندرى ماهو شكله لأنه يوجد موازين كثيرة جداً فى الدنيا بدون كفتين بل ويختلف ميزان الذهب عن ميزان القطن عن ميزان الحديد وهكذا.

(١) [**صحيح**] أخرجه البخارى فى «الرقاق» / باب: من نوقش الحساب عذب (١١ / ٤٠٧ / ح٦٥٣٧) من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٢) أخرجه الترمذى فى «صفة القيامة» / باب: ما جاء فى العرض (٤/ ٦١٧ / ح٢٤٢٥) من حديث أبى هريرة. رضى الله عنه.

قال الترمذى: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة.

(*) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

المبحث الثانى

الحوض

وَالحَوْضُ الَّذِى أَكْرَمَهُ الله تَعَالى بِهِ ـ غِيَاثًا لأمَّته ـ حَقٌّ.

*** قال ابن أبى العز:**

الحوض مورد كريم يمد من نهر الكوثر الذى هو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك. أباريقه عدد نجوم السماء، وعرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر. والأحاديث الواردة فى الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً منها:

ما رواه البخارى عن أنس: قال ﷺ: «**إن قدر حوضى كما بين أيلة (*) إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق عدد نجوم السماء**»(١).

وروى البخارى أيضاً عن سهل بن سعد الأنصارى قال: قال ﷺ: «**إنى فرطكم على حوضى، من مر على شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً**»(٢).

وروى البخارى ومسلم عن جندب بن عبدالله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا فرطكم على الحوض**»(٣).

أما الكوثر فهو نهر فى الجنة يشخب منه ميزابان إلى الحوض.

الحوض قبل الصراط وقبل الميزان:

والحوض فى العرصات قبل الصراط، لأنه يختلج عنه ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، مثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط. ففى حديث البخارى السابق: «**إنى فرطكم على حوضى، من مر**

(*) وأيلة مدينة كانت عامرة وهى بطرف بحر القلزم من طرف الشام يمر بها الحاج من مصر فتكون شماليهم ويمر بها الحاج من غزة وغيرها فتكون أمامهم «فتح البارى (١١/ ٤٧٨).

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «الرقاق» /باب: فى الحوض (١١ / ٤٧٢ / ٦٥٨٠).
ومسلم فى الفضائل» /باب: إثبات حوض نبينا ﷺ(٨ / ٦٥ / ح ٢٣٠٣).
من حديث أنس ـ رضى الله عنه.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «الرقاق» /باب: فى الحوض (١١ / ٤٧٢ / ح٦٥٨٢).
ومسلم فى «الفضائل» /باب: إثبات حوض نبينا ﷺ (٨ / ٥٩ / ح ٢٢٩٠).

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١١ / ٤٧٣) / ٦٥٨٩)، ومسلم (٨ / ٥٨ / ٢٥) كلاهما من حديث جُنْدَب ـ رضى الله عنه.

على شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً. ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم». وزاد أبو سعيد الخدري: «فأقول: إنهم من أمتي؟ فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»(١)(*).

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:

قلت: والأحاديث التي جاء ذكر الحوض فيها كثيرة جداً حتى بلغت مبلغ التواتر كما صرح بذلك جمع من الأئمة، ورواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً، وقد استقصى طرقها الحافظ ابن كثير في «النهاية» في آخر تاريخه، وعقد لها الحافظ ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» سبعة أبواب. ورقم (١٥٥ ـ ١٦١) ورقم الأحاديث (٧٣٤ ـ ٧٧٦ بتحقيقي) أشار في آخرها إلى تواترها بقوله: «والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي ﷺ توجب العلم...».

الميزان

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ ـ ٩]. وجمعت الموازين باعتبار تعددها، أو باعتبار تنوع الأعمال الموزونة.

وقد دلت السنة على أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان. جاء في حديث السجلات الذي رواه أحمد: «فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فتطيش السجلات، وتثقل البطاقة»(٢).

متى يكون الوزن؟

والوزن يكون بعد الحساب، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

ماهي الموزونات:

* وردت الأحاديث بوزن الأعمال نفسها: عن أبي مالك الأشعري قال: قال ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان»(٣). (رواه مسلم).

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخاري في «الرقاق» / باب: في الحوض (١١ / ٤٧٢ / ح٦٥٨٤).
ومسلم في «الفضائل» / باب: إثبات حوض نبينا ﷺ (٨ / ٥٩ / ٢٢٩١).
(*) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.
(٢) أخرجه الترمذي في«الإيمان» / باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٥ / ٢٤/ ح٢٦٣٩) وقال: حديث حسن غريب.
(٣) [صحيح] أخرجه مسلم في «الطهور» (١ / ١٣ / ١١٣) من حديث أبي مالك الأشعري.

وقال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»(١). (رواه البخارى).

* كما وردت أيضاً بأن العامل يوزن مع عمله: روى البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «**إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، قال: اقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾**(٢).

ماهى الحكمة من وزن الأعمال؟

لو لم يكن من الحكمة فى وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه وتعالى لجميع عباده لكان ذلك كافياً، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله عز وجل، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا أطلاع لنا عليه!؟.

الصراط

الصراط جسر على جنهم، وهو كحد السيف، دحض مزلة. فإذا فارق الناس مكان الموقف انتهوا إلى الظلمة التى دون الصراط. سئل رسول الله ﷺ: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فقال: «**هم فى الظلمة دون الجسر**»(٣).

ثم يمر الناس على الصراط فيمضون عليه على قدر نورهم:

* فمنهم من يمر كانقضاض الكواكب. ومنهم من يمر كالريح. ومنهم من يمر كالطرف. ومنهم من يرمل رملاً.

حتى يمر الذى نوره على إبهام قدمه، تخر يد وتعلق يد، وتخر رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فإذا خلصوا حمدوا الله عز وجل.

معنى الورود المذكور فى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾:

اختلف المفسرون فى الورود المذكور فى قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا**

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى«الذكر والدعاء»/باب فضل التسبيح (١١/ ٢١٠ /ح٦٤٠).
ومسلم فى «الدعوات» /باب: فضل التهليل والتسبيح (٩ /١٢ /٣١).

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى«التفسير» /باب: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ (٨/ ٢٧٩ /ح٤٧٢٩).
ومسلم فى «صفة القيامة والجنة والنار» (٩ /١٤٢/ح٢٧٨٥).
(*) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) أخرجه مسلم فى «الحيض» /باب: بيان صفة منى الرجل والمرأة (٢/ ٢٣٠/ح٣١٥). من حديث ثوبان مولى الرسول ﷺ.

مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢]. والأظهر: أنه المرور على الصراط.

قال ﷺ: «والذى نفسى بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة»، قالت حفصة. فقلت يا رسول الله: أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ فقال: «ألم تسمعيه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾»(١).

هل هناك صراط خاص بالمؤمنين؟

ورد فى الصحيحين: «إن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة»(٢). جعل القرطبى فى التذكرة هذه القنطرة صراطاً ثانياً للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد فى النار(*).

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (١٦ / ٥٧ / ـ النووى) وانظر كتابنا « ٢٠٠ سؤال وجواب فى الإيمان».
(٢) أخرجه البخارى فى «المظالم» / باب: قصاص المظالم (٥ / ١١٥ / ح ٢٤٤٠) من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه.
(*) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

المبحث الثالث

الشفاعة

وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الأَخْبَار.

---

* **قال ابن أبى العز:**

الشفاعة أنواع:(١) منها ماهو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

فالشفاعة تنقسم من حيث الشافع إلى قسمين.

أولاً: شفاعة لرب العالمين خالصة بغير سبب من المخلوقين أذن لهم فى الشفاعة وتنقسم هذه الشفاعة إلى شفاعة الله وشفاعة لكلام الله ـ عز وجل ـ القرآن.

ثانياً: شفاعة المخلوقين فى المخلوقين بإذن رب العالمين ـ وتنقسم إلى أربعة أقسام:

(١) شفاعة الملائكة.

(٢) شفاعة النبيين.

(٣) شفاعة النبى ﷺ وهى تنقسم أيضاً إلى ستة أقسام:

١ ـ شفاعته لأهل الموقف من أمته ومن غيرهم (الشفاعة العظمى).

٢ ـ شفاعته لقوم قد وجبت لهم النار ببعض ذنوبهم من الموحدين، فشفع لهم فى ألا يدخلوها.

٣ ـ والشفاعة الثالثة لأقوام من أمته دخلوا النار فيخرجون بفضل الله وبشفاعة النبى ﷺ.

٤ ـ دخول الجنة لأهل الجنة، فهم يقفون على بابها حتى يشفع لهم الرسول ﷺ فى دخولها فيدخلوها.

٥ ـ فى قوم دخلوا الجنة فيشفع لهم الرسول ﷺ فى رفع درجاتهم فى الجنة.

٦ ـ شفاعته فى بعض أهله من الكفار أن يخفف عنهم العذاب وهى خاصة بالنبى ﷺ وبعمه أبى طالب فقط، وأصل الحديث ثابت فى الصحيح أنه يوضع فى ضحضاح من نار تغلى منه دماغه.

كما تنقسم شفاعة النبى ﷺ من وجه آخر إلى قسمين:

---

(١) **قلت**: الناس فى الشفاعة طرفان ووسط طرف أثبت الشفاعة لأى أحد مثل عباد القبور الذين أثبتوا الشفاعة لأوثانهم وهذا طرف متطرف ومغالى فى الإثبات.

والثانى: نفوا الشفاعة مثل المعتزلة.

وأهل السنة والجماعة أثبتوا الشفاعة ولكنها شفاعة مقيدة بشروط وإنتفاء موانع كما ترى ذلك مفصلاً فى كتابى «مغنى المريد».

١ ـ شفاعة فى الدنيا فيما يستطيعه قدراً وشرعاً وفيه حديث الرجل الأعمى الذى سأل النبى ﷺ أن يرد عليه بصره فدعى له ﷺ بعد أن أمره أن يتوضأ ويصلى ركعتين ويسأل الله أن يشفع الرسول ﷺ، فيه وأن يقبل دعوة الرسول فيه، وهذه شفاعة فيما يستطيعه ﷺ قدراً وشرعاً وهو حى فى الدنيا.

٢ ـ والشفاعة فى الآخرة وهى التى تنقسم إلى الستة أقسام السابقة.

(٤) شفاعة المؤمنين وهى تنقسم إلى قسمين:

١ ـ شفاعة فى الدنيا فيما يقدر عليه المؤمن وهو حى قدراً وشرعاً، كما فى قوله ﷺ الثابت فى الصحيح «**اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما يشاء**»(١)، وهذه شفاعة إما فى جلب منفعة أو فى دفع مضرة، كما تسأل المشفع التجاوز عن الجرائم وجلب المنافع، وأيضاً من شفاعتهم قدراً وشرعاً أن يصلوا على المتوفى، وثبت أيضاً عن نبينا ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يموت فيصلى عليه أمة من الناس يبلغون مئة فيشفعون فيه إلا شفعهم الله فيه يوم القيامة**»(٢)، فهذه الشفاعة أصلها فى الدنيا تنفعه يوم القيامة.

وأيضاً فى رواية «**يبلغون أربعين، فيشفعون فيه إلا شفعهم الله ـ عز وجل ـ فيه**»(٣).

٢ ـ شفاعة المؤمنين فى الآخرة وفيه أحاديث فى الصحيحين وفى غيرهما.

أن المؤمنين حينما يمرون بالصراط المستقيم فيسقط من يسقط منهم فى النار ـ ثم يدخل من دخل منهم الجنة برحمة الله وفضله فليس هناك أحد أشد دفاعاً عن المؤمنين الذين وقعوا فى النار برحمة إخوانهم المؤمنين الذين دخلوا فى الجنة فيقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، فيأمر الله ـ عز وجل ـ الملائكة فتنزل تخرجهم من النار تعرفهم بأثار الصلاة وأثار الوضوء، فإن النار تأكل كل شئ من ابن آدم إلا مواضع الصلاة.

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

قلت: وهى متواترة أيضاً. وقد عقد لها ابن أبى عاصم فى «السنة» ستة أبواب (١٦٣ ـ ١٦٨) رقم الأحاديث (٧٨٤ ـ ٨٣٣) وساق طائفة منها الشارح رحمه الله فى شرحه، تضمنت أن شفاعته ﷺ ثمانية أنواع فليراجعه من شاء البحث والتحقيق فإنه هام.

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٣/ ٣٥١/ ١٤٣٢)، ومسلم فى البر والصلة (١٦ / ١٧٧ ـ النووى) عن أبى موسى به.
وانظر «رياض الصالحين» (٢٤٨ ـ بتخريجنا).

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم فى الجنائز (٧ / ١٧ ـ النووى) عن عائشة به.
وانظر «رياض الصالحين» (٩٣٤ ـ بتخريجنا).

(٣) [**صحيح**] أخرجه مسلم فى الجنائز (٧ / ١٨ ـ النووى) عن ابن عباس به.

المبحث الرابع

وجود الجنة والنار وأبديتهما

وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لاَ تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَ لاَ تَبِيدَانِ.

وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الجَنَّةَ والنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلاً فَمَنْ شَاءَ مِنْهُم إِلَى الجنة فضلاً منه ومن شاء منهم إلى النَّار عَدْلاً مِنْهُ وَ كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فَرَغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ.

---

* قال ابن أبي العز:

أولاً: وجود الجنة والنار الآن:

اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وأنكر ذلك المعتزلة والقدرية، وقالوا ينشئهما الله يوم القيامة.

أدلة أهل السنة:

استدل أهل السنة على أن الجنة والنار قد تم خلقهما فعلاً بما يأتي:

(١) إخباره تعالى أن الجنة والنار قد أعدتا فعلاً بصيغة الماضي: فبالنسبة لخلق الجنة قال تعالى: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال تعالى: ﴿**أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾ [الحديد: ٢١]. وبالنسبة لخلق النار قال تعالى: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾[البقرة: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا**﴾ [النبأ: ٢١ ـ ٢٢].

(٢) رؤية النبي ﷺ لهما، ففي ليلة المعراج رأى ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٥].

وفي الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء: «...**ثم انطلق بي جبرائيل حتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ماهي، قال: ثم دخلت الجنة فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك...**»(١).

وفي صحيح مسلم من حديث أنس: «**وأيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً**»، قالوا: وما رأيت يا رسول الله ؟ قال: «**رأيت الجنة والنار**»(٢).

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبدالله بن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ... فذكر الحديث وفيه: فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم

---

(١) [متفق عليه]أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء» / باب: ذكر إدريس عليه السلام (٦ / ٤٣١ / ح٣٣٤٢) ومسلم في «الإيمان» / باب: الإسراء برسول الله ﷺ (١ / ٤٨٩ / ح١٦٣).

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم (٢/ ٣٨٥ / ١١٢)، والنسائي (٣ / ٨٣ ـ السيوطي)

من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ ولفظه بتمامه: «**أيها الناس إني إمامكم. فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود. ولا بالقيام ولا بالانصراف. فإني أراكم أمامي ومن خلفي**» ثم قال «**والذي نفس محمد بيده! لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**» قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «**رأيت الجنة والنار**».

رأيناك تكعكعت! فقال: «**إني رأيت الجنة، وتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء...**»[1] الحديث.

أدلة القائلين بأنها لم تخلق بعد: استدل المعتزلة والقدرية على دعواهم بما يأتي:

* أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة، وأن يهلك كل من فيها ويموت لقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ [القصص: ٨٨]. ولقوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥].

* ما ثبت من أن الجنة قيعان، وأن غراسها ذكر الله والأعمال الصالحة. قال ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى، فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله اكبر**»[2]. وأيضاً عن جابر، عن النبى ﷺ قال: «**من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة**»[3]. قالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغراس معنى. وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿**رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**﴾ [التحريم: ١١].

مناقشة أدلة القدرية والمعتزلة: أجاب أهل السنة على الدليل الأول بأن قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ قد يكون المقصود به: كل شئ مما كتب عليه الفناء والهلاك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذا العرش فإنه سقف الجنة.

وقيل: المراد إلا ملكه، أو إلا ما أريد به وجهه، وذلك للتوفيق بين هذه الآية وبين النصوص المحكمة الدالة على بقاء الجنة والنار. أما الأدلة الأخرى فقد أجاب عليها أهل السنة بأنها تدل على أن ما أعده الله لأهلها فيها لم يكتمل خلقه كله، وأن الله لا يزال يحدث فيها شيئاً بعد شئ، وذلك متفق عليه. أما القول بأنها معدومة بمنزلة النفخ فى الصور، والبعث، فذلك باطل ترده الأدلة السابقة.

ثانيا: أبدية الجنة والنار:

الجنة والنار لا تفنيان ولا تبيدان، هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف. وقال جماعة من السلف ببقاء الجنة وفناء النار[4]. وذهب الجهم بن صفوان إلى القول بفناء الجنة والنار، وليس له

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «الكسوف» / باب صلاة الكسوف جماعة (٢ / ٦٢٧ / ١٠٥٢) ومسلم فى «الكسوف» / باب: ماعرض على النبى ﷺ (٣ / ٤٧٩ / ح١٧).

(٢) أخرجه الترمذى فى «الدعوات» / باب: ما جاء فى فضل التسبيح والتكبير (٥/ ٥١٠ / ح٣٤٦٢) وقال: حسن غريب.

(٣) أخرجه الترمذى فى «الدعوات» / باب: ما جاء فى فضل التسبيح والتكبير (٥ / ٥١١ / ح٣٤٦٤) وقال حسن صحيح غريب.

(٤) قال العلامة الألبانى فى «تخريج شرح الطحاوية»: [قلت: لم يثبت القول بفناء النار عن أحد من السلف وإنما هى آثار واهية لا تقوم بها حجة، وبعض أحاديثه موضوعة، لو صحت لم تدل على =

في ذلك سلف قط(*)، وكفره بذلك عامة أهل السنة. وشبهته في ذلك هو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، وأن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنعه في المستقبل. ووافقه على ذلك أبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة، لكنه قال: إن هذا يقتضي فناء الحركات، فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار، حتى يصيروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على الحركة. والحق أن الله عز وجل لم يزل رباً قادراً فعالا لما يريد.

أبدية الجنة:

فأما أبدية الجنة فهذا مما يعلم بالضرورة من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

قال تعالى عن نعيم الجنة: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**﴾ [الرعد: ٣٥]. وقال عن أهلها: ﴿**وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ [الحجر: ٤٨]. وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**﴾ [النساء: ١٢٢]. وقال تعالى: ﴿**جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [البينة: ٨].

ومن السنة:

قال ﷺ: «**من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت**»(١).

وقال ﷺ: «**ينادي مناد: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً**»(٢).

وقد تقدم ذكر ذبح الموت بين الجنة والنار، ويقال: «**يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**»(٣).

= الفناء المزعوم وإنما على بقاء النار، وخروج الموحدين منها، وقد كنت خرجت بعض ذلك في «الضعيفة» برقم (٦٠٦، ٦٠٧). ثم وقفت على رسالة مخطوطة في مكتبة المكتب الإسلامي للعلامة الأمير الصنعاني في هذه المسألة الخطيرة رد فيها على ابن القيم رحمه الله فعلقت عليها وخرجت أحاديثها وقدمت لها بمقدمة ضافية وقد طبعت بعناية المكتب الإسلامي.] أ هـ.

(*) قال الألباني في «تخريج شرح الطحاوية»: [يعني قوله بفناء الجنة؟ ونحن نزيد على المؤلف فنقول: وليس له سلفاً أيضاً في قوله بفناء النار؟ كما تسبقت الإشارة إلى ذلك آنفاً.] أهـ.

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٩ / ١٩١ / ٢١) بلفظ «**من يدخل الجنة ينعم لا يبأس. لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**» والترمذي (٤ / ٦٧٢ / ٢٥٢٦).

كلاهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي، وليس هو عندي بمتصل.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٩ / ١٩١ / ٢٢)، والترمذي (٥ / ٣٧٤ / ٣٢٤٦).

كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما.

قال الترمذي: وروى ابن المبارك وغيره هذا الحديث عن الثوري ولم يرفعه.

(٣) تقدم في «حياة البرزخ».

أبدية النار ودوامها:

وأما أبدية النار ودوامها فلأهل السنة فيها قولان:

* أن الله يخرج منها من يشاء، ثم يبقيها شيئا، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهى إليه. وهو منقول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم.

* أن الله يخرج منها من يشاء، ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له.

وهناك أقوال أخرى ظاهرة البطلان.

أدلة القول الأول:

* قال تعالى: ﴿**قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام: ١٢٨].

* قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ ولم يأت بعد هذين الإستثنائين ما أتى بعد الإستثناء المذكور لأهل الجنة وهو قوله ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾

* وقال تعالى: ﴿**لابثين فيها أحقاباً**﴾.

* وقد روى عبد بن حميد فى تفسيره عن عمر أنه قال: لولبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه(١).

* أن النار موجب غضبه، والجنة موجب رحمته وقد قال ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتى سبقت غضبى**»، وفى رواية «**تغلب غضبى**»(٢).

***أدلة القول الثانى:** ومن أدلة القائلين ببقائها وعدم فنائها:ـ

* الآيات التى تصرح بالتأبيد وعدم الخروج مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**لاَ يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا**﴾، وقوله ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾.

* أن أحاديث الشفاعة صريحة فى إخراج عصاة الموحدين من النار. فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم(٣).

* **قال ابن مانع:**

* **قوله: (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً...) إلخ:**

(١) ضعفه العلامة الألبانى فى «تخريج شرح الطحاوية».

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١٣ / ٣٩٥ / ٧٤٠٤)، ومسلم (٩ / ٧٨ / ، ٧٩ / ١٤).

كلاهما من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه.

(٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

* أجمع «أهل السنة والجماعة» على: أن الجنة والنار مخلوقتان. لأن أدلة الكتاب والسنة الدالة على ذلك، وقصة آدم ودخوله الجنة.

وإخراجه منها، معلومة عند كل من قرأ القرآن الكريم أو سمعه.

* ويرحم الله ابن القيم حيث قال[1]:

فحى على جنات عدن فإنها منازلنا الأولى وفيها المخيم

* وقد وردت الأحاديث الكثيرة، الدالة على وجود الجنة والنار.

كما فى حديث «صلاة الكسوف» الذى صرح به النبى عليه الصلاة والسلام فى رؤية الجنة والنار[2].

* وأجمع «أهل السنة والجماعة» على: أن الجنة لا تفنى ولا تبيد.

لقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وغير ذلك من الأدلة.

* وأما النار: فكذلك عند جمهور «السلف»: لا تفنى ولا تبيد، ولا يخرج منها أحد من أهلها.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]. بل أهل الجنة وأهل النار خالدون فيهما.

كما جاء فى الحديث الصحيح: «يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ وَلاَ مَوْت وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلاَ مَوت»[3].

وقد نقل عن بعض العلماء السالفين القول بفناء النار، ونسب ذلك إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ولكنه لم يثبت عنه.

وكذلك تلميذه ابن القيم بسط القول فى هذه المسألة فى كتابه «شفاء العليل» و«حادى الأرواح»، ولكنه لم يجزم بفناء النار[4].

---

(١) القصيدة الميمية لابن القيم ص(٢٦٠) طبعت فى آخر متن «القصيدة النونية».

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخارى فى «الكسوف» / باب: الصدقة فى الكسوف (٢ / ٦١٥ / ١٠٤٤ ـ الفتح) ومسلم فى الكسوف (٢ / ٦/ ١٨٩ : ٢٠٤ ـ النووى).

(٣) [متفق عليه] من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقد «تقدم».

(٤) «شفاء العليل» ص (٢٥٢ ـ ٢٦٤)، و«حادى الأرواح» (٤٣٣ ـ ٤٧١).

وراجع: مقدمة الألبانى لتحقيقه لكتاب «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار» للصنعانى.

بل قال ـ بعد أن ذكر أكثر من عشرين دليلاً على ذلك ـ : «إن قيل إلى أين انتهى قدمك فى هذه المسألة العظيمة؟

قيل: إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧].

ولكنه صرح فى كتاب «الوابل الصيب»: أن الجنة والنار لا تفنيان، وأن النار التى تفنى: نار عصاة الموحدين[١].

تنبيه

أورد ابن القيم فى «شفاء العليل» و«حادى الأرواح» قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] فى حق أهل النار.

والصواب: أنها قيلت فى أهل الجنة، فليحفظ.

ثم اعلم أن مقصد «أهل السنة والجماعة» من ذكر خلق الجنة والنار وعدم فنائها: الرد على «الجهم» وأتباعه المخالفين لنصوص الكتاب والسنة بآرائهم الباطلة، وعقائدهم الفاسدة.

وقد تصدى ابن القيم وغيره من «أهل السنة» لحكاية أقوالهم والرد عليها ونصر السنة والذب عنها.

و«الجهم» إنما سلك هذا المذهب الوخيم، طرداً للدليل عنده، وهوالدليل المسمى بـ «دليل الأكوان».

إذ مبناه على قطع التسلسل، وهو: منع حوادث لا أول لها؛ فكذلك يمتنع حوادث لا آخر لها.

والرد عليه مبسوط فى «النونية». وقد حكى ابن القيم قول «الجهم» فى فناء الجنة والنار، ورد عليه فى أبيات منها:

وقضى بأن النار لم تخلق ولا ... جنات عدن بل هما عدمان
فإذا هما خلقا ليوم معادنا ... فهما على الأوقات فانيتان
وتلطف العلاف من أتباعه ... فأتى بضحكة جاهل مجان
قال الفناء يكون فى الحركات لا ... فى الذات واعجباً لذا الهذيان[٢]

(*) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

اعلم أن النار فى الآخرة ناران: نار تفنى، ونار تبقى أبداً لا تفنى، فالأولى: هى نار العصاة المذنبين من المسلمين، والأخرى: نار الكفار والمشركين، هذا خلاصة ما حرره ابن القيم ـ رحمه الله

(١) الوابل الصيب ص (٢٤).
(٢) «القصيدة النونية» بشرح هراس (١ / ٣٥).

ـ فى «الوابل الصيب» وهو الحق الذى لا ريب فيه، وبه تجتمع الأدلة، فلا تغتر بما ذكره الشارح هنا، وابن القيم فى «شفاء العليل» و«حادى الأرواح» مما قد ينافى هذا الذى لخصته، فإنهما لم يتبنيا ذلك. وليس فيه أى دليل صريح صحيح يدل على فناء نار الكافرين، والله تعالى كما قال فى أهل الجنة: ﴿**لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ [الحجر:٤٨] قال مثله فى الكافرين: ﴿**وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾ [البقرة: ١٦٧]. وما روى عن عمر رضى الله عنه. وغيره لايصح إسناده.

(*) قال الشيخ محمد ناصرالدين الألبانى:

يشير إلى قوله ﷺ: «**فرغ الله إلى كل عبد من خمس: من أجله، ورزقه، وأثره، ومضجعه، وشقى أو سعيد**»[1] وهو حديث صحيح مخرج فى «المشكاة» (١١٣)، و«السنة» (٣٠٣ ـ ٣٠٩) والأحاديث فى معناه كثيرة معروفة.

الخلاصة

الفصل الأول: حياة البرزخ:

ـ أشراط الساعة كثيرة منها: الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك، وهى آيات تقع على مشارف قيام الساعة.

ـ يجب الإيمان بسؤال الملكين للميت فى قبره، وبعذاب القبر ونعيمه، للروح والبدن معاً، دون السؤال عن كيفية وقوع ذلك لأن حياة البرزخ تختلف تماماً عن جنس الحياة الدنيا.

---

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٥/ ١٩٧).

من طريق: النضر، ثنا الفرج بن فضالة، ثنا خالد بن يزيد، عن أبى حلبس، عن أم الدرداء، عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث.

قلت: قلت لكم توجيه ابن مانع لكلام ابن القيم الذى فيه فناء النار برغم أنه لم يقطع بذلك على أنها نار العصاه.

* وجد إشكال هنا.

وهنا قال إن النار التى ستفنى هي نار الموحدين وأن النار التى لا تفنى هى نار العصاه.

والأدلة هنا على فناء نار الموحدين واستدلوا بكلام ابن القيم.

وهذا الأشكال لم ينته.

والرد أن معنى الآية ﴿**رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ [الحجر: ٢].

أن النار يوجد بها الموحد والمشرك فحينما يأذن الله بخروج المؤمنين يتمنى المشرك أن يكون موحداً.

* وقال تعالى فى سورة آل عمران ﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣١] فإن كانت هذه النار التى يتوعدنا بها ويقول أن هذه النار التى لم تعد لكم ولكنها أعدت للكافرين حتى أن الكفار يعيرون المؤمنين فى النار فيقولون ما أغنى عنكم إيمانكم فى الدنيا شيئاً فيعيرونهم.

فيغار الله على عباده المؤمنين.

وهنا يأذن بالشفاعة فيخرجوا، وبعد ذلك يود الذين كفروا أن يكون مسلمين لكى يخرجوا.

- الأرواح فى البرزخ متفاوتة فى منازلها أعظم تفاوت: فمنها ما يكون فى أعلى عليين كالأنبياء. ومنها ما تكون فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة كالشهداء، ومنها ما يحبس على باب الجنة، ومنها ما يحبس فى القبر، ومنها ما يكون فى الأرض، ومنها ما يكون فى ألوان أخرى من العذاب.

- الروح جسم نورانى علوى مخلوق، يسرى فى البدن فيعطيه صفة الحياة، فإذا انتهى الأجل فارقت الروح الجسد، وانتهى تعلقها به فى الدنيا، إلا إن لها بالجسد نوع تعلق بكيفية أخرى فى البرزخ، ثم يكمل تعلقها بالبدن يوم البعث لاستحقاق حياة الخلود إما فى النعيم، أو فى الجحيم.

- اتفق أهل السنة على انتفاع أموات المسلمين بثواب ما تسببوا إليه من خير فى حياتهم، وبدعاء المسلمين واستغفارهم لهم، كما اتفقوا على أن قضاء الدين عن الميت وصيام النذر عنه يبرئ ذمته. بينما اختلفوا فى وصول ثواب بقية العبادات من الأحياء لهم كالصلاة، والحج، وقراءة القرآن.

الفصل الثانى: الإيمان بالمعاد:

- القيامة الكبرى معلومة عند جميع الأنبياء من لدن آدم إلى محمد ﷺ. وقد أكثر القرآن الكريم من إقامة الأدلة على الإيمان باليوم الآخر، وكفر من كذب به من الجاحدين.

- يصير جسد ابن آدم بعد موته تراباً إلا عجب الذنب الذى منه خلق، ومنه يعاد الجسم بعد أن يبلى كله، وذلك عندما يأذن الله بالبعث يوم القيامة.

- يعرض الخلق يوم القيامة على ربهم، ثم يصعقون حين يتجلى الله عز وجل إذا جاء لفصل القضاء بين العباد.

- الحوض مورد كريم يمد من نهر الكوثر، تشرب منه أمة النبى ﷺ، فلا يظمأ من شرب منه أبداً.

- توضع أعمال العباد فى الميزان بعد الحساب يوم القيامة لإظهار مقاديرها حتى يكون الجزاء بحسبها.

- الصراط جسر كحد السيف على جهنم، يمر عليه المؤمنون دون المنافقين، ويعطى الناس يومئذ من النور والسرعة أثناء ورودهم عليه على قدر أعمالهم. ثم يقف المؤمنون الذين عبروا الصراط على قنطرة المظالم حتى يقتص بعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة.

- شفاعة النبى ﷺ أنواع عديدة ثابتة فى السنة، كما ثبت أن للملائكة والشهداء والمؤمنين شفاعة أيضاً، على أن أحداً لا يملك الشفاعة حتى يأذن الله عز وجل.

- الجنة والنار مخلوقتان قبل الخلق، وهما باقيتان أبداً، ولا تفنيان.

أسئلة تدريبية على الباب

س١: ما أشراط الساعة؟ اذكر نبذة عن كل منها مع الاستدلال.

س٢: اذكر عقيدة أهل السنة فى عذاب القبر ونعيمه، مع ذكر الأدلة على ما تقرر؟

س٣: عما يسئل الميت فى قبره؟ وهل السؤال يكون لروحه فقط، أم الروح والبدن جميعاً؟

س٤: الأرواح فى البرزخ متفاوتة فى منازلها. وضح ذلك وفقاً لما جاءت به السنة؟

س٥: ضع علامة(✓) أو (✗) أمام العبارات الآتية:

الموت صفة عدمية تعنى عدم الحياة. ( )

عذاب القبر أو نعيمه يكون للروح فقط ( )

سؤال الملكين فى القبر يكون للروح والبدن جميعاً. ( )

القبر إما حفرة نار دائمة لا تنقضى، أو روضة جنة دائمة. ( )

الروح جسم نورانى علوى قديم غير محدث. ( )

تموت الروح بمفارقتها الجسد إذا انتهى أجل المرء. ( )

قد يطلق لفظ النفس على الروح حال اتصالها بالبدن. ( )

الروح تتعلق بالبدن فى الدنيا ويوم البعث، وتنفصل عنه حال النوم فى البرزخ. ( )

حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء والشهداء. ( )

ينتفع الموتى كلهم بدعاء الأحياء واستغفارهم لهم. ( )

يصوم ولى الميت عنه صوم الفرض، ويطعم عنه فى صوم النذر. ( )

قضاء الدين عن الميت يبرئ ذمته ولو كان من أجنبى. ( )

أجمع السلف على وصول ثواب إهداء قراءة القرآن للموتى. ( )

الشفاعة حق خالص لله عز وجل لا يأذن به لأحد من خلقه. ( )

المشركون يخرجون من النار بشفاعة الشافعين. ( )

يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فى أهل الكبائر من الموحدين. ( )

أنكر المعتزلة والخوارج شفاعة النبى العظمى. ( )

س٦: هل النفس والروح شئ واحد؟ دلل على ما تقول.

س٧: ما الأمور المجمع على وصول أجرها إلى المسلم بعد مماته؟ وما الأمور التى اختلف فى وصولها إليه ؟ أجب من الاستدلال والترجيح.

س٨: القيامة الكبرى معروفة عند جميع الأنبياء. وضح ذلك مع التفصيل والإستدلال؟

س٩: ما الفرق بين الحساب فى قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ [سورة الأنشقاق: ٧ ـ ٨] وفى الحديث: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك»؟

س١٠: متى يصعق الناس يوم القيامة؟ دلل على ما تقول.

س١١: ما أوصاف حوض النبى ﷺ ؟ ومن الذى سيشرب منه؟

س١٢: كيف توزن الأعمال يوم القيامة؟ ومتى يكون الوزن؟

س١٣: كيف يتفاوت نور المؤمنين وسرعتهم على الصراط يوم القيامة؟

س١٤: اشرح قول الله عز وجل: «**إن منكم إلا واردها**».

س١٥: ما أنواع الشفاعة؟ وكيف افترقت الأقوال فى إثباتها؟

س١٦: ماذا يعنى الاستثناء الوارد فى قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾؟(*)

(*) من «تهذيب الطحاوية» للدكتور/ صلاح الصاوى.

الباب السادس

الإيمـــان بالقدر

يتوقع منك أخى الدارس والداعى وأختى الدارسة والداعية بعد دراسة جادة لهذا الباب أن تكون ملماً بما يلى:

(١) أصل القدر ونزاع الفرق فيه: (وأصل القدر سر الله تعالى فى خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبى مرسل، والتعمق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان..).

(٢) الإيمان بالقدر من أصول الدين: (ونؤمن بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، من الله تعالى)، (وذلك من عقد الإيمان، وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته)، (وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه فى كل كائن من خلقه، فقدَّر ذلك تقديراً محكماً مبرماً).

(٣) عموم القدرة والمشيئة: (وكل شىء يجرى بتقديره، ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن)، (والخير والشر مقدران على العباد)، (وكل شىء يجرى بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره) (تقدس عن كل سوء وحين، وتنزه عن كل عيب وشين)، (ولا يكون إلا ما يريد).

(٤) أفعال العباد: الإيمان باللوح والقلم: (وأفعال العباد هى خلق الله، وكسب من العباد).

(ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شىء كتبه الله تعالى أنه كائن ليجعلوه غير كائن، لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شىء لم يكتبه الله تعالى ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة)

(وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه).

(١) مرض القلب فى القدر: (فويل لمن صار قلبه فى القدر قلباً سقيماً، لقد التمس بوهمه فى فحص الغيب سراً كتيماً وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً).

(٢) الإستطاعة وعلاقتها بالتكليف: (الإستطاعة التى يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذى لا يجوز أن يوصف المخلوق به، تكون مع الفعل، وأما الإستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات فهى قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب)، (ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم وهو تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله..) (نقول: لا حيلة لأحد، ولا حركة لأحد، ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله) (والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقى من شقى بقضاء الله).

(٣) العلم الموجود والعلم المفقود: (فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى...).

المبحث الأول

أصل القدر ونزاع الفرق فيه

وَأَصْلُ القَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الخِذْلاَنِ، وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ ودَرَجَةُ الطُّغْيَانِ.

فَالحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ القَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

مذهب أهل السنة:

*** قال ابن أبي العز:**

والذي عليه أهل السنة أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأنه تعالى هو الخالق لأفعال العباد، فهو يريد الكفر ويشاؤه، ولكن لا يرضاه ولا يحبه، فيريده كوناً، ولا يرضاه ديناً. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وقال تعالى ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]. وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

*** قال ابن مانع:**

قوله: (وَأَصْلُ القَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ...):

قال «الشارح[1]»: «أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأمات وأحيا وأضل وهدى.. والذي عليه أهل السنة والجماعة أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كوناً، ولا يرضاه ديناً».

قلت: وهذه الإرادة هي الإرادة الكونية القدرية[2].

---

(١) «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٣٢٠، ٣٢١).

(٢) [قلت] والمؤمن اجتمع فيه الإرادة الكونية القدرية والإرادة الشرعية ذلك لأنه حينما أراد الله للمؤمن=

وأما إرادة الإيمان من المؤمن وسائر الأعمال الصالحة، فهى إرادة كونية قدرية شرعية.

وكل أفعال العباد من طاعة ومعصية، وكفر وإيمان، وقع ذلك منهم بمشيئة الله تعالى.

وهذا معنى: «ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن».

* **قال ابن أبى العز:** فى شرح [والتعمق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان].

التعمق: المبالغة فى طلب الشيء، والذريعة: الوسيلة، والخذلان: فى مقابلة النصر أى أن المبالغة فى طلب القدر والغوص فيه وسيلة إلى الخذلان والحرمان.

وقال فى شرح [والحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة].

عن أبى هريرة قال: جاء ناس من أصحاب النبى ﷺ إليه فسألوه: «إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به! قال: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نعم، قال «ذلك صريح الإيمان»(١) رواه مسلم(٢).

وعن ابن مسعود قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة فقال «تلك محض الإيمان»(٣) رواه مسلم(٤).

=شرعاً الصلاح صار من الصالحين وحينما أراد له شرعاً أن يعمل الصالحات عمل به وهو كوناً أراد له ذلك فهو كوناً وقدراً من الصالحين ومن العاملين بالصالحات فاجتمعت الإرادة الكونية القدرية والشرعية للمؤمن.

أما الكافر فاجتمعت فيه الارادة الكونية فقط.

(١) **[صحيح]** أخرجه مسلم (١/ ٤٣٠/ ٢٠٩)، وأبو داود (٤/ ٣٣١/ ٥١١١).

كلاهما من طريق: جرير، عن سهيل، عن أبيه، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه.

(٢) **قلت:** الوسوسة حينما يأتى الشيطان يوسوس له فيقول من خلق كذا فيقول الله ومن خلق كذا فيقول الله فيقول من خلق الله وهذا أمر عظيم لا يستطيع أن يقولها وحينما سمع النبى ﷺ أنهم لا يستطيعون أن يقولوها فقال النبى ﷺ وجدتموه فقال **«ذاك صريح الإيمان»**.

ومثلاً أن يقول أن الله قدر المعصية قبل المعصية فهذا عدل وهذا ضعيف الإيمان وضعيف العلم لأنى أعلم من أبتلى بالوسوسة ورفعت عنه ببركة العلم.

لأن الشيطان يسيطر على الجاهل المريض أكثر من العالم الصحيح.

(٣) **[صحيح]** أخرجه مسلم (١/ ٤٣٠، ٤٣١، ٢١١) من حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه.

(٤) **قلت:** والوسوسة ليست بأن تتوضأ ساعتين أو أن تكون فى الحمام ساعتين أما الوساوس فهى التى تقدح فى ذات الله سبحانه وتعالى.

وكمال علمه وكمال قدرته حينما يأتى لك هذه الوساوس فتستطيع أن تردها وهذا هو محض الإيمان.

وفى بعض الروايات.

يأتينى الشيء لأن أخر من السماء فأقع على الأرض أحب إلى أن أنطق به فيقول النبى ﷺ **«الله أكبر الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسواس»**. [أخرجه أبو داود].

هذه هى طريقة الصحابة والتابعين فى مدافعة أمر الوساوس الشيطانية لاسيما التى فى ذات الله فارجع إلى المسلمات. =

هذه هى طريقة الصحابة والتابعين «أى مدافعة الوسوسة الشيطانية استعظامها» ثم خلف من بعدهم خلف سودوا الأوراق بتلك الوساوس التى هى شكوك وشبه. ولذلك أطنب الشيخ فى ذم الغوص فى الكلام والقدر.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قلت: وهذا التعمق هو المراد - والله أعلم - بقوله ﷺ: «.... **وإذا ذكر القدر**(١) **فأمسكوا**»(٢) وهو حديث صحيح، روى عن جمع من الصحابة، وقد خرجته فى «الصحيحة» (٣٤).

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

أى لكمال حكمته ورحمته وعدله، لا لمجرد قهره وقدرته كما يقول جهم وأتباعه. كذا فى «الشرح»، وراجع فيه تحقيق أن مبنى العبودية والإيمان على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة فى الأوامر والنواهى والشرائع؛ فإنه مهم جداً ولولا ضيق المجال لنقلته برمته لنفاسته وعزته، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - فى «مجموع الفتاوى» (١/١٤٨ - ١٥٠) بإختصار بعض الفقرات: «والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى، والأرزاق والآجال.

= مثال للوساوس يقول الشيطان: كيف عدلاً وهو خالق الشر.

قل الله خالق كل شىء ﴿من شر ما خلق﴾.

ولا تفكر فى هذا الأمر مرة أخرى وانشغل بأى شىء، وتعلم؛ فإن الشيطان لا يؤثر على العالم.

(١) **قلت:** يعنى أمسكوا عن متشابه القدر ولكن لا مانع أن تتكلم فى محكمه إن كنت أهلا لأن تتكلم فى محكمه وإلا إن كنت ترى أنه ضحد مزلة فآمن به.

مثلاً:

أن تحتج بالقدر على أنك لا تصلى لأن الله كتبك لا تصلى فارجع وقل إنما القدر لنؤمن به لا لنحتج به.

أصول الإيمان ستة منها أن نؤمن بالقدر خيره وشره.

نؤمن نعم نؤمن.

وفى تفسير قول الله تعالى ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فعن ابن عباس.

وهل النسخ: إلا من أصل فالملائكة يحفظوا لنا أعمالنا فيكتبوها من اللوح المحفوظ فيجدوها مكتوبة فينقلونها.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (٤/١٠٨).

من طريق: أحمد بن إبراهيم بن على الكندى البغدادى بمكة، ثنا الحسن بن على بن الوليد الفسوى، ثنا سعيد بن سليمان، ثنا مسهر بن عبدالملك بن سلع، عن الأعمش عن أبى وائل، عن عبدالله به.

وانظر السلسلة «الصحيحة» (ح ٣٤).

ثم كتب الله فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق، «فأول ما خلق الله القلم، قال له[1] اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة[2] فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف، كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [الحج: ٧٠].

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون فى مواضع جملة وتفصيلاً، فقد كتب فى اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً، فيؤمر بأربع كلمات. اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أو سعيد ونحو ذلك. فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً، ومنكره اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما فى السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، ولا يكون فى ملكه إلا ما يريد[3]، وأنه سبحانه وتعالى على كل شىء قدير من الموجودات والمعدومات.

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين، والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلى والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، الله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال تعالى: ﴿**لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[4] [التكوير: ٢٨ ـ ٢٩].

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية، الذى سماهم النبى ﷺ[5] مجوس هذه الأمة،

---

(١) **قلت**: وهنا الناس أنكروا فقالت المعتزلة أن الله لم يخلق الشر وأن العبد هو المسئول عن ذلك وقلت أن هذا كفر بالربوبية أصلاً.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٢٥/ ٤٧٠٠)، والترمذى (٤/ ٤٠٧، ٨/ ٤٠٨/ ٢١٥٥)، وأحمد فى «مسنده» (٥/ ٣١٧).

جميعاً من طريق: الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه به.

(٣) **قلت**: إذا كان الله لا يفعل إلا ما أراد وما كان إلا بإرادته فأين إرادة العبد؟.

(٤) **قلت**: وهذه آية للرد على الجهمية والمعتزلة لأن منهم من أنكر الإرادة لله ومنهم من أنكر ما للعبد من إرادة.

(٥) **قلت**: ما هى مشيئة الله التى يتبعها مشيئة العبد فما هى مشيئة العبد وما هى مشيئة الرب.

فمشيئة الرب أن يصلى العبد ممتثلاً لأمر الله: أقيموا الصلاة فقبل أن يصلى العبد فمشيئة الله سابقة =

ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها.

قلت: ويشير بكلامه الأخير إلى الأشاعرة، فإنهم هم الذين غلوا وأنكروا الحكمة، على ما فصله ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل» فراجعه فإنه هام جداً.

=لمشيئة العبد مشيئته القدرية الكونية ومشيئته الشرعية إفعل فامتثل والكونية حيث كتب كوناً ثم خلق فيه إرادة الصلاة وأسباب الصلاة والأسباب التي تمكنه من الصلاة ولولا هذه الأسباب المتقدمة التي خلقها الله فيه لما تمكن العبد من إقامته للصلاة.

كيف يصلي العبد ولم يخلق فيه الله هذه الأسباب مثل العقل الذي يكون معه الإرادة والقدرة مع باقي الأسباب الأخرى أن يقوم ليصلي لولا هذه الأسباب التي هي من مشيئة الله لولاها ما شاء العبد وهو معنى الآية «**وما تشاؤن إلا أن يشاء الله**».

المبحث الثانى

الإيمان بالقدر أصل من أصول الدين

والإيمان: هو الإيمانُ بالله، ومَلاَئكته، وكُتُبه، ورُسُله، واليومِ الآخر، والقَدَر، خَيْره وشرِّه، وحُلْوه ومُرِّه، من الله تعالى.

---

* **قال ابن أبى العز:** الإيمان بالقدر أصل من أصول الدين، قال تعالى ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾.

وفى حديث جبريل وسؤاله عن الإيمان «. . . **وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

وقال تعالى ﴿**وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾.

فإن قيل: ما وجه الجمع بين قوله تعالى ﴿**قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾، وقوله تعالى ﴿**وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾(٢)؟

فالجواب: أن قوله ﴿**قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ يعنى أن الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله.

أما قوله ﴿**وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾ أى ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال تعالى ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ ويدل لذلك ما رُوِىَ عن ابن عباس أنه قرأ ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك﴾(٣)(٤).

والمراد بالحسنة: النعمة، والسيئة: البلية على الأرجح وفرق سبحانه بين الحسنة التى هى النعم وبين السيئات التى هى المصائب فجعل هذه من عند الله، وهذه من نفس الإنسان. لأن الحسنة مضافة إلى الله إذ هو أحق بها من كل وجه وأما السيئة فهو إنما يخلقها لحكمة. فإن الرب لا يفعل سيئة قط.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **قلت:** أى من ظلمك أى ما كسبته وهذا لا ينفى أبداً أن مشيئة الله سبقت مشيئة العبد.

(٣) ذكره السيوطى فى «الدر المنثور» (٢/ ٣٣١) وعزاه لابن المنذر من طريق مجاهد، عن ابن عباس - رضى الله عنهما.

(٤) **قلت:** أى قدرتها عليك من نفسك.

وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الإِيمَانِ، وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ، وَالاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

ولهذا كان ﷺ يقول فى «الإستفتاح»: «**والخير كله بيديك والشر ليس إليك**» رواه مسلم(١).

أى فإنك لا تخلق شراً محضاً بل كل ما يخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خير ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس فهو شر جزئى إضافى أما الشر الكلى أو المطلق فإن الله منزه عنه(*).

*** قال ابن أبى العز:**

يشير الشيخ إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر، وسبق علمه بالكائنات قبل خلقها.

ولا يتم التوحيد إلا بالإيمان بصفاته تعالى، فإن من زعم خالقاً غير الله فقد أشرك، فكيف بمن زعم أن كل أحد يخلق فعله؟! ولهذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة، حيث جعلوه تعالى لم يخلق أفعال العباد، فأخرجوها عن خلقه وقدرته، والأحاديث الواردة فى ذمهم كثيرة منها: عن ابن عمر، عن النبى ﷺ قال «**القدرية مجوس هذه الأمة؛ إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»(٢).

وعن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال «**لا تجالسوا أهل القدر، ولا تفاتحوهم**»(٣).

وعن ابن عباس قال: قال ﷺ «**صنفان من بنى آدم ليس لهم فى الإسلام نصيب: المرجئة، والقدرية**»(٤)(**).

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٣/ ٢٠١/ ٣٠٩)، وأحمد فى «مسنده» (١/ ٩٤، ٩٥)، وأبو داود (١/ ١٩٩/ ٧٦٠)، والترمذى (٥/ ٤٨٥/ ٣٤٢١).
وابن ماجه (١/ ٣٣٥/ ١٠٥٤)، وابن حبان (٣/ ١٣١ ـ الإحسان).
من طريق: عبدالرحمن الأعرج، عن عبيدالله بن أبى رافع، عن على به.

(*) «تهذيب الطحاوية» للصاوى.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٢١/ ٤٦٩١)، ومن طريقه الحاكم فى «المستدرك» (١/ ٨٥).
من طريق: موسى بن إسماعيل، ثنا عبدالعزيز بن أبى حازم، عن أبيه، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ به.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٢٨/ ٤٧١٠)، وأحمد فى «مسنده» (١/ ٣)، والحاكم فى «المستدرك» (١/ ٨٥) جميعاً من طريق: شريك، عن يحيى بن ميمون الحضرمى، عن ربيعة الجرشى، عن أبى هريرة، عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ به.

(٤) أخرجه الترمذى (٤/ ٤٥٤/ ٢١٤٩)، وابن ماجه (١/ ٢٤/ ٦٢).
كلاهما من طريق: محمد بن فضيل، عن القاسم بن حبيب، وعلى بن نزار، عن نزار، عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ به.
قال الترمذى: هذا حديث غريب حسن صحيح.

(**) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

وَعَلَى العَبْدِ(*) أَنْ يَعْلَمَ: أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِه، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيراً مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلاَ مُعَقِّبٌ وَلاَ مُزِيلٌ وَلاَ مُغَيِّرٌ، وَلاَ مُحَوِّلٌ وَلاَ نَاقِصٌ، وَلاَ زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ.

---

* **قال ابن مانع:**

* **قوله: (.. وذلك من عقد الإيمان):**

الإشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر، وسبق علم الله تعالى بالكائنات قبل خلقها.

* قوله: (والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته):

أى: لا يتم التوحيد والاعتراف بالربوبية إلا بالإيمان بصفات الله تعالى فإن من زعم خالقاً غير الله فقد أشرك، فكيف بمن زعم أن كل أحد يخلق فعله؟! ولهذا كانت «القدرية» مجوس هذه الأمة.

* **قال ابن أبى العز:** لقد سبق علم الله بالكائنات، وقدر مقاديرها قبل خلقها: قال ﷺ: **«قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»**(١).

ولا يتصور إيجاد هذه المخلوقات على ما فيها من غرائب إلا من عالم سبق علمه على إيجادها ولقد أنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالماً فى الأزل وقالوا: إن الله لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قال الشافعى: ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا خصموا، وإن أنكروا كفروا فقد علم الله أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه لأنه لا يفعل مع القدرة على الفعل، ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه.

والموجودات نوعان: ـ

(١) مسخر بطبعه وقد هداه الله لما سخر له هداية طبيعية.

(*) **قلت:** وهذا فيه رد على غلاة المعتزلة الذين أنكروا علم الله الأزلى وهذا نقص ولا يجوز التكلم به.

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (٨/ ٤٥٢/ ١٦)، والترمذى (٤/ ٤٠٨/ ٢١٥٦)، وأحمد فى «مسنده» (٢/ ١٦٩).

جميعاً من طريق: أبى هانىء الخولانى، أنه سمع أبا عبدالرحمن الْحُبُلِّى يقول: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قدر الله المقادير**...» الحديث.

قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) متحرك بإرادته وقد هداه الله هداية إرادية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره(*).

* قال ابن مانع:

* قوله: (وَعَلَى العَبْد أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الله قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِى كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقه..):

هذا فيه رَدٌّ لما ذَهَبَ إليه «غلاة المعتزلة) الذين أنكروا كون الله تعالى عالماً فى الأزل، وقالوا: إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد، حتى يفعلوها.

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا!!

قال الله تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

(*) «تهذيب الطحاوية» للصاوى.

المبحث الثالث

عموم القدرة والمشيئة

وَكُلُّ شيء يجْرى بِتَقْديرِه وَمَشيئَته.

ومَشيئتهُ تَنْفُذُ، لاَ مَشيئةَ للعبَاد، إلاَّ مَا شَاءَ لَهُم، فَمَا شاءَ لَهُم كَانَ، وَمَا لَمْ يَشأ لَمْ يَكُنْ.

والْخَيْر والشَّر مُقَدرَّان على العبَاد.

وَكُلُّ شَيء يَجْرِى بِمَشيئَة الله تَعالَى وَعِلْمِه وَقَضَائِه وَقَدَرِه.

غلَبَتْ مَشيئَتُهُ المَشيئَات كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحيَلَ كُلَّهَا.

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُو غَيرُ ظَالِمٍ أَبَدًا.

*** قال ابن أبى العز:**

يريد بقضائه القضاء الكونى لا الشرعى فإن كلاً من القضاء والإرادة والأمر والإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات ونحو ذلك قد يكون كونياً، وقد يكون شرعياً.

ـ أما القضاء الكونى ففى مثل قوله تعالى ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾[فصلت أية: ١٢].

والقضاء الدينى الشرعى ففى مثل قوله تعالى ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾[1]. [الإسراء أيه: ٢٣].

ـ أما الإرادة الكونية ففى مثل قوله تعالى ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا**﴾[الأنعام الاية: ١٢٥]، والإرادة[2] الشرعية فى مثل قوله تعالى ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ الآية.

ـ أما الأمر الكونى ففى مثل قوله تعالى ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾.

والأمر الشرعى مثل قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾.

ـ والإذن الكونى مثل قوله تعالى ﴿**وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[3].

---

(١) **قلت:** هذا ممكن يكون وممن ألا يكون فلذلك كان منا المؤمن والعاصى والمشرك.

(٢) **قلت:** وهنا ممكن أن يكون منا من يتطهر ومنا من لا يتطهر من رجسه وهذه إرادة شرعية.

(٣) **قلت:** يقول أحدنا أن الله يأمر السحرة أن يضروا المسحور فنقول هنا فرق بين الإذن الشرعى والإذن الكونى القدرى أى أنهم لن يضروا أحداً إلا بمشيئة الله الكونية القدرية.

والإذن[1] الشرعى مثل قوله تعالى ﴿**مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ**﴾.

ـ أما الكتاب الكونى ففى مثل قوله تعالى ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ**﴾.

والكتاب الشرعى مثل قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

يعنى أن مشيئته تعالى وإرادته شاملة لكل ما يقع فى هذا الكون من خير أو شر، وهدى أو ضلال. والآيات الدالة على ذلك كثيرة معروفة، يمكن مراجعتها فى الشرح وغيره.... والمقصود بهذه الفقرة الرد على المعتزلة النافين لعموم مشيئته تعالى.

لكن يجب أن يعلم أنه لا يلزم من ذلك أن الله يحب كل ما يقع، فالحب غير الإرادة، وإلا كان لا فرق عند الله تعالى بين الطائع والعاصى وهذا ما صرح به بعض كبار القائلين بوحدة الوجود من أن كلا من الطائع والعاصى مطيع لله فى إرادته! ومذهب السلف والفقهاء وأكثر المثبتين للقدر من أهل السنة وغيرهم على التفريق بين الإرادة والمحبة، وإلى ذلك أشار صاحب قصيدة «بدء الأمالى» بقوله:

مريد الخير والشر القبيح ولكن ليس يرضى بالمحال

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«ثم قالت القدرية: هو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يريد ذلك! فيكون[2] ما لم يشأ، ويشأ ما لم يكن»!.

وقالت طائفة من (المثبتة): ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وإذن قد أراد الكفر والفسوق والعصيان ولم يرده ديناً. أو أراده من الكافر ولم يرده من المؤمن. فهو لذلك يحب الكفر والفسوق

(١) حينما حاصر الصحابة بنى النضير فأمر النبى ﷺ بحرق الأشجار حتى يخرجوا فقالوا يا محمد ﷺ إنك الآن تحرق وتفسد فى الأرض فنال ذلك من نفس بعض الصحابة فقال الله سبحانه وتعالى «ما قطعتم من لينة» إلى آخر الآية.

وهذا بأمر الله الشرعى وذلك لأن الحرب يباح فيها أشياء قد تكون محرمه قبل الحرب.

(٢) قلت: إن الله لا يحب الكفر ولا الفسوق ولا العصيان ولكن الخطأ هنا هو قولهم ولا يريد ذلك وهذا أمر خاطىء وقد ترتب على قولهم هذا. القول بوجود أشياء تجرى بغير مشيئة الله وأشياء لا يريدها الله ومع ذلك توجد فى سلطانه؟!.

تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوء وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ][1] ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

والعصيان، ولا يحبه ديناً ويحبه من الكافر ولا يحبه من المؤمن[2] وكلا القولين خطأ مخالف للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة وأئمتها، فإنهم متفقون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته ومجموعة على أنه لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، وأن الكفار ﴿يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨]. مجموع الفتاوى (٦/ ١١٥ ـ ١١٦) وقد شرح ذلك العلامة ابن القيم في «شفاء العليل» (ص: ١٢٠: ١٣٤) فراجعه فإنه مهم.

*** قال ابن مانع:**

أي: لأنه سبحانه حرم الظلم على نفسه، كما حرمه على عباده.

والظلم: وضع الأشياء في غير مواضعها؛ ودلت دلائل الكتاب والسنة على أن الله تعالى قادر على الظلم ولكنه لا يفعله.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

و«الهضم»: أن ينقص من جزاء حسناته.

و«الظلم»: أن يعاقب بذنوب غيره، فهو سبحانه منع نفسه من الظلم لعباده مع قدرته عليه، جوداً منه وكرماً وإحساناً.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

قال الشارح: «الذي دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد، يقتضي قولاً وسطاً بين قولي القدرية والجبرية، فليس ما كان من بني آدم ظلماً وقبيحاً يكون منه ظلماً وقبيحاً، كما تقوله القدرية والمعتزلة ونحوهم، فإن ذلك تمثيل لله بخلقه. وقياس[3] عليهم. وهو الرب الغني القادر،

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة ليست في طبعة مؤسسة الرسالة لـ «شرح الطحاوية».

(٢) **قلت:** وهنا لأن الله لا يرضى الكفر من عباده: المؤمن والكافر.

(٣) **قلت:** ربنا قادر يظلم لو شاء أن يظلم لكن الظلم من النقص تعالى الله عنه مع قدرته عليه لهذا قال: «**حرمت الظلم على نفسي**» فلو كان الظلم أصله ممتنع أو مستحيل على الله أو لا يستطيعه الله سبحانه وتعالى كان في هذه الحالة لا يقول: «**حرمت**» لأنه تعالى حرم على نفسه شيء لا يستطيعه أصلاً مثل واحد لا يتكلم قطعت لسانه وقلت له: أنا حرمت عليك الغيبة والنميمة وغير ذلك من آفات اللسان هل ينفع في حقه ذلك؟ أو هو يأتي ويقول بعد أن قطع لسانه يا جماعة أنا حرمت على نفسي الغيبة والنميمة هل هذا الكلام يلقى قبولاً عندنا؟ الجواب: لا لأنه أصلا عاجز على ان يتكلم فضلاً أن=

ولا يكونُ إلا ما يُريدُ.

وهم العباد الفقراء المقهورون. وليس الظلم عبارة عن الممتنع الذى لا يدخل تحت القدرة، كما يقوله من يقوله من المتكلمين وغيرهم يقولون: إنه يمتنع أن يكون فى الممكن المقدور ظلم. بل كل ما كان ممكناً فهو منه لو فعله عدل، إذ الظلم لا يكون إلا من مأمور من غيره منهى، والله ليس كذلك. فإن قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا**﴾ [طه: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [ق: ٢٩]، وقوله تعالى ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ**﴾ [الزخرف: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [غافر: ١٧]. وذلك يدل على نقيض هذا القول.

ومنه قوله الذى رواه عنه رسوله: «يا عبادى، إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»[1] فهذا دل على شيئين:

أحدهما: أنه حرم على نفسه الظلم، والممتنع لا يوصف بذلك.

الثانى: أنه أخبر أنه حرمه على نفسه، كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة، وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهى، والله ليس كذلك، فيقال لهم: هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم، وإنما كتب على نفسه وحرم على نفسه ما هو قادر عليه، لا ما هو ممتنع عليه.

* **قال ابن أبى العز**: اختلف الناس فى عموم إرادته تعالى:

فقال أهل السنة بعموم إرادته تعالى لجميع ما خلق، لكنهم قسموا الإرادة إلى قسمين:

* إرادة كونية قدرية: وهى المشيئة الشاملة لجميع الحوادث ومنها ما يحبه الله، ومنها ما لا يحبه وهى المذكورة فى قول المسلمين «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن». قال تعالى ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن**

=يتكلم بغيبة أو نميمة فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وله المثل الأعلى لو أصلاً لا يستطيع أن يظلم ولا يقدر على ذلك لا يكون حينئذ معنى لقوله تعالى فى الحديث القدسى.

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٦/ ١٦/ ١٣٢ ـ النووى)، وأحمد (٥/ ١٥٤)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٢/ ٤٢٥٧)، والبيهقى فى «الشعب» (٥/ ٤٠٥/ ٧٠٨٨) مسلم والبيهقى من طريق: سعيد بن عبدالعزيز، عن ربيعة ابن يزيد، عن أبى إدريس الخولانى، عن أبى ذر ـ رضى الله عنه.
وابن ماجه من طريق: شهر بن حوشب وانظر كتابنا «فتح ذى الجلال» (ح ٢٩٠).

يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[سورة الأنعام الآية: ١٢٥]. وقال تعالى ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾.

* إرادة شرعية وهى المتضمنة للمحبة والرضا وهى التى تستلزم أمر الله ونهيه ومن أمثلتها قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾، وقوله تعالى ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ فالمعاصى وإن كان الله يريدها قدراً، لكنه لا يحبها، ولا يرضاها ولا يأمر بها فهى داخلة فى الأولى دون الثانية.

ولا شك أن الفرق ثابت بين إرادة المريد أن يفعل، وبين إرادته من غير أن يفعل. فالأولى متعلقة بفعله هو، والثانية متعلقة بفعل الغير. وقالت القدرية والمعتزلة: إن الله أراد الإيمان من الناس[1] كلهم، ولكن الكافر أراد الكفر، ولم يفرقوا بين نوعى الإرادة كما فعل أهل السنة، ولم يتصوروا إمكانية أن يأمر الله بأمر وهو يريد خلافه. ولا شك أن قولهم فاسدٌ مردود لمخالفته للكتاب والسنة والمعقول الصحيح[2].

(١) **قلت**: يجب عليك أيها الاخ الكريم حفظ وفهم الفرق بين الإرادة الكونية القدرية فهى ـ إن شاء الله ـ ستحل أمامك مشاكل كثيرة.

(٢) «تهذيب الطحاوية» للصاوى.

المبحث الرابع
تفصيل القول فى أفعال العباد

وَأَفْعَالُ العِبَاد هِى خَلْقُ الله، وَكَسْبٌ مِن العِبَادِ.

---

* **قال ابن أبى العز:** اختلف الناس فى أفعال العباد الإختيارية:

(١) فزعمت الجبرية وعلى رأسهم الجهم بن صفوان أن التدبير فى أفعال الخلق كلها لله، وهى كلها اضطرارية كحركة المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجاز.

(٢) وقابلتهم المعتزلة فقالوا: إن الأفعال الإختيارية من جميع الحيوانات لا تعلق لها بخلق الله، واختلفوا فيها بينهم هل يقدر الله على أفعال العباد أم لا؟

(٣) وهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فقالوا: بعموم خلقه تعالى لكل شىء وأفعال العباد من جملة مخلوقاته، وعموم قدرته ومشيئته لجميع ما فى الكون من الأعيان والأفعال وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، فبها صاروا مطيعين وعصاة، وعليها يستوجبون المدح والذم. فكل دليل يسوقه الجبرى فإنما يدل على أن الله خالق كل شىء، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل فى الحقيقة ولا مختار.

وكل دليل يسوقه القدرى فإنه يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقةً وأن إضافته إليه إضافة حق، ولايدل على أنه غير مقدورٍ لله، أو أنه واقع بغير مشيئته وقدرته. فتتكافأ أدلة الفريقين وتتساقط، ولا يُستفاد من أدلة كل فريق إلا بطلان قول الفريق الآخر، وإذا ضممنا مع كل فريق من الحق إلى ما مع الآخر منه استقام لنا مذهب أهل السنة الذى أثبتناه آنفاً.

* **قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

هنا فى الأصل زيادة: (هى) ولما لم ترد فى شىء من الأصول التى عندنا حذفناها؛ فإن العبد له مشيئته وهى تابعة لمشيئة الله كما ذكر الله ذلك فى عدة مواضع من كتابه، فإذا كان الله قد جعل العبد مريداً مختاراً شائياً امتنع أن يقال: هو مجبور مقهور، مع كونه قد جعله مريداً. وامتنع أن يكون هو الذى ابتدع لنفسه المشيئة، فإذا قيل: هو مجبور على أن يختار. مضطر إلى أن يشاء، فهذا لا نظير له، وليس هو المفهوم من الجبر بالإضطرار ولا يقدر على ذلك إلا الله.

---

(١) **قلت:** كل دليل يأتى به القدرية من المعتزلة ينفوا به الإرادة عن الله فإنها تثبت الإرادة للعبد فقط ولكنها لا تنفى الإرادة عن الله فتأتى بأدلة المعتزلة لإثبات الإرادة للعبد وتأتى بأدلة الجبرية تثبت أن لله مشيئة وأن مشيئة الله لا تنفى أن للعبد مشيئة ويتساقط الأدلتان ويبقى دليل أهل السنة والجماعة.

ولهذا افترق القدرية والجبرية على طرفي نقيض، وكلاهما مصيب فيما أثبته دون ما نفاه:

وابن الخطيب ونحوه من الجبرية يزعمون أن العلم بافتقار رجحان فعل العبد على تركه إلى مرجح من غير العبد ضروري، لأن الممكن المتساوي الطرفين لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا بمرجح ما. وكلا القولين صحيح. ولكن دعوى استلزام أحدهما نفي الآخر ليس بصحيح، فإن العبد محدث لأفعاله كاسب لها، وهذا الإحداث مفتقر إلى محدث. فالعبد فاعل صانع محدث، وكونه فاعلاً صانعاً محدثاً بعد أن لم يكن لابد له من فاعل، كما قال: ﴿**لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ**﴾ [التكوير: ٢٨]. فإذا شاء الاستقامة صار مستقيماً. ثم قال: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير: ٢٩].

فما علم بالاضطرار وما دلت عليه الأدلة السمعية والعقلية كله حق، ولهذا كان لا حول ولا قوة إلا بالله. والعبد فقير إلى الله فقراً ذاتياً له في ذاته وصفاته وأفعاله، مع أن له ذاتاً وصفات وأفعالا، فنفى أفعاله كنفى صفاته وذاته، وهو جحد للحق، شبيه بغلو غالية الصوفية الذين يجعلونه هو الحق، وجعل شيء منه مستغنياً عن الله أو كائناً بدونه، جحد للحق شبيه بغلو الذي قال: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ**﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: إنه خلق نفسه، وإنما الحق ما عليه أهل السنة والجماعة[1].

---

(١) **قلت**: أن للعبد مشيئة وليس هذا معناه أن العبد هو خالق هذا الفعل ولكن هذا الفعل يحتاج إلى خالق وإن كان هو يباشر الفعل ولكنه لم يخلقه مثال.

قول الله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾ من الحارث؟ العبد؛ ولكنه ليس هو الخالق فلو اجتمعت الإنس والجن لا يستطيعون أن يخلقوا ذره.

لكن الجهمية والجبرية خلطوا مع المعتزلة والقدرية في هذه المسألة.

فأناس بالغوا وغلوا في إثبات مشيئة العبد حتى جعلوه هو الخالق.

وناس بالغوا في نفي مشيئة العبد حتى جعلوا الله جابراً للعبد حتى على أفعاله الشريرة.

المبحث الخامس

الإيمان باللوح المحفوظ والقلم

وَنُؤْمِنُ بِاللَّوحِ وَالقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِم.

---

* قال ابن مانع:

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِاللَّوحِ وَالقَلَمِ..) إلخ:

قال الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

فالقرآن الكريم مكتوب في اللوح المحفوظ، كما أخبر الله سبحانه بذلك.

وجبريل عليه السلام سمعه من الله وبلغه نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام منزل من ربك بالحق، ولم يقل: من اللوح المحفوظ.

ولا منافاة بين كونه في اللوح المحفوظ، وبين إنزاله من الله، كما حققه «شيخ الإسلام ابن تيمية»(١).

وقال شيخ الإسلام: «واللوح المحفوظ فوق السموات، وقد جاء في الحديث: أنه لا ينظر فيه غير الله عز وجل».

قلت: ومن هذا يتبين لنا ضلال من قال: إن روح العبد تطلع على اللوح المحفوظ، فإن هذا قول «الفلاسفة» وهو من خرافات عباد الصالحين أو الطالحين كما هو راسخ بينهم، فاحذروه فإنه كذب.

وأما القلم المذكور: فهو الذي خلقه الله وكتب به في اللوح المحفوظ المقادير.

كما في حديث عبادة بن الصامت الذي رواه أبو داود مرفوعاً: «أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»(٢).

واختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟

على قولين: حكاهما «ابن القيم» في «النونية»(٣).

واختار أن القلم خلق بعد خلق العرش، ولهذا قال:

والناس مختلفون في الذي ... كتب القضاء به من الديان

هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمذاني

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (١٢/ ١٢٦، ١٢٧).

(٢) تقدم تخريجه في مبحث «أصل القدر ونزاع الفرق فيه».

(٣) القصيدة النونية بشرح هراس (١/ ١٨٦).

تنبيه: وقع في النونية: «قبل الكتابة» بدل «وقت الكتابة». نقلاً عن حاشية ابن مانع.

فلو اجتمعَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيءٍ كَتَبَهُ الله تَعَالى فيه أَنَّهُ كَائنٌ لِيَجْعَلُوهُ غيْر كائن، لمْ يَقْدروا عَلَيْهِ. ولو اجْتَمعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيءٍ كَتَبَهُ الله تَعَالى فيه أنه غير كَائن لِيَجْعَلوهُ كَائنًا، لم يقْدرُوا عَلَيْهِ جَفَّ القَلَمُ بما هُوَ كَائن إلى يَوْم القيامَة.

ومَا أَخْطأ العَبْد لمْ يَكُنْ لِيُصيبَهُ، وما أصَابَه لم يَكُن لِيُخْطِئَه.

والحق أن العـــرش قـــبل لأنه ... وقت الكتـــابة كـــان ذا أركـــان
وكـتـابة القلم الـشـريف تعـقـبت ... إيجـــاده من غـيـــر فـصل زمـــان

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

قلت: وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**﴾ [الروج: ٢١ ـ ٢٢] وهـو مـن الغيب الـذى يجب الإيمان بـه ولا يعرف حقيقـته إلا الله، واعتقـاد أن بعض الصالحين يطلعون على ما فيه كفـر بالآيات والأحاديث المصـرحة بأنـه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

قلت: ذكر الشـارح هنا أن العلماء اختلفـوا هل القلم أول المخلوقات أو العـرش؟ على قولين لا ثالث لهمـا، وأنا وإن كان الراجح عندى الأول، فإنى أقول الآن: سـواء كان الراجح هذا أم ذاك. فالاخـتلاف المذكـور يدل بمفهـومه على أن العلمـاء اتفقـوا على أن هناك أول مخلوق. والقـائلون بحوادث لا أول لها، مخالفون لهذا الإتفاق، لأنهم يصرحون بأن ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق. وهكذا إلى ما لا أول له. كـما صـرح بذلك ابن تيميـة فى بعض كتبـه. فإن قـالوا: العرش أول مخلوق، كـما هو ظاهر كلام الشـارح، نقضوا قـولهم بحوادث لا أول لهـا، وإن لم يقولوا بذلك خالفوا الإتفاق! فتأمل هذا فإنه مهم. والله الموفق.

قال ابن أبى العز: روى عن جابر أنه قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، ففيم العمل اليوم؟ أفيمـا جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما استقبل؟ قال «**لا بل فيـما جفت به الأقلام وجـرت به المقادير**»(١). وفى حديث ابن عـباس «... واعلم أن الأمة لو اجـتمعت على أن ينفـعوك بشيء لم ينفعـوك إلا بشيء قد كتـبه الله لك، ولو اجتمـعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قـد كتبه الله عليك رُفِـعَت الأقلام، وجفت

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٨/ ٤٤٤/٨) من طريق: أبى الزبير، عن جابر قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قـال: يا رسول الله بين لنا ديننا... الحديث وابن ماجـه (١/ ٣٥/ ٩١) من طريق: الأعمش، عن مجاهد، عن سراقة بن مالك به.

الصحف»[1] رواه الترمذى.

وفى رواية «... واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك...»[2] الحديث.

الأقلام أربعة:

* القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذى تقدم ذكره فى اللوح.

* حين خلق آدم وهو قلم عام لكل بنى آدم، فقد قدر الله مقادير بنى آدم عقيب خلق أبيهم.

* حين يرسل الملك إلى الجنين فى بطن أمه، فيؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله وشقى أو سعيد.

* الموضوع على العبد حين البلوغ، وهو الذى بأيدى الكرام الكاتبين[3].

وإذا علم العبد أن كلاً من عند الله فالواجب إفراده عز وجل بالخشية والتقوى.

فلابد لكل عبد أن يتقى أشياء ولو كان ملكاً مطاعاً فلابد أن يتقى أشياء يراعى بها رعيته، فإذا لم يتق الله اتقى المخلوق، وإرضاء المخلوق لا مقدور ولا مأمور. قال الشافعى: رضا الناس غاية لا تدرك أما رضاء الخالق فهو مقدور مأمور.

فالمقدور كائن لا محالة، ولقد أحسن من قال:

ما قضى الله كائن لا محالة والشقى الجهول من لام حاله[4].

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

هذا طرف من حديث ابن عباس رضى الله عنه المشهور بلفظ: «احفظ الله يحفظك...». الحديث وهو حديث صحيح كما ذكرت فى «التخريج».

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

هذا من تمام حديث ابن عباس رضى الله عنه المشار إليه آنفاً فى رواية عنه.

---

(١) أخرجه الترمذى (٤/ ٦٦٧/ ٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣)، والطبرانى فى «الكبير» (١٢/ ٢٣٨/ ١٢٩٨٨)، والمزى فى «التهذيب» (٢٤/ ٢٠، ٢١) جميعاً من طريق: الليث بن سعد، عن قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعانى، عن ابن عباس.

قال الترمذى: حسن صحيح. وانظر «رياض الصالحين» (ح ٦٣) بتخريجنا.

(٢) ما قبله.

(٣) **قلت:** إذن قلم عام وهو الذى كتب كل شىء وقلم ثانى حين خلق آدم هو عام لجميع بنى آدم، ثالث حين يُرسل الملك إلى الجنين فيؤمر بكتابة أربع كلمات، الرابع الموضوع على العبد بعد البلوغ، رفع القلم عن ثلاث منهم الصبى حتى يبلغ أى حتى يحتلم يوضع عليه القلم ويكتب من قِبَلِ الكرام الكاتبين ما يتعلق بأفعاله وأقواله.

(٤) «تهذيب الطحاوية» للصاوى.

المبحث السادس

مرض القلب في القدر

فَوَيلٌ لِمَنْ صَارَ قَلْبُهُ فِي القَدَرِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَد الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.

قال ابن أبي العز: للقلب موت وحياة، ومرض وشفاء! قال تعالى ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾ أي كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإيمان ومرض القلب نوعان: مرض شبهة، ومرض شهوة. وأردؤها مرض الشبهة، وأردأ الشبه ما كان من أمر القدر(١).

* **قال ابن مانع:**

وقوله: (لَقَد الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا):

أي: بوهمه في البحث عن البعث سرا مكتوماً؛ إذ القدر سر الله في خلقه؛ فهو يروم ببحثه الاطلاع على الغيب.

وقد قال تعالى ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وقوله: (وعاد بما قال فيه) أي: في القدر.

(أفاكاً): [كذاباً] (أثيما) أي: مأثوما. اهـ شرح(٢).

---

(١) **قلت:** لذلك قال الإمام أحمد وغيره، القدر سر الله وقدرة الله.

(٢) «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٣٦٣، ٣٦٤) وما بين المعقوفتين زيادة منه.

المبحث السابع

الاستطاعة وعلاقتها بالتكليف

وَالاسْتِطَاعَةُ التِى يَجِبُ بِهَا الفِعْل، مِنْ نَحْـوِ التَّوْفِيق الَّذِى لا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ المَخْلُوقُ بِهِ، فَهِى مَعَ الفِعْل(١).

وَأَمَّا الاسْتِطَاعة مِن جِهَةِ الصِّحَّـة وَالوُسْعِ، وَالتَّمَكُّن وَسَلاَمَة الآلاتِ: فَهِى قَبْلَ الفِعْل(٢)، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخِطَابُ، وَهو كما قال تَعَالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

---

* قال ابن أبى العز:

والإستطاعة والقدرة والوسع ألفاظ متقاربة والناس فى هذه المسألة على ثلاث مذاهب:

الأول: وهو لعامة أهل السنة: أن الاستطاعة تنقسم إلى قسمين(٣):

(١) الاستطاعة التى يجب بـها الفعل، أى لابد أن يوجد معـها وهى حقيقـة القدرة على الفعل وهذه لابد أن تكون مع الفـعل إذ لا يجوز أن يوجد الفـعل بقدرة معـدومة وهو كقـوله تعالى ﴿ما كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ فالمراد نفى حقيقة القدرة لا نفى الأسباب(٤).

---

(١) قلت: الهداية: هدايتان هداية التوفـيق وهى المراد بقوله تعالى ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ وهى الهداية الـكونية القدرية، وهناك هـداية شرعيـة وهى هداية الدلالة والإرشاد، قـال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

إذن هو يهدى أم لا؟، هو يهدى ولا يهـدى، كيف؟!! لا يـهدى الهداية التى ليست إلا لله أى هداية التوفيق، وهو يهدى الهداية التى فى استطاعة البشر والمخلوقين وهى هداية الدلالة والإرشاد، الإستطاعة أيضا استطاعتان، الإستطاعة التى يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذى يجوز أن يوصف بـه المخلوق لأن التوفيق من الله سبحانه وتعالى، هذه الإستطاعة مع الفعل لا يجوز أن يوصف بها المخلوق.

(٢) قلت: فهى قبل الفعل أى هى التى لا يكلفك الله إلا بما فى وسـعك، فإذا كان فى وسعك، فتكلف، فالإستطاعة بمعنى الصحة والوسع فهى قبل الفعل، أما الإستطاعة بمعنى التوفيق فهذه مع الفعل وليست قبل الفعل، والتى مع الفعل بيد الله والتى قبل الفعل بيدك أنت والتى قبل الفعل مناط التكليف حيث قال ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ و﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ وقال ﷺ: «وما أمرتكم به من أمر فأتوا منه ما استطعتم».

(٣) قلت: هم عمدوا إلى التقسيم فى العقيدة بغرض التفهيم وبغرض الرد على شبه المبتدعين.

(٤) قلت: فالمراد نفى حقيقة القدرة لا نفى الأشياء، لماذا؟

لأنهم من الممكن أن تكون الأسباب موجودة لكن غير مستطيعين لا يوجد توفيق قال تعالى﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ إذن كان معهم الإستطاعة بمعنى الوسع وبمعنى القدرة كـانت معهم أسـباب التكليف لكن افـتقدوا الإسـتطاعة بمعنى التوفـيق فما نفـعتهم الأسـباب الأخرى.

(٢) الاستطاعة من جهة الأسباب والآلات وهذه قد تتقدم الأفعال ولا يجب أن تكون معها.

المذهب الثانى: وهو القدرية والمعتزلة قالوا: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل، وهو بناء على أصلهم الفاسد أن أقدار الله للبر والفاجر على حد سواء. وهو فاسد باتفاق أهل السنة المثبتين للقدر. فإن الله أعان البَرَّ على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر قال تعالى ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ**﴾ الآية [الحجرات: ٧].

المذهب الثالث: وهو لبعض أهل السنة قالوا: لا تكون القدرة إلا مع الفعل، لأن القدرة نوع واحد لا يصلح للضدين. القدرة المقارنة للفعل لا تصلح إلا لذلك الفعل وهى مستلزمة له لا توجد دونه(١).

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قلت: والأولى قال بها الأشاعرة، والأخرى قال بها المعتزلة. والصواب القول بهما معاً على التفصيل الذى ذكره المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بياناً شافياً، لا بأس من نقله بتمامه لأهميته قال رحمة الله عليه فى «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٧١ ـ ٣٧٦):

«قد تكلم الناس من أصحابنا وغيرهم فى «استطاعة العبد»، هل هى مع فعله أم قبله؟ وجعلوها قولين متناقضين، فقوم جعلوا الاستطاعة مع الفعل فقط. وهذا هو الغالب على مثبتة القدر المتكلمين من أصحاب الأشعرى ومن وافقهم من أصحابنا وغيرهم. وقوم جعلوا الاستطاعة قبل الفعل، وهو الغالب على النفاة من المعتزلة والشيعة. وجعل الأولون القدرة لا تصلح إلا لفعل واحد، إذ هى مقارنة له لا تنفك عنه، وجعل الآخرون الاستطاعة لا تكون إلا صالحة للضدين. ولا تقارن الفعل أبداً. والقدرية أكثر انحرافاً. فإنهم يمنعون أن يكون مع الفعل قدرة بحال، فإن عندهم أن المؤثر لابد أن يتقدم على الأثر. لا يقارنه بحال، سواء فى ذلك القدرة والإرادة والأمر.

والصواب الذى دل عليه الكتاب والسنة أن الاستطاعة متقدمة على الفعل ومقارنة له أيضاً، وتقارنه استطاعة أخرى لا تصلح لغيره.

فالاستطاعة نوعان: متقدمة صالحة للضدين، ومقارنة لا تكون إلا مع الفعل، فتلك هى المصححة للفعل المجوزة له، وهذه هى الموجبة للفعل المحققة له.

قال الله تعالى فى الأولى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ [آل عمران: ٩٧]،

(١) إن هذه المسئلة «مسئلة القدرة» الصواب فيها التفصيل بين الاستطاعة التى هى بمعنى التوفيق والتى لا يجوز أن يوصف بها العبد أو المخلوق والإستطاعة بمعنى الآلات أو الوسع التى هى مناط التكليف وقد تكون قبل الفعل.

ولو كانت هذه الإستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج، ولما عصى أحد بترك الحج، ولا كان الحج واجباً على أحد قبل الإحرام به، بل قبل فراغه! وقال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦]، فأمر بالتقوى بمقدار الاستطاعة، ولو أراد الإستطاعة المقارنه لما وجب على أحد من التقوى إلا ما فعل فقط إذ هو الذى قارنته تلك الإستطاعة. وقال تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، و (الوسع): الموسوع، وهو الذى تسعه وتطيقه، فلو أريد به المقارنة لما كلف أحد إلا بالفعل الذى أتى به فقط دون ما تركه من الواجبات... ونظائر هذا متعددة، فإن كل أمر علق فى الكتاب والسنة وجوبه بالإستطاعة وعدمه بعدمها لم يرد به المقارنة، وإلا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلاَّ على من فعلها، وقد اسقطها عمن لم يفعلها، فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور!.

وأما الإستطاعة المقارنة الموجبة، فمثل قوله تعالى: ﴿**مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾ [هود: ٢٠]، فهذه الإستطاعة هى المقارنة الموجبة، إذ الأخرى لابد منها فى التكليف.

فالأولى: هى الشرعية التى هى مناط الأمر والنهى، والثواب والعقاب، وعليها يتكلم الفقهاء وهى الغالبة فى عرف الناس.

والثانية: هى الكونية التى هى مناط القضاء والقدر. وبها يتحقق وجود الفعل، فالأولى للكلمات الأمريات الشرعيات. والثانية للكلمات الخلقيات الكونيات كما قال تعالى: ﴿**وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ**﴾ [التحريم١٢].

وقد اختلف الناس فى قدرة العبد على خلاف معلوم الحق أو مراده. والتحقيق أنه قد يكون قادراً بالقدرة الأولى الشرعية المتقدمة على الفعل، فإن الله قادر أيضاً على خلاف المعلوم والمراد. وإلا لم يكن قادراً إلا على ما فعله، وليس العبد قادراً على ذلك بالقدرة المقارنة للفعل؛ فإنه لا يكون إلا ما علم الله كونه وأراد كونه، فإنه ما شاء الله كان. وما لم يشأ لم يكن، وكذلك قول الحواريين: ﴿**هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ**﴾ [المائدة: ١١٢]، إنما استفهموا عن هذه القدرة. وكذلك ظن يونس عليه السلام ﴿**أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ**﴾ [الأنبياء: ٨٧] أى فسر بالقدرة، كما يقال للرجل: هل تقدر أن تفعل كذا؟ أى هل تفعله؟ وهو مشهور فى كلام الناس.

ولما اعتقدت القدرية أن الأولى (الإستطاعة قبل الفعل) كافية فى حصول الفعل، وأن العبد يحدث مشيئته جعله مستغنياً عن الله حين الفعل! كما أن الجبرية لما اعتقدت أن الثانية موجبة للفعل، وهى من غيره رأوه مجبوراً على الفعل وكلاهما خطأ قبيح.

وَلَمْ يُكَلِّفهُم الله تَعَالى إِلاَّ مَا يُطِيقُونَ، وَلا يُطِيقُون(*) إِلاَّما كَلَّفَهُم، وَهُو تَفْسِيرُ: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله».

نَقُولُ: لاَ حِيلَةَ لأحَد، ولا حَرَكَةَ لأحَد، ولا تَحَـوُّلَ لأحَد عَنْ مَعْصِيَةِ الله إلاَّ بِمعونَةِ الله، وَلا قُوَّةَ لأحَدٍ عَلَى إقَامَةِ طَاعَةِ الله وَالثَّباتِ عَلَيْهَا إِلاَّ بِتَوْفِيقِ الله تَعَالى.

---

* قال ابن مانع:

قوله: (ولا يطيقون إلا ما كلفهم به):

أى: لا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه.

والشارح رد على المصنف ذلك؛ بأن التكليف لا يستعمل بمعنى الأقدار وإنما يستعمل بمعنى الأمر والنهى.

ثم قال: «ولا يصح ذلك يعنى قوله: ولا يطيقون إلا ما كلفهم بل يطيقون فوق ما كلفهم به»(١).

قلت: لأنه فى إمكان الإنسان أن يصلى أكثر من الخمس، ويصوم أكثر من الشهر، ويحج أكثر من حجة، ولكنه سبحانه يريد بعباده اليسر، ولا يريد بهم العسر.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله هو الحق والصواب.

* قال الشيخ عبدالعزيز بن باز:

هذا غير صحيح، بل المكلفون يطيقون أكثر مما كلفهم به سبحانه، ولكنه عز وجل لطف بعباده ويسر عليهم، ولم يجعل عليهم فى دينهم حرجاً، فضلاً منه وإحساناً والله ولى التوفيق.

* قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

أى ولا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه، وهذه الطاقة هى التى من نحو التوفيق، لا التى من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات. ولكن فى كلام المؤلف إشكالاً بينه الشيخ الشارح بقوله: «فإن التكليف لا يستعمل بمعنى الإقدار، وإنما يستعمل بمعنى الأمر والنهى، وهو قد قال: «لا

(*) للأدلة التى تقدمت فى عدم التكليف بالمستحيل.

(١) شرح الطحاوية لابن أبى العز (٢/ ٦٥٣ ـ ٦٥٦).

وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقضَاءِ الله، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ الله.

يكلفهم إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم»، وظاهره أنه يرجع إلى معنى واحد، ولا يصح ذلك، لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. فلو زاد فيما كلفنا به لأطقناه، ولكنه تفضل علينا ورحمنا، وخفف عنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج، ففي العبارة قلق، فتأمله».

* **قوله: (والسَّعيد من سَعد بقضاء الله، والشَّقي من شَقي بقضاء الله..):**

قال الحافظ: «ابن رجب»: «والإيمان بالقدر على درجتين:

إحداهما: الإيمان بأن الله سبق في علمه ما يعمله العباد، من خير وشر وطاعة ومعصية، قبل خلقهم وإيجادهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار، وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأن أعمال العباد تجرى على ما سبق في علمه وكتابه.

والدرجة الثانية: أن الله خلق أفعال العباد كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان، وشاءها منهم.

فهذه الدرجة يثبتها أهل السنة والجماعة وتنكرها القدرية.

والدرجة الأولى أثبتها كثير من «القدرية» ونفاها غلاتهم كـ «معبد الجهني». وقد قال كثير من أهل السلف: «ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا وإن جحدوا كفروا».

وما أحسن قول «الإمام الشافعي»[1]:

فما شئت كان وإن لم أشأ ... وما شئت إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمت ... ففي العلم يجرى الفتى والمسن

على ذا منت وهذا خذلت ... وهذا أعنت وذا لم تعن

فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن

---

(١) الأبيات: أخرجها البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٤١٢، ٤١٣) بسنده إلى الربيع قال: سئل الشافعي عن القدر فقال: فذكرها. وعنده من طريق آخر (٢/ ١٠٩) إلى المزني قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فأنشدني لنفسه: فذكرها.
والأبيات أيضاً في: «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٥٤) و«طبقات الشافعية» (١/ ٢٩٥). نقلاً عن حواشي الشروح.

المبحث الثامن

العلم المفقود والعلم الموجود

فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ؛ لأَنَّ العِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الخَلْقِ مَفْقُودٌ(*). فَإِنْكَارُ العِلْمِ المَوْجُودِ كُفْرٌ وَادِّعَاءُ العِلْمِ المَفْقُودِ كُفْرٌ، وَلاَ يَثْبُتُ الإِيمَانُ إِلاَّ بِقَبُولِ العِلْمِ المَوْجُودِ وَتَرْكِ طَلَبِ العِلْمِ المَفْقُودِ.

---

* **قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

هذا معنى حديث أخرجه البزار وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه» سنده صحيح كما بينته في «الروض النضير» (١٠٩٨)، و«تخريج السنة (١٨٨).

* **قوله: (فَهَذَا جُمْلَةُ..):**

المشار إليه بقوله: «فهذا..» هو ما تقدم ذكره، مما يجب اعتقاده والعمل بما جاءت به الشريعة.

* **وقوله: (وهي درجة الراسخين في العلم..):** أي علم ما جاء به الرسول جملة وتفصيلاً نفيا وإثباتاً.

ويعني بـ (العلم المفقود): علم القدر الذي طواه الله عن أنامه، ونهاهم عن مرامه.

ويعني بـ (العلم الموجود): علم الشريعة أصولها وفروعها.

فمن أنكر شيئاً مما جاء به الرسول كان من الكافرين، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين». انتهى من «الشرح».

وقد ذكر أدلة هذه الأحكام، فليراجع.

* **قال الشيخ عبدالعزيز بن باز:**

مراده رحمه الله بـ «العلم المفقود»: هو علم الغيب وهو مختص بالله عز وجل ومن ادعاه من الناس كفر؛ لقول الله سبحانه: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقوله عز وجل: ﴿**قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ الآية [النمل: ٦٥].

وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**مَفَاتِحُ الغيب خَمْس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾**[1] [لقمان: ٣٤]. والأحاديث صحيحة كثيرة وردت

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (٨/ ٣٧٣/ ٤٧٧٧)، ومسلم (١/ ١٧٩، ٥/ ١٨٠)، وابن ماجه (١/ ٢٥/ ٦٤).

جميعاً من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

في البـاب تدل على أن النبى صلى الله عليـه وعلى آله وسلم لا يعلم الغـيب مع أنه أفـضل الخلق وسيـد الرسل، فغيـره من باب أولى وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يـعلم من ذلك إلا ما علمـه إياه سبـحانه ولما تكلم أهل الإفك فى عـائشة رضـى الله عنها، لم يعلم براءتهـا إلا بنزول الوحى، ولما ضاع عقدها فى بعض أسفاره صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعث جماعة فى طلبه ولم يعلم مكانه حتى أقاموا البعير فوجدوه تحته والأدلة من الكتاب والسنة فى هذا كثيرة والحمد لله.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قال الشـارح: يشير إلى ما تقـدم ذكره، مما يجب اعتـقاده والعمل به، مما جاءت به الشـريعة. وقوله: «وهى درجـة الراسخين فى العلم». أى: علم مـا جاء به الرسـول جملة وتفصـيلاً، نفـياً وإثباتاً. ويـعنى بالعلم المفقـود: علم القدر الذى طواه الله عن أنامـه، ونهاهم عن مرامـه، ويعنى بالعلم الموجود: علـم الشريعة، أصولهـا وفروعهـا، فمن أنكر شيـئاً مما جاء به الرسـول كان من الكافرين، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين.

الخلاصة

- أصل القدر سر الله فى خلقه، وقد اتفق أهل السنة على أن كل شـىء يقع بقضاء الله وقدره، فهو عـز وجل لا يحب الكفر، ولا يرضـاه ديناً، رغم أنه قـد يريده ويشـاؤه كوناً، بلا منافـاة بين البغض والإرادة لإختلاف متعلقهما.
- منشأ الضلال فى القدر من التسوية بين الإرادة والمحبة، وقـد سوى بينهما الجبرية الذين جعلوا كل ما فى الكون مـراداً ومحبوباً فى ذات الوقت، والقدريـة النفاة الذين أخرجوا المعاصـى من كونها مقدرة إذ إنها غير مرضية ولا محبوبة.
- القدرية هم مجوس هذه الأمة، حـيث أخرجوا أفعال العباد عن كونهـا مخلوقة مقدرة من عندالله، فكذبوا بالقدر، ونقضوا بذلك توحيدهم. كما أن غلاة المعتزلة أنكروا كون الله عالماً بأفعال العباد فى الأزل.
- النعم والمحن كلهـا من عندالله، فمـا أصاب العـبد من حـسنة فمحـض فضل من الله يسـتوجب الشكر، وما أصاب العبد من سيئة فبذنب نفسه عقوبة له، فيستوجب الاستغفار.
- القدر نظام التوحيد، فهو اعتراف بربوبية الله تعالى علماً، وتقديراً، وخلقاً، وحكمة، وهداية.
- الموجودات إمـا مسـخر بطبعـه، وقد هداه الله لما سخـر له هداية طبيـعية، وإمـا متـحرك بإرادته كالإنسان، ولـه نوعان من الهداية: هداية الدلالة العامـة التى يشترك فيـها كل بنى آدم، وهداية التوفيق الخاصة بالمؤمنين.

- مشيئة الله تعالى تنفذ فى كل شىء، ولا مشيئة للعبد إلا ما شاء الله له، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.
- القدر يحتج به عند المصائب، لا عند الذنوب والمعائب.
- كل من أسماء: القضاء، والإرادة، والإذن، والأمر، والكتاب، والكلمات، والحكم، والتحريم، ونحو ذلك يأتى تارة بالمعنى الكونى القدرى، وتارة بالمعنى الدينى الشرعى.
- الإرادة الكونية القدرية شاملة لجميع الحوادث ما يحبه الله منها وما لا يحبه، أما الإرادة الشرعية فهى المتضمنة للمحبة والرضا، وهى المستلزمة لأمر الله ونهيه.
- أفعال العباد هى خلق الله بمشيئته وقدرته، كما أنها كسب من العباد، فهم فاعلون لأفعالهم حقيقةً، فبها صاروا مطيعين وعصاة، وعليها يستوجبون المدح والذم.
- زعمت الجبرية أن تدبير أفعال الخلق كلها لله، وإضافتها إلى الخلق مجاز، وقابلتهم المعتزلة بأن الأفعال الاختيارية مضافة للعبد على الحقيقة، لا تعلق لها بخلق الله.
- لما خلق الله عز وجل القلم، كتب به فى اللوح مقادير كل شىء إلى قيام الساعة، فكل ما هو كائن جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، ولا تبديل له ولا تغيير.
- أردأ أمراض الشبهات فى القلوب ما كان من أمر القدر، لما فيه من البحث عن أسرار غيبية، إذ إن القدر سر الله فى خلقه.
- الاستطاعة عند أهل السنة نوعان: نوع يوجد مع الفعل وهو حقيقة القدرة على فعله، ونوع قد يتقدم الفعل لأنه من جهة الأسباب والآلات. أما الاستطاعة الشرعية: فهى إمكان الفعل مع انتفاء المفاسد الراجحة.
- تكليف الله عباده ما لا يطاق ممتنع عقلاً وشرعاً[1].

(*) «تهذيب الطحاوية» للدكتور صلاح الصاوى.

أسئلة تدريبية على الباب

س١: الله عز وجل قد لا يرضى الأمر ديناً، ولكنه يريده كوناً، كيف ذلك؟ وما الحكمة فى وقوعه؟ اذكر النصوص التى تشهد بذلك.

س٢: منشأ الضلال فى القدر من التسوية بين الإرادة والمحبة. وضح ذلك مع بيان أقوال المذاهب التى ضلت فى القدر؟

س٣: ضع علامة (✓) أو علامة (✗) أمام العبارات الآتية:

مادام الله قد أراد أمراً فى كونه فهذا دليل على أنه يحبه ويرضاه. ( )

الله تعالى قد يكره الشيء، ولكنه يريده لكونه سبباً فى محاب أخرى له. ( )

الطاعة هى موافقة الأمر القدرى، لا موافقة الأمر الشرعى. ( )

ينبغى على العبد أن يرضى بما قدره الله عليه من المعاصى من غير سخط. ( )

القدر يتضمن مقادير المخلوقات المطابق للعلم بها قبل كونها. ( )

كل عطاء وعقوبة من الله تعالى عدل منه لاستحقاق العبد ذلك. ( )

أنكر المعتزلة علم الله بالكليات قبل وقوعها، وأثبتوا علمه بالجزئيات. ( )

المقدور الذى وقع قديم غير محدث كالعلم والتقدير. ( )

يحتج بالقدر عند المصائب لا عند المعائب. ( )

س٤: ما وجه الجمع بين قوله تعالى عن الحسنات والسيئات: «قل كل من عند الله» وقوله فى الآية التالية: «وما أصابك من سيئة فمن نفسك»؟ وكيف يحتج القدرية بالآية الثانية على مذهبهم؟ وما وجه بطلان قولهم؟

س٥: من وحد الله، وكذب بالقدر، نقض تكذيبه توحيده. اشرح هذه العبارة، مبيناً على من تنطبق، مع الاستدلال بنصوص السنة، وآثار السلف فى ذلك؟

س٦: ما الفرق بين احتجاج آدم على موسى بالقدر، وبين احتجاج المشركين على شركهم بالقدر؟

س٧: الألفاظ الشرعية كالقضاء، والأمر، والإذن، والإرادة إلخ قد تأتى تارة بالمعنى الكونى، وتارة بالمعنى الشرعى. اشرح ذلك مع الاستدلال بالآيات القرآنية.

س٨: تفرق الناس فى أفعال العباد الاختيارية على طرفين باطلين ووسط أهل السنة المعتدل. وضح ذلك مبيناً عقيدة كل منهم، وأدلتهم؟

س٩: مقادير الخلائق كتبت بأقلام، دلت على أنواعها نصوص الكتاب والسنة، اذكرها مع شرح النصوص الدالة عليها؟

س١٠: لم كانت الشبهات فى أمر القدر من أردأ أمراض القلب؟

س١١: تفرقت المذاهب فى مسألة علاقة التكليف بالإستطاعة. اذكر هذه المذاهب. ثم وضح المقصود من الإستطاعة الشرعية؟

س١٢: اختر الإجابة الصحيحة، مع تصويب العبارات الخاطئة:

- استطاعة القدرة على الفعل حقيقة هى استطاعة الأسباب والآلات.
- الإستطاعة الشرعية هى إمكان الفعل مع انتفاء المفاسد الراجحة.
- التكليف بما لا يطاق يجوز عقلاً، ولكنه يمتنع شرعاً.
- العباد لا يطيقون إلا ما كلفهم الله به بحيث لو زاد التكليف لما أطاقوه[١].

(١) نقلا عن تهذيب الطحاوية للدكتور صلاح الصاوى.

الباب السابع

المتفرقات

يتوقع منك أخى الدارس والداعى وأختى الدارسة والداعية بعد دراسة جادة لهذا الباب أن تكون ملماً بما يلى:

الفصل الأول: عقيدة أهل السنة فى الصحافة والسلف(*).

وفيه أربعة مباحث:

١. (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط فى حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان واحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان).

٢. (ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبى بكر الصديق رضى الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه، ثم لعثمان رضى الله عنه، ثم على بن أبى طالب رضى الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون).

٣. (وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ..)، (ومن أحسن القول فى أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات.. فقد برىء من النفاق).

٤. (وعلماء السلف.. لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل).

(*) قلت: اعلم أن الوسطية هى أهم معلم لأهل السنة فهم وسط فى كل الأمور حتى مع الصحابة كانوا على هذه الوسطية بين مغالى ومجافى بين مفرِّط مُفرط مغالى فى الصحابة حتى أن بعضهم كما فعلت طوائف من الشيعة فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ومجافى حتى أنه كفر بعضهم أو كلهم إلاَّ سلمان وآخرين لم يكفروه وهى أيضاً طوائف من الروافض الباطنية وأيضاً لا يُستبعد ذلك عن الشيعة كما يروى ذلك من تفسيره، أما أهل السنة فهم وسط، فهم لم يغالوا ولم يجافوا لم يغالوا فى حب الصحابة حتى ألَّهوهم ولم يجافوا الصحابة حتى كفروهم هذا كما قال الطحاوى فى طحاويته.

الفصل الثانى: اتباع السنة والجماعة، واجتناب الفرقة:

١. (ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الخلاف والفرقة)، (ولا نخالف جماعة المسلمين).

٢. (ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً).

(والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم..).

٣. (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة).

٤. (ونرى المسح على الخفين فى السفر والحضر كما جاء فى الأثر).

الفصل الثالث: توسط الدين بين الإفراط والتفريط:

١. (ودين الله فى الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر وبين الأمن والإياس).

٢. (ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم، (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة).

الفصل الرابع: البراءة من الفرق الضالة:

• (فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذى ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية، مثل المشبهة، والمعتزلة، والجهمية، والجبرية، والقدرية، وغيرهم، من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء، وهم عندنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق).

المبحث الأول

حب الصحابة إيمان وبغضهم كفر

وَنحبُّ أصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ.

وَلا نُفَرِّطُ فى حُبِّ أَحَدٍ منْهُم، وَلا نَتبرأُ منْ أحَدٍ منْهُم(١).

وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُم، ولاَ نَذْكُرُهُم إلاَّ بِخَيْرٍ.

وَحُبُّهُمْ: دِينٌ وَإيمانٌ وإحْسَانٌ.

وَبُغْضُهُمْ: كُفْرٌ ونِفَاقٌ وَطُغْيانٌ.

حب أصحاب رسول الله ﷺ دين، وبغضهم كفر

*** قال ابن أبى العز:**

يشير الشيخ رحمه الله بذلك إلى الرد على الروافض والنواصب.

وقد أثنى الله ورسوله على الصحابة ووعدهم بالحسنى: قال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ الآية [الفتح: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠].

(١) **قلت:** ولا نتبرأ من أحد منهم فنكفرهم كما قالت الشيعة ولا ولاء إلا ببراءة أى لا ولاء لعلى إلا ببراء ممن عادى على أو ممن هو من الصحابة فعقيدة أهل السنة فى الولاء والبراء بخلاف عقيدة أهل البدع فى الولاء والبراء فلا تفرح حينما تسمع أن الشيعة من عقائدها الولاء والبراء وتقول اتفقت مع أهل السنة فى هذه الجزئية نقول لك إنك لم تفهم الولاء والبراء عند أهل البدع أو عند أهل السنة وعند الشيعة على وجه الخصوص فأهل السنة الولاء عندهم لسائر المسلمين، الأصل المحبة لجميع من دخل دائرة الإسلام نواليه ثم تزداد هذه الموالاة بقدر طاعته لله ونصرته لدين الله وتقل بقدر قلة عمله أو طاعته أو معاصيه مع بقاء أصل الولاء والمحبة على أية حال والبراء من سائر الكفرة والمشركين والمنافقين ويزيد بزيادة كفرهم ويقل بقلته مع بقاء أصل البراء موجود لكل كافر هذه هى عقيدة الولاء والبراء عند أهل السنة أما عند الشيعة لا ولاء إلا ببراء.

لا ولاء ومحبة لعلى رضى الله عنه إلا ببراء من سائر من عاداه يزعمهم من الصحابة لا سيما طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنهم أجمعين فلهذا قال الطحاوى رداً عليهم هذا الكلام كما سيأتينا.

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون الله ألا يجعل فى قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء هم المستحقون للفىء، فمن كان فى قلبه غل للذين آمنوا ولم يستغفر لهم لم يستحق فى الفىء نصيباً بنص القرآن، وقال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [التوبة: ١٠٠][1].

وهم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، وقيل هم من صلى إلى القبلتين ولا دليل عليه، والصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة، لأن النسخ ليس من فعلهم.

وفى الصحيحين من حديث عمران بن حصين وغيره: قال ﷺ: «**خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، قال عمران: فلا أدرى أذكر قرنين أو ثلاثة..[2] الحديث.

قول المصنف: (**ولا نفرط فى حب أحد منهم**]: أى لا نتجاوز الحد فى حب أحد منهم كما فعلت الشيعة فنكون من المعتدين. قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ [النساء: ١٧١].

وقوله: (**ولا نتبرأ من أحد منهم**): كما فعلت الروافض، فعندهم لا ولاء إلا ببراء أى لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبى بكر وعمر.

وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التى يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، وهذا معنى قول بعض السلف من الصحابة والتابعين كأبى سعيد الخدرى، وإبراهيم النخعى والحسن البصرى والضحاك: الشهادة بدعة والبراءة بدعة، ومعنى الشهادة أن يشهد على معين من المسلمين أنه من أهل النار، أو أنه كافر بدون العلم بما ختم الله له به.

حب أصحاب رسول الله دين وإيمان:

وذلك لأنه امتثال لأمر الله فيما تقدم من النصوص: روى الترمذى عن عبدالله بن مغفل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الله الله فى أصحابى، لا تتخذوهم غرضاً بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله تعالى، ومن**

(١) قلت: كيف لانحب من رضى الله عنهم وقطع لهم بالرضوان كونك تبغض من رضى الله عنهم فأنت فى هذه الحالة خالفت مراد الله عز وجل فيهم فكونك أنك لا تحب لهم ذلك ولا تترضى عن من رضى الله عنهم فهذه معصية وخذلان وكفر ونفاق وطغيان.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٧/ ٥/ ٣٦٥٠)، ومسلم (٨/ ٣٢٦/ ٢١٤)، والنسائى (٧/ ١٧ ـ السيوطى).

جميعًا من طريق: أبى جمرة، سمعت زهدم بن مضرب قال: سمعت عمران بن حصين ـ رضى الله عنهما ـ يقول: . . . . الحديث.

آذى الله يوشك أن يأخذه»[1]. وتسمية حب الصحابة إيماناً مشكل على الشيخ رحمه الله[*].

أما قول المصنف رحمه الله تعالى: [وبغضهم كفر]، فإن الكفر هنا نظير الكفر المذكور فى قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقد تقدم الكلام فى تكفير أهل البدع.

* قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

أى لا نتجاوز الحد فى حب أحد منهم، فندعى لهم العصمة، كما تقول الشيعة فى على رضى الله عنه وغيره من أئمتهم[**].

---

(١) أخرجه الترمذى (٥/ ٦٩٦/ ٣٨٦٢)، وأحمد فى «مسنده» (٥/ ٥٤)، وابن حبان فى «صحيحه» (٩/ ١٨٩/ ٧٢١٢).

جميعًا من طريق: عبيدة بن أبى رائطة، عن عبدالرحمن بن زياد، عن عبدالله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: . . . الحديث.

قال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(*) **قلت:** هذه من أدلة المصنف أو من الأدلة التى يستدل بها للإمام الطحاوى على أن حبهم إيمان وبغضهم نفاق كذلك، وجاء فى الصحيح فى فضائل الأنصار أحاديث كثيرة فى هذا المعنى أيضا أن النبى ﷺ بيّن أن حب الأنصار من الإيمان وأن بغضهم من النفاق وهذه الأحاديث أيضا قريب منها ما جاء عن علىّ أن حبه من الإيمان وبغضه من النفاق، وليس معنى ذلك أن الشيعة يأخذوا هذا الكلام ويقرحوا به نحن نقول هذا فى الصحابة بوجه عام ولمن خصهم النبى بالذكر بوجه خاص.

(**) **قلت:** مسئلة العصمة للأولياء ومسئلة الرجعة للإمام عند الشيعة الإثنى عشرية ومسئلة التقية أيضاً من معتقدات الشيعة وهى إظهار خلاف ما يبطنون، ونسبة هذا إلى على رضى الله عنه قدح أم مدح فى على؟ الجواب: لأنهم بذلك يصفونه بأنه جبان وكذلك فى غيرها يقولون أبو بكر كافر وعمر كافر رضى الله عنهم أجمعين لوهم كذلك لماذا على يزوج ابنته لعمر رضى الله عنه وهذا ثابت زواج عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الملهم المحدث عمر ملهم ومحدث لماذا؟ لأنه علم أنه ستحدث وقيعة بينه وبين على، لا سيما فى أمر الخلافة بعد النبى ﷺ من قبل الشيعة والسبأية وهؤلاء أصلهم يهود فتزوج لذلك ابنته أم كلثوم فتزوجها فى قصة معروفة ومشهورة، هل ممكن يزوج إبنته كافر كيف على يزوج إبنته من واحد كافر وهذا لا يجوز أصلاً سورة الممتحنة ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ فيقولوا: تقية فكان الشيخ الطحان يقول أقل واحد فيهم لا يقول على الذى كان فى خيبر والنبى ﷺ يقول انفذ على رسلك ويروى عنه حكايات مع اليهود وفتح حصون خيبر وأنه حمل بابًا لا يستطيع حمله بعد ذلك أربعون رجلاً، حمله على رضى الله عنه ودخل به الحصن على اليهود أضعف واحد فينا الذى يحمل المقشة بالعافية لو أننى له چورج بوش وقال له زوجنى أبنتك هل يرضى؟! ولو من باب التقية؟ الجواب: لا يرضى حيث أن أقل واحد فينا لا يرضاه لنفسه فكيف ترضاه بها بن طالب هذا قدح أم مدح؟ قدح أيضاً الحاصل يا إخوانى أنهم عندهم الشبه التى يهربوا بها والتى يخترعوها منافذ.

منها: عصمة الأولياء والعلم اللدونى، الباطن والظاهر، التقية أى شىء من هذا، إن القرآن بدل، إن القرآن الذى معنا ليس هو القرآن الكامل وأنه يوجد قرآن آخر وأن علياً رضى الله عنه نفسه صرح لما=

* قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:

أى كما فعلت الرافضة، فعندهم لا ولاء إلا ببـراء، أى لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبى بكر وعمر رضى الله عنه، وأهل السنة يوالونهم جميعاً وينـزلونهم منازلهم التى يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالهوس والتعصب.

=سألوه هل خصكم رسول الله بشيء دون الناس قال ما خصنا بشيء إلا ما فى هذه الصحيفة وكان فيها بعض أحكام الجراحات حديث فى السنن ما خصنا بشيء وقال فى الصحيفة ولم يقل: قرآن على قرآن فاطمة الذى يقول به الشيعة وأنت حينما تأتى بالحجة عليهم يقولوا إن هذا القرآن زاد ونقص ليس بحجة أين هم من قوله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ أين كل هذا الكلام، ابن كذا وكذا يضربوا بهذا عرض الحائط، فلان هذا سكت لماذا؟ سكت كيف تسمعوا كلام هذا أو تتركوا كلام القرآن، لأن هذا ولى والأولياء عندنا معصومون، كيف تفهموا ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ تقولوا يذبحوا عائشة لأنه يوجد فرق بين الظاهر والباطن، الظاهر هو أن البقرة هذه بخاصة موسى والباطن هذا هو العلم الحقيقى الذى يعلمه أرباب السلوك يقولون: إن هذه إشارات المقصد منها أشخاصاً معينة وهذا الذى يسميه أهل الاتحاد والحلول الغرض من كل هذا إنقاص ما فى الشريعة أو إدخال ما ليس فيه عليها وكذلك من قال بخلق القرآن لزوال الهيبة من القرآن ليستطيع بعد ذلك التغيير والتحريف فيه، الذى قال بوحدة الوجود فى النهاية يريد التبديل والتحريف يقول أنا من أنا ومن أهوى أنا وفى الأخر يسقط التكليف المهم أن هذا الشرع ثقيل على قلوبهم يريدون إزاحته بأى طريقه، الشيعة بالظاهر والباطن بالحقيقة والشريعة، الصوفية بالعلم اللدونى والحقيقة والشريعة أو بعصمة الأولياء عند الشيعة أو بخلق القرآن عند المعتزلة وأفراخ المعتزلة أو بوحدة الوجود عند من يقول بوحدة الوجود سواء من الصوفية وغيرهم، المقصد من ذلك إزالة التكاليف وأن تفعل ما تشاء ويبغونها عوجا.

المبحث الثانى

خلافة الراشدين

وَنُثْبِتُ الخلافَةَ بَعْدَ رَسُول الله ﷺ أوَّلاً لأبى بكر الصِّدِّيقِ رَضِىَ الله عَنْهُ تَفْضيلا لَهُ وَتَقْديمًا عَلَى جَميع الأمَّة، ثُمَّ لعُمَرَ بن الخَطَّاب رَضِى اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ لعُثمان رَضِىَ الله عَنْهُ، ثُمَّ لعَلى بنِ أبى طَالبٍ رَضِىَ الله عَنْهُ، وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُون وَالأئمَّةُ المهْتَدُون(١).

---

* قال ابن أبى العز:

اختلف أهل السنة فى خلافة الصديق رضى الله عنه هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصرى وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفى والإشارة. ومنهم من قال بالنص الجلى. وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار(٢).

أولاً: خلافة أبى بكر:

الأدلة على ثبوتها بالنص:

* ما أسنده البخارى عن جبير بن مطعم قال: أتت امرأة النبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه،

---

(١) **قلت:** لماذا؟ لأن الشيعة تقول: الخلافة هذه وصية وصى بها النبى صراحة لعلى ثم أخذت منه قهراً وإنما هو سكت تقية كما سأشرح ذلك تفصيلاً ثم سمعنا اليوم من بعض الطرق الصوفية أن منهم من يقول إن كل من يطلق عليه خليفة فهو خليفة وهو المعنى بقول الرسول «**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين**» إذن غالوا [**مغالى ومجافى مفرط ومفرط**] حتى فى الخلافة منهم من يخزل الخلافة ويقصرها على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ومنهم من يتوسع فيها فيجعلها لكل من أطلق عليه خليفة وإن كان قائماً على معاصى الله كما يطلق على خلفاء الصوفية خلفاء، خليفة ونائب الخليفة، فيكون هذا المقصود عندهم بقوله: **عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين ضاربين بقول النبى الراشدين المهديين** عرض الحائط وضاربين أيضاً بإجماع الأمة على أن المعنى بقول النبى عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى هم أبو بكروعمر وعثمان وعلى ثم أضافوا إلى هؤلاء عمر بن عبدالعزيز.

(٢) **قلت:** هل ثبتت الخلافة لأبى بكر الصديق بالنص من الرسول على خلافته أم باختيار الصحابة له؟ سواء قلنا بالنص أو بالاختيار فكلا الأمرين حجة على الروافض والشيعة لماذا؟ لأننا لو قلنا بالنص تكون المسئلة بذلك منتهية، أن الرسول نص على خلافة أبى بكر فهذا خلاف ما تزعمه الشيعة أنه نص على خلافة علىّ بن أبى طالب، وأن الصحابة منعوه حقه حينما ولوّا أبا بكر ثم عمر ثم عثمان، إذا قلنا أنه ليس هناك نص فهناك إتفاق على اختيار أبا بكر وإجماع للأمة على إختياره ونحن نعلم أن الإجماع حجة لا سيما إجماع الصحابة رضى الله عنهم لأن النبى ﷺ قال: «**لا تجتمع أمتى على ضلالة**» فإذا قال قائل لا بل الخلافة لعلى وليست لأبى بكر نقول له أنت مكذب للرسول خارق لإجماع الأمة لأن الرسول ﷺ قال: «**لا تجتمع أمتى على ضلالة**» أجمعوا على خلافة أبى بكر فإما أن تخضع لهذا الإجماع وتزعن له وإما أن تكون مكذب لماذا؟ لقول النبى فى حجية الإجماع لا سيما إجماع الصحابة «لا تجتمع أمتى على ضلالة».

قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت! قال: «**إن لم تجدينى فأتى أبا بكر**»(١).

* وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها وعن أبيها قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ فى اليوم الذى بدىء فيه، فقال: «**ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب لأبى بكر كتاباً، ثم قال: يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**» وفى رواية: «**فلا يطمع فى هذا الأمر طامع**»(٢).

* و فى السنن عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا بالذين من بعدى: أبى بكر وعمر**»(٣).

* أحاديث تقديمه فى الصلاة وهى مشهورة معروفة(*).

* أن عمر لما قال فى خطبته التى خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ لم ينكر ذلك أحد منهم، ولم يقل أحد من الصحابة قط أن النبى ﷺ نص على غير أبى بكر لا على ولا العباس ولا غيرهما. ومن نقل عنه أنه طلب تولية غير أبى بكر لم يذكر حجة دينية شرعية، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط.

دليل القائلين بثبوتها بالاختيار:

واحتج من قال: لم يستخلف، بالخبر المأثور: عن عبدالله بن عمر عن عمر رضى الله عنهما أنه قال: إن أستخلف فقد أستخلف من هو خير منى، يعنى أبا بكر، وإن لا أستخلف فلم يستخلف من هو خير منى، يعنى رسول الله ﷺ، قال عبدالله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٧/ ٢٢/ ٣٦٥٩)، ومسلم (٨/ ١٦٢، ١٦٣/ ١٠).
كلاهما من طريق: إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه به.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٨/ ١٦٣/ ١١).
من طريق: يزيد بن هارون، أخبرنا إبراهيم بن سعد، حدثنا صالح بن كيسان الزهرى، عن عروة، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ به.

(٣) أخرجه الترمذى (٥/ ٦٠٩/ ٣٦٦٢)، وأحمد فى «مسنده» (٥/ ٢٨٢).
كلاهما من طريق: سفيان بن عيينة، عن زائدة، عن عبدالملك بن عمير، عن ربعى بن حراش، عن حذيفة به.
قال الترمذى: هذا حديث حسن.

(*) **قلت**: هل بعد ذلك إشارة إن لم يكن تصريح بالخلافة إذ لو كان أحد من هذا الدين بـ منزلة الرأس من الجسد بخلاف الشيخين ـ رضى الله عنهما ـ لذكرهما ﷺ فى مثل هذه الأحاديث هذا بالإضافة إلى الأحاديث الكثيرة المشهورة المعروفة فى تقديم النبى لأبى بكر فى الصلاة فى مرض الموت كان يقدم الصديق رضى الله عنه، ما معنى هذا؟ ولو كان أحد غيره يقدم عليه لقدمه النبى ﷺ وفى حياته صلى الصديق بالصحابة صلوات والرسول فى مرض موته كان منها بعض الصلوات التى خرج فيها متوكأ بين على وآخر حتى أجلسوه بجوار الصديق رضى الله عنه.

مستخلف(*).

والظاهر أن المراد ـ والله أعلم ـ أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهداً لكتبه لأبى بكر بل قد أراد كتابته ثم تركه وقال: يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر، فكان هذا أبلغ من مجرد عهد فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بياناً قاطعاً للعذر، ولكن لما دلهم عليه بدلالات متعددة حصل المقصود.

فضائل الصديق رضى الله عنه:

النصوص الواردة فى فضل أبى بكر رضى الله عنه كثيرة، منها: قال رسول الله ﷺ وهو على منبره: «**لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين فى المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبى بكر**»(١).

وفى الصحيحين عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أى الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»،قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟ قال: «**عمر**»،وعد رجالا(٢).

ثانياً: خلافة عمر:

أى ونثبت الخلافة بعد أبى بكر لعمر رضى الله عنه، وذلك بتفويض أبى بكر الخلافة إليه وإجماع الأمة بعده عليه.

فضائل عمر:

وفضائله رضى الله عنه أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر، منها:

ما جاء فى الصحيحين أنه ﷺ قال: «**قد كان فى الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن فى أمتى أحد منهم فإن عمر بن الخطاب منهم**»(٣) (محدثون: ملهمون).

وفى الصحيحين عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم رأيتنى على**

(*) **قلت**: لكن الرد بسيط أن النبى لم يستخلف بعهد مكتوب إلا أن عمر رضى الله عنه أراد الإستخلاف بعهد مكتوب وضعه فى السنة المعروفة وأما فضائل الصديق فكثيرة.

(١) [**صحيح**] أخرجه البخارى (١/ ٦٦٥/ ٤٦٦)، والترمذى (٥/ ٦٠٨/ ٣٦٦٠).
كلاهما من طريق: أبى النضر، عن عبيد بن حنين، عن بسر بن سعيد، عن أبى سعيد الخدرى به.
قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٧/ ٢٢/ ٣٦٢٢)، ومسلم (٨/ ١٦٢/ ٨).
كلاهما من طريق: خالد الحذاء، عن أبى عثمان قال: حدثنى عمرو بن العاص به.

(٣) [**صحيح**] أخرجه البخارى (٧/ ٥٢/ ٣٦٨٩) من حديث أبى هريرة، وأخرجه مسلم ٨٠/ ١٧٦/ ٢٣)، والترمذى (٥/ ٦٢٢/ ٣٦٩٣) من حديث عائشة.
قال الترمذى: هذا حديث صحيح.

قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبى قحافة، فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين، وفى نزعه ضعف والله يغفر له، ثم استحالت غرباً، فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً من الناس يفرى فريه، حتى ضرب الناس بعطن»(١).

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس أن علياً ترحم على عمر يوم قبض وقال: ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أنى كنت أكثر ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**جئت أنا وأبو بكر وعمر**»، و«**دخلت أنا وأبو بكر وعمر**»، و«**خرجت أنا وأبو بكر وعمر**»(٢). فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما.

وفى الصحيحين قوله ﷺ لعمر: «**إيه يا ابن الخطاب، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجًا إلا سلك فجاً غير فجك**»(٣)(*).

ثالثاً: خلافة عثمان:

أى ونثبت الخلافة بعده لعثمان رضى الله عنه، وهو أحد الستة الذى أوصى عمر أن تكون الخلافة فيهم من بعده لأن رسول الله ﷺ توفى وهو عنهم راض وهم: على وعثمان والزبير وطلحة وسعد وعبدالرحمن(**).

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١٢/ ٤٢٩/ ٧٠١٩)، ومسلم (٨/ ١٧٣/ ١٩).
كلاهما من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٧/ ٥١/ ٣٦٨٥)، ومسلم (٨/ ١٧٠/ ١٤).
كلاهما من طريق: عمر بن سعيد، عن ابن أبى مليكة قال: سمعت ابن عباس يقول: .... الحديث.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٧/ ٥٠/ ٣٦٨٣)، ومسلم (٨/ ١٧٥/ ٢٢).
كلاهما من طريق: الزهرى، عن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد، عن محمد بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه به.

(*) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(**) **قلت**: هو طبعاً فى هذه الخلافة وجعل عليهم مين وأيضاً لم يدخل سعيد بن زيد وهو أحد المبشرين بالجنة زيد ومات النبى وهو عنهم راض لأنه كان بينهم نسب كان سعيد متزوج أخت عمر حتى لا توجد أى شبهة محاباه حينما لم يجعلها فى سعيد وعبدالرحمن بن عوف أخرج نفسه وجعل كل واحد الأمر لواحد فجعلهم ثلاثة، عبدالرحمن بن عوف قال كل واحد فى هؤلاء الستة يجعل أمره لواحد فالزبير وطلحة وعلى وعثمان، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد جعل أحدهم أمره لعلى والآخر لعثمان والثالث لعبدالرحمن ثم أخرج نفسه وبقى على وعثمان؟ بعد حكاية مؤداها أنه عرض عليهم من يخرج نفسه ويكون الأمر إليه أى أمر أختيار أحد الأثنين الباقيين قلم يخرج على ولم يخرج عثمان=

فضائل عثمان:

ومن فضائل عثمان رضى الله عنه الخاصة نذكر ما لى: كونه ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه. وأن الملائكة تستحى منه: ففى صحيح مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً فى بيته كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: «**ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة**»(١) وأن النبى ﷺ بايع عنه يوم بيعة الرضوان: ففى صحيح البخارى: أنه لما كان يوم بيعة الرضوان، وأن عثمان رضى الله عنه كان قد بعثه النبى ﷺ إلى مكة، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «**هذه يد عثمان**»، فضرب بها على يده فقال: «**هذه لعثمان**»(٢)(*).

رابعاً خلافة على:

أى ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلى رضى الله عنهما، فقد بايعه الناس، وصار إماماً حقاً واجب الطاعة وهو الخليفة فى زمانه خلافة نبوة كما دل عليه حديث سفينة أنه ﷺ قال: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء**»(٣).

فالخلافة قد ثبتت له رضى الله عنه بمبايعة الصحابة سوى معاوية مع أهل الشام، والحق مع على رضى الله عنه، ذلك أنه لما قتل عثمان رضى الله عنه كثر الكذب والافتراء عليه وعلى على، وكان

= فتخرج عبدالرحمن وقال أنا أختار واحداً منكم ولم يتم ثلاثة أيام يستشير الناس فى عثمان وعلى حتى وقع أغلب كلام الناس على إختيار أمير المؤمنين عثمان أو كلهم مطلقاً عليه فبايع عثمان وبايع الناس عثمان بعد مبايعته ولم يغصب على بن أبى طالب ولا فعل الذى نسمعه عن الشيعة وغيرهم.

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٨/ ١٨١/ ٢٦).

من طريق: محمد بن أبى حرملة، عن عطاء وسليمان ابنى يسار وأبى سلمة بن عبدالرحمن أن عائشة قالت: . . . . الحديث.

(٢) [**صحيح**] أخرجه البخارى (٧/ ٦٧/ ٣٦٩٨).

من طريق: أبى عوانة، حدثنا عثمان قال: جاء رجل من أهل مصر، وحج البيت، فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القوم؟

فقالوا: هؤلاء قريش. قال فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبدالله بن عمر. قال يا ابن عمر إنى سائلك عن شئ فحدثنى عنه . . . . الحديث.

(*) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٢١٠/ ٤٦٤٦)، والترمذى (٤/ ٥٠٢/ ٢٢٦٠).

كلاهما من طريق: سعيد بن جهمان، عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: . . . الحديث.

فى عسكر على من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته ومن فى قلبه نفاق لم يتمكن من أظهاره كله، فرأى طلحة والزبير أنه إن ينتصر للشهيد المظلوم ويقمع أهل الطغيان والفساد وإلا استوجبوا غضب الله وعقابه، فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من على، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين.

ثم جرت فتنة صفين لرأى: وهو أن أهل الشام يخافون طغيان من فى العسكر، كما طغوا على الشهيد المظلوم، وعلىّ هو الإمام الذى يجب أن يجتمعوا عليه، فاعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبتين عليهم تحصل بقتالهم، فحمله ما رآه من أن الدين إقامة الحد عليهم ومنعهم من الإثارة دون تأليفهم على القتال، وقعد عن القتال أكثر الأكابر لما سمعوا من النصوص فى الأمر بالقعود فى الفتنة، ولما رأوه من الفتنة التى تربو مفسدتها على مصلحتها.

ونقول فى الجميع بالحسنى: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠].

والفتن التى كانت فى أيامه رضى الله عنه صان الله عنها أيدينا فنسأله جل وعلا أن يصون عنها ألسنتنا بمنه وكرمه.

قوله: **(وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون)**.

عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتى، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(١)(٢).

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : «ومن طعن فى خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله». «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٣)(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٠٠/ ٤٦٠٧)، والترمذى (٥/ ٤٤/ ٢٦٦٧)، وابن ماجه (١/ ١٧/ ح٤٢، ٤٣، ٤٤).

جميعًا من طريق: خالد بن معدان، عن عبدالرحمن بن عمرو، عن العرباض بن سارية.

(٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) **قلت**: بعيداً عن أنه كافر أو فاسق لم يختلف أحد فى أنه أضل من حمار أهله لماذا؟ لأنه يطعن فى اجماع الأمة ويطعن كذلك فى أحاديث كثيرة للنبى فى فضائل هؤلاء.

المبحث الثالث

فضل العشرة المبشرين بالجنة

وَأَنَّ العَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُم رَسُولُ الله ﷺ، وَبَشَّرَهُم بِالجَنَّةِ نَشْهَدُ لَهُم بِالجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ لَهُم رَسُولُ الله ﷺ، وَقَوْلُهُ الحَقُّ(١).

وَهُمْ: أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُالرَّحمنِ بنُ عَوْفٍ، وأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَهُوَ أَمِينُ هَذِه الأمةِ رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِين.

*** قال ابن أبى العز:**

اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم(٢)، لما اشتهر من فضلهم ومناقبهم وقد تقدم ذكر بعض فضائل الخلفاء الأربعة، وهذا ذكر بعض فضائل الستة الباقين.

سعد بن أبى وقاص:

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: «**ليت رجلا صالحاً من أصحابى يحرسنى الليلة**»، قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال النبى ﷺ: «**من هذا؟**» فقال سعد بن أبى وقاص: يا رسول الله جئت لأحرسك(٣).

---

(١) قلت: لماذا؟ لأن الشيعة كفرت بعض المبشرين بالجنة مثل طلحة والزبير وقالوا فى تفسير قول الله تعالى «قاتلوا أئمة الكفر» قالوا أئمة الكفر طلحة والزبير وهذا من تفسير الباطنية، فنؤمن أن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، هذه الجنة ملك لنا أم ملك لله فالله سبحانه وتعالى أوحى لنبيه أن بشر هؤلاء بالجنة ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] إذا كان الله بشرهم بالجنة عن طريق النبى ﷺ، إذن لماذا نمنع الجنة منهم فالناس أيضاً فى أمر الجنة طرفان ووسط، طرف أدخل كل الناس الجنة كأن الجنة ملكه حتى منهم من أدخل بعض الصليبيين الجنة وأيضاً طرف حجبوا الجنة حتى عن من شهد لهم الرسول بالجنة وقطع لهم بالجنة فتقدم معنا أننا لا نشهد لأحد بجنة ولا بنار إلا ما شهد له الوحى بالنار كأبى لهب والجنة كالعشرة المبشرين منهم الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين.

(٢) **قلت:** اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم حتى تجد هذا فى الكتب التى عنت بتخريج الأحاديث على المسانيد مثل مسند الإمام أحمد وغيره الذى خرج الأحاديث مرتبة على الصحابة فقدم من الصحابة العشرة المبشرين ومنهم الخلفاء الراشدين وبعد ذلك العشرة وبعد ذلك أهل البيت وبعد ذلك ترتيبات خاصة للإمام أحمد الشاهد منها أنه قدم حتى فى ترتيب الأحاديث وترتيب مسانيد الصحابة مسند هؤلاء على مسند غيرهم وأحاديث هؤلاء على أحاديث غيرهم فانظروا كيف أن أهل السنة حريصون حرصاً عملياً على تقديم هؤلاء؟!! فهذا إجماع واتفاق.

(٣) **[متفق عليه]** أخرجه البخارى (٦/ ٩٥/ ٢٨٨٥)، ومسلم (٨/ ١٩٥، ١٩٦، ٣٩).
كلاهما من حديث عائشة ـ رضى الله عنها.

وفى الصحيحين: أن رسول الله ﷺ جمع لسعد بن أبى وقاص أبويه يوم أحد فقال: «**ارم فداك أبى وأمى**»(١).

طلحة:

روى مسلم عن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة التى وقى بها النبى ﷺ يوم أحد قد شلت»(٢).

وروى أيضا عن أبى عثمان النهدى قال: لم يبق مع رسول الله ﷺ فى بعض تلك الأيام التى قاتل فيها النبى ﷺ غير طلحة وسعد»(٣).

الزبير:

روى مسلم عن جابر بن عبدالله قول النبى ﷺ: «**لكل نبى حوارى، وحوارى الزبير**»(٤).

وفى الصحيحين عن الزبير أن النبى ﷺ قال: «**من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم؟**»فانطلقت، فلما رجعت جمع لى رسول الله ﷺ بين أبويه، فقال: «**فداك أبى وأمى**»(٥).

أبو عبيدة:

روى مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»(٦).

وفى الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: جاء أهل نجران إلى النبى ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: «**لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين**»، فاستشرف لها الناس قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح(٧).

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٧/ ٤١٥/ ٤٠٥٩)، ومسلم (٨/ ١٩٦/ ٤١).
كلاهما من حديث على ـ رضى الله عنه.

(٢) [صحيح] أخرجه البخاري (٧/ ١٠٣/ ٣٧٢٤).
من حديث قيس بن أبى حازم قال: «رأيت يد طلحة...» الحديث.

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٧/ ٤١٦/ ٤٠٦٠، ٤٠٦١)، ومسلم (٨/ ٢٠١، ٢٠٢/ ٤٧).
كلاهما من حديث أبى عثمان قال: «لم يبق مع رسول الله ﷺ فى بعض تلك الأيام التى قاتل فيها...» الحديث.

(٤) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٧/ ٩٩/ ٣٧١٩)، ومسلم (٨/ ٢٠٢/ ٤٨).
كلاهما من حديث جابر بن عبدالله.

(٥) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٧/ ٩٩/ ٣٧٢٠)، ومسلم (٨/ ٢٠٢/ ٤٩).
كلاهما من حديث عبدالله بن الزبير.

(٦) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٧/ ١١٦/ ٣٧٤٤)، ومسلم (٨/ ٢٠٥/ ٥٣).
كلاهما من حديث أنس بن مالك.

(٧) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٧/ ١١٦، ١١٧/ ٣٧٤٥)، ومسلم (٨/ ٢٠٥، ٢٠٦/ ٥٥).
كلاهما من حديث حذيفة.

البراءة من النفاق لمن أحسن القول فى الصحابة وأمهات المؤمنين(*)

وَمَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِن كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ المُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ: فَقَدْ بَرِيءَ مِنَ النِّفَاقِ.

سعيد بن زيد وعبدالرحمن بن عوف:

روى أبو داود وابن ماجه والترمذى وصححه عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنى سمعته يقول: «**عشرة فى الجنة: النبى فى الجنة، وأبو بكر فى الجنة، وطلحة فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وسعد بن مالك فى الجنة، وعبدالرحمن بن عوف فى الجنة**» ولو شئت لسميت العاشر قال: فقالوا: من هو؟ قال: سعيد بن زيد، وقال: لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر منه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عَمَّرَ عُمْرَ نوح(١).

وروى أحمد فى مسنده عن عبدالرحمن بن عوف أن النبى ﷺ قال: «**أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعلى فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير، بن العوام فى الجنة، وعبدالرحمن بن عوف فى الجنة، وسعيد بن زيد فى الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة**»(٢)(**).

(*) **قلت**: ما هذا؟! أزواج النبى لم يسلموا من ألْسِنَة الباطنية نعم لم يسلموا وقد ذكرت فى كتابى التيسير شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام، التفسير الإشارى الصوفى، أو تفسير الباطنية فى سبهم فى عائشة فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ قالوا عائشة من سلم لسانه من ذلك فى صحابه النبى أو فى زوجاته الطاهرات ومن أحسن القول فيهم فقد برىء من النفاق، وهذا وصف من كلام الطحاوى، وصف لكل من أطلق لسانه فيهم بالسب بأنه منافق منافق منافق.

وأقول لكم أن ألْسِنَة وسهام الروافض والباطنية الشيعة أيضاً لحقت بأمهات المؤمنين كما تقدم فى الصحابة الطيبين بل فى المبشرين بالجنة طلحة والزبير كما تقدم معنا فى قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ قالوا: طلحة والزبير، وفى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قالوا عائشة وفى المقابل يرفعون عليًا رضى الله عنه فى آيات حملوها على ذلك مثل ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ قالوا الحسن والحسين إلى أخر هذه المغالطات.

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢١١/ ٤٦٥٠)، وابن ماجه (١/ ٤٨/ ١٣٣).

كلاهما من طريق: المثنى النخعى، حدثنى جدى رياح بن الحارث قال: كنت قاعداً عند فلان فى مسجد الكوفة وعنده أهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل... الحديث.

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (١/ ١٨٨).

من طريق: شعبة، عن الحر بن الصباح، عن عبدالرحمن بن الأخنس قال: خطبنا المغيرة بن شعبة فنال من على فقام سعيد بن زيد فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحديث.

(**) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

* قال ابن أبى العز:

روى مسلم عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قام فكان مما قال: «**وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى**» ثلاثاً[1].

وأخرج البخارى عن أبى بكر أنه قال: ارقبوا محمداً فى أهل بيته.

كيف أحدث الرفض؟:

الرفض باب الزندقة، ذلك أن الذى أحدثه منافق زنديق، قصده إبطال دين الإسلام، والقدح فى رسول الله ﷺ. فقد أراد عبدالله بن سبأ بعد أن أظهر الإسلام أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى سعى فى فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم إلى الكوفة أظهر الغلو فى على والنصر له ليتمكن من أغراضه، وبلغ ذلك علياً فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيس، وخبره معروف فى التاريخ[2][3].

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٨/ ١٩٠/ ٣٦).

من حديث زيد بن أرقم ـ رضى الله عنه ـ.

(٢) **قلت**: هذا أصل مسألة الروافض لماذا؟ لأن أى تفرقه بين هذه الأمة أصلها فتن يهودية أو فتن من غير هذه الملة المحمدية بوازع منهم ليشعلوا فى هذه الأمة نيران الفتن وفينا مسماعون لهم سفهاء، سماهم النبى بالهمج الرعاع اتباع كل ناعق وسماهم ابن القيم أو وصفهم بأنهم وقود كل فتنة.

(٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

المبحث الرابع

توقير علماء السلف وموالاتهم

وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُم مِنَ التَّابِعِينَ ـ أَهْلُ الخَيْرِ وَالأثرِ، وَأَهْلُ الفِقهِ وَالنَّظَرِ ـ لاَ يُذْكَرُونَ إِلاَّ بِالجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرهُم بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ(*).

*** قال ابن أبى العز:**

يجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزل النجوم يهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

(*) **قلت:** على غير السبيل: أى على غير السبيل الذى هو السبيل، سبيل الهداية كذلك من تبعهم بإحسان، من تكلم فيهم بغير الجميل وذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.

هذه عقيدة ـ وليست مسئلة الكلام على العلماء هذه مسئلة مستحبة والحفاظ على حرمة أهل العلم كذلك مستحبة إن عملت بها فبها ونعمة ـ وإن لم تفعل فلا شئ عليك ـ لأنك ما تركتها إلا مستحبًا لا هذه المسئلة عقيدة لماذا؟ لأن من مسالك أهل البدع والأهواء الطعن فى العلماء إعلم ذلك جيداً.

سؤال: هناك من يطعن فى العلماء ويجعل دينه وديدنه الطعن فى العلماء والحط من قدرهم سواء كان من السلف أو من سار على دربهم من المعاصرين، يطعن ويحط، فهل بذلك صار من أهل البدع والأهواء. إذ سلك هذا المسلك فى الطعن والحط من قدر العلماء ـ إما بعض السلف أو من تبعهم من المعاصرين هل لهذا المسلك يكون قد خرج عن أهل السنة والجماعة ودخل فى دائرة أهل البدع والأهواء بالكلية؟

الجواب: لا يلزم من أن يسلك بعض الناس مسلكاً من بعض مسالك أهل البدع أن يكون خارجاً بالكلية عن أهل السنة وداخلاً بالكلية فى أهل البدع.

مثال: الخوارج من مسالكهم التشدد فى العبادة حتى بين النبى ﷺ ذلك وثبت عنه فى الصحيح أنه قال: «**تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم، وصيامكم إلى صيامهم**» متشددون وذكرت طرفا من شدتهم فى العبادة بل وفى الجهاد حتى يروى عن أحدهم: أنه قاتل جيشاً للحجاج جرارًا وما معه إلا ستة عشر رجلاً مثل شبيب بن يزيد لعل اسمه كذلك أحد الخوارج الصناديد قال ابن كثير عنه فى «**البداية والنهاية**» أنه ما قتله أحد إلا الله فلو شابه الخوارج فى هذه الجزئية مع سلامة المعتقد فى سائر المعتقدات وفى سائر المسالك فهل هذه الجزئية تخرجه من دائرة أهل السنة والجماعة وتدخله فى دائرة أهل البدع مطلقاً؟ الجواب: لا لأنه لا يلزم من التشبه فى الجزء أن يكون داخلاً فى الكل حكماً وهذه أيضاً من وسطية أهل السنة.

الحاصل أن من سلك مسلك أهل البدع فى الطعن على العلماء مع سلامة المسالك الأخرى والمعتقد فإنه لا يخرج بالكلية عن دائرة أهل السنة إلى دائرة أهل البدع كما نعرف أيضًا أن من مسلك أهل البدع الخروج على الحكام فلا يتصور أن كل خارج على الحكام سار بدعى بالكلية بل لا يخرج من دائرة أهل السنة مطلقاً إلى دائرة أهل البدع مطلقاً بسلوك مسلك مثل هذه المسالك فقط حتى يجتمع له مسالك هذه الفرقة بأكملها حتى نحكم له بأنه خارجى أو أنه مرجىء أو أنه كذا وإلا فلماذا الإمام الأعظم أبى=

علماء الأمة خيرها:

لقد كانت كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول ﷺ من أمته، والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب وبه قاموا، متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباعه ﷺ.

عذرهم فيما خالفوا فيه السنة:

سبق أن العلماء متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباعه ﷺ، ولكن إذا وجد لأحدهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلابد له في تركه من عذر.

وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

* عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

=حنيفة لم يسموه مرجىء بإطلاق ولم يسموا الأحناف مرجئة بإطلاق لأنهم شابهوا المرجئة في الجزء ولم يشابهوا المرجئة في الكل بل شابهوا أهل السنة في كثير وخالفوهم في قليل وشابهوا المرجئة في قليل فلهذا لم يحكم عليهم بأنهم مرجئة بإطلاق سموهم مرجئة الفقهاء وليس مرجئة فقط، هذه هي وسطية أهل السنة.

والناس في هذا الأمر طرفان ووسط طرف أخذ هذا المسلك وغالى فيه ونفخ فيه وجعل الرجل بدعيًا بالكلية وقال إنه مبتدع وفرق الناس من حوله.

وطرف غض الطرف عن هذه الجزئية نهائيا وقال لا تتكلم في هذه الجزئية حتى ولو بالنصيحة حتى ولو بدون تجريح حتى ولو بدون حط من قدر المتحدث فهذا خطأ وهذا خطأ.

والصواب: أن مع احترامنا وحبنا لهذا المخالف لهذه الجزئية إلا أننا ينبغي أن نبين الحق فالحق أحب إلينا منه.

الحاصل يا إخواني أن علماء السلف لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، ولهذا لا يقبل من مثل ابن حزم كلامه في أهل العلم ومن هما رحمه الله حرقت كتبه وصدت الناس عنها بسبب شدته في الكلام على الأئمة في أمور قد يكون محق فيها لكن كونه محقًا لا يسوغ له أن يشتد في الكلام على الأئمة.

نحن مع العلماء طرفان ووسط طرف ظل يقلب السيئات حسنات وغالى في شيخه حتى أن وقع من الشيخ المعاصر أو الشيخ السلفي الذي يحبه ونحن نحبهم جميعا لكن هو يحب هذا الشيخ بشدة ومتمذهب على مذهبه فيحاول أن يأول أي قول يخطأ فيه الشيخ فهل بهذا قد ضر نفسه؟! الجواب نعم ضر نفسه وضر شيخه أيضاً.

طرف على العكس يقلب الحسنات لمساوىء ولم يرى أحداً عالماً إلا هو أما أهل السنة فهم وسط بين الطرفين أيضاً مع العلماء وهم يحبون العلماء جميعاً يترضون عنهم جميعاً يذكرونهم بالجميل جميعاً مع بيان ما جانبهم فيه الصواب وتعلم أن من مذهبهم أيضاً تبرأة المذهب من مثل هذه الأمور التي جانبهم فيها الصواب.

فنحن لا تعالى ولا نجافي، لا نقلب السيئات حسنات ولا الحسنات سيئات من باب التعصب والهوى الذي هو من الأمور الأقرب للجاهلية.

* عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

* اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق، وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا فرضى الله عنهم وأرضاهم.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. (١)(٢).

(١) **قلت:** نختم أيضا موقفنا من الصحابة والسلف بما قاله بعض السلف فيما شجر بين السلف أو بين الصحابة ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

لا ينبغي أبداً إن كنت في يوم من الأيام خطيباً أو واعظًا أن تذكر على الناس ما شجر بين الصحابة لا يجوز أبداً ولا تدخل في تفاصيل لأن الناس لن يفهموا ومن الممكن أن تخرج من الدرس متغير، هب أني ذكرت ما حدث أو ما شجر، فأنا متأكد أن بعض الناس سيكره معاوية وآخر يحب معاوية أو يكره غير معاوية، وهذا الكلام لا يجوز ولا يصح نهائيا كلهم جميعاً رضي الله عنهم وعلى العين والرأس ولا تتكلم فيما شجر إلا بمثل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، أو ما جاء عن عمر بن العزيز الخليفة الخامس الراشد وقد سئل عما شجر بين الصحابة فقال «تلك فتنة طهر الله منها أيدينا فلا نلطخ بها ألسنتنا».

(٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

الفصل الثانى:

المبحث الأول

وجوب اتباع السنة والجماعة واجتناب الشذوذ والفرقة

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ: الشُّذُوذَ وَالْخِلافَ وَالْفُرْقَةَ(*).

---

* قال ابن أبى العز:

السنة: طريقة الرسول ﷺ، والجماعة: المسلمون، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال. قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١١٥]. وقال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

(*) قلت: انتبهوا هذا الكلام لابد أن يطبق عملى.

إتباع السنة والجماعة كما قلت: رحمة الخلق واتباع الحق رحمة الخلق بالجماعة واتباع الحق باتباع السنة نجمع بين الاثنين وهذا لا تجده إلا فى أهل السنة.

مثال: إنسان لم يرحم الخلق تجده يقول: هذا بدعى وهذا منافق وهذا سنى وهكذا من باب تعظيم الحق ويقول هذا دين لابد أن أبين ويعظم فى مسألة الحق هذه على حساب رحمة الخلق، ونجد أخر يضيع الحق على حساب رحمة الخلق يقول: يا أخى ما المشكلة لو ابتدعوا أو اخترعوا؟! ليس هناك مشكلة هذا لا يصلح رحمة الخلق لابد أن يكون معها تعظيم الحق، واتباع الحق لابد أن يكون معه رحمة الخلق والإثنان لا يجتمعان إلا لمن كان هذا حاله من أهل السنة قولاً وعملاً.

ذكرت لكم أن منهج أهل السنة يتلخص فى هاتين الكلمتين، أهل السنة والجماعة بين أمرين نميز بهما أهل السنة من غيرهم، أمر متعلق بالمنهج وأمر متعلق بالأخلاق وبالسلوك. أما المنهج فهو التمسك بالسنة، فى مقابل تمسك الناس بالآراء والأهواء، فلهذا سموا بأهل السنة.

أما الجماعة: لأنهم إذا تعلق الناس بالفرقة أو بالتحزيب أو المذهبية والشلالية أو الطرقية تمسكوا بالجماعة ويدعون للجماعة يوالون على الإسلام لا على شيخ ولا على مذهب ولا على فرقة ولا على طريقة. الولاء على الإسلام والبراء أيضاً على الإسلام فهم جمعوا فى المنهج بين التمسك بالسنة وفى السلوك بين رحمة الأمة بالدعوة إلى الجماعة والموالاة على ذلك والمعاداة على ذلك.

قال ابن مسعود: الفرقة عذاب والجماعة رحمة «وأن الجماعة فيما تكرهون خير من الفرقة فيما تحبون».

الحاصل: أنهم جمعوا بين رحمة الخلق واتباع الحق.

إتباع الحق لذلك سموا بأهل السنة.

رحمة الخلق لذلك سموا الجماعة.

سموا بأهل السنة والجماعة أيضاً لأنهم فى منهجهم لا يتبعون إلا المعصوم أو المعصومة وهى الأمة=

وفى السنن من حديث العرباض بن سارية: «. . . . فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»(١).

*** قال ابن مانع:**

وهذا فيه سلامة دين الإنسان، فينبغى له فى مسائل الخلاف أن يأخذ بقول جمهور العلماء؛ لأن ما خالف قول الجمهور شاذ لا يعول عليه، ما لم يكن فى ذلك دليل نص من الكتاب أو السنة، فالأخذ به واجب.

وهذا بالإجماع كما حكاه الإمام الشافعى رحمه الله.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

السنة: طريقة الرسول ﷺ، والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين. فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قلت: يعنى الشذوذ عن السنة ومخالفة الجماعة الذين هم السلف كما علمت. وليس من الشذوذ فى شىء أن يختار المسلم قولاً من أقوال الخلاف لدليل بدا له(٢)، ولو كان الجمهور على خلافه خلافاً لمن وهم، فإنه ليس فى الكتاب ولا فى السنة دليل على أن كل ما عليه الجمهور أصح مما عليه مخالفوهم عند فقدان الدليل! نعم إذا اتفق المسلمون على شىء دون خلاف يعرف بينهم فمن الواجب اتباعه لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ**

=وهذا فيه اتباع للحق ورحمة للخلق أيضًا لأنه فإنه ما بعث إلا رحمة للعالمين وأيضاً فى اتباع الأمة المعصومة أى فى اتباع علماء الأمة إذا اجتمعوا على أمر لأن اجتماعهم معصوم لقول النبى ﷺ قال: «**لا تجتمع أمتى على ضلالة**» أما غير هذه الأمة فإن أعلى عالم يرد عليه الخطأ فاتباعه اتباعًا مجردًا معناه اتباعه فى الخطأ، وأنا ما أريد لنفسى ولا لإخوانى أن يتبعوا أحداً فى الخطأ، كيف تعتصم من الاتباع فى الخطأ؟ الجواب: باتباعك للمعصوم واتباع الأمة المعصومة وهذا جمع بين اتباع الحق ورحمة الخلق، اتباع الحق فى اتباع المعصوم والأمة المعصومة ورحمة الخلق فى أنك لا تتحزب ولا تتعصب لشيخ ولا فرقة ولا مذهب لذلك سموا بأهل السنة والجماعة.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **قلت:** انتبهوا يعنى الصحابة والتابعين اختلفوا فى مسألة على ثلاث أقوال كون أنى آخذ بقول على أن هذا هو الراجح عندى ليس هذا هو الشذوذ ولا يسمى شذوذًا. لأنى لى سلف فيه، السلف اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال: أنا أخذت بقول واحد منهم أين الشذوذ؟ أنا لم أخرج عن اختلاف الثلاثة بقول رابع، إن كان كذلك فهذا هو الشذوذ، أى إذا زدت عليهم بقول رابع فهو الشذوذ.

﴿الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] وأما عند الاختلاف فالواجب الرجوع إلى الكتاب والسنة، فمن تبيين له الحق اتبعه، ومن استفتى قلبه، سواء وافق الجمهور أو خالفهم، وما اعتقد أن أحد يستطيع أن يكون جمهورياً! في كل ما لم يتبين له الحق، بل إنه تارة هكذا وتارة هكذا، حسب اطمئنان نفسه وانشراح صدره، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «**استفت قلبك وإن أفتاك المفتون**»(*).

(*) **قلت**: هذا الأمر ليس بإطلاق، وليس لكل أحد، ولا تستفتي قلبك والنص موجود، حتى لا يأتي أحد من العوام ومن أشباه العوام من أمثالنا يقول بهذا: استفتي قلبك ولو أفتوك الناس في مسألة فيها نص وكيف هذا؟! لأنك تستفتي نفسك في مسألة لم يرد فيها نص مثلاً أو نصوص لم يتضح منها المراد أو الغرض وتكون أنت مطمئن لفتوى القلب ولا يكون بقلبك مرض ابتداءً.

المبحث الثانى

حـرمـة الفرقـة

وَنَرَىٰ الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

*** قال ابن أبى العز:**

قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٩]. وقال تعالى: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ**﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩]. فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وروى أحمد عن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال: «**إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية، والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد**»(١)(*).

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

وهى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم. وهى الفرقة الناجية، وهى طائفة أهل الحديث ومن اتبع سبيلهم من أتباع المذاهب وغيرهم.

---

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٥/ ٢٣٢، ٢٣٣)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٢/ ٢٤٧).
كلاهما من طريق: روح، عن سعيد، عن قتادة، ثنا العلاء بن زياد، عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ به.

(*)**قلت**: هذا يبين أن جماعة المسلمين فى المسجد وعامة المسلمين فى أى مكان فعليك بهم وليس جماعة أو فرقة بعينها لا ولكن الجماعة التى نعنيها:
أميرها النبى ﷺ ثم علماء الأمة من بعده.
قال ابن مسعود: الجماعة فيما تكرهون خير من الفرقة فيما تحبون.

المبحث الثالث

وجوب الحج والجهاد مع البر والفاجر

وَالحَجُّ وَالجِهَادُ مَاضِيَان مَعَ أُولِي الأمْرِ مِنَ المُسْلِمِين، بَرِّهِم وَفَاجِرِهم، إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، لاَيُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلاَ يَنْقُضُهُمَا(١).

*** قال ابن أبي العز:**

فيه رد على الرافضة حيث قالوا: لا جهاد حتى يخرج الرضى من آل محمد، وينادى مناد من السماء اتبعوه، وبطلان هذا القول لا يحتاج إلى دليل. كذلك اشترطوا أن يكون الإمام معصوماً اشتراطاً بغير دليل.

ففى صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**، قال: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة، إلا من ولى عليه وال ورآه يأتى شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة**»(٢). ولم يقل: إن الإمام يجب أن يكون معصوماً.

حكمة وجوب الجهاد مع البر والفاجر:

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**مع أولى الأمر برهم وفاجرهم**) لأن الحج والجهاد فرضان متعلقان بالسفر، فلابد من سائس يسوس فيهما ويقاوم فيها العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر: يحصل بالإمام الفاجر(٣).

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

اعلم أن الجهاد على قسمين:

الأول: فرض عين، وهو صد العدو المهاجم لبعض بلاد المسلمين، كاليهود الآن احتلوا فلسطين؛ فالمسلمون جميعاً آثمون حتى يخرجوهم منها.

---

(١) **قلت:** ولهذا بوب البخارى باب «الجهاد ماض إلى يوم القيامة» وحديث «الجهاد ماض مع البر والفاجر» فيه ضعف لكن يشهد له، قوله ﷺ فى الصحيح «الخيل معقود بنواحى الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم» ففيها أن الجهاد ماض ليوم القيامة وإلى يوم القيامة ليس الأئمة برزة فقط ولكن هناك أئمة برزة وأئمة فجرة والجهاد ماض مع الإثنين إلى يوم القيامة وهذا أيضا فيه إتباع الحق ورحمة الخلق.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٦/ ٤٨٦/ ٦٥)، وأحمد (٦/ ٢٤)، والبيهقى فى «الكبرى» (٨/ ١٥٨) جميعاً من حديث عوف بن مالك الأشجعى - رضى الله عنه.

(٣) «تهذيب الطحاوية» للصاوى.

والآخر: فرض كفـاية، إذا قام به البعض سقط عن البـاقين، وهو الجهاد فى سبـيل نقل الدعوة الإسلامية إلى سائر البلاد حتى يحكمها الإسلام، فمن استسلم من أهلها فبها ومن وقف فى طريقها قوتل حـتى تكون كلمة الله هى العليا، فـهذا الجهاد مـاض إلى يوم القيامة فـضلاً عن الأول، ومن المؤسف أن بعض الكتاب اليـوم ينكره، وليس هذا فقط بل إنه يجعل ذلك من مـزايا الإسلام! وما ذلك إلا أثر من آثار ضعفهم وعجزهم عن القيـام بالجهاد العينى، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: **«إذا تبايعـتم بالعينة، وأخذتم أذناب البـقر، ورضيتم بالزرع، وتـركتم الجهاد فى سبيل الله، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»** «الصحيحة» (١١).

المبحث الرابع

عدم الخروج على أئمة الجور

وَلاَ نَرَى الخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلاَةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا.

وَلاَ نَدْعُوا عَلَيْهِم.

وَلاَ نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِم.

وَنَرَى طَاعَتَهم مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُوا لَهُم بِالصَّلاَحِ وَالمعَافَاة.

---

* قال ابن أبى العز:

دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولى الأمر ما لم يأمروا بمعصية. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء: ٥٩]. فقال: وأطيعوا الرسول، ولم يقل: وأطيعوا أولى الأمر منكم، لأن أولى الأمر لا يطاعون إلا فيما هو طاعة لله ورسوله، فليست لهم طاعة مستقلة، بخلاف الرسول فإنه لا يأمر بغير طاعة الله فهو معصوم فى ذلك فثبتت له طاعة مستقلة.

وفى الصحيحين قال ﷺ: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بالمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(١).

عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال ﷺ: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية**»(٢). وفى رواية: «**فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»(٣).

عن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم،**

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٦/ ١٣٥/ ٢٩٥٥)، ومسلم (٦/ ٤٦٦/ ٣٨)، والترمذى (٤/ ٢٠٩/ ١٧٠٧).

جميعًا من طريق: عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ.

قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١٣/ ٧/ ٧٠٥٤)، ومسلم (٦/ ٤٨٠/ ٥٥).

من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما.

(٣) أخرجه الترمذى (٥/ ١٤٨، ١٤٩/ ٢٨٦٣)، وأحمد (٥/ ٣٤٤)، والبيهقى فى «الكبرى» (٨/ ١٥٧).

جميعًا من طريق: زيد بن سلام، أن أبا سلام حدثه، أن الحارث الأشعرى حدثه أن النبى ﷺ قال: «**إن الله أمر يحيى بن زكريا..**».

قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب.

فقلنا: يا رسول الله: أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة، إلا من ولى عليه وال، فرآه يأتى شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتى من معصية الله، ولا ينزع يداً من طاعة**»(١).

عن أبى سعيد الخدرى قال: قال ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»(٢).

لقد دلت النصوص السابقة على وجوب طاعة أولى الأمر ـ وإن جاروا ـ ما لم يأمروا بمعصية، والحكمة من ذلك أنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل فى الصبر على جورهم تكفير السيئات.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قد ذكر الشارح فى ذلك أحاديث كثيرة ترها مخرجة فى كتابه، ثم قال: «وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل فى الصبر على جورهم تكفير السيئات، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الإجتهاد فى الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ الأنعام: ١٢٩]، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من الأمير الظالم، فليتركوا الظلم».

قلت: وفى هذا بيان لطريق الخلاص من ظلم الحكام الذين هم «**من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**» وهو أن يتوب المسلمون إلى ربهم، ويصححوا عقيدتهم، ويربوا أنفسهم وأهليهم على الإسلام الصحيح، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١]، وإلى ذلك أشار أحد الدعاة المعاصرين قوله: «أقيموا دولة الإسلام فى قلوبكم، تقم لكم على أرضكم» وليس طريق الخلاص مما يتوهم بعض الناس، وهو الثورة بالسلاح على الحكام، بواسطة الإنقلابات العسكرية، فإنها مع كونها من بدع العصر الحاضر، فهى مخالفة لنصوص الشريعة التى منها الأمر بتغيير ما بالأنفس، وكذلك فلابد من إصلاح القاعدة لتأسيس البناء عليها ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج: ٤٠].

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قلت: ومن الواضح أن ذلك خاص بالمسلمين منهم لقوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩]. وأما الكفار المستعمرون فلا طاعة لهم، بل يجب الاستعداد التام مادة ومعنى لطردهم، وتطهير البلاد من رجسهم، وأما تأويل قوله تعالى: ﴿**مِنكُمْ**﴾ أى فيكم! فبدعة قاديانية ودسيسة إنكليزية، ليضلوا المسلمين ويحملوهم على الطاعة للكفار المستعمرين، طهر الله بلاد المسلمين منهم أجمعين.

---

(١) تقدم تخريجه فى مبحث «وجوب الحج والجهاد مع البر والفاجر».

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٦/ ٤٨٤/ ٦١)، والبيهقى (٨/ ١٤٤).

كلاهما من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه.

المبحث الخامس

جواز المسح على الخفين فى الحضر والسفر

وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فِى السَّفَرِ وَالْحَضَرِ. كما جَاءَ فى الأَثَرِ(*).

*** قال ابن مانع:**

قوله: **(ونرى المسح على الخفين...)** إلخ.

أى لثبوته عن النبى ﷺ فعلا وقولا من رواية سبعين صحابياً كما حكاه الحسن(١).

وقال الإمام أحمد: «ليس فى نفسى شىء من المسح على الخفين؛ فيه أربعون حديثاً عن النبى عليه السلام»(٢).

وعد السيوطى أحاديث «المسح على الخفين» من الأحاديث المتواترة.

حيث قال فى «ألفية الحديث»(٣):

خمس وسبعون رووا من كذبا ... ومنهم العشرة ثم انتسبا

لها حديث الرفع لليدين ... والحوض والمسح على الخفين

ولا ينكر «المسح على الخفين» إلا أهل البدع كـ«الروافض» الذين لا يتقيدون بالسنة الثابتة، بل يردونها بآرائهم الكاسدة الفاسدة.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى:**

قلت: إنما ذكر المصنف تبعاً لغيره من المؤلفين فى «السنة» المسح على الخفين دون الجوربين والنعلين لسببين:

الأول: أن المسح على الخفين متواتر عن رسول الله ﷺ.

والآخر: أن الرافضة تخالف هذه السنة، فالحجة عليهم أقوى فى الاحتجاج بما تواتر عن رسول الله ﷺ، فلا ينفى ذكر الخفين ثبوت المسح على الجوربين والنعلين أيضاً وهذا ما تراه مفصلاً فى كتاب «المسح على الجوربين» للشيخ القاسمى، وقد أتبعته بتذييل عليه حققت فيه كثيراً من أحكام المسح، وهو مطبوع فى المكتب الإسلامى.

(*) **قلت**: إن المسح على الخفين من مسائل الفقه فلماذا أدخلوها فى العقيدة؟

الجواب لأن أهل البدع خالفوا فيها أهل السنة فأنكروها.

(١) رواه ابن المنذر فى «الأوسط» (١/ ٤٣٣).

(٢) «المغنى» لابن قدامة (١/ ٣٦١)، وراجع: «نصب الراية» للزيلعى (١/ ١٦٢).

(٣) «ألفية السيوطى فى» ص (٤١، ٤٢). كما حكم بتواتره الحافظ ابن حجر فى «فتح البارى» (١/ ٢٠٣). نقلاً عن محقق حاشية ابن مانع.

المبحث السادس

حقيقة دين الإسلام وتوسطه بين الإفراط والتفريط

وَدِينُ اللهِ فِي الأَرضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الإِسْلامِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَهُوَ بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الجَبْرِ وَالقَدَرِ، وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالإِيَاسِ(*).

حقيقة الدين

الدين هو ما شرعه الله لعباده على ألسنة رسله، وهو ظاهر غاية فى الظهور يدخل فيه الإنسان بأقصر زمان ويخرج منه بأسرع من ذلك من إنكار كلمة، أو تكذيب، أو معارضة، أو كذب على الله تعالى أو ارتياب فى قوله، أو رد لما أنزل، أو شك فيما نفى عنه الشك، أو غير ذلك مما فى معناه.

ودين الله فى الأرض والسماء واحد، وهو عام فى كل زمان، ولكن الشرائع متنوعة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال ﷺ: «**إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد**»(١) وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

ظهور الدين وسهولة تعلمه:

وقد دل الكتاب والسنة على ظهور دين الإسلام وسهولة تعلمه، وأنه يتعلمه الوافد ثم يولى فى وقته، واختلاف تعليم النبى ﷺ فى بعض الألفاظ بحسب حال من يتعلم.

* فمن كان بعيد الموطن كوفد عبدالقيس علمهم ما لا يسعهم جهله.

* ومن كان قريباً يمكنه الإتيان فى كل وقت بحيث يتعلم على التدريج أجابه بحسب حاله وحاجته كالذى قال له: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»(٢).

(*) **قلت**: فى كل حالة من الحالتين غلو ومجافاة وإفراط وتفريط، وأهل السنة أو دين الإسلام وسط بين الأمرين.

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٦/ ٥٥٠، ٥٥١/ ٣٤٤٣)، ومسلم (٨/ ١٣٠، ١٣١، ١٤٥).
من حديث أبى هريرة بلفظ «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة» والأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (١/ ٢٨٣/ ٦٢)، والترمذى (٤/ ٦٠٧/ ٢٤٣) بلفظ «قل ربى الله ثم استقم». =

كونه وسطاً بين الغلو والتقصير: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية الكريمة أن عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالماً مولى أبي حذيفة في أصحابه تبتلوا فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح، وحرموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما يأكل، ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل وهموا بالاختصاء وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت هذه الآية. فبعث إليهم النبي ﷺ فقال: «**إن لأنفسكم عليكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً، صوموا وأفطروا، وصلوا وناموا، فليس منا من ترك سنتنا**»، فقالوا: اللهم سلمنا واتبعنا ما أنزلت[1].

وبين التشبيه والتعطيل: فيجب أن يوصف الله عز وجل بما وصف به نفسه، وبما وصف به رسول الله ﷺ.

* من غير تشبيه، فلا يقال سمع كسمعنا ونحوه.

* ومن غير تعطيل، فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ فإن ذلك تعطيل.

وهذا المعنى مستفاد من قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على المشبهة. وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد عل المعطلة.

وبين الجبر والقدر: فالعبد ليس مجبوراً على أقواله وأفعاله، وليس بخالق لها، بل هي فعله وكسبه، وخلق الله تعالى وبين الأمن والإياس.

فيجب أن يكون العبد خائفاً من عذاب ربه، راجياً لرحمته، فالخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للعبد في سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة.

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

قال الشارح رحمه الله تعالى: «فدين الإسلام هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة رسله، وأصول هذا الدين وفروعه موروثة عن الرسل، وهو ظاهر غاية الظهور، يمكن كل مميز من

= كلاهما من حديث سفيان بن عبدالله الثقفي ـ رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

صغير وكبير، وفصيح وأعجم، وذكى وبليد: أن يدخل فيه بأقصر زمان، وإنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار كلمة، أو تكذيب أو معارضة، أو كذب على الله، أو ارتياب فى قول الله تعالى، أو رد لما أنزل أو شك فيما نفى الله عنه الشك، أو غير ذلك مما فى معناه.

فقد دل الكتاب والسنة على ظهور دين الإسلام، وسهولة تعلمه، وأنه يتعلمه الوافد ثم يولى فى وقته. واختلاف تعليم النبى ﷺ فى بعض الألفاظ بحسب من يتعلم، فإن كان بعيد الوطن، كضمام بن ثعلبة النجدى، ووفد عبدالقيس، علمهم ما لم يسعهم جهله، مع علمه أن دينه سينشر فى الآفاق، ويرسل إليهم من يفقههم فى سائر ما يحتاجون إليه، ومن كان قريب الوطن يمكنه الإتيان كل وقت، بحيث يتعلم على التدريج، أو كان قد علم فيه أنه قد عرف ما لابد منه أجابه بحسب حاله وحاجته، على ما تدل قرينة حال السائل. كقوله: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»(١).

وأما من شرع ديناً لم يأذن به الله، فمعلوم أن أصوله المستلزمة له لا يجوز أن تكون منقولة عن النبى ﷺ ولا عن غيره من المرسلين؛ إذ هو باطل، وملزوم الباطل باطل، كما أن لازم الحق حق».

(١) تقدم تخريجه.

المبحث السابع

أهل القبلة بين الخوف والرجاء

نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم(*).

---

* قال ابن مانع:

* قوله: (ولا نشهد لهم بالجنة):

اعلم أن الذى عليه «أهل السنة والجماعة»: أنهم لا يشهدون لأحد مات من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ.

وأخبر عنه بذلك ولكنهم يرجون للمحسن ويخافون على المسيء.

وبهذا تعلم ما عليه كثير من الناس إذا ذكروا عالماً أو أميرا أو ملكا أو غيرهم قالوا: «المغفور له»، أو «ساكن الجنان»(١).

وانكى من ذلك قولهم: «نقل إلى الرفيق الأعلى!!».

ولا شك أن هذا قول على الله بلا علم؛ والقول على الله بلا علم عديل الشرك كما قال تعالى: ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [الأعراف: ٣٣].

(*) **قلت**: ولا نشهد للمحسن بالجنة: ـ نقول نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكى على الله أحداً لان الله نهانا عن تزكية النفس قال الله ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ لان التقوى هاهنا يعنى فى القلب النبى ﷺ أشار إلى قلبه وقال التقوى هاهنا «ان الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم التقوى هاهنا» فالقلوب هذه هى محل التزكية الحقيقية وهى أيضاً محل نظر الرب لا نظرى ولا نظرك فأنت على ماذا تزكى؟ فأنت لك الظاهر والله يتولى السرائر لذلك نقول نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكى على الله أحداً، وقلت لكم من هذا الباب لا نقطع لفلان بالشهادة وذكرت لكم من قبل أن البخارى بوب باب «لايقال فلان شهيد» وذكر أحاديث بعد ذلك بهذا المعنى تؤيد ذلك ان النبى ﷺ قال «**أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش**» يعنى الذين ماتوا على فراشهم» ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته» كيف نقول على هذا شهيد معركة ونعولها لأى سبب؟ الله أعلم بنيته هل كنت معه فى المعركة؟ ورأيت هل كان مقبلاً أم مدبراً وهل رأيت ما بقلبه؟ إننا لا نقطع لأحد بالشهادة إلا من شهد له النبى ﷺ بذلك، قال النبى: «أثبت أحد فإن عليك نبى وصديق شهيدان» «الشهيدان عمر وعثمان». كل هذا كلام جميل فيه رد على الخوارج والمعتزلة من طرف، ورد على المرجئة من طرف آخر، المغالى المعتزلة والخوارج، والمجافى والمفرط والمضيع المرجئة، هذان الإثنان تجاه أهل المعصية مغالى ومجافى، فرقة أدخلتهم الجنة وهم المرجئة، وفرقة أدخلتهم جهنم خالدين مخلدين فيها، أما نحن «أهل السنة والجماعة» لا هذا ولا ذاك نحن نقول نرى للمحسنين من المؤمنين أن يعفو الله عنهم ويدخلهم الجنة برحمته هذا للمحسن ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة، أما المسيء نستغفر لمسيئهم ونخاف على المسيء لأنه تحت خطر المشيئة إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه ولا نقنطهم أى لانيأسهم من رحمة الله.

وأما المشرك: فنشهد له بالنار؛ لأن الله قال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

* قال الشيخ عبدالعزيز بن باز:

مراده رحمه الله: إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالجنة كالعشرة ونحوهم، كما يأتي ذلك في آخر كلامه.

مع العلم بأن من عقيدة «أهل السنة والجماعة»: الشهادة للمؤمنين والمتقين على العموم بأنهم من أهل الجنة، وأن الكفار والمشركين والمنافقين من أهل النار.

كما دلت على ذلك الآيات الكريمات، والسنة المتواترة، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

- ومن ذلك: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور: ١٧].

- وقوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة: ٧٢]. في آيات كثيرات تدل على هذا المعنى.

- وقوله سبحانه في الكفار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

- وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]. في آيات أخرى تدل على هذا المعنى، وبالله التوفيق.

تنبيه: سئل الشيخ ابن عثيمين: «عن حكم قول: «فلان المغفور له» و «فلان المرحوم»؟

فأجاب: بعض الناس ينكر قول القائل: «فلان المغفور له» و «فلان المرحوم» ويقولون: إننا لا نعلم هل الميت من المرحومين المغفور لهم أو ليس منهم؟! وهذا الإنكار في محله إذا كان الإنسان يخبر خبرا أن هذا الميت قد رحم أو غفر له؛ لأنه لا يجوز أن نخبر: أن هذا الميت قد رحم أو غفر له بدون علم. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، لكن الناس لا يريدون بهذا الجزم أو الإخبار بأنهم مرحومون، وإنما يريدون بذلك الدعاء - أن الله تعالى قد رحمهم - والرجاء. وفرق بين الدعاء والخبر. ولهذا نحن نقول: فلان رحمه الله، فلان غفر الله له، فلان عفا الله عنه..

على كل حال: لا إنكار في هذه الجملة، أي في قولنا «فلان المرحوم» «فلان المغفور له»، وما أشبه ذلك؛ لأننا لسنا نخبر بذلك خبراً، ونقول: إن الله قد رحمه، وإن الله قد غفر له، ولكننا نسأل الله ونرجوه، فهو من باب الرجاء والدعاء، وليس من باب الإخبار. وفرق بين هذا وهذا» اهـ «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (٣/ ١٣٥، ١٣٦).

وَالأَمْنُ وَالإِيَاسُ يَنْقُلانِ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلامِ، وَسَبِيلِ الحَقِّ بَينَهُمَا لأَهْلِ القِبْلَةِ(١).

*** قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

قال الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ: «اعلم أن الذى عليه أهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لأحد مات من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله وأخبر عنه بذلك، ولكنهم يرجون للمحسن ويخافون على المسيء، وبهذا تعلم ما عليه كثير من الناس إذا ذكروا عالماً أو أميراً أو ملكاً أو غيرهم قالوا المغفور له أو ساكن الجنان، وأنكى من ذلك قولهم نقل إلى الرفيق الأعلى، ولا شك أن هذا قول على الله بلا علم، والقول على الله بلا علم عديل الشرك كما قال تعالى: ﴿**وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٣] وأما المشرك فنشهد له بالنار لأن الله قال: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ [المائدة: ٧٢].

*** قال ابن أبى العز:**

قال بعضهم: من عبدالله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو مرجئ.

وروى: من عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالحب والرجاء فهو مؤمن موحد.

قال أبو على الروذبارى: الخوف والرجاء كجناحى الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر فى حد الموت.

*** قال ابن مانع:**

قال الشارح: «يجب أن يكون العبد خائفا راجيا.

فإن الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله.

فإذا تجاوز ذلك خيف من اليأس والقنوط.

والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه، أو رجل أذنب ذنبا ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته...

أما إذا كان الرجل متماديا فى التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور، والتمنى، والرجاء الكاذب»(٢).

(١) **قلت:** والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام لان الله عز وجل قال ﴿**إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة ان يكون بين الخوف والرجاء يعنى لا ينفع أن يأمن يكون خائفاً بالكلية لأنه سيحدث من خلال هذا الخوف يأس ولا يأمن بالكلية فيحدث بالأمن الغرور «يغره بالله الغرور» فيكون بين الخوف والرجاء فهو بالنسبة للعبد كالجناحان بالنسبة للطائر لا يستطيع الطيران إلا بالإثنين فهو أيضا لا يدخل الجنة إلا بهذين الجناحين جناح الخوف وعدم الأمن وجناح الرجاء وعدم اليأس.

(٢) «شرح الطحاوية» لابن أبى العز (٢/٤٥٦).

المبحث الثامن

التبرؤ من الفرق الضالة

فَهذَا دِينُنَا، واعْتِقَادُنَا، ظَاهِرًا وبَاطِنًا.

ونَحْنُ بُرَاءُ إلى الله مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وبَيَّنَّاهُ.

ونَسأل الله تَعالى أنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإيمَان، ويَخْتِمَ لَنَا بِهِ.

ويَعْصِمَنَا مِنَ الأهْوَاءِ المخْتَلِفَةِ، والآرَاءِ المتَفَرِّقَةِ، والمذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ مِثْل: «المشَبِّهَةِ»، و«المُعْتَزِلَةِ»، و«الجَهْمِيَّةِ»، و«الجَبْرِيَّةِ» و«القَدَرِيَّةِ» وغَيْرِهم، مِنَ الذينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةَ، وَخَالَفُوا الضَّلالة.

ونَحْنُ مِنْهُم بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلالٌ وأرْدِيَاء. وبالله العِصْمَةُ والتَّوْفِيقُ.

---

* **قال ابن مانع:**

* **قوله: (والمذاهب الرَّدِيَّة..):**

كل مذهب خالف ما عليه «أهل السنة والجماعة» مذهب ردى باطل.

وقد رد الله على «المشبهة» و «الجهمية المعطلة» بقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١].

فالمشبه يعبد صنما، والمعطل يعبد عدماً، والمثبت يعبد ربا واحدا فردا صمدا.

* وما أحسن قول ابن القيم فى «النونية»(١):

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا ... إن المشبه عابد الأوثان

كلا ولا نخليه من أوصافنا ... إن المعطل عابد البهتان

ثم اعلم أن:

* و«الجبرية»: الذين قالوا ليس للعبد فعل اختيارى.

و«القدرية»: الذين قالوا إن العباد يخلقون أفعالهم.

و«الرافضة»: الذين كفروا الصحابة، وسلكوا مسلك «الجهمية» فى نفى الصفات.

كل هذه الفرق، من فرق الزيغ والضلال.

و«الجهم» هو الذى ابتدع «التعطيل»، و«الجبر»، و«الإرجاء» كما حكاه فى «النونية».

وإن نسب منها شىء إلى غيره، فلكونه نصرها وأيدها.

وما أحسن ما قيل:

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا ... وكلهم يدعون الفوز بالظفر
فخذ يقول يكون النص ينصره ... إمّا عن الله أو عن سيد البشر

* قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:

قلت: كالمقلدة الذين جعلوا التقليد دينا واجبا على كل من جاء بعد القرن الرابع من الهجرة، وأعرضوا بسبب ذلك عن الاهتداء بنور الكتاب والسنة، واتهموا كل من حاول الخلاص من الجمود المذهبي، إلى التمسك بهدى النبي ﷺ بما شاءت لهم أهواؤهم. ورحم الله إمام السنة إذا يقول:

دين النبي محمد أخبار ... نعمت المطية للفتى أثار
لا ترغبن عن الحديث وآله ... فالرأى ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى أثر الهدى ... والشمس بازغة لها أنوار

الخلاصة

- حب أصحاب النبي محمد ﷺ كلهم دين، على أن يكون بغير إفراط كالشيعة، ولا تفريط كالروافض، وبغض الصحابة جملة وسبهم جملة كفر.
- السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم كل من أسلم قبل بيعة الرضوان، وهم أخص بصحبة النبي ﷺ ممن أسلم بعد البيعة.
- ثبتت خلافة أبي بكر بنصوص السنة، وخلافة عمر بن الخطاب بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، أما عثمان بن عفان فقد كان أحد الستة الذين أوصى عمر أن تكون الخلافة فيهم، ثم بايع الناس علي بن أبي طالب للخلافة بعد عثمان.
- دامت الخلافة الراشدة ثلاثين سنة على يد الخلفاء الراشدين المهديين الأربعة، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، كما دلت على ذلك السنة.
- سمى النبي ﷺ عشرة من أصحابه، وبشرهم بالجنة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح.
- الرافضة يتبرأون من معظم الصحابة، ويغالون في محبة أهل البيت، وعلى رأس هذه الفرقة الزنديق عبدالله بن سبأ الذي قصد بفتنته إبطال دين الإسلام.
- علماء السلف هم خيار هذه الأمة، بهم قام كتاب الله، وبلغت سنة رسوله ﷺ، فينبغي توقيرهم، وموالاتهم، واتباعهم.

- اتباع السنة والجماعة هدى، وخلافهم ضلال، فأهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية، وتتمثل فى الصحابة، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

- الاختلاف الذى وقع بين الطوائف قسمان: إما اختلاف تنوع لا يقع فيه الذم ما لم يحصل بغى، أو اختلاف تضاد بين قولين متنافيين فتحمد الطائفة التى تحمل الحق، وتذم الأخرى.

- أهل البدع كافة مختلفون فى تأويل القرآن، فيقرون بما يوافق رأيهم من آياته، ويقابلون ما يخالف رأيهم إما بالتحريف أو بالتفويض.

- الحج والجهاد فريضتان ماضيتان مع أولى الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة. وقد ضل الرافضة فى هذه المسألة إذ اشترطوا عصمة الإمام.

- طاعة أولى الأمر للمسلمين واجبة وإن كانوا من الجائرين ما لم يأمروا بمعصية.

- تواترت السنة عن النبى ﷺ بالمسح على الخفين، وبغسل الرجلين، إلا أن الرافضة طعنت فى تواتر غسل الرجلين وأنكرته.

- الدين هو ما شرعه الله تعالى لعباده على ألسنة رسله، وهو عام فى كل زمان، ولكن الشرائع متنوعة، وهو وسط بين الغلو والتقصير فى شرائعه، وبين التشبيه والتعطيل فى الصفات، وبين الجبر والقدر فى أفعال العباد، وبين الخوف والرجاء فى أحوال القلوب.

- الخوف المحمود هو الذى يحول بين صاحبه وبين محارم الله، وتجاوزه يؤدى إلى اليأس والقنوط، والرجاء المحمود هو المقرون بالعمل الصالح، والتوبة من الذنوب، فإن انفك عن العمل صار غروراً وأمانى كاذبة.

- أهل السنة والجماعة برآء من العقائد الفاسدة وأصحابها، فهم فرق ضالة لعدولهم عن الصراط المستقيم الذى أمرنا الله باتباعه.

- للفرق الضالة فى الوحى طريقتان: طريقة التبديل: سواء بالوهم والتخييل، أو بالتحريف والتأويل، وطريقة التجهيل(*).

(*) من «تهذيب الطحاوية» د. صلاح الصاوى.

أسئلة تدريبية على الباب

س١: اذكر أدلة الكتاب والسنة على فضل الصحابة كلهم رضوان الله عليهم، ووجوب محبتهم، ثم بين كيفية هذا الحب، ونماذج للزيغ فيه.

س٢: كيف ثبتت الخلافة لكل من الخلفاء الراشدين؟ اذكر نبذة عن فضائل كل منهم، وعن فضل الخلافة الراشدة عموماً.

س٣: من العشرة المبشرون بالجنة؟ وما عقيدة كل من أهل السنة، والرافضة فيهم؟

س٤: مذهب الرافضة أخبث وأضل من اليهود والنصارى. اشرح ذلك مبيناً عقيدتهم الفاسدة فى الصحابة، وطريقتهم فى إفساد الدين؟

س٥: ما منزلة علماء الأمة؟ وما الحال إذا قال أحدهم ما يخالف صحيح السنة؟

س٦: اذكر أدلة الكتاب والسنة على وجوب اتباع السنة والجماعة، واجتناب الفرقة، مع بيان من هم أهل السنة والجماعة؟

س٧: ما أقسام الاختلاف بين الطوائف المتنازعة؟ اذكر أمثلة على كل منها؟

س٨: اذكر عقيدة كل من أهل السنة والرافضة فى مسألة الحج والجهاد مع أولى الأمر؟

س٩: ضع علامة (✓) أو علامة (✗) أمام العبارات الآتية:

أولو الأمر لهم طاعة مستقلة توجب على المسلم السمع والطاعة لهم. ( )

يجب طاعة أئمة الجور، وإن لم يقيموا الصلاة فى الأمة. ( )

الظلم الذى يقع من ولاة الأمور يستلزم الخروج عليهم. ( )

يجب طاعة أولى الأمر وإن جاروا ما لم يأمروا بمعصية. ( )

س١٠: لم أدخل المصنف رحمه الله قوله: «ونرى المسح على الخفين» فى متن عقيدته، رغم أن المسألة فقهية؟

س١١: دين الله الذى جاءت به الرسل واحد، وهو وسط معتدل. وضح ذلك؟

س١٢: متى يكون حال العبد بين الخوف والرجاء محموداً؟ ومتى يصير مذموماً؟

س١٣: ما عقيدة أهل السنة فى الفرق الضالة؟ اذكر ثلاث من هذه الفرق، ونبذة عن معتقداتهم الفاسدة.

س١٤: ما مسالك الفرق الضالة فى الوحى؟ وما السبب فى ضلال هذه الفرق عموماً؟[1]

(١) من «تهذيب الطحاوية» د. صلاح الصاوى.

حَسْبُنَا الله ونعْمَ الوكيلْ.

قَوْلُهُ: «نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لاَ شَرِيكَ لَهُ».

سؤال: اشرح بالدليل: أن التوحيد هو أول واجب على العبيد.

جواب: اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عزوجل.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾. [الأعراف: ٥٩].

وقال هود ـ عليه السلام ـ لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال صالح ـ عليه السلام ـ لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٥].

وقال شعيب ـ عليه السلام ـ لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله**»(١) ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله.

وهذه المسائل تكلم فيها الفقهاء: فمن صلى ولم يتكلم بالشهادتين، أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام ولم يتكلم بهما: هل يصير مسلماً أم لا؟ والصحيح أنه يصير مسلماً بكل ما هو من خصائص الإسلام.

فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي ﷺ «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(٢)، فهو أول واجب وآخر واجب. فإن التوحيد يتضمن

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (١/ ٩٤، ٩٥/ ٢٥)، ومسلم (١/ ٢٣٤/ ٣٦).
من طريق: شعبة، عن واقد بن محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر، عن أبيه، عن عبدالله بن عمر.
قال: قال رسول الله: . . . . » الحديث.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» (٣/ ١٨٧/ ٣١١٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٣). والبيهقي في «الشعب» (١/ ١٠٨/ ٩٤)، (٦/ ٥٤٥، ٥٤٦/ ٩٢٣٤، ٩٢٣٨).
جميعاً من طريق: عبدالحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ مرفوعاً.
قال الحاكم: «صحيح الإسناد».

ثلاثة أنواع: الكلام فى الصفات، وتوحيد الربوبيـة، وبيان أن الله وحده خالق كل شىء. وتوحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يُعبد وحده لا شريك له.

سؤال: أذكر معنى توحيد الربوبية مبيناً لما لم يذهبْ إلى نقيضه طائفة من بنى آدم.

جواب: توحيد الربوبية، كـالإقرار بأنه خالق كلّ شىء، وأنه ليس للعالم صانعـان متكافئان فى الصفات والأفعـال، وهذا التوحيد حقٌّ لا ريب فيه وهو الغاية عند كـثيرٍ من أهل النظر والكلام وطائفةٍ من الصوفية.

وهذا التوحيد لم يذهبْ إلى نقيضه طائفـةٌ معروفة من بنى آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورةٌ على الإقرار بغيره من الموجدات، كما قالت الرسل ـ عليهم السلام ـ فيما حكى الله عنهم: ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [إبراهيم: ١٠].

سؤال: أذكر معنى توحيد الإلهية وهل هو متضمن لتوحيد الربوبية؟ وهل هو التوحيد الذى دعت إليه كل الرسل.

جواب: التوحيد الذى دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالقَ السماوات والأرض واحدٌ، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [لقمان: ٢٥]. ﴿**قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٥]. ومثل هذا كثير فى القرآن.

سؤال: اذكر أصل شرك العرب؟.

جواب: العرب لم يكونوا يعتـقدون فى الأصنام: أنها مشاركـةٌ لله فى خلق العالَم، بل كان حالُهم فيها كحال أمثالهم من مشركى الأمم من: الهند، والبربر، وغيرهم، تارةٌ يعتقدون: أن هذه تماثيل قومٍ صالحين من الأنبياء والصالحين، ويتخذونَهم شفعاء، ويتوسلونَ بهم إلى الله، وهذا كان أصل شرك العرب.

قال تعـالى حكاية عن قوم نوحٍ: ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾ [نوح: ٢٣]. وقد ثبت فى صحيح البخارى، وغيره عن ابن عباس وغيره من السلف: أن هذه أسماءُ قومٍ صالحين فى قومِ نوحٍ، فلمـا ماتوا، عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم

= قلت: وفيه صالح بن أبى عريب، قال ابن القطان: لايعرف حـاله، وقال في «التقريب»: مقبول ـ يعنى: إذا توبع ـ .

طال عليهم الأمد، فعبدوهم، وأن هذه الأصنام بعينها صارت إلى قبائل العرب، ذكرها ابن عباس قبيلةً قبيلةً [1].

سؤال: جاءت الأدلة محذرة من اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد. بين ذلك.

جواب: ثبت في الحديث، عن أبي الهيَّاج الأسَدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني رسُول الله ﷺ؟ «**أمرني أن لا أدع قبراً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته**»[2].

وفي الحديث، عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته: «**لعن اللهُ اليهودَ والنصارى، اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**» يحذر ما فعلوا، قالت عائشة: لولا ذلك لأُبرِزَ قبرُه، ولكن كره أن يُتَّخذ مسجداً [3].

وفي الحديث، أنه ذُكِرَ له في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة وذُكر له من حسنها وتصاويرَ فيها، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجلُ بنَوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة**»[4].

وفي الحديث، عنه ﷺ أنه قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[5].

وهؤلاء كانوا مقرين بالصانع، وأنه ليس للعالَم صانعان ولكن اتخذوا هذه الوسائط شفعاء، كما أخبر عنهم تعالى بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾

---

(١) [**صحيح**] أخرجه البخاري (٨/ ٥٣٥/ ٤٩٢٠)، وعبدالرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٥٦/ ٣٣٤٣).
من طريق: ابن جُريج، وقال عطاء، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ . . .» الحديث.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٢٧) وعزاه للبخاري، وابن المنذر، وابن مردويه.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٤/ ٤١/ ٩٣)، وأبو داود (٣/ ٢١٢/ ٣٢١٨)).
من حديث أبي هياج الأسدي.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (٣/ ٢٣٨/ ١٣٣٠)، ومسلم (٢/ ١٢ ـ النووي).
من طريق: هلال، عن عروة بن الزبير، وعن عائشة به.

(٤) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (١/ ٦٢٤/ ٤٢٧)، ومسلم (٣/ ١٤/ ٥٢٨)، والنسائي (٢/ ٤١، ٤٢ ـ السيوطي).
من طريق: يحيى، عن هشام قال: أخبرني أبي عن عائشة أن أم حبيبة، وأم سلمة ذكرتا. . . » الحديث.

(٥) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٣/ ١٦/ ٢٣).
من طريق: عمرو بن مُرَّة، عن عبدالله بن الحارث النَّجْراني؛ قال: حدثني جندب قال: سمعت النبي ﷺ . . . . . » الحديث.

[الزمر: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

سؤال: كلُّ مولودٍ يولدُ على فطرة الإسلام، اشرح ذلك مدللاً على ما تقول.

جواب: قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال ﷺ: «**كل مولودٍ يولَد على الفطرة، فأبواه يُهودانه، أو يُنصرانه، أو يُمجسانه**»(١).

ولا يقال: إن معناه يولد ساذجاً لا يعرف توحيداً ولا شركاً ـ كما قاله بعضهم ـ لما تلونا، ولقوله ﷺ، فيما يروى عن ربه عز وجل: «**خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين**»(٢). وفى الحديث المتقدم ما يدل على ذلك، حيث قال: «**يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**»، ولم يقل: ويُسلمانه. وفى رواية: «**يولد على الملة**»، وفى أخرى: «**على هذه الملة**»(٣).

وهذا الذى أخبر به ﷺ، هو الذى تشهد الأدلة العقلية بصدقه.

يُحكى عن أبى حنيفة رحمه الله: أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث معه فى تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم: أخبرونى ـ قبل أن نتكلم فى هذه المسألة ـ عن سفينة فى دجلة، تذهب، فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فترسى بنفسها، وتتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحدٌ؟!! فقالوا: هذا محال، لا يمكن أبداً! فقال لهم: إذا كان هذا محالاً فى سفينة، فكيف فى هذا العالم كُلِّه عُلْوِه وسُفْلِه؟!

فلو أقرَّ رجلٌ بتوحيد الربوبية، وهو مع ذلك لم يعبد اللهَ وحده ويتبرأ من عبادة ما سواه، كان مشركاً من جنس أمثاله من المشركين.

سؤال: هل توحيدُ الربوبية يستلزمُ توحيدَ الألوهيَّة؟

جواب: القرآن يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٨/ ٣٧٢/ ٤٧٧٥)، ومسلم (٨/ ٤٥٨/ ٢٢).
من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم (٩/ ٢١٤، ٢١٥/ ٦٣).
من طريق: قتادة، عن مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير، عن عياض بن حمار المُجَاشعىِّ، أن رسول الله ﷺ قال: . . . . » الحديث.

(٣) [صحيح] أخرجه مسلم (٨/ ٤٥٩/ ٢٣) من طريق: أبى معاوية ح، وحدثنا ابن نُمير، حدثنا أبى. كلاهما عن الأعمش بهذا الإسناد.

إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثانى، إذْ كانوا يُسلِّمون للأول ويُنازعون الثانى فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله، وأنه هو الذى يأتى العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له فى ذلك، فلِمَ تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهةً أخرى؟!

كقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٥٩ ـ ٦٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ المؤمنون: ٩١].

فإن الإله الحقَّ لابد أن يكونَ خالقاً فاعلاً، يُوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يُشركه فى ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذٍ فلا يرضى تلك الشركة، بل إنْ قَدَرَ على قهر ذلك الشريك، وتفرده بالملك؛ والإلهية دونه فعَل، وإن لم يقدر على ذلك؛ انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعضٍ بممالكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلوِّ عليه.

وانتظامُ أمرِ العالَم كُلِّه، وإحكام أمره، من أدل دليلٍ على أن مدبِّره إلهٌ واحد، ومَلِكٌ واحد، وربٌّ واحد، لا إله للخلق غيره، ولارب لهم سواه، كما دل دليل التمانع على أن خالق العالم واحد، لاربَّ غيره فلا إله سواه، فذاك تمانع فى الفعل والإيجاد، وهذا تمانع فى العبادة والإلهية، فكما يستحيل أن يكون للعالَم ربان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان.

فالآية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر فى الفطر من توحيد الربوبية ودالة مثبتة ملزمة لتوحيد الإلهية.

وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

فلو كان للعالَم إلهان معبودان لفسد نظامه كله، فإن قيامه إنما هو بالعدل، وبه قامت السماوات والأرض، وأظلمُ الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدلُ العدل التوحيد.

سؤال: هل توحيد الإلهية يتضمّن توحيدَ الربوبية والعكس؟!

جواب: توحيد الإلهية متضمّن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لايصلح أن يكون إلهاً.

قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف :١٩١].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢].

أى لاتخذوا سبيلاً بالتقرُّب إليه، وهو الصحيح المنقول عن السلف.

سؤال: ما هو التوحيد الذى دعت إليه الرسل؟

جواب: التوحيد الذى دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه نوعان: توحيد فى الإثبات والمعرفة، وتوحيد فى الطلب والقصد.

الأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، ليس كمثله شئ فى ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسُوله ﷺ.

الثانى: وهو توحيد الطلب والقصد. مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤].

سؤال: هل القرآن كلُّه يدور حول التوحيد ومتطلباته؟

جواب: غالبُ سورِ القرآن متضمنةٌ لنوعى التوحيد. فإن القرآنَ إما خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلميُّ الخبرى.

وإما دعوة إلى عبادته وحدَه لا شريك له، وخلع مايُعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادى الطلبى.

وإما أمرٌ ونهىٌ وإلزامٌ بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبرٌ عن إكرامه لأهل توحيده، ومافعل بهم فى الدنيا وما يكرمهم به فى الآخرة، فهو جزاء توحيده.

وإما خبرٌ عن أهل الشرك، وما فعل بهم فى الدنيا من النكال، ومايحلّ بهم فى العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله فى التوحيد وحقوقه وجزائه، وفى شأن الشرك وأهله وجزائهم.

فـ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيد، ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ توحيد، ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

توحيد، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد، متضمن بسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد.

وكذلك شَهِدَ اللهُ لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته وأنبياؤه ورسلُه.

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]

فتضمنت الآية الكريمةُ أجلَّ شهادةٍ وأعظمَها وأعدلَها وأصدقها، من أجلِّ شاهدٍ، بأجلِّ مشهودٍ.

وعبارات السلف في (شهد) تدور على الحكم والقضاء، والإعلام والبيان، والإخبار وهذه كلها حق لا تنافي بينها.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية، والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع: علمَه سبحانه بذلك، وتكلُّمه به، وإعلامهَ وإخبارَه لخلقه به، وأمرَهم وإلزامهم به.

سؤال: كيف تكون شهادةُ الله عز وجل بتوحيده؟

جواب: شهادةُ الربِّ - عز وجل - وبيانه وإعلامه، يكون بقوله تارةً، وبفعله أخرى، فالقول: ما أرسلَ به رسلَه وأنزل به كتبه، وأما بيانهُ وإعلامه بفعله، فكما قال ابن كيسان: شهد الله بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عند خلقه: أنه لا إله إلا هو.

وقال آخر: وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدٌ.

ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل، قولهُ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه، والمقصود أنه سبحانه يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه، ودلالتها إنما هي بخلقه وجعله.

سؤال: هل الآية دالّة على بطلان ألوهية غير الله، وأن الله وحده الذي يستحق العبادة؟

صيغة أخرى: هل نفت الآية ألوهية غير الله وأثبتت أنه وحده الذي يستحق العبادة؟

جواب: وشهادته سبحانه أنه لا إله إلا هو، فقد أخبر وبيَّن وأعلم وحكم وقضى: أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهيَّة ما سواه باطلة، فلا يستحقُّ العبادةَ سواه، كما لا تصلح الإلهيةُ لغيره، ذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحدَه إلهاً والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً، وهذا يفهمه المخاطَب من هذا النفي والإثبات.

وأيضاً فالآية دلت على أنه وحدُه المستحقُّ للعبادة، فإذا أخبر أنه هو وحده المستحق

للعبادة، تضمن هذا الإخبارُ أمر العباد وإلزامهم بأداء مـايستحقه الربُّ تعالى عليهم، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم.

سؤال: اذكر الطرق التى بين بها الله تعالى التوحيد مدللاً على ما تقول؟

جواب: الله تعالى بيّن التوحيد بطرق ثلاث : السمع، والبصر، والعقل. أما السمعُ: فبسمع آياته المتلوة المبينة لما عرَّفنا إيَّاهُ من صفات كماله كلّها، الوحدانيـة وغيرها غاية البيان، لا كما يزعمه الجهميـة ومن وافقهم من المعتزلة، ومـعطلة بعض الصفات من دعوى احتمـالات توقع فى الحيرة، تنافى البيـان الذى وصف الله به كتابَه العـزيز ورسُوله الكريم، كما قـال تعالى: ﴿**حمٓ ، والْكتَابِ الْمُبِينِ**﴾ [الزخرف: ١ـ ٢]. ﴿**الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ**﴾ [الحجر: ١].

وكذلك السُّنة تأتى مبينةً أو مقررة لما دل عليه القرآن، فلم يُحوجنا ربنا سبحانه وتعالى إلى رأى أحد، ولا إلى ذوق أحد ووجده فى أصول ديننا.

ولهذا نجد من خـالفوا الكتابَ والسنة مختلفـين قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]. فلاَ يحـتاج فيِ تكميله إلى أمـرٍ خارج عن الكتاب والسنة.

وأما آياته العـيانية الخلقـية : فالنظر فـيها، والإسـتدلال بها يدل على مـاتدل عليه آياته القـولية السمعية، والعـقل يجمع بين هذه وهذه، فيجزم بصحة ما جاءت به الرسل، فتـتفق شهادةُ السمع، والبصر، والعقل، والفطرة.

سؤال : لما أرسل تعـالى رسله بالآيات البـاهرات؟ وبما نرد علـى من زعم أن هود ـ عليـه السلام ـ لم يرسل بأية؟

صيغة أخرى: وهل أرسل هود ـ عليه السلام ـ بأية من تلك الأيات؟

جواب : ما من نبى إلا ومعـه آيةٌ تدلُّ على صدق نبوته. فهو سبحانه لكمال عدله ورحمته وإحسانه وحكمته ومحبته للعذر، وإقامه الحُجَّة ، لم يبعث نبيـاً إلا ومعه آيةٌ تدل على صدقه فـيما أخبر به.

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿**فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾ [آل عمران: ١٨٤].

حتى إنَّ من أخفى آيات الرسل: آيات هود، حتى قال له قومه: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود:٥٣]. ومع هذا فبينته من أوضح البينات لمن وفقه الله لتدبُّرها، وقد أشار إليها بقوله: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٦]. فهذا من أعظم الآيات: رجلاً واحداً يخاطب أمةً عظيمة بهذا الخطاب، غير جَزِعٍ، ولا فزعٍ، ولاخوارٍ، بل هو واثقٌ بما قاله، جازم به فأشهد الله أولاً على براءته من دينهم وما هم عليه إشهاد واثقٍ به معتمدٍ عليه، مُعْلِمٌ لقومه أنه وليه وناصره وغير مُسلطٍ لهم عليه، ثم أشهدهم إشهاد مجاهرٍ لهم بالمخالفة أنه بريءٌ من دينهم وآلهتهم التى يُوالُون عليها، ويُعادون عليها، ويبذلون دماءهم وأموالهم فى نصرتهم لها، ثم أكّد لهم ذلك بالإستهانة بهم، واحتقارهم وازدرائهم، ولو يجتمعون كلُّهم على كيده وشفاء غيظهم منه، ثم يعاجلُونَه ولا يمهلونه لم يقدروا على ذلك إلا ما كتبه الله عليه.

فأى آيةٍ وبرهان أحسنُ من آيات الأنبياء عليهم السلام وبراهينهم وأدلَّتهم؟ وهى شهادةٌ من الله سبحانه لهم، بينها لعباده غاية البيان.

سؤال: هل نثبت أن من أسمائه تعالى اسمى المؤمن والشهيد دلل على ما تقول؟

جواب: من أسمائه تعالى الحُسنَى: المؤمنُ والشَّهيدُ. «المؤمنُ»، وهو فى أحد التفسيرين: المصدِّقُ الذى يُصدق الصادقين بما يُقيم لهم من شواهد صدقهم فإنه لابد أن يُرى العبادَ من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحى الذى بلَّغته رسلُه حقٌّ، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣]، أى القرآن، وقال: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣]، فشَهِدَ سبحانه لرسوله بقوله: إن ما جاء به حقٌّ، ووعد أن يُرِىَ العبادَ من آياته الفعلِّية الخَلْقية ما يَشهد بذلك أيضا، ثم ذكر ما هو أعظَم من ذلك كله وأجل، وهوشهادته سبحانه على كل شئٍ، فإن من أسمائه الشهيد الذى لايغيبُ عنه شئٌ، ولايَعزبُ عنه، بل هو مطلع على كل شئٍ مشاهد له، عليم بتفاصيله.

سؤال: كيف يستدل بأسماء الله تعالى وصفاته، على وحدانيته وعلى بُطلان الشرك؟

جواب: قد أودع الله فى الفطرة التى لم تتنجَّس بالجحود والتعطيل ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه سبحانه الكامل فى أسمائه وصفاته وأنه الموصوفُ بماوصف به نفسَه ووصفه به رسله، وما خفى عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه.

ومن كماله المقدُّس شهادته على كل شئ واطلاعُه عليه بحيث لايغيبُ عنه ذَرَّة فى السماوات ولا فى الأرض باطناً وظاهراً، ومن هذا شأنهُ كيف يليق بالعباد أن يشركوا به وأن يعبدوا غيره ويجعلوا معه إلها آخر؟ وكيف يليق بكماله أن يُقِرَّ من يكذب عليه أعظمَ الكذب، ويُخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه، ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويُعلى شأنه ويجيب دعوته، ويُهلك عدوَّه، ويُظهر على يديه من الآيات والبراهين ما يَعجزُ عن مثله قوى البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مُفترٍ ؟!

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧].

وقال تعالى: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الحشر: ٢٣].

وهذه الطريق قليلٌ سالكها، لا يهتدى إليها إلا الخواصُّ ، وطريقة الجمهور الإستدلال بالآيات المشاهدة، لأنها أسهل تناولاً وأوسع، والله سبحانه يُفضل بعضَ خلقه على بعض.

سؤال: هل أكملُ الناس توحيداً الأنبياءُ والمرسلون، وهل هم يتفاضلون فيه؟

صيغة أخرى: أكمل الناس توحيداً الرسل فمن عامتهم ومن خاصتهم ومن خواص الخواص منهم فى ذلك؟

صيغة ثالثة: من هم أكمل الناس توحيداً وهل يتفاضلون فى ذلك؟

جواب: إنَّ أكمل الناس توحيداً الأنبياءُ ـ صلوات الله عليهم، والمرسلون منهم أكمل فى ذلك.

وأُولُوا العزم من الرُّسل أكملُهم توحيداً وهم: **نوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلى الله عليهم أجمعين.**

وأكملهم توحيداً الخليلان: **محمدٌ وإبراهيمُ** ـ صلوات اللهعليهما وسلامه، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علماً ومعرفةً وحالاً ودعوةً للخلق وجهاداً، فلا توحيد أكمل من الذى قامت به الرسل، ودعوا إليه، وجاهدوا الأمم عليه لهذا أمرسبحانه نبيه ﷺأن يقتدى بهم فيه: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾[الأنعام: ٩٠].

وكان ﷺ يُعلِّم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: «**أصبحنا على فطرة الإسلام،وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد،وملَّة أبينا إبراهيم حنيفاً مُسلماً وما كان من المشركين**»(١).

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٣/ ٤٠٦، ٤٠٧)، والنسائى (٦/ ٣/ ٩٨٢٨ ـ الكبرى)، وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» (٢٢/ ح٣٣).=

سؤال: اشرح تفسير الحديث؟

صيغة أخرى: هل كان النبى محمد ﷺ على الحنيفية السمحاء مله إبراهيم دلل على ما تقول؟

جواب: فملَّةُ إبراهيمَ: التوحيد، ودينُ محمد ﷺ كما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقاداً، وكلمةُ الإخلاص هى شهادَةُ أن لا إله إلا الله ،وفطرة الإسلام: هى ما فطرَعليه عباده من محبته وعبادته وحده لاشريك له والاستسلام له عبوديَّةً وذلاً وانقياداً وإنابة.

فهذا هو توحيد خاصة الخاصة الذى من رَغِبَ عنه ،فهو من أسفه السفهاء، قال تعالى: ﴿**ومَن يرْغَبُ عن مِلَّة إبْراهيمَ إلاَّ مَن سفه نفْسهُ ولَقد اصْطفَيْناهُ فى الدُّنْيا وإنَّهُ فى الآخرة لَمنَ الصَّالحين، إذْ قَالَ لَهُ ربُّهُ أسْلمْ قَالَ أسْلَمْتُ لربِّ الْعالَمين**﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣١].

سؤال: اذكر مفسدة الأشتغال بأقوال أهل الكلام ومصطلحاتهم على قلب الموحد؟

جواب: الأشتغال بأقوال أهل الكلام ومصطلحاتهم، يُوقِعُ المرء فى الشكوك والحيرة والضلال. وكُلُّ من له حسٌّ سليم، وعقل يُميِّز به،لايحتاج فى الاستدلال إلى أوضاع أهل الكلام والجدل واصطلاحهم وطرقهم البَتَّة، بل ربما يقع بسببها فى شكوكٍ وشبهٍ يحصل له بها الحيرة والضلال والريبة، فإن التوحيد إنما ينفعُ إذا سَلمَ قلبُ صاحبه من ذلك وهذا هو القلب السليم الذى لايُفلِح إلا من أتى الله به.

سؤال: ماهى أنواع التوحيد؟

صيغة أخرى: قسم العلماء التوحيد ثلاثة أقسام اذكرها؟

جواب: يتضمن التوحيد ثلاثة أنواع:

توحيد الربوبية.

توحيد الإلهية.

توحيد الصفات[1].

سؤال: اذكر موقف الناس جميعاً من توحيد الربوبية، وهل أنكره أحد منهم؟

جواب: توحيد الربوبية كالإقرار بأن الله خالق كل شئ، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان

= من حديث عبدالله بن أبزى ـ رضى الله عنه.

وانظر: تمام تخريجه «الأذكار» للنووى (١/ ٢٠٧ ـ بتخريجنا).

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

فى الصفات والأفعال. (وقد فطرت القلوب على الإقرار بهذا التوحيد، ولم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بنى آدم، حتى إن فرعون كان يستيقن به مع ما عرف عنه من تظاهره بإنكار الصانع. قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]. قال تعالى ـ عنه وعن قومه ـ : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]. ولم يعرف عن أحد من الطوائف المختلفة أنه أثبت للعالم صانعين متماثلين فى الصفات والأفعال[١].

سؤال: اذكر الطوائف التى ضلت فى توحيد الربوبية؟ وهل بضلالها هذا أنكرت توحيد الربوبية من أصله؟

جواب: الثنوية: من المجوس، **والمانوية**[٢] القائلين بالأصلين: النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما متفقون على أن النور خير من الظلمة ، وأنه الإله المحمود، فلم يثبتوا ربين متماثلين.

سؤال: هل أتى النصارى بتوحيد الربوبية خالصاً؟

جواب: النصارى مع قولهم بالتثليث لم يثبتوا ثلاثة أرباب منفصلة، بل اتفقوا على أن صانع العالم واحد واضطربوا فى فهم التثليث، فلا يكاد يتفق اثنان منهم على معنى واحد، فهم يقولون : واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم! ويضطربون فى تفسير الأقانيم، فتارة يفسرونها بالخواص، وتارة بالصفات، وتارة بالأشخاص. وبالجملة فهم لم يقولون بإثبات خالقين متماثلين.

ومشركوا الأمم السابقة : كانوا يقرون بالصانع، وأنه ليس للعالم صانعان متماثلان، ولكنهم كانوا يتخذون من آلهتهم شفعاءإلى الله . قال تعالى فى قصة صالح عليه السلام: ﴿**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ**﴾ الآية [النمل: ٤٩] فهؤلاء المفسدون المشركون تحالفوا بالله على قتل نبيهم وأهله، وهذا يبين أنهم كانوا مؤمنين بالله إيمان المشركين[٣].

سؤال: اذكر علاقة توحيد الربوبية بتوحيد الإلهية؟ وعلاقته بالشرك؟

---

(١) انظر «تقريب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) المانوية: نسبة إلى (مانى) الفارسى، كان فى الأصل مجوسيًا، فأحدث ديناً ودعا إليه، وزعم أن صانع العالم اثنان: أحدهما : فاعل الخير وهو نور، وثانيهما: فاعل الشر وهو ظلمة، وهما قديمان لن يزالا ولن يزالا، وهما مختلفان فى النفس والصورة، متضادان فى الفعل والتدبير، وقد ظهر فى أيام (سابور ابن أردشير) ، وتبعه خلق عظيم من المجوس، وادعوا له النبوة، وما زال إلى أن قتل فى زمان (سابور ابن بهرام).

(٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

جواب: إذا علم أن هذا التوحيد قد فطرت القلوب على الإقرار به، أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، وأنه لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بنى آدم، وأنه قد يوجد مع الشرك فى العبادة، فقد علم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية الذى يتضمن توحيد الربوبية، فلو أقر الرجل بتوحيد الربوبية ولم يعبد الله وحده، ويتبرأ من عبادة ما سواه، كان مشركاً من جنس أمثاله من المشركين[1].

سؤال: «الشرك قد يكون فى بعض الربوبية». أتستقيم هذه العبارة مع ما تقدم قبلها؟ دلل على ما تقول.

جواب: نعم ، وإذا كان الناس لم يشركوا فى الربوبية بالمعنى السابق «إثبات متماثلين» فقد ذهب بعض المشركين إلى إن ثَمَّ خالقاً خلق بعض العالم، كما يقول الثنوية فى الظلمة، والقدرية فى أفعال الحيوان. فقد كان هؤلاء يثبتون أموراً محدثة بدون إحداث الله لها، فهم مشركون فى بعض الربوبية. كذلك كان الحال عند كثير من مشركى العرب وغيرهم، فقد كانوا يظنون شيئاً من نفع أو ضر بدون أن يخلق الله ذلك.

وقد بين القرآن الكريم بطلان ذلك: قال تعالى: **﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾** [المؤمنون: ٩١].

سؤال: اذكر ما تضمنته الآية من أنواع التوحيد؟

صيغة أخرى: «جاءت الآية موافقة لما استقر فى الفطر من توحيد الربوبية دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الألهية» وضح ذلك.

جواب: بينة الآية ن الإله الحق لابد أن يكون خالقاً فاعلاً، يوصل إلى عباده النفع ويدفع عنهم الضر، لو كان معه سبحانه وتعالى إله آخر، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى الشركة، بل إن قدر قهر شريكه وتفرد بالملك، وإلا انفرد بخلقه وذهب به كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه.

وإن انتظام أمر العالم ليدل على أن مدبره واحد، وإلهه واحد، لا إله غيره، ولارب سواه، فلوكان له إلهان معبودان، لفسد نظامه كله[2].

فالآية الكريمة موافقة لما استقر فى الفطر من توحيد الربوبية، دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الإلهية.

---

(١)، (٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

سؤال: التوحيد دعوة جميع الرسل، اذكر الأدلة على ذلك.؟

جواب: التوحيد أول واجب على المكلف. التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق. وأول مقام يقوم به السالك إلى الله. قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦].

ولهذا فإن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله [(١)].

فقد اتفق أئمة السلف على أن أول ما يؤمر به العبد: الشهادتان، وأن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديده عقيب البلوغ[(٢)].

---

(١) دليله حديث معاذ حين بعثه ﷺ إلى اليمن.
[متفق عليه] أخرجه البخارى (٣/ ٣٠٧/ ١٣٩٥)، ومسلم (١/ ٢٢٨/ ٢٩)، والترمذى (٣/ ١٢/ ٦٢٥)، وأبو داود (٢/ ١٠٧/ ١٥٨٤) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.
قال الترمذى: «حديث حسن صحيح».

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د. صلاح الصاوى.
(*)[تعليق]
قوله: (نقول فى توحيد الله)
قال ابن باز ـ رحمه الله ـ: اعلم أن التوحيد الذى بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب ينقسم إلى أقسام ثلاثة حسب استقراء النصوص من الكتاب والسنة وحسب واقع المكلفين:ـ
القسم الأول:ـ
توحيد الربوبية:ـ وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه وهو الإيمان بأنه الخالق الرازق المدبر لأمور خلقه المتصرف فى شئونهم فى الدنيا والآخرة لاشريك له فى ذلك. كما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [سورة الزمر: ٦٢]
وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ**﴾ [يونس: ٣] الآية وهذا النوع قد أقر به المشركون عباد الأوثان وإن جحد أكثرهم البعث والنشور ولم يدخلهم فى الإسلام؛ لشركهم بالله فى العبادة وعبادتهم الأصنام والأوثان معه سبحانه وعدم إيمانهم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
القسم الثانى:
توحيد العبادة ويسمى توحيد الألوهية.
وهى العبادة وهذا القسم هو الذى أنكره المشركون فيما ذكر الله عنهم سبحانه بقوله: ﴿ **وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ، أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾[سوره ص: ٤ ـ ٥]
وأمثالها كثير وهذا القسم يتضمن إخلاص العبادة لله وحده والإيمان بأنه المستحق لها وأن عبادة ما سواه باطلة وهذا هو معنى لا إله إلا الله فإن معناها لا معبود بحق إلا الله كما قال الله عز وجل: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾ الآية [سورة الحج: ٦٢]
القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات:ـ=

قوله: «ولا شيء مثله».

سؤال: وضح مذهب أهل السنة في ذات الله وصفاته وأفعاله؟

جواب: اتفق أهلُ السنة على أن الله ليس كمثله شيءٌ لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وأن خصائصَ الربِّ تعالى لأيوصف بها شيءٌ من المخلوقات، ولأيماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى: ١١]، ردٌّ على الممثِّلة المشبِّهة، ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾، ردٌّ على النُفاة المعطلة، فمن جعلَ صفات الخالق مثلَ صفات المخلوق فهو: المُشبه المُبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو: نظير النصارى في كفرهم.

سؤال: هل تسميةُ العبدِ ووصفُه ببعض أسماء الله تعالى وصفاته يبرر نفي صفات الله وأسمائه بدعوى التشبيه.؟

جواب: ويراد به أنه لايثبت لله شيء من الصفات، فلا يقُال: له قدرةٌ، ولاعلم، ولاحياة، لأنَّ العبدَ موصوف بهذه الصفات! ولازم هذا القول أنه لايقال له: حيٌّ عليمٌ، قدير، لأنَّ العبدَ يسمى بهذه الأسماء،! وكذا كلامه وسمعه، وبصره، ورؤيته وغير ذلك.

لقد أدخل نفاة الصفات، نفي الصفات في مسمى التوحيد، كالجهم بن صفوان، ومن وافقه، لأن إثبات الصفات في زعمهم يستلزم تعدد الواجب!، وهو غاية التعطيل والفساد، لأن إثبات ذات

= وهو الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله العزيز وفي السنة الصحيحة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من أسماء الله وصفاته وإثباته لله سبحانه على الوجه الذي يليق به من غير تحريف ولاتعطيل ومن غيرتكييف ولا تمثيل كما قال الله سبحانه:ـ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [سورة الأخلاص] وقال سبحانه:

﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١] وقال عز وجل:ـ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال سبحانه في سورة النحل: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [النحل: ٦٠] والآيات في هذا المعنى كثيرة والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى الذي لا نقص فيه وهذا هو قول أهل السنة والجماعة من أصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ وأتباعهم بإحسان يمرون آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت ويثبتون معانيها لله سبحانه إثباتاً بريئاً من التمثيل وينزهون الله سبحانه عن مشابهة خلقه تنزيهاً بريئاً من التعطيل وبما قالوا تجتمع الأدلة من الكتاب والسنة وتقوم الحجة على من خالفهم وهم المذكورون في قوله سبحانه: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٠] جعلنا الله منهم بمنه وكرمه والله المستعان.

مجردة من جميع الصفات لايتصور لها وجود فى الخارج، وقد أفضى هذا القول بقوم إلى «الحلول والإتحاد».

وهم يوافقون أهل السنة على أنه سبحانه وتعالى موجودٌ، عليم قديرٌ، حيٌّ، والمخلوق يُقال له: موجودٌ. حيٌّ، عليم، قدير، ولايُقال هذا تشبيه يجب نفيه، وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة وصريح العقل ولايُخالف فيه عاقل فإن الله سمىَّ نفسه بأسماء وسمى بعض عباده بها، وكذلك سمى صفاته بأسمائه، وسمى ببعضها صفات خلقه، وليس المُسَمَّى كالمُسمى، فسمى نفسه حياً، عليماً، قديرا، رؤوفاً، رحيماً، عزيزاً، حكيماً، سميعاً، بصيراً، ملكاً، مؤمناً جباراً، متكبراً. وقد سمى بعض عباده بهذه الأسماء، فقال: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥]، [سورة الروم: ١٩].

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]. ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: ١٢٨]. ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الدهر: ٢]. ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]. ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]. ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [السجدة: ١٨]. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [المؤمن: ٣٥]. ومعلوم أنه لايماثل الحى الحى ولا العليمُ العليمَ، ولا العزيزُالعزيزَ، وكذلك سائرُ الأسماء.

سؤال: إثبات صفات الله ـ عز وجل ـ لايستلزم التشبيه والتجسيم لمجرد إطلاق هذه الأسماء والصفات على العباد. اشرح هذه العبارة؟

صيغة أخرى: وضح أن اطلاق صفات الله وأسمائه على العباد ليس إلا من باب موافقة اللفظ ولا يستلزم التشبيه والتجسيم؟

جواب: لقد سمى الله ورسوله صفات الله: علماً وقدرة وقوة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم: ٥٤] ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨]. ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم، ولا القوةُ كالقوةُ، وهذا لازمٌ لجميع العقلاء، فإن من نفى صفةً من صفاته التى وصف الله بها نفسه: كالرضاوالغضب، والمحبة والبغض ونحو ذلك، وزعم أن ذلك يستلزمُ التشبيه والتجسيم! قيل له: فأنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر، ومع أن ما تثبته له ليس مثل صفات المخلوقين، فقُلْ فيما نفيتهُ وأثبتهُ الله ورسُوله مثلَ قولك فيما أثبتهُ إذ لافرق بينهما.

فمن نفى ما اتفقا فيه ـ أى الخالق والمخلوق ـ كان معطلاً قائلاً للباطل، ومن جعلهما متماثلين كان مشبِّهاً قائلاً للباطل. ذلك لأنهما وإن اتفقا فى مُسمى ما اتفقا فيه، فالله تعالى مختصٌ بوجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته والعبد لأيشركه فى شئ من ذلك والعبد أيضاً مختصٌ بوجوده وعلمه وقدرته، والله تعالى منزَّهٌ عن مشاركة العبد فى خصائصه.

وإذا اتفقنا فى مُسمى الوجودِ والعلم والقدرةِ، فهذا المشتركُ مطلقٌ كلى يوجد فى الأذهان لافى الأعيان. والموجود فى الأعيان مختصٌ لا اشتراك فيه، وأصل الخطأ والغلط توهمهم أن هذه الأشياء العامه الكلية، يكون مسماها المُطلق هو بعينه ثابتاً فى هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك، وهذه الأسماءُ إذا سُمِّى الله بها، كان مُسمَّاها مُعيَّناً مختصاً به، فإذا سُمى بها العبدُ كان مُسمَّاها مختصاً به سبحانه وتعالى، فوجودُ الله وحياتُه لايشاركُه فيها غيرهُ، بل وجود هذا الموجود المعين لايشركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق؟! ألا ترى أنك تقول: هذا هو ذاك، فالمشارُ إليه واحد ولكن بوجهين مختلفين.

[ذلك أن المخاطب لايفهم المعانى المعبر عنها اللفظ إلا إذا عرف عينها، أومايناسب عينها، يكون بينهما قدر مشترك ومشابهة فى أصل المعنى.

فالمراتب التى لابد منها فى كل خطاب ثلاثة:

١ ـ إدراك الإنسان للمعانى الحسية المشاهدة.

٢ ـ عقله لمعانيها الكلية.

٣ ـ تعريف الألفاظ الدالة على تلك المعانى الحسية والعقلية.

فإذا أخبرنا الشارع عن الأمور الغائبة، فلابد من تعريفها بالمعانى المشتركة بينها وبين الحقائق المشهورة، والإشتباه الذى بينهما، وذلك بتعريفنا الأمور المشهورة، ثم ينص على الفارق عند انتفاء المماثلة، وإذا تقرر انتفاء المماثلة. كانت الإضافةوحدها كافية فى بيان الفارق، وانتفاء التساوى لايمنع من وجود القدرالمشترك الذى هو مدلول اللفظ المشترك ـ ما أمكن ذلك ـ قط].

قوله: (ولا شيء يعجزه).

هذا بيان: **لكمال قدرته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [البقرة:٢٠].

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥]. **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾**[فاطر:٤٤]. **﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾**[البقرة:٢٥٥]. **﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾** أى :لايثقله ولا يعجزه، فهذا النفى لثبوت كمال ضده.

سؤال: هل النفى فى صفات الله ـ عز وجل ـ يأتى لثبوت ضده دلل على ما تقول؟.

صيغة أخرى: لما نفى الله عن نفسه بعض الصفات، هل فى هذا النفى مدح له سبحانه وتعالى؟

جواب: كل نفى يأتى فى صفات الله تعالى فى الكتاب والسنة، إنما هو لثبوت كمال ضدهً، كقوله تعالى: ﴿**ولا يظلم ربك أحدا**﴾ [الكهف:٤٩]. لكمال عدله، ﴿**لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض**﴾ [سبأ:٣]. لكمال علمه، ﴿**وما مسنا من لغوب**﴾ [ق:٣٨]. لكمال قدرته، ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾ [البقرة:٢٥٥]. لكمال حياته وقيُّوميته، ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ [الأنعام:١٠٣]. لكمال جلاله وعظمته وكبريائه، وإلا فالنفى الصِرْف لا مدح فيه.

فقول الشاعر:

وقبيلة لا يغدرون بذمة ولايظلمون الناس حبة خردل

لا يدل على مدح بل المراد به بيان عجزهم وضعفهم وذلك لما ذكره قبل هذا البيت وبعده وتصغيرهم بقوله: قُبَيلة.

سؤال: اذكر منهج السلف فى نفى وإثبات الصفات وهل اختلفوا عن غيرهم فى ذلك؟

صيغة أخرى: بين كيف أختلف أهل السنة عن أهل الكلام فى إثبات الصفات تفصيلاً وأجمالاً؟

جواب: منهج السلف الإثبات المفصَّل للصفات، والنفىُ المجمل. ولهذا يأتى الإثبات للصفات فى كتاب الله مفصلا، والنفى مجملاً عكس طريقة أهل الكلام المذموم: فإنهم يأتون بالنفى المفصل والإثبات المجمل، يقولون: ليس بجسم ولاشبح، ولا جثة ولا صورة، ولالحم، ولا دم ولاشخص، ولاجوهر، ولاعرض، ولابذى لون، ولاطعم ولارائحة ولامَجَسة، ولابذى حرارة، ولابرودة، ولارطوبة، ولايبوسة ولاطول ولاعرض، ولاعمق ولااجتماع، ولاافتراق، ولايتحرك ولايسكن، وليس بذى جهة، ولابذى يمين، ولاشمال وأمام وخلف وفوق وتحت.. إلى آخرما نقله أبو الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى عن المعتزلة.

وفى هذه الجملة حقٌ وباطل، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة. وهذا النفى المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءةُ أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال، ولاحجَّام، ولاحائك، لأدَّبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفى، فقلت: أنت لستَ مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجلُّ، فإذا أجملت فى النفى، أجملت فى الأدب.

سؤال: اذكر مذهبُ أهل السنَّة والجماعة فى التعبير عن الحق وهل خالفهم فى ذلك المعطلة؟

جواب: والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية، هو سبيل أهل السنة والجماعة، والمعطِّلَة يُعرضون عمّا قاله الشارع من الأسماء والصفات، ولايتدبرون معانيها، ويجعلون ما ابتدعوه من المعانى والألفاظ هو المحكم الذى يجب اعتقاده واعتماده.

فغالب عقائدهم السلوب «ليس بكذا» وأكثره ليس متلقى من الكتاب والسنة، وأما الإثبات فهو قليل وهو: أنه عالم، قادر، حى.

وأما أهلُ الحق والسنة والإيمان فيجعلون ما قاله الله ورسُوله هو الحق الذى يجب اعتقادهُ واعتماده، والذى قاله هؤلاء إما أن يُعرضوا عنه إعراضاً جُملياً، أو يبينوا حاله تفصيلاً، ويحكم عليه بالكتاب والسنة، ولايُحكم به على الكتاب والسنة.

وليس قول الشيخ رحمه الله تعالى: «**لاشئ يعجزه**» من النفى المذموم، فإن الله تعالى قال: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً**﴾[فاطر: ٤٤]. فنبه سبحانه وتعالى فى آخر الآية على دليل إنتفاء العجز، وهو: كمال العلم، والقدرة، فإن العجز ينشأُ إما من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل، وإما من عدم علمه به، والله تعالى لايعزبُ عنه مثقالُ ذرةٍ وهو على كل شئ قدير، وقد عُلمَ ببدائة العقول والفطر كمال قدرته وعلمه، فانتفى العجزُ بما بينه وبين القدرة من التضاد، ولأن العاجز لايصلح أن يكون إلهاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قوله «ولا إله غَيْرُهُ».

سؤال: (ولاإلهَ غيره) هل يثبت التوحيد بهذه الكلمة، دلل على ما تقول؟

جواب: نعم، لأن هذه كلمة التوحيد التى دعت إليها الرسل كلهم، وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفى والإثبات المقتضى للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال، لهذا لما قال تعالى: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ [البقرة:١٦٣]، قال بعده: ﴿**لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة:١٦٣]. فإنه قد يخطر ببال أحد هذا الخاطر الشيطانى: هب أن إلهنا واحد فلغيرنا إله غيره، فقال: ﴿**لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾. والقرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد، فهو يبين أنه لاخالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم ألا يعبد إلا الله، فيجعل من توحيد الربوبية دليلاً على توحيد الإلهية إذا كانوا يسلمون بالأول ويتنازعون فى الثانى. قال تعالى: ﴿**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾[النمل:٥٩, ٦٠].

فهذا استفهام إنكار، فقد كانوا مقرين أنه لم يفعل ذلك غير الله، فاحتج عليهم بذلك، أى: إن من خلق هو الذى يستحق أن يكون إلهاً، وأن يتوجه إليه وحده بالعبادة. ونفس المعنى أيضاً فى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة:٢١][1].

سؤال: «توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية» كيف ذلك؟

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

جواب: توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية، دون العكس، فمن لا يقدر على الخلق، يكون عاجزاً والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً. قال تعالى: ﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٩١]، فالإقرار بإن الله وحده هو الذى يستحق أن يعبد يتضمن الإقرار بأنه وحده الخالق والمحيى والمميت.

أما توحيد الربوبية، فلا يتضمن توحيد الإلهية لأنه قد يقر بأن الله هو الخالق وحده، والمدبر وحده، ثم يعبد من دونه آلهة يزعم أنها تقّربه إليه(١).

سؤال: ماهو التوحيد الذى دعت إليه الرسل؟ وهل شهد الله لنفسه بهذا التوحيد؟

جواب: التوحيد الذى دعت إليه الرسل:

توحيد الإثبات والمعرفة: وهو معرفة الله ـ عز وجل ـ بأسمائه وصفاته وأفعاله، كما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله ﷺ، وهو التوحيد العلمى والخبرى، وذلك مثل ما تضمنته سورة: الإخلاص، وأول سورة: الحديد، آل عمران، والسجدة، وآخر سورة الحشر، وغير ذلك.

* **توحيدالقصد والطلب**: وهو عبادة الله وحده، وخلع ما يعبد من دونه، وذلك مثل ماتضمنته سورة: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾.

وقد شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته وأنبياؤه ورسله. قال تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران: ١٨](٢).

سؤال: اذكر مراتب الشهادة؟

جواب: [والشهادة لها أربع مراتب:

١ ـ **مرتبة العلم**: وإلا كان الشاهد بما لاعلم له به. قال تعالى: ﴿**إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزخرف: ٨٦]. وقال ﷺ ـ وقد أشار إلى الشمس ـ : «**على مثلها فاشهد**»(٣).

٢ ـ مرتبة التكلم والخبر: قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**﴾ [الزخرف: ١٩]. فجعل ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بها، ولم يؤدوها عند غيرهم.

---

(١)، (٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) [ضعيف] أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٤/ ٩٨ ـ ٩٩)، والبيهقى فى الكبرى» (١٠/ ١٥٦).

من طريق: محمد بن سليمان بن مسحول، ثنا عبدالله بن سلمة بن وهرام، عن طاووس اليمانى، عن ابن عباس.

قال الحاكم: «صحيح الإسناد»، وقال البيهقى: «وابن مسحول: تكلم فيه الحميدى ولم يرو منه وجه معتمد عليه».

٣ ـ مرتبة الإعلام والإخبار، وهو نوعان:

(أ) إعلام بالقول.

(ب) إعلام بالفعل، فمن جعل داره مسجداً، وفتح بابها، فقد أعلم أنها وقف، وإن لم يتلفظ به، ومن تودد إلى غيره بأنواع المسار، فقد أعلم بأنه يحبه وإن لم يتلفظ بذلك، ومما يدل على أن الشهادة قد تكون بالفعل، قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ**﴾ [التوبة:١٧]. وشهادة الله ـ عز وجل ـ بالتوحيد إما بالقول، وهو ما أرسل به رسله، وأنزل به كتبه. وإما بالفعل، وذلك من خلال تدبيره العجيب، وآياته المبثوثة في الكون.

٤ ـ مرتبة الأمر والإلزام: ومجرد الشهادة لايستلزم ذلك، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه. فقد شهد به شهادة من قضى بذلك وألزم به عباده. قال تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء:٢٣]. وقال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة:٥]](١).

سؤال: اذكر طرق بيان الشهادة؟

صيغة أخرى: بين الله الشهادة بطرق ثلاثة اذكرها؟

جواب: بين الله الشهادة للناس بطرق ثلاثة: السمع، والبصر، والعقل.

١ ـ **فبالسمع**: يسمع آيات الله المتلوة، المثبتة لصفات كماله وجلاله تعالى.

٢ ـ **وبالعين**: يبصر آيات الله، المبثوثة أمامه.

٣ ـ ويجمع **العقل** بين هذه وتلك، فيشهد بصحة ما جاءت به الرسل، فتتفق شهادة هذه الأدوات جميعاً(٢).

سؤال: كيف يعرف صدق الأنبياء والمرسلين؟

صيغة أخرى: كيف أقام الله البراهين على صدق الأنبياء والمرسلين؟

جواب: ومن تمام رحمة الله وعدله، أنه لم يبعث نبياً إلا ومعه آية تدل على صدقه. قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ [الحديد:٢٥]. ومن أسمائه تعالى: المؤمن، وهو المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم.

(١)، (٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. فقد وعد بأن يرى العباد من آياته الفعلية والخلقية ما يشهد بحقية القرآن، وهذا استدلال بأفعاله ومخلوقاته. ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. أي: مطلع على كل شئ. وهذا استدلال بأسمائه وصفاته[١].

سؤال: كيف يستدل بأسمائه وصفاته على كماله وهو غير معهود في الاصطلاح؟

صيغة أخرى: اذكر طريقة الخواص والجمهور في الاستدلال على وحدانية الله؟

جواب: إن الله قد أودع في الفطرة النقية أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، ومن كماله المقدس شهادته على كل شئ، ومن هذا شأنه لايليق بالعباد أن يشركوا به، ولايليق بكماله أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب، ثم ينصره على ذلك مع كذبه وأفترائه، ولاشك أن شهادة الله على كل شئ وقدرته وحكمته، وكماله المقدس، يأبى ذلك.

وهذه طريقة الخواص في الاستدلال حيث يستدلون بالله على أفعاله، وما يليق به أن يفعله أو لايفعله. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[الحاقة: ٤٤ ـ ٤٥].

وأما طريقة الجمهور فهي الاستدلال بالآيات الشاهدة، لاتساعها وسهولة تناولها[٢].

سؤال: هل يصح تقسيم التوحيد إلى: توحيد عامة، وخاصة، وخاصة الخاصة؟

جواب: لايصح ذلك، لأن الصحيح أن توحيد الإلهية هو التوحيد الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب فلا إلتفات إلى من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

* **فجعل هذا النوع:** توحيد العامة.

* **والنوع الثاني:** توحيد الخاصة. وهو الذي يثبت بالحقائق.

* **والنوع الثالث:** توحيداً قائماً بالقدم. وهو توحيد خاصة الخاصة.

لأن ذلك ينتهي بأصحابه إلى الفناء الذي يسير إليه غالب الصوفية، وهو درب خطر يفضي إلى الإتحاد، فضلاً عن كونه لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، ولا كلام أحد من محققي الأئمة.

فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل ودعوا إليه، وجاهدوا الأمم عليه[٣].

---

(١)، (٢)، (٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

«قَدِيمٌ بِلاَ ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلاَ انْتِهَاءٍ».

قوله: «قديم بلا ابتداء...»

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]. وقال ﷺ: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخرُ فليس بَعدَك شيء**»(١).

فقول الشيخ رحمه الله: قديمٌ بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، هو معنى اسمه الأول والآخر. والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقرٌ فى الفطر، فإن الموجودات لابد أن تنتهى إلى واجبِ الوجود لذاته، قطعاً للتسلسلِ.

سؤال: اثبت بالأدلة أن القديم ليس من أسماء الله الحُسنى.

صيغة أخرى: هل نثبت لله تعالى اسم القديم أم لا؟ دلل على ما تقول؟

جواب: أدخل المتكلمون فى أسماء الله تعالى (القديم)، وليس هو من الأسماء الحسنى، فإن (القديم) فى لغة العرب التى نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم للعتيق، وهذا حديث للجديد، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا فيما لم يسبِقْهُ عدَمٌ.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]. والعرجون القديم: الذى يبقى إلى حين وجود العرجون الثانى، فإذا وجد الجديد قيل للأول قديم وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٧٦]. فالأقدم مبالغة فى القديم.

والتقدم فى اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى، وجاء الشرع باسمه (الأوَّل) وهو أحسن من القديم، لأنه يُشعر بأنَّ ما بعده آيل إليه، وتابع له، بخلاف (القديم)، والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحَسَنَة.

[ولهذا فقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف منهم: ابن حزم].

قال الصاوى: هذا هو معنى اسمه الأول والآخر. والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر فى

(١) أخرجه مسلم فى «الذكر والدعاء»/ باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٦/ ١٧/ ٣٦ ـ النووى) وأبو داود فى «الأدب»/ باب: ما يقال عند النوم (٤/ ٣١٤/ ح٥٠٥١) وابن ماجه فى «الدعاء» باب/ ما يدعو إذا أوى إلى فراشه (١٢/ ١٢٧٤/ ح٣٨٧٣) والنسائى فى «الكبرى» فى عمل اليوم والليلة/ باب: ما يقول من يفرغ من منامه (٦/ ٨٩٧/ ١٠٦٢٦). وذكره السيوطى فى «الدر المنثور» (٦/ ٢٤٦) وعزاه للبيهقى فى «الأسماء والصفات» من حديث أبى هريرة. وانظر «الأذكار» (رقم ٢٤١) بتخريجنا.

وَلاَ يَكُونُ إِلاَّ مَا يُرِيدُ.

الفطرة، فإن الموجودات لابد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعاً للتسلسل. وإدخال اسم القديم في أسماء الله تعالى من صنيع المتكلمين وليس من أسماء الله الحسنى، فإن القديم في لغة العرب يطلق على المتقدم على غيره لا فيما لا يسبقه عدم. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

والعرجون القديم هو الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الحديث قيل للأول قديم.

ولا ريب أنه إذا كان مستعملاً في نفس التقدم. فإن ما يقدم على الحوادث كلها أولى بالتقدم من غيره، لكن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يمدح به، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها.

[وجاء الشرع باسم «الأول» وهو أحسن من «القديم» لأنه يشعر ما بعده آيل إليه وتابع له بخلاف القديم، والله تعالى له الأسماء الحسنى](١)(*).

قوله: «ولا يكون إلا ما يريد».

هذا ردٌّ لقول القدرية والمعتزلة، فإنهم زعموا أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم، والكافر أرادَ الكفرَ، وقولُهم فاسدٌ مردود لمخالفته الكتاب والسُّنَّة، والمعقولَ الصحيح.

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د. صلاح الصاوي.

(*) تعليق:

قوله: «قديم بلا ابتداء».

* قال ابن باز: ـ هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله الحسنى كما نبه عليه الشارح رحمه الله وغيره وإنما ذكره كثير من علماء الكلام ليثبتوا به وجوده قبل كل شيء وأسماء الله توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بالنص من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة ولا يجوز إثبات شيء منها بالرأي كما نص على ذلك أئمة السلف الصالح، ولفظ القديم لا يدل على المعنى الذي أراده أصحاب الكلام لأنه يقصد به في اللغة العربية: المتقدم على غيره وإن كان مسبوقاً بالعدم كما في قوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] وإنما يدل على المعنى الحق بالزيادة التي ذكرها المؤلف وهو قوله «قديم بلا ابتداء».

ولكن لا ينبغي عدة في أسماء الله الحسنى لعدم ثبوته من جهة النقل ويغني عنه اسمه سبحانه: الأول كما قال عزوجل: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ [الحديد: ٣] الآية. والله ولي التوفيق.

وسُمُّوا قدريَّةً لإنكارهم القدَرَ، وكذلك تُسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدريةً أيضاً، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب.

سؤال: ما هى عقيدةُ أهْلِ السنَّة فى القدَر؟

صيغة أخرى: وضح عقيدة أهل السنة والجماعة فى القدر؟

جواب: أما أهْلُ السُّنَّة فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصى قدَراً، فهو لا يحبها ولا يرضاها، ولا يأمر بها، بل يبغضُها، ويسخطُها، ويكرهها وينهى عنها، وهذا قول السَّلَف قاطبةً، فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأْ لم يكن.

[ولاشك أن الفرق ثابت بين إرادة المريد أن يفعل، وبين إرادته من غير أن يفعل. فالأولى متعلقة بفعله هو، والثانية متعلقة بفعل الغير].

والمحققون من أهل السُّنَّة يقولون: الإرادة فى كتاب الله نوعان:

إرادةٌ قدريَّةٌ كونية خلقيَّة، وإرادة دينية أمريَّة شرعية.

سؤال: وضح مذهب أهل السنة والجماعة فى معنى الإرادة الشرعية الدينية الأمرية، والإرادة الكونية القدرية الخلقية والفرق بينهما؟

جواب: الإرادة الشرعية: هى المتضمنة للمحبة والرضى.

والكونية: هى المشيئةُ الشاملَةُ لجميع الحوادث، وهذا كقوله: ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقوله تعالى عن نوح: ﴿ **وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ** ﴾ [هود: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية، فكقوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [النساء: ٢٦]. ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٢٧ ـ ٢٨].

فهذه الإرادة هى المذكورة فى مثل قول الناس بمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أى: لا يحبه، ولا يرضاه ولا يأمر به. وأما الإرادة الكونية، فهى الإرادة المذكورة فى قول المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكُنْ].

لاَ يَفْنَى وَلاَ يَبِيدُ.

لا تَبْلُغُه الأوهامُ، ولا تُدرِكُه الأَفْهَامُ.

وَلاَ يُشْبِهُ الأَنَامُ.

قوله: «لا يفنى ولا يبيد».

سؤال: ما المقصود بالفناء والإبادة وما فائدة الجمع بينهما بالنفى فى حق الله سبحانه وتعالى؟

جواب: هذا إقرار بدوام بقائه، والفناء والبيد متقاربان فى المعنى، والجمع بينهما للتأكيد.

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧](١).

قوله: «لا تبلغه الأوهام».

سؤال: من التهلكة وعدم السلامة أن يُكلف الإنسان نفسه عناء البحث والتأمل فى ماهية الله تعالى وكيفية صفاته. وضح ذلك.

جواب: قال الله تعالى ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. قال فى (الصحاح): توهمت الشىء: ظننتُه، وفَهِمتُ الشىءَ: علمتَه. فمراد الشيخ رحمه الله: أنه لا ينتهى إليه وهمٌ، ولا يُحيط به علم، والله تعالى لا يعلم كيف هو، إلا هو سبحانه وتعالى، وإنما نعرفه سبحانه بصفاته، وهو: أنه أحدٌ، صَمَدٌ، لم يلد، ولم يُولد، ولم يكن له كُفُواً أحد.

قوله: «ولا يشبهه الأنام».

هذا رد لقول المشبِّهَة الذين يشبهون الخالقَ ـ سبحانه وتعالى بالمخلوق، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وليس المراد نفى الصفات كما يقول أهل البدع.

سؤال: بين أقوالُ أهلِ العلم فى المشبِّهة، وفيمن يجحد الصفات بحجة عدم الوقوع فى التشبيه؟.

جواب: فمن كلام أبى حنيفة ـ رحمه الله فى ـ (الفقه الأكبر): لا يُشبه شيئاً من خلقه، ولا يُشبهه شىءٌ من خلقه، ثم قال بعد ذلك: وصفاته كلُّها خلافَ صفات المخلوقين، يعلمُ لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا.

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د. صلاح الصاوى.

وقال نعيم بن حمَّـاد: من شبَّه الله بشيء من خلقه فقد كَفَـر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسولُه تشبيهٌ.

وقال إسحاق بن راهَوَيه: من وصف الله، فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافرٌ بالله العظيم. وقال: علامة جهم وأصحابه: دعـواهم على أهل السُّنَّة والجماعة ما أولعوا به من الكذب: أنهم مُشَبِّهة، بل هم المعطِّلة.

وكذلك قال خلق كثير من أئمة السَّلَف: علامة الجهميَّـة تسميتهم أهلَ السُّنَّة مُشبهة، فإنه ما من أحد من نفاة شيء من الأسماء والصفات إلا يسمى المثبتَ لها مُشبِّهاً.

ولكن المشهورَ من استعمال هذا اللفظ عند علماء السُّنَّة المشهورين: أنهم لا يريدون بنفى التشبيه نفى الصفات، ولا يصـفون به كل من أثبت الصفات، بل مُرادهم أنه لا يُشبـه المخلوقَ في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما تقدم من كلام أبي حـنيفة: أنه تعالى يعلم لا كعلمنا، ويقـدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، وهذا معـنى قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾. فنفى المثل وأثبت الوصف.

[ولهذا فإن كـتب نفاة الصفات من الجهـمية، والمعتزلـة، والرافضة، ونحوهم، كلها مـشحونة بتسمـية مثبتى الصـفات: مجسمـة، ومشبهة، وقد غـلب هذا الإستعمال عند المتـأخرين من غالب الطوائف.

والعجيب أن غـلاة نفاة الصفات يقولون: إن أصل الفلسـفة هى التشبيـه بالإله على قدر الطاقة وقد يوافقهم البعض عـلى ذلك مستدلاً بحديث: «**تخلقوا بأخلاق الله**»(١). وهو حديث مكذوب، فإذا كان هؤلاء ينفون الصفات، فبأى شيءيتـخلق العبد على زعمهم. وكما أن الله ـ عز وجل ـ لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، فإنه لا يشـبهه شيء من مخلوقاته، وقد خالف فى هذا النصارى والحلولية والاتحادية].

قوله: «حى لا يموت....».

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فنفى السنة والنوم دليل على كمال حياته وقيوميته، وقال تعالى: ﴿﴿**الـمّ (١) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**﴾ [آل عمران: ١ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ**﴾ [طه: ١١١]. ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ**

(١) لا يعرف له أصل فى شيء من كتب السنة.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]. ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥]. وقال ﷺ: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام»(١).

لما نفى الشيخ رحمه الله التشبيه، أشار إلى ما تقع به التفرقة بينه وبين خلقه، بما يتصف به تعالى دون خلقه، فمن ذلك: أنه حي لا يموت، لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه، فإنهم يموتون ومنه أنه قيوم لا ينام، إذ هو مختص بعدم النوم والسنة دون خلقه، فإنهم ينامون، وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه ليس المراد به نفي الصفات، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال، لكمال ذاته.

[أما دوام حياة أهل الجنة فذلك بإدامة الله لها، وليس وصفاً لازماً لها لذاتها].

سؤال: ما هما أعظم اسمان من أسماء الله الحسنى دلل على ما تقول؟

جواب: واعلم أن هذين الإسمين، أعني: الحي، القيوم، هما من أعظم أسماء الله الحسنى، حتى قيل: إنهما الاسم الأعظم، فإنهما يتضمنا إثبات صفات الكمال أكمل تضمن وأصدقه، ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية ما لايدل عليه لفظ القديم، ويدل أيضاً على كونه موجوداً بنفسه وهو معنى كونه واجب الوجود، والقيوم أبلغ من (القيام)، لأن الواو أقوى من الألف، ويفيد قيامه بنفسه وإقامته لغيره وقيامه عليه، وهو يفيد دوام قيامه وكمال قيامه، بما فيه من المبالغة، فهو سبحانه لا يزول ولا يأفك؛ فإن الآفك قد زال قطعاً، أي: لا يغيب، ولا ينقص، ولا يفنى، ولا يعدم، بل هو الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال.

واقترانه بالحي، يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على بقائها ودوامها، وانتفاء النقص والعدم عنها أزلاً وأبداً، ولهذا كان قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، أعظم آية في القرآن، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ(٢).

فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها وإليهما يرجع معانيها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة، وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان»/ باب: في قوله ـ عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينام» (٢/ ١٦/ ح٢٩٣) وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٩٥) وابن ماجه في «المقدمة» (١/ ح١٩٥) وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢٤١/ ح٢٦٦ ـ الإحسان) من حديث أبي موسى ـ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في «صلاة المسافرين وقصرها»/ باب: فضل سورة الكهف (٣/ ٣٥٣/ ح٢٥٨) وأحمد في «مسنده» (٥/ ١٤٢) وأبو داود في «الصلاة»/ باب: ما جاء في آية الكرسي (٢/ ٧٣/ ح١٤٦٠) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٠٤) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

خَالِقٌ بِلاَ حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلاَ مَؤُونَةٍ.

وكمال قدرته فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته.

قوله: «خالق بلا حاجة رازق بلا مؤونة».

سؤال: اذكر الدليل للمصنف فى قوله (خالق بلا حاجة رازق بلا مؤونة)؟ وما معنى مؤونة؟

جواب: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ـ ٥٨].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقال ﷺ ـ من حديث أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ : «**يا عبادى لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا فى صعيد واحد، فسألونى، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا دخل فى البحر**»(١).

وقوله: [بلا مؤونة] أى: بلا ثقل وكلفة(٢).

سؤال: اذكر الخلاف فى أول هذا العالم؟ وما هو الراجح من ذلك؟

جواب: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

وروى البخارى وغيره عن عمران بن حصين قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: جئناك لنتفقه فى الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال: «**كان الله ولم يكن شىء قبله** ـ وفى رواية ـ **لم يكن شىء معه** ـ وفى رواية ـ **غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السماوات والأرض**، وفى لفظ: **ثم خلق السماوات والأرض**»(٣).

اختلف الناس فى فهم هذا الحديث على قولين:

---

(١) أخرجه مسلم فى «البر والصلة»/ باب: تحريم الظلم (٨/ ٣٧٥/ ٣٥٧٧)، وأحمد فى «مسنده» (٥/ ١٥٤) وابن ماجه فى «الزهد»/ باب: ذكر التوبة (٢/ ١٤٢٢/ ح٤٢٥٧).
وانظر «رياض الصالحين» (ح١١٢) بتخريجنا.

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) أخرجه البخارى فى «التوحيد»/ باب ﴿وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم﴾ (١٣/ ٤١٤/ ح٧٤١٨). وأحمد فى «مسنده» (٤/ ٤٣١ ـ ٤٣٢) من حديث عمران بن حصين ـ رضى الله عنه.

مُمِيتٌ بِلاَ مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلاَ مَشَقَّةٍ.

أحدهما: كان الله موجوداً وحده، ولم يزل كذلك دائماً، ابتدأ إحداث جميع الحوادث، فصار فاعلاً بعد أن لم يكن يفعل شيئاً.

الثانى: المراد إخباره عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود، الذى خلقه فى ستة أيام ثم استوى على العرش. ودليل هذا الرأى الثانى من وجوه:

١ـ أن قول أهل اليمن: جئناك لنسألك عن أول هذا الأمر، هو إشارة إلى حاضر مشهود موجود، فأجابهم ﷺ عن ذلك.

٢ـ أن الله لم يخبرهم عن خلق العرش، وهو مخلوق قبل السماوات والأرض.

٣ـ أن الله قد ذكر السماوات والأرض بما يدل على خلقها، وذكر ما قبلها بما يدل على كونه ووجوده، ولم يتعرض لابتداء خلقه، فلا يجوز أن يظن أن معناه: الإخبار بتعطيل الرب دائماً عن الفعل حتى خلق السماوات والأرض.. بل لا يصح أن يكون معناه أنه تعالى كان موجوداً وحده لا خلق معه أصلاً، بدلالة قوله: ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾، فعلم أن المراد لم يكن معه شيء من العالم المشهود.

٤ـ أنه قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله**»، وقد روى: «**معه**»، وروى: «**غيره**». والمجلس كان واحداً، فعلم أنه قال أحد الألفاظ، والآخران رويا بالمعنى. ولفظ: (القبل) قد ثبت فى غير هذا الحديث، كما عند مسلم من حديث أبى هريرة أنه ﷺ كان يقول فى دعائه: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء**»(١). ولم يثبت أى من اللفظين الآخرين فى موضع آخر، فعلم أنه ليس فى هذا الحديث ـ على هذا اللفظ الراجح ـ تعرض لابتداء الحوادث ولا لأول مخلوق.

٥ـ أنه قال ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، أو: «معه»، أو: «غيره»، وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شيء**». فأخبر عن هذه الثلاثة بالواو، «**وخلق السموات والأرض**»، روى بالواو، وبثم، فظهر أن مقصوده إخبارهم ببدء خلق السماوات والأرض وما بينهما لا ابتداء خلق ما خلق الله قبل ذلك(٢).

قوله: «**مميت بلا مخافة...**».

سؤال: هل يجوز وصف الموت بالوجود، وأنه يُجسد ويُرى؟

جواب: نعم، الموت صفة وجودية وليس عدماً كما يقول الفلاسفة ومن وافقهم، لأنه وصف فى القرآن بكونه مخلوقاً والعدم لا يوصف بذلك. قال تعالى: ﴿**الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الملك: ٢].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيماً قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيّاً، كَذَلِكَ لاَ يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيّاً».

وقال ﷺ: «يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار»(١). وهو وإن كان عرضاً فإن الله يقلبه عيناً، كما ورد فى العمل الصالح أنه يأتى صاحبه فى صورة الشاب الحسن، والعمل القبيح على أقبح صورة(٢)، وكما ورد فى القرآن أنه يأتى على صورة الشاب الشاحب اللون(٣)، وكما ورد فى سورة البقرة وآل عمران أنهما يوم القيامة، يظلان صاحبهما كأنهما غمامتان، أو غيايتان أو فرقان من طير صواف. وسيأتى الكلام على البعث والنشور إن شاء الله(٤).

قوله: «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه».

أى: أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال: صفات الذات، وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها. لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقصٍ، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده.

---

(١) أخرجه البخارى فى «التفسير»/ باب ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ (٨/ ٢٨٢/ ح٤٧٣٠). ومسلم فى «الجنة وصفة نعيمها وأهلها»/ باب: النار يدخلها الجبارون (٩/ ٢٠٠/ ح٢٨٤٩). من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٤/ ٢٨٧) والحاكم فى «المستدرك» (١/ ٣٧) من حديث البراء بن عازب.

(٣) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٥/ ٣٤٨) وابن ماجه فى «الأدب»/ باب: ثواب القرآن (٢/ ١٢٤٢/ ح٣٧٨١) والدارمى (٢/ ٤٥٠). والبغوى فى «شرح السنة» (٤/ ٤٥٣/ ح١١٩٠) والعقيلى فى «الضعفاء» (١/ ١٤٤) وابن عدى فى «الكامل» (٢/ ٢١) وذكره الهيثمى فى «المجمع» (٧/ ١٥٩) وقال: رجاله رجال الصحيح.

وذكره ابن كثير فى «تفسيره» (١/ ٢٤٢) وقال هذا إسناد حسن على شرط مسلم.

من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه.

قال فى الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

قال البغوى: هذا حديث حسن غريب.

وقال العقيلى: ولا يصح فى هذا الباب عن النبى ﷺ حديث. أسانيدها كلها متقاربة.

والحديث فيه بشير بن المهاجر: أخرج له مسلم ومع الرغم من ذلك فإنه مختلف فيه.

فقد وثقه ابن معين وقال النسائى: ليس به بأس، وقال الإمام أحمد فيه: هو منكر الحديث، قد اعتبرت أحاديثه فإذا هى تجىء بالعجب. وقال البخارى: يخالف فى بعض حديثه. وقال أبو حاتم الرازى: يكتب حديثه ولا يحتج به.

وقال ابن عدى: روى ما لا يتابع عليه. وقال الدارقطنى ليس بالقوى.

(٤) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

سؤال: هل مباشرة الله عزوجل لفعل فى وقت دون وقت، لا يستلزم بحال أن الله لم يكن متصفاً بهذا الفعل قبل فعله.؟

جواب: هذه الأحوال: صفات الفعل، والصفات الإختيارية: كالخلق، والتصوير، والإحياء والإماتة، والقبض، والبسط، والإستواء، والإتيان، والمجيء، والنزول، والغضب، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وإن كانت تحدث فى وقت دون وقت، كما فى حديث الشفاعة: «**إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**»(١). وهذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلماً بالأمس لا يقال: إنه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم ـ لآفة: كالصغر والخرس ـ ثم تكلم، يقال: حدث له الكلام، فالساكت لغير آفة يسمى متكلماً بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء. وفى حال تكلمه يسمى متكلماً بالفعل، وكذلك الكاتب فى حال الكتابة هو كاتب بالفعل، ولا يخرج عن كونه كاتباً فى حال عدم مباشرته للكتابة.

سؤال: هل الصفة زائدة على الذات أم لا؟

جواب: كان أئمةُ السُّنَّة رحمهم الله تعالى لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره، ولا أنه ليس غيرُه، لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له، وإطلاق النفى قد يشعر بأنه هو هو.

ولفظ (الغير) فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل، فإن أريد به أن هناك ذاتاً مجردة منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، فهذا حق، ولكن ليس فى الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها.

وقد يقول بعضهم: الصفة لا عين الموصوف ولا غيره. وهذا له معنى صحيح، وهو: أن الصفة ليست عين ذات الموصوف التى يفرضها الذهن مجردة بل هى غيرها، وليست غير الموصوف، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد.

سؤال: كيف نرد على من قال الصفات غير الذات وأن صفات الله غير الله؟

صيغة أخرى: هل يجوز أن نقول أن الصفات غير الذات وأن صفات الله غير الله؟

جواب: والتحقيق أن يفرق بين قول القائل: الصفات غير الذات وبين قوله: صفات الله

---

(١) أخرجه البخارى فى «التفسير»/ باب: ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾. (٨/ ٢٤٧/ ٤٧١٢) ومسلم فى «الشفاعة»/ باب: منه (٣/ ٦٥ ـ ٦٩ ـ النووى) وأحمد فى «مسنده» (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٨١١) والترمذى فى «صفة القيامة» / باب: فيما جاء فى الشفاعة (٤/ ٦٢٢/ ٢٤٣٤) وأبو عوانة فى «مسنده» (١/ ١٧٠، ١٧٥) والبيهقى فى «البعث والنشور» (٢٤٩) من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه. وانظر رياض الصالحين ح (١٨٦٩) بتخريجنا.

غير الله، فإن الثاني باطل، لأن مسمى الله يدخل فيه صفاته بخلاف مسمى الذات، فإنه لا يدخل فيه الصفات. ولهذا قال الشيخ رحمه الله: «لا زال بصفاته» ولم يقل لازال وصفاته، لأن العطف يؤذن بالمغايرة. وكذلك قال الإمام أحمد في مناظرته الجهمية، لا نقول: الله وعلمه، الله وقدرته، الله ونوره، ولكن نقول: الله بعلمه وقدرته ونوره هو إله واحد سبحانه وتعالى.

فإذا قلتُ: أعوذ بالله، فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدس الثابتة التي لا تقبل الإنفصال بوجه من الوجوه.

وإذا قلتُ: أعوذ بعزة الله فقد عذتُ بصفة من صفات الله تعالى، ولم أعذ بغير الله.

سؤال: هل الإسم عين المسمى، أو غيره؟

جواب: الإسم قد يراد به المسمى، كقولك: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده. وقد يراد به اللفظ الدال عليه، كقولك: «الله» اسم عربي، «الرحمن» من أسماء الله.

فالاسم ههنا هو المراد لا المسمى، ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الإجمال: فإن أريد بالمغايرة: أن اللفظ غير المعنى فحق. وإن أريد أن الله كان بلا أسماء حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه، فهذا من أعظم الضلال[1].

سؤال: هل يصح تصور الصفات منفصلة عن الذات؟

جواب: الصفات لا يصح تصورها منفصلة عن الذات. فعلم أن الذات لا يتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه. وقد قال ﷺ: «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[2]. وقال ﷺ: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»[3]. ولا يعوذ ﷺ بغير الله.

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

(٢) أخرجه مسلم في «السلام»/ باب: استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء (٥/ ١٤/ ١٨٩ ـ النووي) وأبو داود في «الطب» / باب: كيف الرقى (٤/ ١١/ ح٣٨٩١) والترمذي في «الطب»/ باب: منه (٤/ ٤٠٨/ ح ٢٠٨٠) وابن ماجه في «الطب»/ باب: ما عوذ به النبي ﷺ وما عُوِّذ به (٢/ ١١٦٣/ ح٣٥٢٢) من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي.

وتمام الحديث: عن عثمان بن أبي العاص الثقفي، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً في جسده منذ أسلم. فقال رسول الله ﷺ: «**ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**» وجاء في رواية الترمذي بلفظ: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر».

(٣) أخرجه مسلم في «الذكر والدعاء»/ باب: الدعوات والتعوذ (١٧١٦/ ٣١ ـ النووي) والترمذي في «الدعوات»/ باب: ما جاء فيما يقول إذانزل منزلاً (٥/ ٤٩٦/ ح٣٤٣٧) وابن ماجه في «الطب»/ باب: الفرع والأرق وما يتعوذ منه (٢/ ١١٧٤/ ح٣٥٤٧) من حديث خولة بنت حكيم.

وتمام الحديث: عن خولة بن حكيم السلمية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك».

لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الخَلْقَ استَفادَ اسْمَ الخَالِقِ، وَلا بِإِحْدَاثِهِ البَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ البَارِي.

سؤال : هل من صفاته تعالى، أنه يفعل ما يشاء وقت ما يشاء، وكل ما سواه فهو محدث كائن بعد أن لم يكن.؟

جواب : والحوادث يمكن دوامها فى الماضى والمستقبل، كما يقوله أئمة الحديث، فإن الرب سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء، ويتكلم إذا يشاء، قال تعالى: ﴿**قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾ [آل عمران: ٤٠] ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٣] . ﴿ **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ** ﴾ [البروج: ١٥ ـ ١٦]﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ** ﴾ [لقمان: ٢٨] . ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**﴾ [الكهف: ١٠٩]. وقال غير واحد من السلف: الحى الفعال. وقال عثمان بن سعيد: كل حى فعال، ولم يكن ربنا تعالى قط فى وقت من الأوقات معطلا عن كماله من الكلام والإرادة والفعل.

ولا شك أن جمهور العالم من جميع الطوائف، يقولون: إن كل ما سوى الله تعالى مخلوق، وكائن بعد أن لم يكن، وهذا قول الرسل وأتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم.

ما هى خلاصة القول فى هذه المسألة؟

والمقصود: أن الذى دل عليه الشرع والعقل، أن كل ما سوى الله تعالى محدث كائن بعد أن لم يكن. أما كون الرب تعالى لم يزل معطلا عن الفعل ثم فعل، فليس فى الشرع ولا فى العقل ما يثبته، بل كلاهما يدل على نقيضه.

قوله: «ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق».

سؤال : ماذا يقصد المأتن بقوله هذا؟

ظاهر كلام الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أنه يمنع تسلسل الحوادث فى الماضى، ويأتى فى كلامه ما يدل على أنه لا يمنعه فى المستقبل، وهو قوله: «**والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان**»، وهذا مذهب الجمهور كما تقدم.

وقول من قال بجواز حوادث لا أول لها، من القائلين بحوادث لا آخر لها، أظهر فى الصحة من قول من فرق بينهما، فإنه سبحانه لم يزل حياً، فلم يزل فاعلاً لما يريد كما وصف بذلك نفسه، حيث يقول: ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ [البروج: ١٥ ـ ١٦].

والقول بأن الحوادث لها أول: يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل، ثم صار فاعلا!!

لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَامَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ.

وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي المَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا، اسْتَحَقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ.

سؤال: ما الذى يدل عليه قول تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وضح ذلك؟

جواب: قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]. فلم يزل فعالاً لما يريد، وقد دلت الآية على أمور منها:

١ـ أنه تعالى يفعل بمشيئته وإرادته.

٢ـ وأنه لم يزل كذلك، لأنه ساق ذلك فى معرض المدح والثناء على نفسه، ولا يجوز أن يكون عادماً لهذا الكمال فى وقت من الأوقات.

٣ـ أنه إذا أراد شيئاً فعله، فإن «ما» موصولة عامة، أى يفعل كل ما يريد أن يفعله. وهذا فى إرادته المتعلقة بفعله هو، أما إرادته المتعلقة بفعل العبد، فلها شأن آخر. (سيأتى تفصيله فى الكلام على مسألة القدر).

٤ـ ومنها تلازم فعله وإرادته، فما أراد أن يفعله فعله، وما فعله فقد أراده، بخلاف المخلوق فإنه يريد ما لا يفعل، وقد يفعل ما لا يريد.

٥ـ أن كل ما صح أن تتعلق به إرادته جاز فعله، كنزوله إلى السماء الدنيا، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء، وتجليه لعباده... ونحو ذلك، وإنما تتوقف صحة ذلك على إخبار الصادق به. والقول بحوادث لها أول يلزم منه التعطيل قبل ذلك، ولا يلزم من ذلك قدم العالم، لأن ما سوى الله محدث، ممكن الوجود بإيجاد الله له، والاحتياج وصف ذاتى ملازم له[1]. والله واجب الوجود لذاته، والغنى وصف ذاتى ملازم له[2].

سؤال: اشرح قول الماتن: «له معنى الربوبية ولامربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق».

جواب: أى: أن الله تعالى موصوف بأنه الرب قبل أن يوجد مربوب، وموصوف بأنه الخالق قبل أن يوجد مخلوق[3].

قوله «وكما أنه يحى الموتى».

سؤال: ما المراد بقول المصنف «وكما أنه محيى الموتى.. إلى قوله.. قبل إنشائهم».

جواب: أى: إنه سبحانه موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائهم، وكذلك بأنه خالق قبل خلقهم، خلافاً للمعتزلة ومن قال بقولهم[4].

---

(١) مسألة حوادث لا أول لها مما التبس على كثير من المتكلمين، وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية فى تقريرها فى أول «منهاج السنة»، فمن أراد الاستزادة فليراجعه.
وقد سبقت الإشارة إليها فى «توحيد الربوبية»، فقرة: «أول المخلوقات» عند شرح حديث: «كان الله ولم يكن معه شىء».

(٢)، (٣)، (٤) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

«ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لا يَحْتَاجُ إِلَى شَيءٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

قوله: «ذلك بأنه على كل شيء قدير...».

سؤال: ما هي ثمرات الإيمان بأن الله على شيء قدير؟

جواب: لا يؤمن بأنه رب كل شيء إلا من آمن أنه قادرٌ على تلك الأشياء، ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالها إلا من آمن بأنه على كل شيء قدير.

وقوله: «**ليس كمثله شيء**». رد على المشبهة، وقوله: «**هو السميع البصير**». رد على المعطلة، فهو سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال وليس له فيها شبيه، فالمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير، فليس سمعه وبصره كسمع الرب وبصره، إذ صفات المخلوق كما يليق به، وصفات الخالق كما يليق به.

سؤال: ما يلزم على العبد تجاه ربه؟

جواب: لا تنف عن الله ما وصف به نفسه، وما وصفه به أعرف الخلق بربه ﷺ، وما يجب له وما يمتنع عليه، وأنصحهم لأمته وأفصحهم وأقدرهم على البيان، فإنك إن نفيت شيئاً من ذلك كنت كافراً بما أنزل على محمد ﷺ.

وإذا وصفته بما وصف به نفسه، فلا تشبهه بخلقه، فليس كمثله شيء، فإذا شبهته بخلقه، كنت كافراً به، قال نعيم بن حماد شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه، ولا ما وصفه به رسوله تشبيهاً.

سؤال: كيف دلل الله تعالى على كماله المطلق؟

صيغة أخرى: دل قوله تعالى «لله المثل الأعلى» على كماله المطلق وضح ذلك؟

جواب: وصف الله تعالى نفسه بأن له المثل الأعلى، فقال تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى**﴾ [النحل: ٦٠] ﴿**وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الروم: ٢٧]. فجعل سبحانه مثل السوء ـ المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال ـ لأعدائه المشركين وأوثانهم، فمن سلب صفات الكمال عن الله تعالى، فقد جعل له مثل السوء، ونفى عنه ما وصف به من المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق.

سؤال: اذكر تفسير السلف وعباراتهم في المثل الأعلى.؟

جواب: فهي تدور على أربعة معانٍ وأقوال:

«خَلَقَ الخَلْقَ بعِلْمه».

«وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَاراً».

الأول: ثبوت الصفات العليا لله سبحانه وتعالى.

الثاني: علم العالمين بها ووجودها في العلم والشعور، وهذا معنى قول من قال من السلف: إنه ما في قلوب عابديه وذاكريه من معرفته، وذكره، ومحبته، وإجلاله وتعظيمه، وخوفه، ورجائه، والتوكل عليه والإنابة إليه. وهذا الذي في قلوبهم من المثل الأعلى لا يشركه فيه غيره.

الثالث: ذكر صفاته، والخبر عنها وتنزيهها من العيوب والنقائص والتمثيل.

الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده، والإخلاص له والتوكل عليه، والإنابة إليه، وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل، كان هذا الحب والإخلاص أقوى.

قوله: «خلق الخلق بعلمه».

سؤال: اذكر معنى هذه العبارة من قول الماتن؟

جواب: خلق: أي أوجد وأنشأ وأبدع وقدر، وقوله: «بعلمه» في محل نصب على الحال، أي: خلقهم عالماً بهم، قال تعالى: ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤]. ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ**﴾ [الأنعام: ٥٩ ـ ٦٠].

سؤال: ما الدليل العقلي على علمه تعالى؟

جواب: والدليل العقلي على علمه تعالى.

* أن إيجاد الأشياء يستلزم الإرادة، والإرادة تستلزم العلم بالمراد.

* وأن في المخلوقات من الأحكام ما يستلزم علم الفاعل لها.

* ولأن العلم صفة كمال، ومن المخلوقات من هو عالم فيمتنع أن يكون الخالق لها غير عالم(١).

قوله: «وقدَّر لهم أقداراً».

سؤال: اذكر الأدلة من القرءان والسنة على قول الماتن؟

جواب: قال تعالى: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً**﴾ [الفرقان: ٢]. ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٩]. ﴿**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾ [الأعلى: ٢ ـ ٣].

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

«وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالاً».

وفى الحديث عن عبدالله بن عمر، عن النبى ﷺ، أنه قال: «**قدَّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»(١).

قوله: «وضرب لهم آجالاً».

سؤال: اشرح قول الماتن مع الاستشهاد بالأدلة من القرءان والسنة.

جواب: يعنى: أن الله سبحانه وتعالى قدر آجال الخلائق، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [النحل: ٦٠]. ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا**﴾ [آل عمران: ١٤٥]. وفى الحديث عن عبدالله بن مسعود، قال: قالت أم حبيبة زوج النبى ﷺ: اللهم أمتعنى بزوجى رسول الله، وبأبى أبى سفيان، وبأخى معاوية، قال: فقال النبى ﷺ: «**قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئاً قبل حله، ولن يؤخر شيئا عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر، كان خيراً وأفضل**»(٢).

فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، إلى غير ذلك من الأسباب، والله سبحانه خلق الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة.

سؤال: بين تأثير صلة الرحم فى زيادة العمر ونقصانه.

جواب: قال رسول الله ﷺ: «**صلة الرحم تزيد فى العمر**»(٣). أى: سبب طول العمر، وقد قدر أن هذا يصل رحمه، فيعيش بهذا السبب إلى الغاية، ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه.

سؤال: هل للدعاء أثر فى زيادة العمر ونقصانه؟

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم فى القدر» باب: حجاج آدم وموسى ـ عليهما السلام ـ (٨/ ٤٥٢/ ٢٦٥٣) والترمذى فى «القدر»/ باب: منه (٤/ ٤٥٨/ ح٢١٥٦) من حديث عبدالله بن عمرو.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم فى «القدر»/ باب: بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها.. (٨/ ٤٦٤/ ح٢٦٦٣) وأحمد فى «مسنده» (١/ ٣٩٠) (١/ ٣٩٠) (٣٧٠٠) وابن أبى عاصم فى «السنة» (ح ٢٦٢) من حديث عبدالله بن مسعود.

(٣) أخرجه البيهقى فى «شعب الإيمان» (٣/ ٢٤٤/ ح٣٤٤٢) من حديث أبى سعيد الخدرى. «وتمام الحديث» عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: عن النبى ﷺ قال: «**صدقه السر تطفىء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد فى العمر، وفعل المعروف يقى مصارع السوء**».

وأخرجه الشهاب القضاعى فى«مسنده» من حديث ابن مسعود مرفوعاً «صلة الرحم تزيد فى العمر وصدقة السر تطفىء غضب الرب». =

«ولم يَخْفَ عليه شيءٌ قبل أن يخلَقَهُم وعَلِمَ ما هم عاملون قبل أن يَخلُقَهم».

«وأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِه، ونَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيته».

جواب: أن الدعاء ليس له أثر فى زيادة العمر ونقصانه، لقوله ﷺ لأم حبيبة رضى الله عنها: «قد سألت الله لآجال مضروبة»، كما تقدم. فعلم أن الأعمار مقدرة، لم يشرع الدعاء بتغييرها، أما إن كان الدعاء بتغيير العمر يتضمن النفع الأخروى، فهو مشروع، كما قال ﷺ: **«اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحينى ما كانت الحياة خيراً لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى»**(١).

وكان الإمام أحمد رحمه الله يكره أن يدعى له بطول العمر، ويقول: هذا أمرقد فرغ منه.

قوله: «ولم يخف عليه شىء قبل أن يخلقهم...».

سؤال: اشرح قول الماتن مع الاستشهاد بالأدلة؟

جواب: يعلم سبحانه ما كان، وما يكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾ [الأنعام: ٢٨]. ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٣]. وفى ذلك رد على الرافضة والقدرية الذين قالوا: إنه لا يعلم الشىء قبل أن يخلقه ويوجده!!

قوله: «وأمرهم بطاعته...».

سؤال: لما ذكر الماتن الأمر والنهى بعد ذكر الخلق والقدر؟ بين ذلك مع الاستشهاد بالأدلة من القراءان.

جواب: ذكر الشيخ رحمه الله الأمر والنهى، بعد ذكره الخلق والقدر، إشارة إلى أن الله تعالى

= وفى إسناده نصر بن حماد وهو ضعيف جداً.

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة.

(١) أخرجه النسائى وصححه الحاكم فى «المستدرك» (١/ ٥٢٤) ووافقه الذهبى. وابن أبى عاصم فى «السنة» (ح١٢٩).

وقال الألبانى: إسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات وحماد بن زيد سمع من عطاء بن السائب قبل الاختلاط.

وأخرجه أحمد فى «مسنده» (٤/ ٢٦٤) والنسائى فى «الكبرى» فى «صفة الصلاة»/ (١/ ٣٨٨/ ١٢٢٩) وابن أبى عاصم فى «السنة» (ح١٢٨).

من طريق: شريك عن أبى هاشم الوسطى عن أبى مجلز عن عمار بن ياسر.

و فى إسناده شريك القاضى وهو سيء الحفظ وأبو مجلز قال عنه ابن معين: مضطرب الحديث. ووثقه جماعة. «انظر تهذيب الكمال (٣١/ ١٧٨).

وقال الألبانى فى ظلال الجنة» حديث صحيح إسناده ضعيف من أجل شريك.

وانظر «نيل الأوطار» (ح٧٩١) بتخريجنا.

«وَكُلُّ شَيء يَجْري بتَقْديره وَمَشيئَته، وَمَشيئَتُهُ تَنْفُذُ، لاَ مَشيئَةَ للْعبَاد إلاَّ مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وما لَمْ يَشأْ لَمْ يَكُنْ».

خلق الخلق لعبادته، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢].

قوله: «وكل شيء يجرى بتقديره...».

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]. ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الأنعام: ١١١]. ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩]. وقال تعالى حكاية عن نوح عليه ـ الصلاة والسلام ـ إذ قال لقومه: ﴿وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤]. إلى غير ذلك من الأدلة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وكيف يكون فى ملكه ما لا يشاؤه؟ ومن أضل سبيلاً وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر، والكافر شاء الكفر، فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

سؤال: كيف نرد شبهة المشركين: أن الشرك وقع منهم بمشيئة الله؟

جواب: فإن قيل: يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. وقوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٣٥]. وقوله: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٠]. فقد ذمهم الله تعالى حيث جعلوا الشرك كائناً منهم بمشيئة الله؟

فقد أجيب على هذا بأجوبة، منها:

أنه أنكر عليهم ذلك، لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته، وقالوا: لو كره ذلك وسخطه، لما شاءه فجعلوا مشيئته دليل رضاه، فرد الله عليهم ذلك. أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره. فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه، كفعل الزنادقة، والجهال، إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر، وقد احتج سارق على عمر بالقدر، فقال: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره، يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. فعلم أن مرادهم التكذيب.

سؤال: بما يرد على من قال أن آدم احتج على الخطيئة بقدر الله؟

«يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعصِمُ وَيُعافِي فَضْلاً، ويُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلاً».

«وكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِه، بَيْنَ فَضْلِه وَعَدْلِه».

جواب: فإن قيل: فما تقولون في احتجاج آدم على موسى بالقدر، إذ قال له: أتلومني على أمر قد كتبه الله عليَّ قبل أن أخلق بأربعين عاماً؟ وشهد النبي ﷺ أن آدم حج موسى، أي: غلبه بالحجة(١).

قيل: نتلقاه بالقبول والسمع والطاعة، لصحته عن رسول الله ﷺ، والصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلم بربه وذنبه، بل آحاد بنيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه باطل، وموسى ـ عليه السلام ـ كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدم عليه السلام على ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة فاحتج آدم عليه السلام بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعايب.

وأما قول إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]. إنما ذم على احتجاجه بالقدر، لا على اعترافه بالقدر وإثباته له، ألم تسمع قول نوح عليه السلام: ﴿وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].

وعن وهب بن منبه أنه قال: نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه.

قوله: «يهدي من يشاء...».

سؤال: كيف تستدل من القرءان على قول الماتن؟

جواب: قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [هود: ٥٦]. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]. وقال: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [المدثر: ٣١].

قوله: «وكلهم يتقلبون في مشيئته...».

سؤال: كيف تستدل من القرءان على قول الماتن؟ مع بيان ذلك.

جواب: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]. فمن هداه إلى الإيمان، فبفضله وله الحمد، ومن أضله فبعدله وله الحمد.

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخاري في «القدر»/ باب: تحاج آدم وموسى عند الله (١١/ ٥١٣/ ح٦٦١٤) ومسلم في «القدر»/ باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٨/ ٤٥٠/ ح٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة..... رضي الله عنه.

«وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنْ الأَضْدَادِ والأَنْدَادِ».

«لاَ رَادَّ لِقَضَائِهِ، ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، ولا غَالِبَ لأَمْرِهِ».

آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلاًّ مِنْ عِنْدِهِ.

«وَإِنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ المُصْطَفَى، ونَبِيُّهُ المُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ المُرْتَضَى».

قوله: «وهو متعالٍ عن الأضداد...».

سؤال: اشرح قول الماتن بإجاز مع الاستدلال بالقرءان؟

جواب: الضد: المخالف، والند: المثل، فهو سبحانه لا معارض له، ولا مثل، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]. ويشير الشيخ بنفي الضد والند إلى الرد على المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق فعله.

قوله: لا راد لقضائه...».

سؤال: بين قول الماتن بإيجاز؟

جواب: أي لا يرد قضاء الله راد، ولا يعقب، أي: لا يؤخر حكمه مؤخر، ولا يغلب أمره غالب بل هو الله الواحد القهار.

في قوله: «آمنا بذلك كله».

سؤال: ما المقصود بقوله «كُلاًّ» في قول المصنف «آمنا بذلك كله، وأيقنا أنَّ كُلاًّ من عنده».

جواب: قال الصاوي:

أما الإيمان، فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى، في موضعه «وقوله كُلاً: أي كل كائن مُحدَث من عند الله، بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته وتكوينه[1].

قوله: «وإن محمداً عبده....».

الاصطفاء والاجتباء والارتضاء: متقارب المعنى.

سؤال: كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى وحده وضح ذلك بالأدلة؟

صيغة أخرى: بما يكون كمال المخلوق، دلل على ما تقول؟

جواب: اعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله، وعلت درجته، ومن توهم: أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، وأن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وأضلهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. وذكر نبيه ﷺ باسم العبد في أشرف المقامات، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]. ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]. ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]. وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول المسيح ـ عليه السلام ـ يوم القيامة إذ طلبوا منه الشفاعة: «**اذهبوا إلى محمد، عبدٌ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»(١). فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى.

سؤال: هل صِدْقُ الأنبياء دليلٌ على صدقِ نبوَّتهم.؟

جواب: فإن النبوة إنما يدعيها أصدقُ الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائنُ أحوالهما تُعربُ عنهما وتعرِّف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة، فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟!

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه، إذ الصدق مستلزم للبِّر، والكذب مستلزم للفجور، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بالصدقِ فإن الصدقَ يهدي إلى البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقًا، وإياكم والكذب فإن الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزالُ الرجلُ يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتبَ عند الله كذَّاباً**»(٢).

ولهذا قال تعالى: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٦].

فالكهّان ونحوهم، وإن كانوا أحياناً يخبرون بشيء من الغيبيات، ويكون صدقاً، فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملَكٍ وليسوا بأنبياء.

ولهذا قال ﷺ لابن صياد: «**قد خبأت لك خبئاً**»، فقال: هو الدخ فقال: «**اخسأ، فلن تعدو قدرك**»(٣) يعني إنما أنت كاهن.

---

(١) [**متفق عليه**] تقدم تخريجه وهو قطعة من حديث الشفاعة.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري في «الأدب»/ باب: قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ (١٠/ ٥٢٣/ ٦٠٩٤) ومسلم في «البر والصلة»/ باب: قبح الكذب وحسن الصدق (٦/ ١٦/ ١٦٠ ـ النووي).
من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.
وانظر «رياض الصالحين» (ح٥٥) بتخريجنا.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري في «الجهاد والسير»/ باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي (٦/ ١٩٨/ ح٣٠٥٥) ومسلم في «الفتن وأشراط الساعة»/ باب ذكر ابن صياد (٩/ ٢٧٨/ ح ٢٩٣٠).
من حديث عمر بن الخطاب.

فمن عرف الرسولَ وصدقه ووفاءَهُ ومطابقة قوله لعمله، عَلِمَ علماً يقينياً أنه ليس بشاعرٍ ولا كاهن. والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لابد أن يتصف الرسولُ بها، وهى أشرفُ العلومِ وأشرف الأعمال. فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟! وكيف لا يتميز الصادق فى ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟!

ولهذا لما كانت خديجة رضى الله عنها تعلم من النبى ﷺ أنه الصادق البار، قال لها لما جاءه الوحى: «إنى قد خشيت على نفسى»، فقالت: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتَصلُ الرحم، وتصدُقُ الحديثَ، وتحملُ الكَلَّ، وتَقرِى الضيفَ، وتكسبُ المعدومَ، وتُعينُ على نوائب الحقِّ[1].

وكذلك قال النجاشىُّ لما استخبرهم عما يُخبرُ به، واستقرأهم القرآن فقرأوه عليه: إن هذا والذى جاء به موسى ليخرجُ من مشكاةٍ واحدة[2].

وكذلك ورقة بن نوفل لما أخبره النبى ﷺ بما رآه، فقال: هذا هو الناموس الذى كان يأتى موسى[3].

وكذلك هِرَقْلُ ملك الروم، فإن النبىَّ ﷺ لما كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، طلب من كان هناك من العرب، وكان أبو سفيان قد قدم فى طائفة من قريش فى تجارةٍ إلى الشام، وسألهم عن أحوال النبى ﷺ، فسأل أبا سفيان، وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه، فصاروا بسكوتهم موافقين له فى الإخبار، وكان مما سألهم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقالوا: لا، ما جربنا عليه كذباً. فقال: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله. قال: وسألتكم هل يغدر؟ فقلتم: لا، وكذلك الرسل لا تغدرُ[4].

سؤال: يُعْلَمُ صدق الرسل من وجوهٍ متعددة اذكرها.؟

جواب: منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم. ومنها: ما أحدثه اللهُ من نصرهم، وإهلاكِ عدوهم، كغرق فرعون، وغرقِ قوم نوحٍ، وبقية أحوالهم...

ومنها: أن من عرف ما جاء به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم

---

(١) أخرجه البخارى فى «بدء الوحى» (١/ ٣٠/ ح٣).
من حديث عائشة.

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٥/ ٢٩) وذكره الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٢٤) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق وقد صرح بالسماع.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخارى فى «بدء الوحى (١/ ٤٢/ ح٦) من حديث ابن عباس.

الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأنه لا يصدر إلا عن راحم بَرٍّ يَقصِدُ غايةَ الخير والمنفعة للخلق.

[المعجزات: وهي دليل صحيح، وقد استدل بها أهل الكلام على نبوة الأنبياء، ولكن الدليل ليس محصوراً فيها][1].

سؤال: كيف يكون إنكارُ رسالة النبيِّ ﷺ طعنٌ في الربِّ تبارك وتعالى.؟

صيغة أخرى: اشرح هذه العبارة إنكار رسالة النبيِّ ﷺ ـ طعن في الربِّ تبارك وتعالى.

جواب: إنكار رسالة ﷺ طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبته إلى الظُّلم والسَّفَه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل جَحدٌ للربِّ بالكلية وإنكارٌ.

وبيان ذلك: أنه إذا كان محمدٌ ﷺ عندهم ليس بنبي صادق، بل مَلِكٌ ظالم، فقد تهيَّأ له أن يفترى على الله، ويتقول عليه، ويستمر حتى يُحلل ويحرم، ويَفرضَ الفرائض، ويُشَرِّع الشرائع، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم، ويغنم أموالهم وديارهم، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به، ومحبته له، والربُّ تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الإفتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره، ويعلى أمره، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر، وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته، ويُهلك أعداءه، ويرفع له ذكره، هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم!

فيلزَمُهم أن يقولوا: لا صانع للعالَم، ولا مدبِّر، ولو كان له مدبرٌ قدير حكيم، لأخذ على يديه، ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالاً للصالحين، إذ لا يليق بالملوك غيرُ ذلك، فكيف بملك الملوك وأحكم الحاكمين؟

قال تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ** ﴾ [الشورى: ٢٤]. وقال: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ٩١]. فأخبر سبحانه أن من نفى عنه الإرسال والكلام، لم يقدره حق قدره.

سؤال: اذكر الفرق بين النبي والرسول.؟

جواب: ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه الله بخبر من السماء وأن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيرَه، فهو نبي وليس برسول، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

سؤال: ما النعمة في إرسال الرسل دلل على ما تقول؟

جواب: [ولا شك أن إرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه. قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ**

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

«وأنَّه خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ».

وَإِمَامُ الأَتْقِيَاءِ.

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]](١).

قوله: «وأنه خاتم الأنبياء».

سؤال: وضح قول الماتن من خلال الكتاب والسنة؟

جواب: قال تعالى: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال ﷺ: «مَثَلي ومثل الأنبياء كمثل قَصرٍ أُحْسِنَ بنيانه وتُرِكَ منه موضع لَبِنَة، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه، إلا موضع تلك اللبنة، لا يعيبون سواها فكنت أنا سَدَدْتُ موضع تلك اللبنة، خُتِم بي البنيان، وخُتِمَ بي الرسل»(٢). وقال: «إن لي أسماء: أنا محمدٌ، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر، الذي يُحشَرُ الناس على قدميَّ، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي»(٣) وقال: «وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، ولا نبي بعدي»(٤). وقال: «فضلت على الأنبياء بست، أُعطيت جوامعَ الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيين»(٥).

قوله: «وإمام الأتقياء».

سؤال: اشرح قول الماتن بإيجاز؟

جواب: الإمام الذي يؤتم به، أي: يقتدون به، والنبي ﷺ إنما بعث للاقتداء به، لقوله تعالى:

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د. صلاح الصاوي.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخاري في «المناقب»/ باب: خاتم النبيين (٦/ ٦٤٥/ ٣٥٣٤) ومسلم في «الفضائل»/ باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (٨/ ٥٦/ ح٢٢٨٦).

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخاري في «المناقب»/ باب: ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (٦/ ٦٤١/ ح٣٥٣٢) ومسلم في «الفضائل»/ باب: في أسمائه ﷺ (٨/ ١١٥/ ح٢٣٥٤).
من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.
وانظر كتابنا «٢٠٠ سؤال وجواب في الإيمان».

(٤) أخرجه أبو داود في «الفتن»/ باب: ذكر الفتن ودلائلها (٤/ ٩٥/ ٤٢٥٢) والترمذي في «الفتن»/ باب: ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (٤/ ٤٩٩/ ٢٢١٩) وقال: [حسن صحيح].
وأصل الحديث في مسلم (٩/ ٢٧١/ ٨٤) ولم يسق جميعه وانظر «كتابنا مغني المريد».

(٥) [صحيح] أخرجه مسلم في «المساجد» في فاتحته (٥/ ٥ ـ النووي).
وأحمد في «مسنده» (٢/ ٤١٢) من حديث أبي هريرة.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ آل عمران: ٣١]. وكل من اتبعه واقتدى به فهو من الأتقياء.

قوله: «وسيد المرسلين».

سؤال: استدل على قول الماتن من خلال الأحاديث النبوية.

جواب: قال ﷺ: «أنا سيدُ ولَد آدم يوم القيامة، وأولُ من ينشقَّ عنه القبرُ، وأولُ شافع وأول مُشَفَّع»(١). وفي حديث الشفاعة: «أنا سيدُ الناسِ يوم القيامة»(٢). وقال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(٣).

سؤال: كيف توفق هذه الأحاديث والأحاديث التي تنهى عن التفضيل بين الأنبياء.؟

جواب: فإن قيل: يشكل على هذا قوله ﷺ: «لا تفضلوني على موسى، فإن الناسَ يُصعَقُون يومَ القيامة، فأكون أولَ من يفيق، فأجد موسىَ باطشاً بساق العرش، فما أدرى هل أفاقَ قبلي، أو كان ممن استثنى الله؟»(٤) وقوله: «لاتفضِّلوا بينَ الأنبياء»(٥). فكيف يجمع بين هذا وبين قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(٦).

فالجواب: أن هذا كان له سبب، فإنه كان قد قال يهودي: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلم وقال: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا: فجاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه، فقال النبي ﷺ هذا، لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس، كان مذموماً، فإن الله حرم الفخر، كما في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «أُوحي إلي أن

(١) [صحيح] أخرجه مسلم في «الفضائل»/ باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٨/ ٤٢/ ٢٢٧٨) وأبو داود في «السنة»/ باب: في التخيير بين الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ (٤/ ٢١٧/ ح٤٦٧٣) من حديث أبي هريرة.
وانظر «كتابنا» «٢٠٠ سؤال وجواب في الإيمان».

(٢) [متفق عليه] وتقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن ماجه في «الزهد»/ باب: ذكر الشفاعة (٢/ ١٤٤/ ح٤٣٠٨).
من حديث أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) [متفق عليه] أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء»/ باب: قول الله تعالى ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ (٦/ ٥١٩/ ح٣٤١٤) ومسلم في «الفضائل»/ باب: من فضائل موسى ﷺ (٨/ ١٣٩/ ح٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.
وانظر كتابنا «٢٠٠ سؤال وجواب في الإيمان».

(٥) ما قبله.

(٦) تقدم قبل حديثين.

تواضعوا، حتى لا يَفخرَ أحدٌ على أحد، ولا يبغى أحدٌ على أحد»[1]. فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر، أو على وجه الإنتقاص بالمفضول، وعلىٰ هذا يحمل أيضاً قوله ﷺ: «لا تفضلوا بين الأنبياء»[2].

وقد أجاب بعضهم بجواب آخر، وهو أن قوله ﷺ: «لاتفضلونى على موسى»[3]، وقوله: «ولاتفضلوا بين الأنبياء»، نهى عن التفضيل الخاص: أى: لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه، بخلاف قوله «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[4]، فإنه تفضيل عام، فلا يمنع منه.

سؤال: هل يجوز تفضيله ﷺ على يونس بن متى؟

جواب: أما ما يروى عنه ﷺ أنه قال: «لاتفضلونى على يونس بن متى»[5].

فالجواب: أنه لم يثبت بهذا اللفظ، بل الثابت الصحيح: «لاينبغى لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»[6].

وفى رواية: «من قال: إنى خير من يونس بن متى فقد كذب»[7].

وهذا اللفظ يدل على العموم، فهو نهى لكل أحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى، وذلك لأن الله قد أخبر عنه أنه فعل ما يلام عليه: قال تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فقد يقع فى نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام لأنه لم يفعل ما يلام عليه فنبه النبى ﷺ على ذلك، وإن كل عبد من عباد الله يقول ما قاله يونس: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، كما قالها أول الأنبياء وآخرهم:

* فأولهم آدم قد قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

---

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (٩/ ٢١٥/ ح٢٨٦٥، ٢٨٦٤)، وأبو داود (٤/ ٢٧٥/ ٤٨٩٥)، وابن ماجة (٢/ ١٣٩٩/ ح٤١٧٩) من حديث عياض بن حمار المجاشعى.

(٢) تقدم تخريجه ص٤١.

(٣) تقدم تخريجه ص٤١.

(٤) تقدم تخريجه ص ٤١.

(٥) هذا اللفظ لا يثبت ولا يعرف له أصلاً. قال الألبانى: لا أعرف له أصلاً بهذا اللفظ.

(٦) [متفق عليه] أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء/ باب: قول الله تعالى ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ (٦/ ٥٢٠/ ٣٤١٦) ومسلم فى «الفضائل»/ باب: ذكر يونس عليه السلام (٨/ ١٤٥/ ح٢٣٧٦) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه.

(٧) [صحيح] أخرجه البخارى (٨/ ١١٦/ ٤٦٠٤).

من طريق: هلال عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه.

وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

* وآخرهم وسيدهم محمد ﷺ قال في حديث الاستفتاح: «.... **اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، لا يغفر الذنوب إلا أنت**»(١).

وأيضاً: لما أمر الله نبيه أن يتشبه بأولى العزم من الرسل، ونهاه أن يتشبه بيونس، فقد يقول قائل: أنا خير من يونس، فنبه بالحديث على منع ذلك.

وأما قوله ﷺ: «**من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب**»(٢)، فإنه لو قدر أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير نقصاً فيكون كاذباً. أما إخباره ﷺ بأنه سيد ولد آدم، فلأنه لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بذلك، ولهذا نبه بقوله: «**ولا فخر**»(٣).

قوله: «وحبيب رب العالمين».

ثبت له ﷺ أعلى مراتب المحبة، وهي الخلة، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «**إنَّ الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**»(٤). وقال: «**ولو كنتُ متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكن صاحبكُم خليلُ الرحمنِ**»(٥).

سؤال: الخُلَّة خاصةٌ بإبراهيم ونبينا محمدٍ صلوات الله عليهما، فهل المحبة خاصة بهما أيضاً؟

صيغة أخرى: بمن خص تعالى الخُلة، وهل المحبة خاصة أيضا؟

جواب: المحبة ثبتت لغيره ﷺ، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤]. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ٧٦]، ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم، والمحبة بمحمد، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة.

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٧٧١) والترمذي (٣٤١٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٣) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٢) تقدم تخريجه قبل حديث.

(٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

(٤) [**صحيح**] أخرجه مسلم في «المساجد»/ باب: فضل بناء المساجد والحث عليها (٣/ ١٦/ ح٥٣٢) من حديث جندب به.

وانظر كتابنا «مغني المريد».

(٥) [**صحيح**] أخرجه مسلم في «فضائل الصحابة»/ باب: من فضائل أبي بكر (٨/ ١٦١/ ح٢٣٨٣) من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه.

وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوىً.

وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى، بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ».

[وغنى عن الذكر أن وصف الله بالمحبة والخلة هو كما يليق بجلاله وعظمته كسائر صفاته تعالى، ويوصف الله تعالى ـ من مراتب المحبة ـ بالإرادة والود والمحبة والخلة، حيثما ورد النص](1).

سؤال: هل يصح أن يوصف العبد بالعشق فى محبته لربه.؟

جواب: العشق: هو الحب المفرط الذى يخاف على صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب تعالى، ولا العبد فى محبة ربه، واختلف فى سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف، وقيل غير ذلك، ولعل امتناع اطلاقه أن العشق محبة مع شهوة.

قوله: «وكل دعوي النبوة بعده...».

سؤال: اشرح قول الماتن؟

جواب: لما ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة، فهو كاذب، والغى: ضد الرشاد، والهوى: عبارة عن شهوة النفس، أى: أن تلك الدعوة بسبب هوى النفس.

ولا يقال فكيف إذا جاء مدعى النبوة بعده بالمعجزات؟ لأن هذا من باب فرض المحال بل لابد أن تظهر أمارة كذبه فى دعواه.

قوله: «وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى...».

أما كونه مبعوثا إلى عامة الجنّ، فقد قال تعالى حكاية عن قول الجن: ﴿**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ**﴾ [سورة الأحقاف: ٣١]. وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضاً، وقال تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ**﴾ [الأنعام: ١٣٠]. والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلف. وقال ابن عباس: الرسل من بنى آدم، ومن الجن نذر، وظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ**﴾ [الأحقاف: ٣٠]. يدل على أن موسى مرسل إليهم أيضاً.

وأما كونه مبعوثاً إلى كافة الورى، فقد قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾ [سبأ: ٢٨]. ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**﴾ [الأعراف: ١٥٨]. ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾ [الفرقان: ١].

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

وَبالحَقِّ وَالْهُدَى، وَبالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

وَإِنَّ الْقُرْآنَ كلامُ اللهِ، منْهُ بَدَا بلاَ كَيْفِيَّةٍ قَوْلاً، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِه وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلامِ الْبَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّه كَلامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ وَعَابَهُ، وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ وَلا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ».

وقال ﷺ: «كان النبى ﷺ يُبعَثُ إلى قومه خاصةً، وبُعثت إلى الناس كافةً»(١). وقال ﷺ: «لا يسمع بى رجلٌ من هذه الأمة، يهودىٌ ولا نصرانىٌّ، ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار»(٢). وكونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة.

[وقال ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى... وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة» (متفق عليه)](٣).

سؤال: ما الذى يدل على بطلان ما زعمه النصارى من: أنه رسول إلى العرب خاصة؟

جواب: قال الصاوى: وأما قول النصارى أنه رسول الله إلى العرب خاصة فظاهر البطلان، لأنهم إذا سلموا برسالته لزمهم تصديقه فى كل ما أخبر به، وقد أخبر عن نفسه أنه رسول الله إلى الناس عامة، وبعث رسله وكتبه إلى كافة أقطار الأرض(٤).

قوله: «وبالحق والهدى وبالنور...».

هذه أوصاف ما جاء به ﷺ من الدين والشرع، المؤيد بالبراهين الباهرة، من القرآن وسائر الأدلة.

قوله: «وإن القرآن كلام الله ....».

هذه قاعدة شريفة، وأصل كبير من أصول الدين، والذى حكاه الطحاوى - رحمه الله - هو الحق الذى دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة، وشهدت به الفطرة السليمة، والمأثور عن أئمة الحديث والسنة.

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى فى «الصلاة»/ باب: قول النبى ﷺ «جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً» (١/ ٦٣٤/ ٤٣٨) ومسلم فى «المساجد» (٣/ ٣١٥) من حديث جابر - رضى الله عنه.
وانظر «نيل الأوطار» (ح٦١٥) بتخريجنا.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم فى «الإيمان»/ باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ (١/ ٤٦٣/ ح١٥٣).

(٣) تقدم قبل حديث.

(٤) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]. فأهانهم بترك تكليمهم والمراد: أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين، لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وهو لا يسمع كلام الله من الله، وإنما يسمعه من مبلغه عن الله.

وقال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة أحاديث. فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكارٌ لروح الجنة، وأعلى نعيمها وأفضله، الذي ما طابت لأهلها إلا به وقالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك: «ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بوحى يتلى»(١).

لقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: ﴿وكلم الله موسى﴾، بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله!! فقال له أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فبهت المعتزلي.

وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في (الفقه الأكبر): القرآن كلام الله في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق، وما ذكره الله في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كله كلام الله إخبار عنهم، كلام الله غير مخلوق، وكلام موسى عليه السلام، وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله لا كلامهم، وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى، فلما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا اهـ.

وبالجملة فأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

سؤال: كيف يكون إضافة الأعيان إلى الله تعالى غير إضافة المعاني؟

جواب: وقوله: «كلام الله منه بدا بلا كيفية». ردٌّ على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن

(١) [متفق عليه] أخرجه البخاري (٨/ ٣٠٦، ٣٠٧/ ٤٧٥٠) ومسلم (٩/ ١١٥، ١١٦، ١١٧/ ٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

القرآن لم يبد منه، وأنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، قالوا: وإضافته إليه إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله، يحرفون الكلم عن مواضعه، وقولهم باطل، فإن المضاف إلى الله تعالى معان وأعيان، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة له، كبيت الله، وناقة الله، بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرته، وعزته، وجلاله، وكبريائه، وكلامه، وحياته، وعلوه، وقهره، فإن هذا كله من صفاته، لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقاً.

سؤال: هل الوصف بالتكلُّم من أوصاف الكمال؟

جواب: الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، قال تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا**﴾ [الأعراف: ١٤٨]. فكان عباد العجل مع كفرهم، أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى، وربك لا يتكلم أيضاً. وقال تعالى عن العجل أيضاً: ﴿**أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا**﴾ [طه: ٨٩]. فعلم أن نفي رجع القول، ونفي التكلم، نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

سؤال: اذكر مناظرةً بين الإمام عبدالعزيز المكي وبِشْر المريسي.؟

جواب: ألزم الإمام عبدالعزيز المكي بشراً المريسي بين يدي المأمون بعد أن تكلم معه ملتزماً أن لا يخرج عن نص التنزيل، وألزمه الحجة، فقال بشر: يا أمير المؤمنين، ليدع مطالبتي بنص التنزيل، ويناظرني بغيره! فإن لم يدع قوله، ويرجع عنه، ويقر بخلق القرآن الساعة، وإلا فدمي حلال. قال عبدالعزيز: تسألني أم أسألك؟ فقال بشر: اسأل أنت، وطمع فيَّ، فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاث لابد منها: إما أن تقول: إن الله خلق القرآن وهو عندي أنا كلامه في نفسه، أو خلقه كما خلقه قائماً بذاته ونفسه، أو خلقه في غيره؟ قال: أقول: خلقه كما خلق الأشياء كلها، وحاد عن الجواب. فقال المأمون: اشرح أنت هذه المسألة ودع بشراً، فقد انقطع، فقال عبدالعزيز: إن قال: خلق كلامه في نفسه، فهذا محال، لأن الله لا يكون محلا للحوادث المخلوقة ولا يكون منه شيء مخلوقاً، وإن قال: خلقه في غيره، فهو كلامه، وإن قال: خلقه قائماً بنفسه وذاته، فهذا محال، لا يكون الكلام إلا من متكلم، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته، فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقاً، علم أنه صفة لله.

سؤال: كيف نرد شبهه من استدل بقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩] على أن الرسول أحدثه، وهل يكفر من قال ذلك؟

جواب: فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠، وسورة التكوير: ١٩]. وهذا يدل على أن الرسول أحدثه، إما جبريل أو محمد ﷺ.

قيل: ذكر الرسول معرف أنه مبلغٌ عن مرسله، لأنه لم يقل: إنه قول ملك أو نبى، فعلم أنه بلغه عمن أرسله به، لا أنه أنشأه من جهة نفسه. وأيضاً فالرسول فى إحدى الآيتين جبريل، وفى الأخرى محمد ﷺ، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ، إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر. وأيضاً: فقوله رسول أمين، دليل على أنه لا يزيد فى الكلام الذى أرسل بتبليغه، ولا ينقص منه، بل هو أمين على ما أرسل به، يبلغه عن مرسله.

وأيضاً: فإن الله قد كفَّر من جعله قول البشر، ومحمد ﷺ بشر، فمن جعله قول محمد بمعنى أنه أنشأه، فقد كفر ولا فرق بين أن يقول: إنه قول بشرٍ، أو جني، أو ملكٍ، والكلام كلام من قاله مبتدئاً، لا من قاله مبلغاً.

سؤال: اذكر الشبه التى أوردت على مذهب أهل السنة.

جواب: أورد على مذهب أهل السنة فى كلام الله بعض الشبه، منها:

الأولى: أنه يلزم منه التشبيه. **وجواب ذلك:** إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله بكيفية لا نعلمها، ألسنا نؤمن أن الأيدى والأرجل والجلود تتكلم يوم القيامة، وإن كنا لا ندرى كيف تتكلم؟!

الثانية: أنه يلزم قيام الحوادث به تعالى. **وجواب ذلك:** من ذا الذى نفى قيام الحوادث به بهذا المعنى؟ ذلك أن نفى قيام الحوادث به تعالى: إن قصد به أن لا يحل فى ذاته المقدسة شىء من مخلوقاته، ولا يحدث به وصف متجدد لم يكن، فهو صحيح، أما إن قصد به نفى الصفات الاختيارية كما يراد به هنا، فهو باطل[1].

سؤال: وما هى أدلة المعتزلة على قولهم أن كلام الله مخلوق، وإضافته إليه للتشريف؟ وكيف أجاب عليهم أهل السنة؟

جواب: استدل المعتزلة على ما ذهبوا إليه من أن كلام الله مخلوق، خلقه الله منفصلاً عنه، وأن إضافته إلى الله تعالى إضافة تشريف، كما يقال: بيت الله، بما يلى:

أولاً: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]. والقرآن شىء، فيكون مخلوقاً. **وقد أجيب على ذلك الدليل بما يأتى:**

١ـ إن المراد بقوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ كل شىء مخلوق، وكل موجود سوى الله فهو مخلوق،

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

فدخل فيه أفعال العباد حتماً، ولم يدخل فيه الخالق وصفاته، لأن عموم «كل» في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن كقوله تعالى: ﴿وأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، أي من كل شيء يحتاج إليه الملوك.

٢ـ إنه منقوض بقول المعتزلة في أفعال العباد، فهم يرون أنها مخلوقة للعباد، وليست مخلوقة لله، فأخرجوها من عموم «كل» وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته.

٣ـ إن الله قد فرق في القرآن بين خلقه وأمره، وبأمره تكون المخلوقات. قال تعالى: ﴿والشَّمْسَ والْقَمَرَ والنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ والأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، وهكذا إلى مالا نهاية.

٤ـ إنه يلزم عليه أن تكون جميع صفاته مخلوقة أيضاً، العلم والقدرة وغيرها، وذلك صريح الكفر.

٥ـ لو صح أن يكون متكلماً بكلام يخلقه في غيره، للزم أن يكون متكلماً بكل كلام خلقه في غيره، ولو كان كفراً، وفساده ظاهر. تعالى الله عن ذلك.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

وقد أجيب عن هذا الدليل: بأن (جعل) إذا كانت بمعنى (خلق)، تتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]. وقوله تعالى: ﴿وجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]. أما إذا تعدت إلى مفعولين، لم تكن بمعنى: خلق. كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ [النحل: ٩١]. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]. وكذلك قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]. فالكلام خلقه الله في الشجرة، فسمعه موسى منها.

وقد أجيب عن هذا الدليل، بأن النداء هو الكلام من بعد، فسمع موسى النداء من حافة الوادي، وقد كان هذا النداء في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت، فإن «من»: تكون لابتداء الغاية، لا أن المتكلم هو البيت.

ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة لكانت هي القائلة: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]. بل لكان قول فرعون: أنا ربكم الأعلى صدقاً، إذ كلٌّ من الكلامين عندهم مخلوق قاله غير الله، ولكنهم فرقوا بين الكلامين، فقالوا: هذا كلام خلقه الله في الشجرة، وذلك كلام فرعون(١).

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

سؤال: «كلام الله صفةٌ من صفاته، نؤمن بها بلا كيفيةٍ ولا تشبيه» اشرح هذه العبارة مدللاً على ما تقول.

جواب: قوله: «**بلا كيفية**» أي: لا تعرف كيفية تكلمه به قولاً ليس بالمجاز، «**وأنزله على رسُوله وحياً**» أي: أنزله إليه على لسان الملك، فسمعه الملك جبريل من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من الملك وقرأه على الناس، قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥].

وقوله: «**ولا يشبه قول البشر**». يعني: أنه أشرف وأفصح وأصدق، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**﴾ [النساء: ٨٧]. وقال: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ**﴾ [الإسراء: ٨٨]. وقال: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ**﴾ [يونس: ٣٨]. فلما عجزوا ـ وهم فصحاء العرب، مع شدة العداوة عن الإتيان بسورة مثله، تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله، وإعجازه من جهة نظمه ومعناه، وهذا مع أنه قرآن عربي غير ذي عوج بلسان عربي مبين. فنفى المشابهة من حيث التكلم ومن حيث النظم والمعنى، لا من حيث الكلمات والحروف، وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور.

وقوله: «**فمن سَمِعَه، فزعم: أنه كلامُ البشر، فقد كفر**».

سؤال: اذكر حكمُ مَنْ أنكرَ أن القرآن كلامُ الله.؟

جواب: لاشك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله، بل قال: إنه كلام محمدٍ أو غيره من الخلق، ملكاً كان أو بشراً.

سؤال: اذكر اختلاف الناس في مسألة كلام الله. وبيان ما عليه أهل السنة؟

جواب: افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال نذكر منها:

١ـ **ما عليه أئمة الحديث والسنة**: وهو أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً.

٢ـ **ما ذهب إليه المعتزلة**: وهو أنه مخلوق، خلقه الله منفصلاً عنه، وأن إضافته إليه للتشريف.

٣ـ **ما ذهب إليه ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري**: وهو أنه معنى واحد قائم بذاته تعالى، وهو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة.

٤ـ **ما ذهب إليه أبو منصور الماتريدي**: وهو أن كلامه تعالى يتضمن معنى قائماً بذاته، هو ما خلقه في غيره.

٥ـ **ما ذهب إليه طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث**: وهو أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل[١].

سؤال: وما هي أدلة ابن كلاب ومن تابعه كالأشعري على قولهم: أن كلام الله معنى واحد قائم بذاته تعالى لم يسمع منه وإنما هو الكلام النفسي؟ وما جواب أهل السنة عليهم؟

جواب: استدل ابن كلاب ومن تابعه كالأشعري على ما ذهبوا إليه من أن الكلام معنى واحد قائم بذاته، لم يسمع منه، وإنما هو الكلام النفسي، يقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

الجواب: وقد رد عليهم بما يأتي:

١ـ ليس في كلام الأخطل دليل، فقد قيل: إن البيت موضوع، منسوب إليه، وقيل أن صحته: إن البيان لفي الفؤاد. وعلى تقدير صحته فكيف يستدل بقول نصراني ضل في معنى الكلام، على معنى الكلام، ويترك ما هو معروف من لغة العرب؟! أليس النصارى هم الذين ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى نفس كلمة الله، واتحد اللاهوت بالناسوت؟

٢ـ إن لازم هذا القول أن يسمى الأخرس متكلماً، لقيام الكلام بقلبه، وإن لم ينطق به، أو يسمع منه.

٣ـ النصوص الكثيرة التي نفت اسم الكلام عما يدور في النفس، مثل: ما جاء في الحديث من قوله ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به نفسها**»(٢)(٣).

سؤال: اذكر الدليل على فساد قول من قال: بأن كلام الله معنى واحد والتعدد حاصل في الدلالات.

جواب: وذهب كثير من متأخري الأحناف إلى أن كلام الله معنى واحد، والتعدد حاصل في الدلالات لا في المدلول، وهذه العبارات مخلوقة، وسميت كلام الله مجازاً لدلالتها عليه وتأديه بها. وهو فاسد، والرد عليه من وجوه:

* إن لازمه أن معنى قوله: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ**﴾ [الإسراء: ٣٢]. هو معنى قوله: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾ [المزمل: ٢٠] ومعنى آية: الكرسي، هو معنى آية: الدين.

* لو كان ما في المصحف عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله، لما حرم على الجنب والمحدث

---

(١) (٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (٩/ ٣٠٠/ ٥٢٦٩)، ومسلم (١/ ٤٢٣/ ٢٠١).

من طريق: قتادة، عن زُرارة بن أوفى، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بمعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ، فَقَدْ كَفَرَ، فَمَنْ أبصرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الكُفَّارِ انزَجَرَ، وَعَلِمَ أن اللهَ بصفاته لَيْسَ كَالبَشَرِ.

مسه، ولو كان ما يقرأ القارىء ليس كلام الله، لما حرم على الجنب والمحدث قراءته. وقد قال تعالى: ﴿**فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ [التوبة: ٦]. فالحق الذى لا معدل عنه أنه كلام الله ـ كما قال أبو حنيفة ـ محفوظ فى الصدور، مقروء بالألسن، مكتوب فى المصاحف(١).

سؤال: كيف تحل هذا الإشكال: بين كون القرآن فى زبر الأولين، وكونه فى رق منشور، ولوح محفوظ؟

جواب: [الفرق بينهما: أن قوله: ﴿ **وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ** ﴾ [الشعراء: ١٩٦]. أى ذكره ووصفه والإخبار عنه. أما قوله: ﴿**فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ**﴾ [الطور: ٣]. ﴿**فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**﴾ [البروج: ٢٢]، ﴿**فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ**﴾ [الواقعة: ٧٨]. أى كونه وحصوله واستقراره، أو يقدر: مكتوب فى كتاب أو فى رق. والكتاب تارة يذكر ويراد به محل الكتابة، وتارة يذكر ويراد به الكلام المكتوب. ويجب التفريق بين كتابة الكلام فى الكتاب، وكتابة الأعيان الموجودة فى الخارج فيه، فإن تلك إنما يكتب ذكرها. وكذلك القرآن ـ وهو مصدر فى الأصل:

ـ فتارة يذكر ويراد به القراءة، كقوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٨].

ـ وتارة يذكر ويراد به المقروء كقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [النحل: ٩٨]](٢).

قوله: «ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر...».

سؤال: اشرح قول الماتن بشىء من التفصيل؟

جواب: نفياً للتشبيه عقب الإثبات، يعنى: أنه تعالى وإن وصف بأنه متكلم، لكن لايوصف بمعنى من معانى البشر التى يكون الإنسان بها متكلماً، فإن الله ليس كمثله شىءٌ، وهو السميع البصير.

وقوله: «**فمن أبصر هذا اعتبر**» أى من نظر بعين بصيرته فيما قاله من إثبات الوصف، ونفى التشبيه، ووعيد المشبهة، اعتبر وانزجر عن مثل قول الكفار.

[نبه الشيخ بذلك إلى أنه تعالى بصفاته ليس كالبشر، نفياً للتشبيه، فإن الله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١]. فدين الإسلام بين التشبيه والتعطيل، وما أحسن المثل

---

(١)، (٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لأَهْلِ الجَنَّة، بِغَيرِ إحاطة وَلاَ كَيْفِيَّة، كَمَا نَطَقَ به كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، وَتَفسيرُه عَلَى مَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ، لا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلاَ مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا، فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلاَّ مَنْ سَلَّمَ للهِ عَزَّوَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ﷺ. وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ.

المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه، ولا تعطيل، باللبن الخالص السائغ للشاربين، يخرج من بين فرث التعطيل ودم التشبيه. فالمعطل يعبد عدماً، والمشبه يعبد صنماً، وليس في وصف الله به نفسه ولا وصفه به رسوله تشبيه][1].

قوله: «والرؤية حق لأهل الجنة».

قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، من أظهر الأدلة، وهو صريح في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله.

وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلاً، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية.

سؤال: اذكر الأدلة على الرؤية وأقوال السلف في ذلك.

جواب: عن ابن عباس ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى وجه ربها عزوجل. وقال عكرمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، قال: من النعيم، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى ربها نظراً. وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

[قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. والنظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديته بنفسه:

* فإن عدي بفي كان معناه التفكر والاعتبار كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٨٦].

* وإن عدي بإلى كان معناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩]. فكيف إذا أضيفت إلى الوجه الذي هو محل البصر؟! فإضافة النظر إلى الوجه،

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

وتعديته بإلى الصريحة فى نظر العين، وإخلاء الكلام عن قرينة تدل على خلافه برهان قاطع بأن الله أراد نظر العين إلى الرب جل جلاله. وهذا هو قول المفسرين من أهل السنة والحديث، فهو قول ابن عمر، والحسن، وابن عباس، وعكرمة وغيرهم](١).

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]. قال الطبرى: قال على بن أبى طالب، وأنس بن مالك ـ رضى الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله عزوجل. وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. فالحسنى: الجنة، والزيادة: هى النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما فى الحديث، عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «**إذا دخل أهلُ الجنة الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ نادى مناد: يا أهلَ الجنة، إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيّض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وهى الزيادة**»(٢).

وكذلك فسرها الصحابة رضى الله عنهم، روى ابن جرير عن جماعة، منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعرى، وابن عباس.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. احتج الشافعى رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، عن الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعى ـ رحمه الله، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول فى قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فقال الشافعى: كما أن حجب هؤلاء فى السخط، كان فى هذا دليل على أن أوليائه يرونه فى الرضاء.

وعن أبى هريرة، أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارُّون فى رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تُضارون فى الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»(٣).

وحديث أبى موسى، عن النبى ﷺ، قال: «**جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من**

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم فى «الإيمان»/ باب: «إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة» (١/ ١٩/ ١٨١) وأحمد فى «مسنده» (٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) والترمذى فى «التفسير»/ باب: ومن سورة يونس (٥/ ٢٨٦/ ح٣١٠٥) من حديث صهيب به.

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخارى فى «التوحيد»/ باب: قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (١٣/ ٤٣٠/ ح٧٤٣٧) ومسلم فى «الإيمان»/ باب: معرفة طريق الرؤية (٢/ ٢١/ ح١٨٢) من حديث أبى هريرة.

ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن يروا ربَّهم تبارك وتعالى إلا رِداءُ الكبرياء على وجهه في جنة عَدْنٍ»(١).

حديث جرير بن عبدالله البجلي: قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة. فقال: «إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته»(٢).

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها.

وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها لله بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟! ومن قال: يرى لا في جهة، فليراجع عقله فإما أن يكون مكابراً لعقله، أو في عقله شيء.

هذه بعض أدلة أهل السنة، وهي قاطعة في إثبات الرؤية، ولا يلتفت إلى التأويلات الفاسدة فهذه هي التي خربت العقول والديار. فبها قتل عثمان والحسين، وبها وقع ما وقع يوم الجمل وصفين، وبها خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الرافضة، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة!!](٣).

سؤال: اذكر أدلة المعتزلة القائلين بنفي الرؤية، وكيف رد عليهم أهل السنة؟

جواب: استدل المعتزلة على نفي الرؤية بعدة أدلة منها:

دليلهم الأول: قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا**﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فتأبيد النفي بـ «لن» يدل على نفي الرؤية في الآخرة. **وفي هذه الآية دليل عليهم من عدة وجوه:**

١ـ لو كانت الرؤية غير جائزة على الله لما سألها موسى ﷺ وهو من أعلم الناس بربه.

٢ ـ إن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوحٌ ربه نجاة ابنه أنكر عليه وقال: ﴿**إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود: ٤٦].

٣ـ إن الله عزوجل قال: ﴿**لَن تَرَانِي**﴾، ولم يقل: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، وهذا دليل على أنه تعالى يرى ولكن موسى لا يحتمل ذلك في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها.

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخاري في «التفسير»/ باب: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ (٨/ ٤٩١/ ح ٤٨٧٨) ومسلم «الإيمان»/ باب: إثبات رؤية المؤمنين ـ في الآخرة ـ ربهم سبحانه وتعالى (٢/ ١٩/ ح ١٨٠). من حديث عبدالله بن قيس عن أبيه.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخاري في «مواقيت الصلاة»/ باب: فضل صلاة العصر (٢/ ٤٠/ ح٥٥٤) ومسلم في «المساجد ومواضع الصلاة»/ باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها (٣/ ١٤٣/ ح٦٣٣) من حديث جرير بن عبدالله البجلي.

(٣) انظر (تهذيب الطحاوية) للدكتور الصاوي.

٤ـ إن الله تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل وذلك ممكن مقدور لله ـ عزوجل ـ والمعلق على الممكن ممكن.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾، فإذا جاز أن يتجلى للجبل وهو جماد فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته، ولكن الله تعالى أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

٦ـ إن الله تعالى كلم موسى، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار الكلام.

أما قولهم: إن تأبيد النفي بلن يدل على نفي الرؤية في الآخرة فهو فاسد، لأنها لو قيدت بالتأبيد لا تدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟

قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٠]. مع قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

ولو كانت للتأبيد المطلق ما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك: قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ [يوسف: ٨٠]. فثبت أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد، كما قال ابن مالك:

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله أردد وسواه فاعضد[1]

سؤال: ما المراد من قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟

جواب: المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٢]. فلم ينف موسى ـ عليه السلام ـ الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منها يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علماً، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

[إن الآية قد ذكرت في سياق التمدح، والمدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، فالعدم المحض ليس بكمال فلا يمدح به: فقد مدح الله بنفي الموت المتضمن كمال الحياة. ونفى اللغوب المتضمن كمال القدرة. ونفى السنة والنوم المتضمن لكمال القيومية.

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

فلم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً، ولهذا فإن المعنى هنا: إنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، وذلك يتضمن كمال عظمته، كما إنه يعلم ولا يحاط به علماً](١).

سؤال: هل يرى الله تعالى أحدٌ في الدنيا بعينه؟

جواب: اتفقت الأمة على أنه لا يراه أحدٌ في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة، والذي دلت عليه السنة أن النبي ﷺ لم ير ربه في الدنيا بعينه، كما في حديث عائشة لمسروق حين سألها: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قَفَّ شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه، فقد كذب(٢).

وعن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: **«نورٌ أنى أراه»**(٣). وفي رواية: «رأيت نوراً».

وعن أبي موسى الأشعري، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: **«إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ـ وفي رواية: النار ـ لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**(٤) فيكون معنى قوله لأبي ذر: «رأيت نوراً» أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: «نور أنى أراه» النور الذي هو الحجاب منع من رؤيته فأنى أراه؟! أي فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته، فهذا صريح في نفي الرؤية، والله أعلم. وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك.

سؤال: هل تثبت الرؤية القلبية لنبينا ﷺ.

جواب: عن عطاء، عن ابن عباس رآه بقلبه(٥).

والأمر ليس فيه نص قاطع، وإنما يقال: الرؤية في الدنيا ممكنة، ولو لم تكن لما سألها موسى عليه الصلاة والسلام، لكن لم يرد نص بأن رسول الله ﷺ رأى ربه بعين رأسه.

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» للصاوي.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخاري في «التفسير»/ باب: في فاتحته (٨/ ٤٧٢/ ح٤٨٥٥) ومسلم في «الإيمان»/ باب: معنى قول الله عز وجل ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ (٢/ ٨/ ح١٧٧) من حديث عائشة ـ رضي الله عنه.

(٣) [صحيح] أخرجه مسلم في «الإيمان»/ باب: قوله عليه الصلاة والسلام: نور أنى أراه (٢/ ١٥/ ح١٧٨) والترمذي في «التفسير»/ باب «ومن سورة النجم» (٥/ ٣٩٦/ ح٣٢٨٢) من حديث أبي ذر.

(٤) [صحيح] أخرجه مسلم في الإيمان»/ باب: في قوله عليه الصلاة والسلام «إن الله لا ينام» (٢/ ١٦/ ١٧٩) وأحمد في «مسنده» (٤/ ٤٠٥) وابن ماجه في «المقدمة» (١/ ٧٠/ ح١٩٥) من حديث أبي موسى ـ رضي الله عنه.

(٥) [صحيح] أخرجه مسلم في «الإيمان»/ باب: معنى قول الله عز وجل ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ (٢/ ٧/ ح١٧٦).

وقوله: «**بغير إحاطة ولا كيفية**» هذا لكمال عظمته وبهائه، سبحانه وتعالى، لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به، كما يعلم ولا يحاط به علماً، قال تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣]. ﴿**ولا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ [طه: ١١٠].

سؤال: اذكر اختلاف أهل العلم فى رؤية أهل المحشر لربنا عزوجل؟

جواب: [لاشك فى رؤية أهل الجنة لربهم فى الجنة، وكذلك فى المحشر قبل دخولهم الجنة، واختلف أهل العلم على ثلاثة أقوال:

١ـ لا يراه إلا المؤمنون.

٢ـ يراه أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك.

٣ـ يراه المؤمنون والمنافقون دون بقية الكفار. وكذلك الخلاف فى تكليمه لأهل الموقف][(١)].

وقوله: «**وتفسيره على ما أراد الله وعَلِمَه**» إلى أن قال: «**لا ندخل فى ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا**».

سؤال: اشرح قول الماتن بشيءٍ من التفصيل؟

جواب: أى: كما فعلت المعتزلة بنصوص الكتاب والسنة فى الرؤية، وذلك تحريف لكلام الله وكلام رسوله عن مواضعه، فالتأويل الصحيح هو الذى يوافق ما جاءت به السنة، والفاسد المخالف له، فكل تأويل بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا معه قرينه تقتضيه، فإن هذا لا يقصده المبين الهادى بكلامه، إذ لو قصده لخف بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره، حتى لا يوقع السامع فى اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كلامه بياناً وهدى، فإن أراد به خلاف ظاهره ولم يخف به قرائن تدل على المعنى الذى يتبادر غيره إلى فهم كل أحد، لم يكن بياناً ولا هدى، فالتأويل إخبارٌ بمراد المتكلم لا إنشاء.

[ذلك أن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه، وذلك له طرق متعددة:

منها: التصريح بإرادة ذلك المعنى. **ومنها**: استعمال اللفظ الذى له معنى ظاهر بالوضع بغير قرينة صارفة. فكيف إذا حف بكلامه ما يدل على إرادة الحقيقة ونفى المجاز، كقوله: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**﴾ [النساء: ١٦٤]. وقوله ﷺ: «**إنكم ترون ربكم عياناً كما ترون الشمس فى الظهيرة**[(٢)]».

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) تقدم تخريجه.

سؤال: فإن قيل: إنما نحمله ـ أى اللفظ ـ على خلاف ظاهره لاستحالة إرادة الحقيقة كيف نرد على ذلك؟

جواب: قيل: يمتنع أن يراد خلاف الحقيقة بغير بيان ذلك للسامع، إذا كان المتكلم قد قصد البيان والإيضاح فكيف إذا عرف من الكلام ما يؤكد إرادة الظاهر والحقيقة.

هذا، ولا يجوز أن يتكلم فى أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح من هذه الأمة، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده وإنما نقلوا نظمه ومعناه، فما كانوا يتعلمون القرآن كتعلم الصبيان، بل يتعلمون معانيه أيضاً[1].

سؤال: هل هناك تعارض بين العقل السليم والنقل الصحيح فى ذلك؟

جواب: لا تعارض بين العقل السليم والنقل الصحيح وقوله «**فإنه ما سَلِمَ فى دينه إلا من سَلَّم لله ـ عز وجل ـ ولرسوله ﷺ، وردَّ علْم ما اشتبه عليه إلى عالمه**. أى: سَلَّم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو يقول: العقلُ يشهد بضد ما دل عليه النقل!! والعقل أصل النقل!! فإذا عارضه قدمنا العقل !! وهذا لا يكون قطُّ، لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك، فإن كان النقلُ صحيحاً، فذلك الذى يُدَّعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حُقِّق النظر لظهر ذلك، وإن كان النقلُ غيرَ صحيح فلا يصلح للمعارضة، فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح، ونقلٌ صحيحٌ أبداً.

سؤال: كيف يكون من لوازم الإيمان وشروطه التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره .؟

جواب: فالواجبُ كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقيادُ لأمره، وتلقى خبره بالقبول والتصديق، دونَ أن يُعارضَه بخيالٍ باطلٍ يسميه معقولاً، أو يُحَمِّلَه شبهةً أو شكاً، أو يُقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فيوحِّده بالتحكيم والتسليم والانقياد والاذعان، كما وحَّد المُرسِلَ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل. فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيدُ المُرسِل وتوحيدُ متابعةِ الرَّسول، فلا يُحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يَقِفُ تنفيذُ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوى مذهبه وطائفته ومن يُعظمه، فإن أذنوا له، نفذه وقَبِلَ خبرَه!! وإلا فوَّضه إليهم وأعرض عن أمره وخبره، وحرَّفه عن مواضعه وسمَّى تحريفه تأويلاً وحملاً ! فقال: نُؤوِّله ونحمِلُه . فلأن يلقى العبدُ ربه بكل ذنب ـ ما خلا الإشراك بالله ـ خيرٌ له من أن يلقاه بهذه الحال.

بل إذا بَلَغَهُ الحديثُ الصحيح يعدُّ نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ له أن يؤخر

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأى فلان وكلامه ومذهبه! بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله، من غير التفات إلى سواه، ولا يُستَشكَلُ قوله لمخالفته رأى فلان، بل تُستشكل الآراءُ لقوله، ولا يُعارض نصُّه بقياس، بل تُهدر الأقيسة وتُلغى لنصوصه، ولا يُحرَّف كلامُه عن حقيقته، لخيال يسميه أصحابه معقولاً، ولا يوقَفُ قبولُ قوله على موافقته فلان دون فلان، كائناً من كان.

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ـ عبد الله بن عمرو بن العاص ـ، قال: أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرِّق بينهم، فجلسنا حَجْرَةً، إذ ذكروا آية من القرآن، فتمادوا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضَباً، قد أحمرَّ وجهه، يرميهم بالتراب ويقول: «مهلاً يا قوم، بهذا أُهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكُتُب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضُه بعضاً، وإنما نزل يصدق بعضُه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتُم منه فردوه إلى عالمه»(١).

قوله: «ولا تثبت قدم الإسلام...».

سؤال: من لوزام وشروط الإيمان الانقياد والتسليم لأمر الله ولأمر النبى ﷺ من دون معارضة أو تعقيب. اشرح ذلك مع ذكر الأدلة؟.

جواب: أى لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين وينقد إليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه.

روى البخارى عن الزهرى: من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم(٢).

مثل العقل مع النقل:

وإن مثل العقل مع النقل كمثل العامى المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك، فإن العامى قد يصير عالماً، ولا يمكن للعالم أن يصير نبياً رسولاً.

فإذا عرف العامى المقلد عالماً فدل عليه عامياً آخر، ثم اختلف المفتى والدال، فإن المستفتى يجب عليه أن ينقل قول المفتى دون الدال.

ولا يصح أن يقول الدال: الصواب معى، لأنى أنا الأصل فى علمك بأنه مفت، فإذا قدمت قوله

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٢/ ١٨١) وابن ماجه فى «المقدمة» (١/ ٣٣/ ح٨٥) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.
قال فى «الزوائد»: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.
(٢) انظر: «الفتح (١٣/ ٥٠٣)».

«فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوحِيدِ، وَصَافِي المَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الإِيمَانِ».

فقد قدحت فى الأصل الذى به عرفت أنه مفت! لأنه لما شهد له بأنه مفت، فقد شهد له بوجوب اتباعه دونه، وخطؤه فى مخالفته للمفتى لا يستلزم خطأه فى علمه بأنه مفت، كما أن علمه بأنه مفت لا يعنى علمه بكل مسألة. هذا مع العلم بأن ذلك المفتى قد يخطئ، والعقل يعلم أن الرسول معصوم، فيجب عليه التسليم له.

ولو قال رجل لرسول الله ﷺ: إن هذا القرآن قد تضمن أشياء تناقض العقل الذى ما علمنا صدقك إلا به، فلو قبلناه لقدحنا فيما علمنا به صدقك، وإذاً فنحن نعرض عن قولك إلى ما قضى به العقل، فإن مثل هذا الرجل لا يكون مؤمناً بما جاء به الرسول ﷺ، لأنه بهذا يفتح الباب واسعاً لرد كثير مما جاء به الرسول ﷺ، ويمكن لكل واحد أن يقول هذا فى جميع ما أخبر به الرسول ﷺ أو أمر به. قال تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ**﴾ [المائدة: ١٥]. قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [النحل: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ [إبراهيم: ٤](١).

قوله: «فمن رام على ما حظر عن علمه...».

هذا تحذير أن يتكلم فى أصول الدين وغيرها بغير علم، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[الإسراء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ**﴾[الحج: ٨]. ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى**﴾[النجم: ٢٣].

وعن أبى أُمامة الباهلى، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلَّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه إلا أُتُوا الجدل» ثم تلا: «**ما ضربوه لك إلا جدلاً**»(٢).

سؤال: على قَدْرِ التسليم للرسول ﷺ، يكونُ التوحيد. اشرح هذه العبارة؟

جواب: ولا شك أن من لم يسلم للرسول ﷺ، نقص توحيده، فإنه يقول برأيه وهواه، أو يُقلد ذا رأى وهوى بغير هُدىً من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرَّسُول، فإنه قد اتخذ فى ذلك إلهاً غير الله.

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٥/ ٢٥٦، ٥٥٢) وابن جرير فى «تفسيره» (٢٥/ ٥٣) والترمذى فى «تفسير القرآن»/ باب: ومن سورة الزخرف (٥/ ٣٧٨/ ٣٢٥٣) وانظر «الاتقان فى علوم القرآن» (ح١٧٣٣) بتخريجنا.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]. أي: عبد ما تهواه نفسُه.

سؤال: اذكر الفرق الثلاثة التى كان أصل فساد العالم منها؟

جواب: أصلُ الفسادِ فى العالَمِ من ثلاثِ فِرَقٍ. قال عبدالله بن المبارك ـ رحمة الله عليه:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبَ ... وقد يُورثُ الذلَّ إدمانُها

وتَركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ ... وخيرٌ لنفسٍ عِصيانُها

وهل أفسدَ الدينَ إلا المُلُوكُ ... وأحبارُ سُوءٍ ورُهبانُها

فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله(*)!!

[ويقولون: إذا تعارض السياسة والشرع قدمنا السياسة][1].

وأحبار السُّوءِ، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة، والمتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله، وتحريمَ ما أباحه، واعتبار ما ألغاهُ، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاقَ ما قيده، وتقييد ما أطلقه.

[ويقولون: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل][2].

والرهبان هم جهالُ المتصوفة، والمعترضون على حقائق الإيمان والشرع، بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية المتضمنة تشريع دين لم يأذن به الله، وإبطالَ دينه الذى شرَعَهُ على لسان نبيه ﷺ، والتعويض عن حقائق الإيمان بِخِدَعِ الشيطان، وحظوظِ النفس. وقالوا: إذا تعارض الذوق وظاهر الشرع، قدمنا الذوقَ والكشف!!

وكلُّ من قال برأيه أو ذوقه أو سياسته ـ مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول ـ فقد ضاهى إبليس، حيث لم يُسَلِّم لأمر ربه، بل قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾

(*) قال ابن تيمية فى صفة الهوى المكفر (الفتاوى: ٨/ ٣٥٩): فمن كان يعبد ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه، فهو لا يتأله من يستحق التأله، بل يتأله ما يهواه، وهذا المتخذ إلهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم، ومحبة عباد العجل له، وهذه محبة مع الله لا محبة لله، وهذه محبة أهل الشرك، والنفوس قد تدعى محبة الله، وتكون فى نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه وقد أشركته فى الحب مع الله اهـ.

وهذا النوع من الشرك قلَّ من يسلم منه فى هذا الزمان.

(١)، (٢) انظر تهذيب الطحاوية د/ صلاح الصاوى.

[الأعراف: ١٣]. وقال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه، ويرضوا بحكمه، ويسلموا تسليماً.

سؤال: اذكر مؤدى ما ذكره الغزالى ـ رحمه الله ـ عن علم الكلام.

جواب: علم الكلام عند أبى حامد الغزالى:

ساق أبو حامد فى الإحياء، الخلاف فى علم الجدل والكلام، وبيَّن أن للناس فيه غلواً وإسرافاً، فى أطراف:

* فذهب إلى تحريمه الشافعى، ومالك وأحمد بن حنبل، وسفيان، وجميع أئمة الحديث من السلف، حتى قال بعضهم: لأن يلقى العبد ربه بكل ذنب سوى الشرك خير من أن يلقاه بالكلام.

وذكر من حجتهم: سكوت الصحابة عنه مع أنهم أعرف وأفصح، وما ذاك إلا لما يتولد عنه من الشر. وقوله ﷺ: «هلك المتنطعون»[1] أى: المتعمقون فى البحث والاستقصاء. وأنه لو كان من الدين لأمر به الرسول ﷺ، وبينه وأثنى على أهله.

* وذهب آخرون إلى أنه فرض، إما على الكفاية، وإما على الأعيان.

ثم بين رأيه، فذكر أن فيه منفعة وفيه مضرة، ففى وقت الانتفاع: حلال، أو مندوب، أو واجب. وفى وقت الاستضرار ومحله: حرام.

وبين أن من ضرره فى جانب الحق إثارة الشبهات، وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم. وأما فى جانب البدعة ففى تأكيد اعتقادها وتثبيتها فى الصدور، وإن كان هذا الضرر ينبعث من التعصب الذى يثور من الجدل. وبين أنه قد يقال: إن من منفعته كشف الحقائق ومعرفتها. قال: وليس فى الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخليط والتضليل أكثر من الكشف والتعريف.

وذكر أن كلامه هذا كلام رجل: خبر الكلام وتعمق فيه، ثم بين أن ما يترتب على الكلام من إيضاح لبعض الأمور، فإن ذلك على وجه الندور. والسلف لم يكرهوا الكلام لمجرد كونه اصطلاحاً جديداً على معان صحيحة، ولا كرهوا الدلالة على الحق، والمحاجة لأهل الباطل، بل لاشتماله على

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (٨/ ٤٧٣/ ٧)، وأبو داود (٤/ ٢٠٠/ ٤٦٠٨).
من طريق: طلق بن حبيب، عن الأحنف بن قيس، عن عبدالله.

«فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، والإِقْرَارِ وَالإِنْكَارِ، مُوَسْوَساً تائهاً، شَاكّاً زَائِغاً، لاَ مُؤْمِناً مُصَدِّقاً، ولا جاحداً مكذباً».

أمور كاذبة، مخالفة للكتاب والسنة، فأهله يزعمون أنهم يدفعون به الشبه والشكوك، وما زادت الشكوك والشبه إلا به! لأنه من المحال ألا يحصل الشفاء والهدى من الكتاب والسنة ويحصل من كلام هؤلاء.

فالواجب أن يجعل كلام الله ورسوله هو الأصل، ويجعل أقوال الناس التى توافقه وتخالفه مجملة متشابهة، يقبل منها ما وافق خبر الرسول ﷺ، ويرد منها ما خالفه. فألفاظ: المركب، الجسم، الجوهر، العرض، الجهة، التحيز، قصد بها أهل هذا الاصطلاح معان لم يعبر غيرهم عنها بها. فالتركيب مثلاً صار له عدة معان، من بينها التركيب من الذات والصفات، وقد سموا هذا تركيباً لينفوا به صفات الرب تعالى!

وهذا اصطلاح منهم لا يعرف فى اللغة ولا فى كلام الشارع فيرد عليهم، ويقال لهم: العبرة بالمعانى لا بالألفاظ، فلو اصطلح على تسمية اللبن خمراً لم يحرم بهذه التسمية.

وسبب الضلال: الإعراض عن كلام الله ورسوله، والاشتغال بكلام اليونان والآراء المختلفة، وإنما سمى هؤلاء أهل الكلام لأنهم لم يفيدوا علماً لم يكن معروفاً، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد، وهو ما يضربونه من القياس لإيضاح ما علم بالحس.

فكل من قال برأيه مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس حيث لم يسلم لأمر ربه بل قال: ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ [ص:٧٦]. وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾[آل عمران:٣١]. وقال تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء:٦٥](١).

قوله: «فيتذبذب بين الكفر والإيمان».

يتذبذب: يضطرب ويتردَّد، وهذا حال كل من عدَلَ عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص، ويرده إلى الرأى والآراء المختلفة، فيؤول أمرُه إلى الحيرة والضلال والشكّ.

سؤال: اذكر شهادةُ علماء الكلام فى علمِ الكلام .؟

جواب: قال ابنُ رشد، وهو من أعلم الناس بمذهب الفلاسفة ومقالاتهم، فى كتابه (تهافت

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

التهافت): ومَن الذى قال فى الإلهيات شيئاً يُعتد به!. وكذلك الغزالى ـ رحمه الله ـ، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة فى المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث الرَّسُول ﷺ، فمات وصحيح البخارى على صدره. وكذلك أبو عبدالله محمد بن الرازى ، قال فى كتابه الذى صنفه فى أقسام اللَّذات:

وأرواحُنا فى وحشة من جسُومنَا ... وحاصلُ دُنيانا أذًى ووبال

ولم نَسْتَفِدْ من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه: قِيلَ وقالوا

ولقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفى عليلاً، ولا تروى غليلاً ، ورأيتُ أقرب الطُّرق طريقة القرآن، اقرأ فى الإثبات: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾[طه:٥]. ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر:١٠]. واقرأ فى النفى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١]. ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾[طه:١١٠]. ثم قال: ومن جرَّب مثل تجربتى، عرف مثل معرفتى.

[وعن الرازى أنه قال:

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعى العالمين ضلال

ولم نَسْتَفِدْ من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه: قِيلَ وقالوا]

وكذلك قال الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالكريم الشهرستانى: إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم ، حيث قال:

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طَرْفِى بين تلكَ المعالم

فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائرٍ ... على ذقنٍ أو قارعاً سِنَّ نادمِ

وكذلك قال أبو المعالى الجوينىُّ: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عَرفتُ أن الكلامَ يبلغ بى إلى ما بلغ ما اشتغلت به. وقال عند موته: لقد خضتُ البحرَ الخضمَّ، وخلَّيت أهل الإسلام وعلومَهم، ودخلت فى الذى نهَونى عنه، والآن فإن لم يتداركنى ربى برحمته، فالويل لابن الجوينى، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمى، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابُور!.

وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهى، لبعض الفضلاء: ما تعتقدُ؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقنٌ به؟ فقال: نعم، فقال: أشكُرُ الله على هذه النعمة، لكنى والله ما أدرى ما أعتقدُ، والله ما أدرى ما أعتقد، وبكى حتى أخضلَّت لحيتَهُ!.

وقال آخر: اضطجعُ على فراشى، وأضع الملحفَةَ على وجهى، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلُعَ الفجر، ولم يترجَّح عندى منها شىء!!

«وَلاَ يَصِحُّ الإِيمَانُ بِالرُّؤيَةِ لأَهْلِ دَارِ السَّلاَمِ لِمَنْ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أو تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ، إِذَ كَانَ تَأْوِيلُ كُلِّ مَعنى يُضَافُ إِلى الرُّبُوبِيَةِ، تَرْكَ التَأْوِيلِ، وَلزومَ التَسْلِيمِ، وَعَلَيهِ دِينُ المُسْلِمِينَ، وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النفيَ وَالتَشْبِيه، زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ»

سؤال: اذكر حكمُ أَهْلِ العلم فى أَهْلِ الكلام .؟

جواب: ومن يَصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته وإلا تزندق، كما قال أبو يوسف ـ رحمه الله: من طلب الدين بالكلام تزندق. وقال الشافعى ـ رحمه الله تعالى: حُكمى فى أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم فى القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتابَ والسنةَ، وأقبل على الكلام. وقال: لقد اطّلعتُ من أهل الكلام على شىء ما ظننت مسلماً يقولُه، ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهى عنه ـ ما خلا الشركَ بالله ـ خير له أن يُبتلى بالكلام. أهـ.

وتجدُ أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيكونون فى نهاياتهم ـ إذا سَلِمُوا من العذاب ـ بمنزلة أتباع أهلِ العلم من: الصبيان، والنساءِ، والأعراب.

والدواء النافعُ لمثل هذا المرض، يكمن فى دعاء النبى ﷺ: «**اللهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاءُ إلى صراطٍ مستقيم**»(١).

[فهو يتوجه إلى ربه بربوبية جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، بطلب الهداية التى بها حياة القلب، وقد وكل سبحانه هؤلاء الثلاثة بالحياة:

* فجبرائيل بالوحى الذى به حياة القلوب.
* وميكائيل بالقَطر الذى به حياة الأبدان وسائر الحيوان.
* وإسرافيل بالنفخ فى الصور الذى هو سبب الحياة الثانية بعد الموت.

فالتوسل إلى الله بربوبيتهم له أعظم الأثر فى حصول المطلوب].

قوله: «ولا يصح الإيمان بالرؤية....»

فيه ردٌ على من يقول بنفى الرؤية، وعلى من يشبه الله بشىء من مخلوقاته.

سؤال: كيف ترد على المعتزلة ومن قال بنفى الرؤية؟ وعلى من يشبه الله تعالى بشىء من مخلوقاته؟.

---

(١) [صحيح] أخرجه مسلم فى «صلاة المسافرين»/ باب: صلاة النبى ودعائه بالليل (٣/ ٣٠٨/ ح٧٧٠) وأبو داود فى الصلاة»/ باب: ما يستفتح به الصلاة (١/ ٢٠١/ ح٧٦٧).

جواب : قد قال ﷺ: «**إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»[1]. والتشبيه هنا فى الرؤية لا فى المرئى، التى تتأول مع صلتها إلى المصدر الذى هو الرؤية، والمراد بهذا التشبيه إثبات الرؤية وتحقيقها ودفع الاحتمالات عنها.

أفبعد هذا يحتمل مثل هذا النص أن يكون معناه : إنكم تعلمون ربكم كما تعلمون القمر ليلة البدر ويستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ**﴾ [الفجر:٦]. ونحوه مما استعمل فيه «رأى» التى هى من أفعال القلوب؟!.

ولا شك أن رأى تكون بصرية، وتكون قلبية، وتكون من رؤيا الحلم، ولكن لا يخلو الكلام من قرينة تعين المراد، وإلا كان المتكلم مجملاً ملغزاً لا مبيناً موضحاً.

وأى بيان فوق قوله ﷺ: «**ترون ربكم كما ترون الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب؟**»[2].

فإن قالوا: ألجأنا إلى ذلك حكم العقل باستحالة الرؤية. قلنا: ذلك قولكم بأفواهكم، وقد خالفكم فيه كثير من العقلاء، بل لو عرض على العقل موجود قائم بنفسه لا يمكن أن يرى لحكم بأن هذا محال[3].

وقوله: «**لمن اعتبرها منهم بوهم**».

سؤال : اشرح هذه العبارة من قول الماتن؟

جواب : أى توهم أن الله تعالى يُرى على صفة كذا فيتوهم تشبيهاً ، ثم بعد هذا التوهم إن أثبت ما توهمه من الوصف، فهو مشبه، وإن نفى الرؤيةَ من أصلها لأجل ذلك التوهم، فهو جاحدٌ مُعطِّل، بل الواجبُ دفع ذلك الوهم وحده، وإثباتُ الحق.

وإلى هذا المعنى أشار الشيخُ ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله: «**ومَن لم يتوقَّ النفى والتشبيه، زلَّ ولم يصب التنزيه**» فإن هؤلاء المعتزلة يزعمون أنهم ينزهون الله بهذا النفى! فإن نفىَ الرؤية ليس بصفة كمال، إذ المعدوم لا يُرى، وإنما الكمالُ فى إثبات الرؤية ونفى إدارك الرَّائى له إدراك إحاطة، كما فى العلم، فإن نفى العلم به ليس بكمال، وإنما الكمال فى إثبات العلم ونفى الإحاطة به علماً، فهو سبحانه لا يُحاطُ رؤيةً، كما لا يُحاط به علماً.

وقولُه: «**أو تأولها بفهم**».

سؤال : اشرح معنى قول الماتن مستدلاً على ما تقول؟

جواب : أى: ادعى أنه فهم لها تأويلاً يُخالف ظاهرها، وما يفهمه كلُّ عربىٍّ من معناها، فإنه

---

(١)، (٢) تقدم تخريجه.

(٣) أنظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

قد صار اصطلاح المتأخرين فى معنى التأويل: أنه صَرْفُ اللفظ عن ظاهره، وبهذا تَسَلَّط المحرِّفون على النصوص، وقالوا: نحن نؤوِّلُ ما يخالف قولَنا، فسموا التحريفَ: تأويلاً، تزييناً له، وزخرفة ليقبل، وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقولُه: «**إذْ كان تأويلُ الرؤية، وتأويل كُلِّ معنى يُضافُ إلى الربوبية: تركَ التأويل، ولزومَ التسليم، وعليه دينُ المسلمين**».

سؤال: وضح مراد الماتن بما قال مستدلاً ـ ما امكنك ـ لما تقول؟

جواب: مراده ترك التأويل الذى يسمونه تأويلاً، وهو تحريفٌ وليس مرادُه ترك كل ما يُسمى تأويلاً، ولا ترك شيءٍ من الظواهر لبعض الناس لدليلٍ راجحٍ من الكتاب والسنة، وإنما مراده تركُ التأويلات الفاسدة المبتدعة، المخالفة لمذهب السَّلَف، التى يدل الكتاب والسنة على فسادها، وتركُ القول على الله بلا علم.

سؤال: اذكر معنى التأويل، ومذاهبُ الناس فيه ـ؟

جواب: معنى التأويل فى الكتاب والسنة وكلام السَّلَف: فالتأويل فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: هو الحقيقةُ التى يؤولُ إليها الكلام، فتأويل الخبر، هو عين المخبر به، وتأويل الأمر: نفس المأمور به. وأما ما كان خبراً عن الله واليوم الآخر، فهذا قد لا يُعلَمُ تأويله، الذى هو حقيقته، إذْ كانت لا تُعلَم بمجرد الإخبار، فإنَّ المُخبَرَ إن لم يكن قد تصور المخْبَرَ به، أو ما يعرفه قبل ذلك، لم يعرف حقيقته، التى هى تأويله بمجرد الإخبار. وهذا هو التأويل الذى لا يعلمه إلا الله، لكن لا يلزمُ من نفى العلم بالتأويل نفى العلم بالمعنى الذى قصدَ المخاطِبُ إفهامَ المخاطَبِ إياه، فهذا معنى التأويل من الكتابِ والسنة وكلام السَّلَفِ، سواءٌ كان هذا التأويل موافقاً للظاهرِ أو مخالفاً له.

[وقالت عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه: «**سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى**»(١)، يتأول القرآن. فما كان من تأويل الأخبار كالإخبار عن الله واليوم الآخر قد لا يعلم تأويله الذى هو حقيقته لكن لا يلزم من ذلك نفى العلم بالمعنى الذى قصد المتكلم إفهام المخاطب إياه، لأنه ما من آية فى القرآن إلا وقد أمرنا بتدبرها](٢).

ـ **التأويل عند كثير من المفسرين**: كابن جرير ونحوه يريدون به التفسير وبيان معناه، سواءٌ وافق ظاهرَهُ أو خالف، وهذا التأويل كالتفسير، يُحمَدُ حقُّه، ويُردُّ باطلُه.

---

(١) [صحيح] أخرجه البخارى فى «الأذان»/ باب: الدعاء فى الركوع (ح٧٩٤).
وانظر «الأذكار» للنووى (ح١٢١) بتخريجنا.

(٢) «تهذيب الطحاوية» للصاوى.

ـ **التأويل فى كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين**: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدلالة تُوجب ذلك. فالتأويل الصحيح منه: الذى يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد.

سؤال: وما هو بيان قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾؟.

جواب: بيان قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ [آل عمران: ٧]: فيها قراءتان، وكلتا القراءتين حق:

الأولى: قراءة من يقف على قوله: ﴿إلا الله﴾: ويراد بها المتشابه فى نفسه الذى استأثر الله بعلم تأويله، ولا يراد بالتأويل هنا تفسير المعنى، لأن لازم ذلك أن يكون الله قد أنزل على رسوله كلاماً لا يعلم معناه أحد من الخلق.

ويكون الراسخون فى العلم لاحظ لهم فيه سوى قول: ﴿**آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾ [آل عمران: ٧]. وهذا يقوله غيرهم من العوام، ويجب امتياز الراسخين فى العلم عن العوام فى ذلك.

قال ابن عباس: أنا من الراسخين فى العلم الذى يعلمون تأويله(١). وقد تواترت النقول عنه أنه تكلم فى جميع معانى القرآن.

قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره، أقفه عند كل آية وأسأله عنها(٢).

أما قول الأصحاب إن المتشابه هو الحروف المقطعة فى أوائل السور. فهذه الحروف قد تكلم فى معناها كثير من الناس، فإن كان معناها معروفاً فقد علم المتشابه، وإلا كان ما سواها معلوم المعنى وهو المطلوب. وقال تعالى: ﴿**مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾[آل عمران: ٧]. وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العادين.

الثانية: قراءة من لا يقف عندها: ويراد بها المتشابه الإضافى الذى يعرف الراسخون تفسيره وهو تأويله(٣).

---

(١) أخرجه ابن جرير فى «تفسيره» (٣/ ٣/ ١٢٢).

(٢) أخرجه ابن جرير فى «تفسيره» (١/ ٣١) وأبو نعيم فى «الحلية» (٣/ ١٧٩) كلاهما من طريق: محمد ابن إسحاق عن أبان بن صالح عن مجاهد به.
محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعنه.
وانظر «مقدمة التفسير» بتخريجنا.

(٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

سؤال: ما يترتب على التأويل الفاسد من مزالق ومحاذير .؟

جواب: فيُقال لهم: هذا الباب الذى فتحتموه ، فتحتم به عليكم باباً لأنواع المشركين والمبتدعين، ولا تقدرون على سده، فإنكم إذا سوغتم صرف القرآن عن دلالته المفهومة بغير دليلٍ شرعي، فما الضابطُ فيما يَسوغُ تأويلُه وما لا يَسوغُ؟! فإن قلتم: ما دلَّ القاطعُ العقليُّ على استحالته تأولناه، وإلا أقررناه! قيل لكم: وبأى عقل نزنُ القاطعَ العقلى؟! فإن القرمطى الباطنى يزعم قيام القواطع على بطلان ظواهر الشرع! ويَزعُمُ الفيلسوفُ قيامَ القواطع على بُطلان حشر الأجساد! ويَزْعمُ المُعتزليُّ قيام القواطع على امتناع رؤية الله تعالى، وعلى امتناع قيام علمٍ أوكلامٍ أو رحمة به تعالى!! وباب التأويلات التى يَدَّعى أصحابُها وجوبَها بالمعقولات أعظم من أن تنحصر فى هذا المقام ويلزم حينئذ محذوران عظيمان:

أحدهما: أن لا نقر بشيء من معانى الكتاب والسنة حتى نبحث قبل ذلك بحوثاً طويلة عريضة فى إمكان ذلك بالعقل، وكل طائفة من المختلفين فى الكتاب يَدعون أن العقل يدل على ما ذهبوا إليه، فيؤولُ الأمرُ إلى الحيرة.

الثانى: أن القلوب تتخلى عن الجزم بشيء تعتقده مما أخبر به الرَّسُول، إذ لا يُوثَقُ بأن الظاهر هو المراد والتأويلاتُ مضطربة، فيلزم عزل الكتاب والسنة عن الدلالة والإرشاد إلى ما أنبأ اللهُ به العباد. ولهذا نجد أهل التأويل إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة ـ للاعتضاد لا للاعتماد ـ إن وافقت ما ادّعو أن العقل دل عليه، وإن خالفته أوَّلوه! وهذا فتحُ باب الزندقة والإنحلال.

سؤال: هل مرض الشُّبهة أشدُّ خطراً من مرض الشهوة دلل على ما تقول.؟

جواب: أمراض القلوب نوعان: مرضُ شُبهة ، ومرض شهوة، وكلاهما مذكور فى القرآن، قال تعالى: ﴿**فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾ [الأحزاب: ٣٢] . فهذا مرض الشهوة، وقال تعالى: ﴿**فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا**﴾ [البقرة: ١٠]. ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ**﴾ [التوبة: ١٢٥]. فهذا مرض الشُّبهة، وهو أردأ من مرض الشهوة، إذْ مرضُ الشهوة يُرجى له الشفاء بقضاء الشهوة، ومرض الشبهة لا شفاءَ له إن لم يتداركه اللهُ برحمته.

[والشبه التى فى باب الصفات نفيها وتشبيهها، وشبهة النفى أردأ ، لأنها رد وتكذيب لما جاء به الرسول ﷺ، وشبه التشبيه غلو ومجاوزة للحد فيما جاء به الرسول ﷺ، وكلاهما كفر، قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١]].

سؤال: اذكر أنواع التشبيه؟

جواب: التشبيه نوعان: تشبيهُ الخالق بالمخلوق، وهذا الذى يتعبُ أهلُ الكلام فى ردِّه وإبطاله، وأهلُه فى الناس أقلُّ من النوع الثانى الذين هم أهلُ تشبيه المخلوق بالخالق، كعُبَّادِ المسيح،

«فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلاَ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الوَحْدَانِيَّةِ مَنْعُوتٌ بِنَعُوتِ الفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنْ البريَّة»

«وَتَعَالَى عَنِ الحُدُودِ وَالغَايَاتِ، وَالأَرْكَانِ وَالأَعْضَاءِ وَالأَدَوَاتِ، لاَ تَحوِيهِ الجِهاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ المبتدعات».

وعزير، والشمس والقمر، والأصنام، والملائكة، والنار، والماء، والعِجْل، والقبور، والجن، وغير ذلك. وهؤلاء همُ الذين أُرسلت إليهم الرُّسلُ يدعونهم إلى عبادة الله وحدَه لا شريك له.

سؤال: وضح أن دين الإسلام وسط بين التشبيه والتعطيل؟.

جواب: حيث يجب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، من غير تشبيه، فلا يقال: سمع كسمعنا، ولا بصر كبصرنا ونحوه.

ومن غير تعطيل، فلا ينفى عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، فإن ذلك تعطيل، وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. ردٌّ على المشبهة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: ردٌّ على المعطلة[1].

قوله «فإن ربنا جل وعلا..... أحد من البرية».

سؤال: اشرح معنى العبارة بالتفصيل مستدلاً لما تقول؟

جواب: قولُه: «موصوف بصفات الوحدانية» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقوله: «منعوت بنعوت الفردانية» من قوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾. وقوله: «ليس فى معناه أحد من البرية» من قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. والوصف والنعت مترادفان، وقيل: فالوصف للذات، والنعت للفعل، وكذلك الوحدانية والفردانية. وقيل الفرق بينهما: إن الوحدانية للذات، والفردانية للصفات، فهو تعالى مُوحَّدٌ فى ذاته، مُنفردٌ بصفاته: و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. أكمل فى التنزيه من قوله: «ليس فى معناه أحد من البرية».

[وفى كلام الشيخ نوع تكرير وسجع، وهو بالخطب والأدعية أشبه منه بالعقائد].

قوله: «وتعالى عن الحدود والغايات...».

سؤال: اذكر اختلاف الناس فى إطلاق مثل هذه الألفاظ «تعالى عن الحدود والغايات..إلخ» وما هو الراجح؟.

جواب: هم ثلاث طوائف:

١ـ طائفة تنفيها. ٢ـ طائفة تثبتها. ٣ـ طائفة تفصل.

---

(١) إنظر «تهذيب الطحاوى» د/ صلاح الصاوى.

[وهؤلاء الذين يفصلون هم المتبعون للسلف لأن فى هذه الألفاظ إجمال وإبهام، وليس كل الناس يستعملها فى نفس معناها اللغوى. ولهذا كان النفاة ينفون بها حقاً وباطلاً، ويذكرون عن مثبتها ما لايقول به. وبعض المثبتين لها يدخل فيها معنى باطلاً مخالفاً لقول السلف ولما دل عليه الكتاب والميزان لا سيما وأن هذه الألفاظ لم يرد نص من الكتاب والسنة بنفيها ولا بإثباتها. ولهذا فإن الواجب فى باب الصفات أن نثبت ما أثبته الله ورسوله، وأن ننفى ما نفاه الله ورسوله، أما ما لم يرد نص بإثباته ولا بنفيه كهذه الألفاظ فإنه ينظر فى مقصود قائله: فإن كان معنى صحيحاً قُبِلَ، لكن ينبغى التعبير عنه بألفاظ النصوص دون هذه الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة، كأن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود منها إلا به وحينئذ فلابد من قرائن تبين المراد][1].

سؤال: وماذا كان قصد الطحاوى ـ رحمه الله ـ بقوله «وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات... إلخ» .؟

جواب: الشيخ رحمه الله قصد بهذا الكلام الرد على المشبهة كداود الجواربى وأمثاله، القائلين بأن الله جسم، وأنه جثة وأعضاء، ومقصوده هذا صحيح، ولكن حدث بعده من أدخل فى عموم نفيه حقاً وباطلاً فاحتاج الأمر إلى بيان[2].

(١، ٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

تعليق: قوله **(وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، والجهات الست كسائر المبتدعات)**.

قال ابن باز ـ رحمه الله ـ هذا الكلام فيه إجمال، قد يستغله أهل التأويل والإلحاد، فى أسماء الله وصفاته وليس لهم بذلك حجة، لأن مراده ـ رحمه الله ـ تنزيه البارئ سبحانه عن مشابهة المخلوقات، لكنه أتى بعبارة مجملة تحتاج إلى تفصيل، حتى يزول الإشتباه، فمراده بالحدود يعنى التى يعلمها البشر، فهو سبحانه لا يعلم حدوده إلا هو سبحانه لأن الخلق لا يحيطون به علماً كما قال ـ عز وجل ـ فى سورة طه: ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما**﴾ [طه: ١١٠] ومن قال من السلف: بإثبات الحد فى الإستواء أو غيره فمراده حد يعلمه الله سبحانه ولا يعلمه العباد. وأما **(الغايات والأركان والأعضاء والأدوات)** فمراده ـ رحمه الله ـ تنزيهه عن مشابهة المخلوقات فى حكمته وصفاته الذاتية، من الوجه واليد والقدم ونحو ذلك، فهو سبحانه موصوف بذلك، لكن ليست صفاته مثل صفات الخلق، ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه، وأهل البدع يطلقون مثل هذه الألفاظ، لينفوا بها الصفات بغير الألفاظ التى تكلم الله بها وأثبتها لنفسه حتى لا يفتضحوا، وحتى لا يشنع عليهم أهل الحق.

والمؤلف الطحاوى ـ رحمه الله ـ: لم يقصد هذا المقصد لكونه من أهل السنة المثبتين لصفات الله، وكلامه فى هذه العقيدة يفسر بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً، ويفسر مشتبهه بمحكمه.

وهكذا قوله **(لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات)** مراده الجهات الست المخلوقة، وليس مراده نفى علو الله واستوائه على عرشه، لأن ذلك ليس داخلاً فى الجهات الست بل هو فوق العالم ومحيط به، وقد فطر الله عباده على الإيمان بعلوه سبحانه وأنه فى جهة العلو، وأجمع أهل السنة والجماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأتباعهم بإحسان على ذلك، والأدلة من الكتاب والسنة=

سؤال : يجب الاعتصام بالألفاظ الواردة في الكتاب والسنة وضح ذلك؟

صيغة أخرى: «صفات الله تعالى توقيفية» اشرح ذلك مدللاً على ما تقول؟

جواب : ليس لنا أن نصفَ الله تعالى بما لم يصفْ به نفسَهُ، ولا وصفَه به رسولُه نفياً ولا إثباتاً، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون. **فما أثبته الله ورسولُه أثبتناه، وما نفاه اللهُ نفيناه،** والألفاظ التي ورد بها النصُّ يُعتصم بها في الإثبات والنفي. وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها، فلا تُطلَقُ حتى يُنظرَ في مقصود قائلها، فإن كان المعنى صحيحاً قُبِلَ، لكن ينبغي التعبيرُ عنه بألفاظ النصوص دونَ الألفاظِ المجملَةِ إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المرادَ والحاجَة.

والشيخُ ـ رحمه الله ـ أراد الرد بهذا الكلام على المشبِّهة ، القائلين: إن اللهَ جسمٌ، وإنه جُثةٌ وأعضاء، وغير ذلك! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. فالمعنى الذي أراده الشيخ من النفي الذي ذكره هنا حق، ولكن حدث بعده من أدخل في عموم نفيه حقاً وباطلاً فيحتاج إلى بيان ذلك.

سؤال : الله تعالى لا تُحَدُّ صفاتُه بشيء، وهو بائنٌ عن خلقه؟ اشرح هذه العبارة.

جواب : السلفُ متفقون على أن البشرَ لا يعلمون لله حداً، وأنهم لا يَحدُّون شيئاً من صفاته. قال أبو داود الطيالسي: كان سفيان ، وشعبة، وحمادُ بن يزيد، وحماد بن سلمة، وشريك وأبو عوانه، لا يَحدُّون ولا يُشبِّهون ولا يمثلون، يروون الحديث، ولا يقولون: كيف، إذا سُئلوا قالوا بالأثر. فعُلِمَ أن مُراده: أن الله يتعالى عن أن يُحيط أحدٌ بحده، لا أنه غير متميزٍ عن خلقه، منفصل عنهم، مباينٌ لهم. سُئل عبدالله بن المبارك: بما نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش، بائنٌ من خلقه، قيل: بحد؟ قال: بحد. ومن المعلوم أن الحدَّ يُقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به غيره، الله تعالى غير حالٍّ في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم بنفسه، المقيم لما سواه. فالحد بهذا المعنى ليس وراء نفيه إلا نفي وجوب الرب، ونفي حقيقته.

وأما الحد بمعنى العلم، والقول وهو أن يحده العباد فهذا منتفٍ بلا منازعة بين أهل السنة.

سؤال : لفظُ الأركان والأعضاء والأدوات كيف استدل بها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة؟

جواب : أما لفظُ الأركان والأعضاء والأدوات، فيستدلُّ بها النُفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية، كاليد والوجه قال أبو حنيفة في (الفقه الأكبر): له يدٌ ووجهٌ ونفسٌ، كما

= الصحيحة المتواترة كلها تدل على أنه في العلو سبحانه فتنبه لهذا الأمر العظيم أيها القارىء الكريم واعلم أنه الحق وما سواه باطل والله ولي التوفيق.

ذكر تعالى فى القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس، فهو له صفة بلا كيف، ولا يُقال: إن يده قدرته ونعمته، لأن فيه إبطال الصفة. اهـ.

وهذا الذى قاله الإمام ـ رضى الله عنه ـ ثابتٌ بالأدلة القاطعة. قال تعالى: ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى**﴾ [ص: ٧٥]. ﴿**والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه**﴾ [الزمر: ٦٧]. ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ [القصص: ٨٨]. ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ [الرحمن: ٢٧]. ﴿**تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك**﴾ [المائدة: ١١٦]. ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ [الأنعام: ٥٤]. ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾ [آل عمران: ٢٨]. وفى حديث الشفاعة لَمَّا يأتى الناسُ آدم فيقولون له: «**خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماءَ كلِّ شيء**»(١). ولا يصح تأويل من قال: إن المراد باليد: القدرة فإنَّ قولَه: ﴿**لما خلقت بيدى**﴾ لا يَصِحُّ أن يكون معناه بقدرتَىَّ مع تثنية اليد.

ولكن لا يقال لهذه الصفات: إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان، لأن الركن جزء الماهية، والله تعالى هو الأحد الصمد، لا يتجزأ سبحانه وتعالى، والأعضاء فيها معنى التفريق والتعضية، تعالى عن ذلك، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**الذين جعلوا القرآن عضين**﴾ [الحجر: ٩١]. والجوارح فيها معنى الاكتسابُ والانتفاعُ، وكذلك الأدواتُ هى الآلاتُ التى يُنتفع بها فى جلب المنفعة ودفع المضرة. وكل هذه المعانى منتفية عن الله تعالى، ولهذا لم يَرِدْ ذكرها فى صفات الله تعالى. فالألفاظ الشرعيةُ صحيحةُ المعانى سالمةٌ من الإحتمالات الفاسدة، فلذلك يجب أن لا يُعدل عن الألفاظ الشرعية نفياً ولا إثباتاً، لئلا يُثبتُ معنى فاسد، أو يُنفى معنى صحيحٌ.

وقولُ الشيخ رحمه الله تعالى: «**لا تحويه الجهات الستّ كسائر المبتدعات**» هو حق، باعتبار أنه لا يحيط به شىء من مخلوقاته، بل هو محيط بكل شىء وفوقه. وهذا المعنى هو الذى أراده الشيخ لما يأتى فى كلامه: «**أنه تعالى محيط بكل شىء وفوقه**».

لكن بقى فى كلامه شيئان: أحدُهما: أن إطلاق مثل هذا اللفظ كان تركه أولى، وإلا تُسلِّط عليه، وأُلزِمَ بالتناقض فى إثبات الإحاطة والفوقية ونفى جهة العلو، وإن أُجيب بما تقدم من أنه إنما نفى أن يحويه شىء من مخلوقاته، فالإعتصام بالألفاظ الشرعية أولى.

الثانى: أن قوله: «**كسائر المبتدعات**» يُفهم منه أنه ما من مُبتدعٍ إلا وهو محوىٌّ وفى هذا نظر.

[* وإن أراد أمراً عدمياً فليس كل مبتدع فى العدم، بل منها ما هو داخل فى غيره كالسماوات والأرض فى الكرسى، ومنها ما هو منتهى المخلوقات كالعرش.

(١) تقدم تخريجه.

«وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِىَ بِالنَّبِىِّ ﷺ وَعُرِجَ بِشَخْصِه فِى الْيَقَظَةِ، إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِن الْعُلاَ، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. فَصَلَّى اللهُ عليه فِى الآخِرَةِ وَالأُولَى»

---

* وإن كان يمكن أن يجاب عن ذلك بأن «سائر» بمعنى البقية لا بمعنى الجميع، ومنه السؤر. وهو ما يبقيه الشارب فى الإناء، فيكون المعنى أنه تعالى غير محوى كما يكون أغلب المخلوقات محوياً بل هو غير محوى بشىء، تعالى الله عن ذلك.

ولا يظن بالشيخ أنه يقول: إن الله ليس داخل العالم ولا خارجه، بل مراده أنه منزه عن أن يحيط به شىء من مخلوقاته، وأن يكون مفتقراً إلى شىء منها كالعرش أو غيره.

* فإن أراد أنه محوى بأمر وجودى فممنوع، فإن العالم ليس فى عالم آخر وإلا لزم التسلسل].

سؤال: ما هو مقصود الطحاوى بالجهات الستة؟.

جواب: أما لفظ الجهة: فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم. فإذا أريد بها أمر موجود غير الله كان مخلوقاً والله لا يحصره شىء، ولا يحيط به شىء من المخلوقات. وإن أريد بها أمر عدمى وهو ما فوق العالم فليس هناك إلا الله وحده. فإذا قيل: إنه فى جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح، ومعناه أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع عال عليه. ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفى العلو يذكرون من أدلتهم أن الجهات كلها مخلوقة وأنه كان قبل الجهات، وأن القول بالجهة يلزمه القول بقدم شىء من العالم، وأنه كان مستغنياً عن الجهة ثم صار فيها.

وهذه العبارات تدل على أنه ليس فى شىء من المخلوقات سواء سمى جهة أو لم يسم، وهذا حق، ولكن الجهة ليست أمراً وجودياً بل أمر اعتبارى، ولا شك أن الجهات لا نهاية لها وما لا يوجد فى ما لا نهاية له فليس بموجود[1].

قوله: «والمعراج حق....».

«**المعراج**» مفعال، من العروج، أى: الآلة التى يعرج فيها، أى يصعد، لكن لا نعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته.

سؤال: هل يثبت الإسراء والمعراج لنبينا ﷺ، باليقظة بروحه وجسده، ومرة واحدة.؟

جواب: اختلف الناس فى الإسراء، فقيل: كان الإسراء بروحه، ولم يُفقَد جَسَدُه. وقيل: كان الإسراء مرتين، مرة يقظةً، ومرة مناماً، وقيل: مرة قبل الوحى ومرة بعده! ومنهم من قال: بل ثلاثَ مرات: مرةٌ قبل الوحى، ومرتين بعده!!

والذى عليه أئمة النقل: أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، قبل الهجرة بسنة، وقيل:

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

بسنة وشهرين، ذكره ابن عبدالبر. قال ابن القيم: يا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه كان مراراً! وكيف ساغ لهم أن يظنوا أنه فى كل مرة تفرض عليهم الصلوات خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمساً، فيقول: «أمضيتُ فريضتى، وخففت عن عبادى»(١)، ثم يعيدها فى المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطُّها إلى خمس؟! اهـ.

ومن حديث الإسراء: «أنه ﷺ أُسرِىَ بجسده فى اليقظة على الصحيح، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق، صحبه جبريل ـ عليه السلام ـ ، فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماماً، وربط البراق بحلقة باب المسجد، ثم عُرِجَ به من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل، ففتح له، فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح له، فرأى فيها يحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم، فلقيهما فسلم عليهما فردا عليه السلام، ورحبا به، وأقرا بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف، فسلم عليه فرد عليه السلام فرحب به، وأقر بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس فسلم عليه، ورحب به، وأقر بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء الخامسة فرأى فيها هارون بن عمران فسلم عليه، ورحب به، وأقر بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء السادسة، فلقى فيها موسى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى، ثم عرج به إلى السماء السابعة فلقى فيها إبراهيم فسلم عليه ورحب به، وأقر بنبوته، ثم رُفع إلى سدرة المنتهى، ثم رُفِعَ له البيتُ المعمورُ، ثم عُرج به إلى الجبار جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر على موسى، فقال: بما أُمرت؟ قال: بخمسين صلاة، فقال: إن أُمتك لا تطيق ذلك، إرجع إلى ربِّك، فاسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك، فأشار أن: نعم ، إن شئت، فعلا به جبريل حتى أتى به الجبار تبارك وتعالى وهو فى مكانه ـ هذا لفظ البخارى فى صحيحه، وفى بعض الطرق ـ فوضع عنه عشراً، ثم نزل حتى مَرَّ بموسى فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى، حتى جعلها خمساً، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: قد استحييت من ربى ولكن أرضى وأسلم، فلما نَفَذَ، نادى منادٍ: قد أمضيتُ فريضتى وخَفَّفْتُ عن عبادى»(٢).

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى فى «بدء الخلق»/ باب: ذكر الملائكة (٦/ ٣٤٨/ ح٣٢٠٧)ومسلم فى «الإيمان»/ باب: الإسراء برسول الله ﷺ (١/ ٤٩٠/ ح٢٦٤).

(٢) تقدم قريباً.

«وَالحَوْضُ ـ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لأُمَّتِه ـ حَقٌّ».

ومما يدل على أن الإسراء بجسده فى اليقظة، قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١]. والعبد عبارة عن مجموعة الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح.

سؤال: ما الحكمة فى الإسراء إلى بيت المقدس أولاً؟

جواب: وأما الحكمة فى الإسراء إلى بيت المقدس أولاً فهى إظهار صدقه ﷺ فى دعوى المعراج، حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم، وأخبرهم عن عيرهم التى مر عليها فى طريقه، ولو كان العروج إلى السماء مباشرة ما حصل ذلك، إذ لا يمكن اطلاعهم على ما فى السماء لو أخبرهم عنه وقد اطلعوا على بيت المقدس فأخبرهم بنعته(١).

سؤال: ترجيحُ رؤية النبى ﷺ لربه بقلبه، دون عينه، هل هذه العبارة صحيحة؟

جواب: قد تقدم ذكرُ اختلاف الصحابة فى رؤيته ﷺ ربَّه عز وجل بعين رأسه، وأن الصحيح أنه رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه، وقولُه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[النجم:١١]. ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم:١٣]. صح عن النبى ﷺ أن هذا المرئىَّ جبريل، رآه مرتين على صورته التى خُلق عليها، مرة فى الأرض، ومرةً عند سدرة المنتهى.

سؤال: ما الفرق بين الدنوّ الذى فى سورة النجم، والدنوّ الذى فى قصة الإسراء؟

جواب: ويلاحظ أن الدنوّ والتدلّى الذى فى سورة النجم راجع إلى جبريل، كما قالت عائشة وابن مسعود: فإنه قال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم:٥ ـ٨]. فالضمائر كلها راجعة إلى جبريل. وأما الذى فى حديث الإسراء فإن النص صريح فى أنه دنوّ الرب وتدلّيه(٢).

قوله: «والحوض الذى أكرمه الله تعالى به...».

سؤال: اذكر صفات الحوض ملخصة من الأحاديث الوارده؟

جواب: قال رسول الله ﷺ: «**إن قَدْرَ حوضى كما بين أَيْلَةَ(*) إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريقِ كعدد نجوم السماء**»(٣). وقوله «**لَيَرِدَنَّ علىَّ ناسٌ من أصحابى الحوضَ، حتى إذا**

---

(١)، (٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(*) متفق عليه. و«أيلة» مدينة على ساحل بحر القُلْزُم مِمَّا يلى الشام؛ وقيل: هى آخر الحجاز وأول الشام. (معجم البلدان).

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخارى فى «الرقاق»/ باب: فى الحوض (١١/ ٤٧٢/ ح٦٥٨٠) ومسلم فى «الفضائل»/ باب: إثبات حوض نبينا ﷺ (٨/ ٦٥/ ح٢٣٠٣) من حديث أنس ـ رضى الله عنه.

عرفتُهم اختُلجوا دونى، فأقول: أصحابى، فيقولُ لا تدرى ما أحدَثوا بعدَك»[1].

وعن أنس بن مالك، قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءةَ فرفع رأسه مبتسماً إمَّا قال لهم، وإمَّا قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه نزلَت علىَّ آنفاً سورة، فقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها، ثم قال: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هو نهر أعطانيه ربى ـ عز وجل ـ فى الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يُختلج العبدُ منهم، فأقول: يا رب، إنه من أمتى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك»[2]. وقال ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض». وقال «إنى فرطكم على الحوض من مر علىَّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن علىَّ أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم»[3].

والفَرط: الذى يسبق إلى الماء.

والراجح أن الحوض فى العَرصَات قبل الصراط، لأنه يُختلَجُ عنه، ويُمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط.

سؤال: أيهما قبل الآخر الميزان أم الحوض؟.

جواب: [واختلف فى الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل الميزان، وقيل الحوض، والصحيح أن الحوض قبل الميزان، واختاره القرطبى. قال رحمه الله: (. . . .والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، فيقدم قبل الميزان والصراط). واختاره أيضاً أبو حامد الغزالى][4].

سؤال: اذكر صفات الحوض ملخصة: من الأحاديث الواردة.

جواب: يتلخص من الأحاديث الواردة فى صفة الحوض: أنه حوضٌ عظيم ومورِدٌ كريم، يُمَدُّ من شراب الجنة، من نهر الكوثر الذى هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرَدُ من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيبُ ريحاً من المسك، وهو فى غاية الإتساع، عَرْضُه وطولُه سواء كل زاوية من زواياه

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى فى «الرقاق»/ باب: فى الحوض (١١/ ٤٧٢/ ح٦٥٨٢) ومسلم فى «الفضائل»/ باب: إثبات حوض نبينا ﷺ (٨/ ٦٦/ ح٢٣٠٤) من حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم فى «الصلاة»/ باب: حجة من قال: البسملة آية (٣/ ٣٤٨/ ح٤٠٠) وأبو داود فى «السنة»/ باب: فى الحوض (٤/ ٢٣٧/ ح٤٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه.

(٣) [صحيح] أخرجه البخارى فى «الفتن»/ باب: ما جاء فى قول الله تعالى ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ (٣/ ٦/ ح٧٠٥٠ ـ ٧٠٥١) من حديث سهل بن سعد. وانظر كتابنا «٢٠٠ سؤال وجواب فى الإيمان».

(٤) انظر «تقريب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

«وَالشَّفاعةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الأَخْبَارِ».

مسيرة شهر، فسبحان الخالق الذى لا يُعجزه شيء. وقد وردَ فى أحاديث: «إن لكل نبيٍّ حوضاً وإن حوضَ نبينا ﷺ أعظمُها وأجلها وأكثرها وارداً»(١). جعلنا الله منهم بفضله وكرمه.

قوله: «والشفاعة التى ادخرها لهم حق....».

سؤال: اذكر أحاديث الشفاعة أو بعضها؟

جواب: عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامة، وهل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعضُ الناس لبعض: أبوكُم آدمُ، فيأتون آدَمَ: فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك اللهُ بيده، ونفخَ فيك من رُوحه، وأمَر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغنا؟ فيقول آدم: إن ربى قد غَضِبَ اليوم غضباً لم يغضب قبله مِثْلَهُ، ولن يغضب بعده مثلَهُ، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيتُ، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى نوحٍ، فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أولُ الرسُل إلى أهل الأرض، وسماك اللهُ عبداً شكوراً فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغنا؟ فيقول نوح: إن ربى قد غَضِبَ اليوم غضباً لم يغضب قبله مِثْلَهُ، ولن يغضب بعده مثلَهُ، وإنه كانت لى دعوةٌ دعوتُ بها على قومى، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم ، أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغنا؟ فيقول: إن ربى قد غَضِبَ اليوم غضباً لم يغضب قبله مِثْلَهُ، ولن يغضب بعده مثلَهُ، وذكر كذباته، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسولُ الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربى قد غَضِبَ اليوم غضباً لم يغضب قبله مِثْلَهُ، ولن يغضب بعده مثلَهُ، وإنى قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ـ قال: هكذا هو ـ وكلمتَ الناس فى المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربى قد غَضِبَ اليوم غضباً لم يغضب قبله مِثْلَهُ، ولن يغضب بعده مثلَهُ، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتونى، فيقولون: يا محمدَ، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغنا؟ فأقومُ فآتى تحت العرش، فأقع

---

(١) أخرجه الترمذى (٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) والبخارى فى «التاريخ الكبير» (١/ ١ ٤٤) وانظر كتابنا «... سؤال وجواب فى الإيمان».

ساجداً لربى ـ عز وجل ـ ، ثم يفتح الله على، ويلهمنى من محامده، وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلى: فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تُعطَه، اشفَعْ تُشفَّع، فأقول : يا رب أمتى أمتى، يا رب أمتى أمتى، يا رب أمتى أمتى، فيقال: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب»(١).

وممن يشفع لهم النبىﷺ يوم القيامة، شفاعته فى أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النارَ، فيخرجون منها، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»(٢).

ومن حديث أنس أيضاً: «فيُقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، واشفع تشفَّع، وسلْ تُعطَه، فأقول: يا رب، أمتى أمتى، فيقال: انطلق فأخرج من كان فى قلبه مثقالُ شعيرةٍ من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيُقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، واشفع تشفع، وسلْ تُعطه، فأقول : يا رب، أمتى أمتى، فيقال: انطلق فأخرج من كان فى قلبه مثقالُ ذرةٍ أو خردَلةٍ من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمد بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقول: يا محمد، ارفع رأسك وقل يُسمع لك، وسلْ تُعطه، واشفع تشفع، فأقول يا رب أمتى أمتى، فيقول: انطلق فأخرج من كان فى قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول : يا رب ائذن لى فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقال: وعزتى وجلالى، وكبريائى وعظمتى، لأُخرِجَنَّ منها من قال: لا إله إلا الله»(٣).

ومن حديث أبى سعيد مرفوعاً، قال: «فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المسلمون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط»(٤).

سؤال: ما حكم التوسل بالأنبياء والصالحين إلى الله تعالى.؟

جواب: فإن الداعى تارة يقول: بحق نبيك؛ أو بحق فلان، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته، فهذا محذور من وجهين: أحدهما: أنه أقسم بغير الله. والثانى: اعتقاده أن لأحد على الله حقاً. ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه، كقوله

(١) تقدم تخريجه. (٢) أخرجه ابن أبى عاصم (٨٣٢).

(٣) أخرجه ابن أبى عاصم فى «السنة» (٨٠٤).

(٤) [صحيح] أخرجه مسلم فى «الإيمان»/ باب: معرفة طريق الرؤية (٢/ ٢٤/ ح١٨٣) من حديث أبى سعيد ـ رضى الله عنه.

تعالى: ﴿وكان حقًا علينا نصر المؤمنين﴾[الروم:٤٧]. وكذلك قوله ﷺ لمعاذ: «**يا معاذ، أتدرى ما حقُّ الله على عباده؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقَّه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدرى ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حَقَّهم عليه أن لا يعذِّبَهم**»(١). فهذا حقٌّ وجب بكلماته التامة ووعده الصادق، لا أن العبد نفسه يستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق.

وإن كان مُرادُه الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور أيضاً، لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق؟! وقد قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(٢). ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه ـ رضى الله عنهم ـ : يُكره أن يقول الداعى: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت، وبحق البيت الحرام، ونحو ذلك، وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، لم ينقل عن النبى ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة ـ رضى الله عنهم ـ، والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع، لا على الهوى والابتداع.

وتارة يقول: بجاه فلان عندك، أو يقول: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك ومراده: لأن فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة، فأجب دعاءنا، وهذا أيضاً محذور، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذى كان الصحابة يفعلونه فى حياة النبى ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون فى حياته بدعائه، يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يُؤمِّنُون على دعائه، كما فى الاستسقاء وغيره، فلما مات ﷺ، قال عمر ـ رضى الله عنه ـ لما خرجوا يستسقون ـ : «اللهم إنا كنا إذا أُجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا»(٣) معناه بدعائه هو ربَّهُ وشفاعته وسؤاله، ليس المراد أن نقسم عليك به، أونسألك بجاهه عندك، إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبى ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس.

سؤال: ما هو التوسُّل المشروع .؟

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «التوحيد»/ باب: دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله ـ عز وجل ـ (١٣/ ٣٥٩/ ح٧٣٧٣) ومسلم فى «الإيمان»/ باب: من مات على التوحيد (١/ ١/ ٢٣٢ ـ النووى) من حديث معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ.

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (١/ ٤٧) وأبو داود فى «الإيمان والنذر»/ باب: كراهية الحلف بالآباء (٣/ ٢٢٠/ ح٣٢٥١) من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما.
وانظر «رياض الصالحين (ح١٧١٤) بتخريجنا.

(٣) [**صحيح**] أخرجه البخارى فى «الاستسقاء»/ باب: سؤال الناس الإمام الاستقاء (٢/ ٥٧٤/ ١٠١٠) من طريق الحسن بن محمد قال: حدثنا محمد بن عبدالله الأنصارى قال: حدثنى أبى عبدالله بن المثنى ثمامة ابن عبدالله بن أنس «أن عمر بن الخطاب... فذكره».

«وَالمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ».

جواب: التوسل المشروع بالأعمال الصالحة مثل أن نقول باتباعى لرسولك ومحبتى له، وإيمانى به وبسائر أنبيائك ورسلك وتصديقى لهم، ونحو ذلك، فهذا من أحسن ما يكون من الدعاء والتوسل والاستشفاع. كما فى حديث الثلاثة الذين أَوَوْا إلى الغار، فإن الصخرة انطبقت عليهم فتوسلوا إلى الله بذكر أعمالهم الصالحة، وكل واحد منهم يقول: فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرُج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرةُ فخرجوا يمشون(١). فهؤلاء دعَوا اللهَ بصالح الأعمال، لأن الأعمال الصالحة هى أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله، ويتوجه به إليه، ويسأله به.

سؤال: الشفاعةُ عند الله ليست كالشفاعة عند البشر وضح ذلك مع التدليل؟

جواب: ذلك أن الشفيعَ عند البشر كما أنه شافعٌ للطالب شفعه فى الطلب، بمعنى أنه صار به شَفْعاً فيه بعد أن كانَ وتراً، فهو أيضاً قد شفعَ المشفُوعَ إليه، فبشفاعته بعد أن كان وِتْراً، فهو أيضاً قد شَفَعَ الطالبَ والمطلوبَ منه، والله تعالى وِتْرٌ، لا يشفعه أحدٌ، فلا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، فالأمر كله لله، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**﴾ [آل عمران: ١٥٤]. ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران: ١٢٨]. ﴿**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾ [الأعراف: ٥٤].

وفى الحديث عن النبى ﷺ قال: «**يا بنى عبد المناف، لا أملك لكم من الله من شىء، يا صفية ـ عمَّة رسول الله ـ لا أملك لك من الله من شىء، يا عباس ـ عمَّ رسول الله ـ، لا أملكُ لك من الله شىء**»(٢). فإذا كان سيد الخلق وأفضل الشفعاء يقول لأخص الناس به: « » فما الظن بغيره؟!.

قوله: «والميثاق الذى أخذه الله تعالى...».

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٧٢]. يخبر سبحانه أنه استخرج ذريَّةَ بنى آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن اللهَ ربَّهم ومليكُهم، وأنه لا إله إلا هو.

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «البيوع»/ باب: إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرض (٤/ ٤٧٧/ ح٢٢١٥ ـ الفتح) ومسلم فى «الرقاق»/ باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة (١٧١٦ / ٥٦ ـ النووى) من حديث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه.
وانظر «رياض الصالحين» (ح١٣) بتخريجنا.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «الوصايا»/ باب: هل يدخل النساء والولد والأقارب (٥/ ٤٤٩/ ح٢٧٥٣) ومسلم فى «الإيمان»/ باب: بيان أن من مات على الكفر فهو فى النار» (٢/ ٨١/ ح٢٠٤).

سؤال : ما معنى قوله: ﴿شَهِدْنَا﴾ فى الآية الكريمة .؟

جواب : أى قالوا : شهدنا أنك ربنا، وهذا قول ابن عباس وأُبَى بن كعب، وقال ابن عباس أيضاً: أشهد بعضهم على بعض.

وقيل: ﴿شَهِدْنَا﴾ من قول الملائكة. والوقف على قوله: ﴿بَلَى﴾ . وهو قول مجاهد والضحاك والسدى.

وقال السدى أيضاً: هو خبر من الله عن نفسه وملائكته: أنهم شهدوا على إقرار بنى آدم.

والأول أظهر(١).

وعن ابن عباس، عن النبى ﷺ ، قال: «**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم ـ عليه السلام ـ بنعمان ـ يعنى عرفه ـ فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرها بين يديه، ثم كلَّمَهُم قُبُلاً، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ إلى قوله: ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾**(٢).

وعن أنس بن مالك، عن النبى ﷺ ، قال: «**يُقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شىء، أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيقول: قد أردت منك أهونَ من ذلك، قد أخذت عليك فى ظهر آدم أن لا تُشرك بى شيئاً، فأبيتَ إلا أن تُشرك بى**»(٣).

[وروى الإمام أحمد أيضاً عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ، أنه سئل عن هذه الآية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال: «إن الله خلق آدم ـ عليه السلام ـ ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون. . .»(٤) الحديث رواه أبو داود والترمذى، والنسائى، وابن أبى حاتم، وابن حبان فى صحيحه](٥).

سؤال : اذكر خلاف العلماء فى فهم آية الميثاق .

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (١/ ٢٧٢) ح (٢٤٥٥)، والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٥٤٤) وابن أبى عاصم (ح٢٠٢) وقال الألبانى: [إسناده حسن].

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «أحاديث الأنبياء»/ باب: «خلق آدم وذريته» (٦/ ٤١٩/ ح٣٣٣٤)ومسلم فى «صفة القيامة»/ باب: طلب الكافر النداء بملء الأرض ذهبا» (٩/ ١٦١/ ح٢٨٠٥) من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ.

(٤) أخرجه أحمد فى «مسنده» (١/ ٤٤) (ح٣١١) وأبو داود فى «السنة» (٤/ ٢٢٦/ ٤٧٠٣) قال الألبانى: [إسناده منقطع].

(٥) انظر تهذيب الطحاوية د/ الصاوي.

جواب : اختلف العلماء فى فهم هذه الآية:

القول الأول: إن المراد بالإشهاد فى هذه الآية، هو فطرتهم على التوحيد، فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، كما قال تعالى فى السماوات والأرض: ﴿**قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ [فصلت:١١].

القول الثانى: إنه إشهاد حقيقى مقالى، وإن الله أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وجعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها. وهذا القول الأخير يتضمن أمرين عجيبين:

الأول: كون الناس تكلموا حينئذ، وأقروا بالإيمان، وأنه بهذا تقوم عليهم الحجة يوم القيامة.

الثانى: أن الآية دلت على ذلك(١).

سؤال : ناقش القول الثانى؟ وبين الراجح من القولين السابقين؟ .

جواب : لا تدل الآية الكريمة على هذا الرأى، وذلك من عدة أوجه:

ـ فقد قال تعالى: ﴿**من بنى آدم**﴾، ولم يقل: (من آدم)، وقال: ﴿ **من ظُهُورِهِمْ** ﴾، ولم يقل: (من ظهره)، وقال: ﴿**ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾، ولم يقل: (ذريته).

ـ ولأن الله عز وجل ذكر الحكمة من هذا الإشهاد، وهى: لئلا يَدَّعوا الغفلة، أو يَدَّعوا التقليد، ولا تترتب هاتان الحكمتان إلا على ما قامت به الحجة من الرسل والفطرة، أما هذا الإشهاد، فإن الناس غافلون عنه، ولا يذكره أحد منهم، فلا تقوم به حجة.

ـ ومن ناحية أخرى، فإن الله ـ عز وجل ـ جعل ذلك من آياته، والآية هى الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها، وإنما ذلك بالفطرة التى فطر الناس عليها.

رجحان الرأى الأول:

من أجل ذلك مال كثير من العلماء إلى تفسير الإشهاد فى هذه الآية بالفطر على التوحيد(٢).

سؤال : وضح كيف يكون التوحيد أمرٌ فطرى، والشرك مكتسبٌ طارئ .؟

جواب : ولا شك أن الإقرار بالربوبية أمرٌ فطرى، والشركَ حادثٌ طارئ، والأبناء تقلدوه عن الآباء، فإذا احتجُّوا يومَ القيامة بأن الآباءَ أشركوا، ونحن جرينا على عادتهم، كما يجرى الناس على عادة آبائهم فى المطاعم والملابس والمساكن، يُقال لهم: أنتم كنتم مُعترفين بالصَّانع، مقرين بأن الله ربُّكم لا شريك له، وقد شهدتم بذلك على أنفسكم فلِمَ عدلتم عن هذه المعرفة والإقرار الذى شهدتم به على أنفسكم إلى الشرك؟! بل عدَلْتُم عن المعلومِ المتيقَّن إلى ما لا يعلم له حقيقة، تقليداً لمن لا حُجَّة معه.

(١)، (٢) انظر «تقريب الطحاوية» (د/ صلاح الصاوى.

«وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النارَ، جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلاَ يُزادُ فِى ذَلِكَ العَدَدُ وَلاَ يَنْقُصُ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهم فِيما عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ».

سؤال: «يجب اتباع الرسل فى الدين دون الآباء» اشرح هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟

جواب: إن كان الآباءُ مخالفين للرسل، كان عليه أن يَتبعَ الرسلَ، كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨]. فمن اتبع دين آبائه بغير بصيرة وعلم، بل يعدل عن الحقِّ المعلوم إليه، فهذا اتبع هواهُ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وهذه حالُ كثيرٍ من الناس من الذين ولدوا على الإسلام، يتَّبعُ أحَدُهم أباه فيما كان عليه من اعتقاد ومذهب، وإن كان خطأ ليس هو فيه على بصيرةٍ، بل هو من مُسلِمَةِ الدار، لا مسلمة الاختيار، وهذا إذا قيل له فى قبره، من ربك؟ قال: هاه هاه، لا أدرى، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلتُه.

فليتأمل اللبيبُ هذا المحلَّ، ولينصحْ نفسَهُ، وليَقُم لله، ولينظر من أى الفريقين هو، والله الموفق.

قوله: «وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة...».

سؤال: برهن للمصنف فيما قال؟

صيغة أخرى: بما برهن المصنف على ما قال؟

جواب: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنفال: ٧٥]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤]. فالله تعالى موصوف بأنه بكل شئ عليم أزلاً وأبداً. وعن على - رضى الله عنه - قال: كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد، فأتانا رسولُ الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مَخْصَرَةٌ فنكس رأسه، فجعل ينكُتُ بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد ما من نفْسٍ منفوسةٍ إلا قد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كُتِبت شقيَّةٌ أو سعيدةٌ، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا وندَعُ العمل؟ فقال: من كان من أهل السعادة فسيصيرُ إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، قال: اعملوا فكلٌ مُيسَّرٌ لما خُلِق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا

«وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَالأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ».

مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠](١).

قوله: «وكل ميسرٌ لما خلق له...».

سؤال: اشرح هذه العبارة من خلال أحاديث الرسول (ﷺ).

جواب: تقدم قوله ﷺ: «**أعملوا فكل ميُسرٌ لِمَاخُلِقَ له**». وعن جابر بن عبد الله، قال: جاء سراقة بن مالك بن جُعْشُم فقال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما يُستقبَلُ؟ قال: **لا، بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير** قال: ففيم العمل؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر**»(٢).

وقال ﷺ: «**إن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**»(٣).

وزاد البخاري: «**وإنما الأعمال بالخواتيم**»(٤).

وقال ﷺ: «**إن أحدكُم يُجمعُ خلقُه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً، ثم علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يُكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أم سعيد، فوالذي لا إله غيرُه، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبقُ عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، فيسبقُ عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**(٥).

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري في «الجنائز»/ باب: موعظة المحدث عند القبر (٣/ ٢٦٧/ ح١٣٦٢) ومسلم في «القدر»/ باب: كيفية الخلق الآدمي (٨/ ٤٤٣/ ح٢٦٤٧) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم في «القدر»/ باب: كيفية الخلق الآدمي (٨/ ٤٤٤/ ح٢٦٤٨) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري في «الجهاد والسير»/ باب: لا يقول فلان شهيد (٦/ ١٠٥/ ح٢٨٩٨) ومسلم في «الإيمان»/ باب: بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١/ ٣٩٧/ ح١١٢). من حديث سهل بن سعد الساعدي.

(٤) ما قبله.

(٥) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري في «بدء الخلق»/ باب: ذكر الملائكة (٦/ ٣٥٠/ ح٣٢٠٨، ٣٣٣٤، ٧٤٥٤) ومسلم في «القدر»/ باب: كيفية خلق الآدمي (١٦١٦/ ١٨٩ ـ النووي) من حديث ابن مسعود. وانظر «رياض الصالحين» (ح٣٩٧) بتخريجنا.

«وأَصْلُ القَدَرِ سرُّ الله تَعَالَى فِى خَلْقِه، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِىٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظرُ فِى ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الخِذْلاَنِ، وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَراً وَفِكْراً وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ القَدَرِ عَنْ أَنَامِه، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِه، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِى كِتَابِه: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]. فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ، كَانَ مِنَ الكَافِرِينَ».

قوله: «وأصل القدر سر الله تعالى فى خلقه...».

أصل القدر سر الله فى خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضلّ وهدى. قال على ـ رضى الله عنه ـ : القدر سرالله، فلا تكشفه.

سؤال : وضح عقيدةُ أهل السّنة والجماعة فى القدرَ؟

جواب : الذى عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شئ بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالقُ أفعال العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاهُ ولايحبهُ، فيشاؤه كونا، ولا يرضاه دينا.

وخالف فى ذلك القدرية المعتزلة، وزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر ـ فروا إلى هذا، لئلاّ يقولوا : شاء الكفر من الكافر، وعذبه عليه! فإنهم هربوا من شئ فوقعوا فيما هو شرٌّ منه، فإنه يلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه ـ على قولهم ـ والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى! وهذا من أقبح الإعتقاد، وهو قولٌ لا دليل عليه.

روى عمرُ بن الهيثم، قال: خرجنا فى سفينة، وصحبنا فيها قدريٌّ ومجوسىّ، فقال القدرى للمجوسى: أسلم، قال المجوسى: حتى يريدَ الله، فقال القدريُّ: إن الله يريد، ولكن الشيطان لا يريد، قال المجوسى : أراد الله، وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان! فأنا مع أقواهما!!

وقف أعرابى على حلقة فيها عمرو بن عبيد، فقال : ياهؤلاء، إن ناقتى سُرِقت، فادعوا الله أن يردها علىَّ، فقال عمرو بن عبيد: اللهمَّ إنك لم تُرد أن تُسرق ناقته فسرقت، فاردُدْها عليه، فقال الأعرابىُّ : لا حاجة لى فى دعائك. قال : ولم؟ قال: أخاف ـ كماأراد أن لا تسرق فسرقت ـ أن يريد ردها فلا تُرَدُّ !!

فمنشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبَّة والرضى.

[* فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا :

* فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره يكون محبوباً له.

* وقالت القدرية النفاة : ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له فهي ليست مقدرة ولا مقضية، بل خارجة عن مشيئته وخلقه](١).

سؤال: اذكر الدليلُ من الكتاب والسنة على الفَرْقِ بين المشيئة والمحبة؟

جواب: أما نصوص المشيئة والإرادة من الكتاب، فقد قال تعالى: ﴿**ولَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**﴾ [السجدة:١٣]. ﴿**ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[يونس:٩٩]. ﴿**مَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير:٢٩]. ﴿**مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الأنعام:٣٩].

وأما نصوصُ المحبّةوالرضى، فقال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ [البقرة:٢٠٥]. ﴿**وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ [الزمر:٧]. وقال تعالى، عقب ما نهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكبر: ﴿**كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً**﴾ [الإسراء:٣٨]. وفي الحديث، عن النبي ﷺ: «**إن الله كَرِهَ لكم ثلاثاً: قيلَ وقال، وكَثرةَ السؤال،وإضاعة المال**»(٢).

وفي (الحديث): «**إن الله يحبُّ أن يُؤخذَ برخصه، كما يكرهُ أن تؤتى معصيته**»(٣).

سؤال: كيف نرد على من قال كيف يريد؟

جواب: فإن قيل: كيف يريدُ الله أمراً ولا يرضاه ولايحبه؟ وكيف يشاؤه ويكونه؟ وكيف يجتمع إرادته له وبُغضهُ وكراهته؟

فاعلم أن المراد نوعان: مرادٌ لنفسه، ومراد لغيره. فالمراد لنفسه مطلوب محبوبٌ لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادةَ الغايات والمقاصد. والمرادُ لغيره، قد لايكون مقصوداً للمريد، ولافيه مصلحةٌ له بالنظر إلى ذاته، إن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده فهو مكروه له من حيثُ نفسه وذاته، مُرادٌ له من حيثُ إفضائه وإيصاله إلى مراده. فيجتمع فيه. الأمران :بغضه وإرادته. وهذا كالدواء الكريه، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءَهُ ، وقَطْع العضو المتآكل إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، كقطع المسافة الشاقة إذا علم أنها توصلُ إلى مُراده ومحبوبه. فهو سبحانه يكره الشئ، ولايُنافي ذلك إرادتهُ لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فَوْته.

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ الصاوى.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم في «الأقضية»/ باب: النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة (٤/ ١٢/ ١٠ ـ النووى) من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه وانظر «رياض الصالحين» (ح١٧٨٤) بتخريجنا.

(٣) [صحيح] أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٠٨) وابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ٢٥٩/ ٢٠٢٧) وانظر «منار السبيل» (ح ٦٢٠) بتخريجنا.

من ذلك: أنه خلق إبليس، الذى هو مادةٌ لفساد الأديان والأعمال والإعتقادات والإرادات، وهو سببٌ لشقاوة كثيرٍ من العباد، وعملهم بما يغضب الربَّ تبارك وتعالى، ومع هذا فهو وسيلةٌ إلى محابَّ كثيرةٍ للرب ترتبت على خلقه، ووجودُها أحبُّ إليه من عدمها: منها: أنه تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات التى هى أخبث الذوات وشرُّها، وهى سبب كل شرٍّ فى مقابلة ذات جبريل، والتى هى من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهى مادة كل خير، فتبارك خالق هذا وهذا. كما ظهرت قدرتهُ فى خلق الليل والنهار، والداء والدواء والحياة والموت، والحسن والقبيح، والخير والشر. وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه. فخلوُّ الوجود عن بعضها بالكلية تعطيلٌ لحكمته، وكمال تصرُّفه، وتدبير مملكته.

ومنها: ظهور آثار أسماءه القهرية، مثلُ: القهار، والمنتقم، والعدل، والضَّار، والشديد العقاب، والسريع الحساب، وذى البطش الشديد، والخافض، والمذلّ، فإن هذه الأسماء والأفعال كمالٌ، لابد من وجود متعلّقهَا ولو كان الجنُّ والإنسُ على طبيعة الملائكة لم يظهرْ أثرُ هذه الأسماء.

ومنها: ظهورُ آثار أسمائه المُتضمّنة لحلْمه وعفوه ومَغْفرَته وسترْه وتجاوزه عن حقّه وعَتْقه لمنْ شاء منْ عبيده، فلولا خَلْقُ ما يكرههُ من الأسباب المُفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماءلتعطلت هذه الحكم والفوائدُ، وقد أشار النبى ﷺ إلى هذا بقوله: «**لوْ لم تذنبوا،لَذَهبَ الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبونَ،ويستغفرونَ فيغفرُ لَهُم**»(١).

ومنها: ظهورُ آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير، الذى يضعُ الأشياء مواضعها ويُنزلُها منازلها اللائقة بها، فهو أعلم حيث يجعلُ رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه، وأعلمُ بمن لا يصلُحُ لذلك. فلو قدَّر عدمُ الأسباب المكروهة، لتعطلت حكمٌ كثيرة، ولفاتتْ مصالحٌ عديدةٌ، ولو عطلت تلك الأسبابُ لما فيها من الشرِّ، لتعطل الخيرُ الذى هو أعظم من الشرِّالذى فى تلك الأسباب، وهذا: كالشمس، والمطر، والرياح، التى فيها من المصالح ما هو أضعافُ أضعاف ما يحصل بها من الشر.

ومنها: حُصولُ العبودية المتنوعة التى لولا خَلْقُ إبليس لَمَا حصلَتْ، فإنَّ عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناسُ كلُّهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله سبحانه تعالى، والمعاداة فيه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعبودية الصبر، ومخالفة الهوى، وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الإستعاذة بالله أن

---

١) [**صحيح**] أخرجه مسلم فى «التوبة»/ باب: فضل دوام الذكر (٩/ ٧٦/ ح٢٧٤٩) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه.

يجيره منْ عدوه، ويعصمهُ منْ كيده وأذاه. إلى غير ذلك من الحكم التى تعجزُ العقولُ عن إدراكها.

فإن قيل: فهل كان يُمْكنُ وجودَ تلكَ الحكمَ بدون هذه الأسباب؟

فهذا سؤالٌ فاسدٌ! وهو فرضُ وجود الملزوم بدون لازمه، كفرضِ وجود الابن بدون الأبِ، والحركَةِ بدون المتحرك، والتوبة بدون التائب.

فإن قيل: كيف يرضى لعبده شيئاً ولا يُعينه عليه؟قيل: لأنَّ إعانتهُ عليه قد تستلزمُ فوات محبوب له أعظم منْ حُصول تلكَ الطاعة التى رضيها له، وقد يكونُ وقوعُ تلكَ الطاعة منه يتَضمَّنُ مَفْسدةً هى أكره إليه سبحانه منْ محبته لتلكَ الطاعة. وقد أشارَ تعالى إلى ذلك فى قوله: ﴿**ولَوْ أَرادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ولَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ**﴾[التوبة:٤٦ ـ٤٧]. فأخبرَ سبحانه أنه كَرِهَ انبعاثهُم إلى الغزو مع رسوله، وهو طاعة، فلما كَرِهَهُ منهم ثبَّطَهُمْ عنه،ثمَّ ذكر سبحانه بعض المفاسد التى كانت تترتبُ على خروجهم مع رسوله، فقال: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً**﴾ أى: فساداً وشراً، ﴿**ولأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ**﴾، أى: سَعَوْا بينكم بالفساد والشرَّ، ﴿**يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ**﴾، أى: قابلونَ منهم مستجيبونَ لهم، فيتولدُ منْ سَعْى هؤلاء وقبول هؤلاء من الشرّ ما هو أعظَمُ منْ مصلحةِ خروجهم، فاقتضت الحكمةُ والرحمةُ أنْ أقعدَهم عنه. فاجعلْ هذاالمثالَ أصلاً، وقسْ عليه.

فإنْ قيلَ: إذا كانَ الكُفْرُ بقضاء الله وقَدَره، ونحنُ مأمورون أنْ نرضى بقضاء الله، فكيفَ ننكرُهُ ونكرّهُه؟!

فالجوابُ: أن يُقالَ.

أوّلاً: نحنُ غَيْرُ مأمورين بالرضى بكُلِّ ما يقضيه الله ويُقدّرُهُ، ولم يَرِدْ بذلك كتابٌ ولاسُنّةٌ، بل من المقضىّ ما يُرضى به، ومنه ما يُسْخط ويُمْقَتُ.

ويقالُ ثانياً: هنا أمران: قضاء الله وهو فعل قائم بذات الله تعالى، ومقضّى وهو المفعول المنفصل عنه، فالقضاء كله خير وعدل وحكمة فيرضى به كله، والمقضىّ قسمان: منه ما يرضى به، ومنه ما لا يرضى به.

ويقال ثالثا: القضاء له وجهان:أحدهما: تعلُّقُهُ بالرَّبِّ تعالى ونسبته إليه، فمن هذا الوجه يرضى به، والوجه الثانى: تعلقه بالعبد ونسبته إليه فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يرضى به وإلى ما لا يرضى به. مثالُ ذلك: قَتْلُ النفس، له اعتباران: فمن حيث قدَّرَهُ الله وقضاهُ وكَتَبَهُ وشاءَهُ،وجعلهُ

قَولُه: «وَالتَّعمُّقُ وَالنَّظرُ فى ذَلكَ ذَريعَةُ الخذْلاَن».

وَقولُه: «فَالحذَرَ كُلَّ الحَذَرِ منْ ذَلكَ نَظَراً وفكْراً ووَسْوَسَةً».

أجلاً للمقتول ونهاية لعمره، نرضى به، ومن حيثُ صَدَرَ من القاتل وباشرَهُ وكسبهُ، وأقدمَ عليه باختياره، وعصى الله بفعله، نسخطُه ولا نرضى به.

قولهُ: «والتعمُّقُ والنَّظرُ فى ذلكَ ذريعة الخذْلان»

سؤال: كيف يكون المبالَغةُ فى الكلام فى القضاء والقدر وسيلَةٌ إلى الخذلان؟

جواب: المعنى: أنَّ المبالغة فى طلب القدر والغوص فى الكلام فيه، ذريعةُ الخذلان. الذريعةُ: الوسيلة، والذريعةُ والدرجة والسُّلَّمُ، متقارب المعنى.

قوله: «فالحذر كل الحذر من ذلك...».

عن أبى هريرة، قال: جاء ناسٌ منْ أصحاب النبىِّ ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فسألوه: إنا نجدُ فى أنفسنا ما يتعاظمُ أحدُنا أن يتكلم به ؟ قال: «**وقد وجدتموُهُ ؟**» قالُوا: نعَمْ، قال: «**ذاكَ صريحُ الإيمان**»(١).

الإشارة بقوله: «**ذاك صريحُ الإيمان**» إلى تعاظمهم أن يتكلمَوا به. فمدافعة الُوسوسة الشيطانية، واستعظامها صريحُ الإيمان، ومحض الإيمان.

[* وعن عبدالله بن مسعود قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة، فقال «**تلك محض الإيمان**»](٢)(*).

هذه طريق الصحابة ـ رضى الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان، ثم خلف منْ بعْدهم خلف، سوَّدُوا الأوراقَ بتلك الوساوس، التى هى شكوكٌ وشُبَه، بل وسَوَّدوا القلوب، وجادلوا بالباطل ليُدحضوا به الحق.

سؤال: كيف نهى النبى ﷺ عن اتباع سنن اليهود والنصارى، والخوض فيما خاضوا!؟

جواب: المعنى: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر، قال: فكأنما تفقأ فى وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال: «**ما لَكُمْ تضربونَ كتابَ الله بَعْضَهُ ببعض؟! بهذا هلك منْ كانَ قبلكم**»(٣).

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم فى «الإيمان»/ باب: بيان الوسوسة فى الإيمان وما يقوله من وجدها (١/ ٤٣٠/ ح١٣٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم فى «الإيمان»/ باب: بيان الوسوسة فى الإيمان وما يقوله من وجدها (١/ ٤٣٠/ ح١٣٣) من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه.

(*) «تهذيب الطحاوية» د/ الصاوى.

(٣) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٢/ ١٧٨ ـ ١٩٦) وابن ماجه فى المقدمة» (٨٥). =

«فَمن سأل: لمَ فَعَل؟ فقَدْ ردَّ حُكْمَ الكتاب، ومَنْ رَدَّ حُكْمَ الكتاب، كانَ منَ الكافرين».

وقال تعالى: ﴿فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا﴾ [التوبه:٦٩]. الخلاقُ: النصيبُ، أى استمتَعْتم بنصيبكم منَ الدنيا، كما استمتع الذين منْ قبلكم بنصيبهم، وخضتم كالذى خاضوا. وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض، لأن فساد الدين: إماً فى العمل، وإمَّا فى الاعتقاد، فالأوَّل منْ جهة الشهوات والثانى منْ جهة الشبهات.

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «لتأخُذنَّ أُمتى مآخذَ القرُون قبلها شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراع» قالوا: فارس والروم؟ قال: «فمن الناس إلا أولئك»(١).

وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليأتينَّ على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حَذْوَ النَّعْل بالنَّعْل، حتى إنْ كان منْهُمْ مَنْ أتَى أُمهُ علانَيةً، كان فى أُمَّتى منْ يصنعُ ذلك،وإن بنى إسرائيل تفرَّقوا على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهمْ فى النار إلا ملَّة، واحدة» قالوا: منْ هى يارسُول الله ؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابى»(٢).

وعن أبى هُريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «تفرقت اليهودُ على إحْدى وسبعينَ فرْقَة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة»(٣).

وعن معاوية بن أبى سفيان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أهْلَ الكتابَيْن افترقوا فى دينهمْ على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ـ يعنى: الأهواء ـ كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة(٤).

قوله: «فمن سأل: لم فعل؟....».

سؤال: اذكر مكانة الاستسلام فى الدين؟وما ينبنى عليه؟

جواب: اعلم أن مبنى العبوديَّة والإيمان بالله وكُتُبه ورسُله، على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة فى: الأوامر، والنَّواهى، والشَّرائع، ولهذا كانَ سلفُ هذه الأمَّة، التى هى أكملُ

= وفى الزوائد: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.
وانظر كتابنا «٢٠٠ سؤال وجواب فى الإيمان».

(١) [صحيح] أخرجه البخارى فى «الاعتصام بالكتاب والسنة»/ باب: قول النبى ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم» (١٣/ ٣١٢/ ح٧٣١٩)، من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ.

(٢) أخرجه الترمذى فى «الإيمان»/ باب: ما جاء فى إفتراق هذه الأمة (٥/ ٢٦/ ح٢٦٤١) وقال: هذا حديث مُفَسَّرٌ غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.

(٣) أخرجه أبو داود فى «السنة»/ باب: شرح السنة (٤/ ١٩٧/ ح٤٥٩٦) والترمذى فى «الإيمان»/ باب: ما جاء فى إفتراق هذه الأمة (٥/ ٢٥/ ٢٦٤٠) من حديث أبى هريرة. وقال الترمذى: حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٤/ ١٠٢) وأبو داود فى «السنة»/ باب: شرح السنة (٤/ ١٩٧/ ح٤٥٩٧). من حديث معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنه.

«فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِياءِ اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ، لأَنَّ العِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الخَلْقِ مَوْجُودٌ، وعِلْمٌ فِي الخَلْقِ مَفْقُودٌ، فَإِنْكَارُ العِلْمِ المَوْجُودِ كُفْرٌ، وادِّعَاءُ العِلْمِ المَفْقُودِ كُفْرٌ، ولا يَثْبُتُ الإِيمَانُ إِلاَّ بِقَبُولِ العِلْمِ المَوْجُودِ، وتَرْكُ طَلَبِ العِلْمِ المَفْقُودِ».

الأممَ عقولاً ومعارفَ وعلوماً، لاتَسألُ نبيَّها: لم أمر الله بكذا؟ ولم نهى عن كذا؟ ولمَ قدَرَ كذا؟ ولم فعلَ كذا؟ لعلمهم أنَّ ذلك مُضادٌ للإيمان والاستسلام، وأنَّ قدَمَ الإسلام لا تَثْبُتُ إلاَّ على درَجَة التسليم.

فأوَّلُ مراتب تعظيم الأمر: التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به بعيداً عن القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح فى الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأموراً به، بحيث لا يتوقف الإتيان به على معرفه حكمته، فإن ظهرت له، فعله وإلا عطله، فإن هذا ينافى الانقياد، ويقدح فى الامتثال.

ولا شك فى تكفير من رد حكم الكتاب، ولكن من تأول حكم الكتاب لشبهة عرضت له، يبين له الصواب ليرجع إليه.

قوله: «فهذا جملة ما يحتاج إليه...».

سؤال: إلى أى شئ يشير المصنف بهذه العبارات (فهذا) (العلم المفقود) (العلم الموجود)؟ وماهو جزاء من ادعى علم الغيب؟

جواب: الإشارة بقوله:

«**فهذا**» إلى ما تقدم ذكره، مما يجب اعتقاده والعمل به مما جاءت به الشريعة.

ويعنى بالعلم المفقود: علم القدر الذى طواه الله أنامه، ونهاهم عن مرامه.

ويعنى بالعلم الموجود: علم الشريعة، أصولها وفروعها، فمن أنكرشيئا مما جاء به الرسول كان من الكافرين. ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين، قال تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَسُولٍ**﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧]. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ**

---

(١) [تعليق] قال ابن باز ـ رحمة الله

مراده رحمه الله بالعلم المفقود هو علم الغيب وهو مختص بالله ـ عز وجل ـ ومن ادعاه من الناس كفر لقول الله سبحانه: ﴿ وعندهُ مفاتحُ الْغيب لا يعلمُها إلاَّ هُو ﴾ [الأنعام: ٥٩الآية].

وقوله عز وجل ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمواتِ والأَرضِ الغَيبَ إلاَّ اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥] وقول النبى ﷺ «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله**، ثم تلا قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عندهُ علْمُ السَّاعة ويُنزِّلُ الغَيث ﴾ [لقمان: ٣٤ الآية].

والأحاديث صحيحة كثيرة تدل على أن النبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ لايعلم الغيب مع=

﴿خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]. ولايلزم من خفاء حكمة الله تعالى علينا عدمها، لأن عدم العلم لا يكون علما بالمعدوم(١).

قوله: «ونؤمن باللوح والقلم...».

قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢]. اللوح المذكور هو الذى كتب الله مقادير الخلائق فيه.

[وقال ﷺ: **إن الله خلق لوحاً محفوظاً من دوة بيضاء، دفتاه، ياقوتة حمراء قلمه نور، وعرضه مابين السماء والأرض،ينظر فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة، يخلق بكل نظرة ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء»**(١)](*).

والقلم المذكور هو الذى خلقه الله وكتب به فى اللوح المذكور المقادير، كما فى سنن أبى داود عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَوَّلُ ما خَلَقَ الله تعالى القلمَ، فقال له: اكتُبْ، قالَ: يارَبِّ، وما اكْتُبُ؟ قال: اكتبْ مقادير كُلِّ شيءٍ حَتىَّ تقوم السَّاعَة**»(٢).

سؤال: بين أيُّهما خُلِقَ أوَّلاً القلَمُ أم العَرْش؟

جواب: اختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟ على قولين أصحهما: أن العرش قبل القلم، مما ثبت فى (الصحيح) من حديث عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَدَّرَ الله مقاديرَ الخلْقِ قبل أنْ يخلُقَ السَّماوات والأرضَ بخمسينَ ألفَ سَنَةَ. وعرْشُهُ على الماء**»(٣).

فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث عبادة هذا.

[وهو ـ حديث عبادة ـ لايخلو إما أن يكون جملة أو جملتين.

فإن كان جملة ـ وهو الصحيح ـ صار معناه: أنه عند أول خلقه، قال له: اكتب، كما فى الرواية الواردة بنصب «أول» و «القلم».

=أنه أفضل الخلق وسيد الرسل فغيره من باب أولى وهو ـ صلى الله على وعليه آله وسلم ـ لا يعلم من ذلك إلا ما علمه إياه سبحانه ولما تكلم أهل الإفك فى عائشة ـ رضى الله عنها ـ لم يعلم براءتها إلا بنزول الوحى ولما ضاع عقدها فى بعض أسفاره ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ بعث جماعة فى طلبه ولم يعلم مكانه حتى أقاموا البعير فوجدوه تحته والأدلة من الكتاب والسنة فى هذا كثيرة والحمد لله.

(١) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٢/ ١٧٢/ ح١٢٥١١) من حديث ابن عباس وفى إسناده زياد بن عبدالله البسكانى وليث بن أبى سليم وهما ضعيفان.

(*) «تهذيب الطحاوية» د/ الصاوى.

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٥/ ٣١٧) وأبو داود فى «السنة»/ باب: فى القدر (٤/ ٢٢٥/ ح٤٧٠٠) من حديث عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه.

وانظر «جامع العلوم والحكم» بتخريجنا.

(٣) تقدم تخريجه.

« فَلَو اجْتَمعَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَائِنٌ، لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٌ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَو اجْتَمَعُوا كُلُّهُم عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ غَيْرُ كَائِنٍ لِيَجْعَلُوهُ كَائِناً، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. جَفَّ القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» .

وإن كان جملتين - كما فى الرواية الواردة برفع «أول » و«القلم» فيتعين حمله على أول المخلوقات من هذا العالم.

وهكذا يتفق الحديثان: فالعرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم].

سؤال: هل هناك أقلام غيرالقلم الذى كتب به اللوح المحفوظ؟

جواب: فهذا القلم - الذى خط به اللوح المحفوظ - أول الأقلام وأفضلها وأجلها، وقال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذى أقسم الله به فى قوله تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١ - ٢]

والقلم الثانى: قلم الوحى وهو الذى يكتب به وحى الله إلى أنبيائه ورسله، وقد رُفِعَ النبى ﷺ ليلة أسرى به إلى مستوى يسمع منه صريف الأقلام، فهذه الأقلام هى التى تكتب ما يوحيه الله تبارك وتعالى من الأمور التى يدبر بها أمر العالم العلوى والسفلى.

قوله: «فلو اجتمع الخلق كلهم...».

وتقدم حديث جابر عن رسول الله ﷺ، قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ قال: «**لا، بل فيما جفَّتْ به الأقلام، وجَرَتْ به المقاديرُ**»(١).

وعن ابن عباس، قال: كنتُ خلف النبى ﷺ يوماً، فقال لى: «**يا غُلام ألا أُعلِّمكَ كلمات: احفظ الله يحْفَظْك، احفَظ الله تجدْهُ تجاهكَ، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استَعْنت فاستعنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعت على أنْ ينفعوكَ بشيءٍ لم ْينفعُوكَ إلاَّ بشيءٍ قَدْ كتبَهُ الله لكَ، وإنْ اجتمعوا على أنْ يضروُّكَ بشيءٍ لم يضروُّكَ إلاَّ بشيءٍ قد كَتَبَهُ الله عليكَ، رُفعَت الأقلامُ، وجَفَّت الصَّحُفُ**»(٢).

وفى رواية غير الترمذى: «**احفظ الله تجدْهُ أمامكَ، تعرَّف إلى الله فى الرَّخاء يعْرفْك فى الشَّدَّة، واعلمْ أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، اعلم أن النَّصْر مع الصبر، وأنَّ الفَرجَ مع الكرْب، وأنَّ مع العُسْر يسراً**»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه حـ٩٢ رقم (٢).

(٢) أخرجه الترمذى فى «صفة القيامة»/ باب: لم يسم (٤/ ٦٦٧/ ح٢٥١٦) وأحمد فى «مسنده» (١/ ٢٩٣، ٣٠٣) والطبرانى فى «الكبير» (١٢/ ٢٣٨/ ح١٢٩٨٨) والمزى فى «التهذيب» (٢٤/ ٢٠/ ٢١) من حديث ابن عباس.

(٣) ما قبله.

سؤال: اذكر عدد الأقلام كما دلت على ذلك السنة؟

جواب: الذى دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة.

القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذى تقدم ذكره مع اللوح.

القلم الثانى: حين خلق آدم ـ عليه السلام، وهو قلم عام أيضاً، لكن لبنى آدم، ورد فى هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بنى آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أبيهم.

القلم الثالث: حين يرسل الملك إلى الجنين فى بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أو سعيد.

القلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه، الذى بأيدى الكرام الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم.

سؤال: إذا كان الخير والشر بيد الله ـ عز وجل ـ وأنه لايكون إلا ما يريد، فالواجب إفراده سبحانه بالخشية والتقوى، اشرح تلك العبارة مدللاً على ما تقول؟

جواب: إذا علم العبد أن كلا من عند الله، فالواجب إفراده سبحانه بالخشية والتقوى. قال تعالى: ﴿**فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾[البقرة: ٤٠]. ﴿**وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**﴾[البقرة: ٤١]. ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[النور: ٥٢].

فلابد لكل إنسان أن يتق، فإن لم يتق الله، اتقى المخلوق، والخلق لا يتفق حبهم كلهم وبغضهم، بل الذى يريده هذا يبغضه هذا، فلا يمكن إرضاؤهم كلهم، كما قال الشافعى رضى الله عنه: رضى الناس غاية لا تدرك، فعليك بالأمر الذى يصلحك. فالزمه، ودع ما سواه، فلا تعانه، فإرضاء الخلق لامقدور ولا مأمور، وإرضاء الخالق مقدور ومأمور.

سؤال: ما هى ثمار تقوى الله؟

جواب: فإذا اتقى العبد ربه، كفاه مؤونة الناس، كما كتبت عائشة إلى معاوية، روى عنها مرفوعا وموقوفا: «**منْ أرضى الله بسُخْطِ النَّاس، رضىَ الله عَنهُ وأرضىَ عنه النَّاس. ومَنْ أرضىَ النَّاس بسُخْطِ الله، عادَ حامدُهُ منَ الناس ذاماً**» (١). فمن أرضى الله، كفاه مؤنة الناس ورضى عنه، ثم فيما بعد يرضون، إذا العاقبة للتقوى، ويحبه الله، فيحبه الناس، كما فى الحديث عن النبى ﷺ، أنه قال:

(١) أخرجه ابن حبان فى «صحيحه» (١/ ٢٤٧ ـ الإحسان) عن عروة، عن عائشة به، وانظر «فتح المجيد» (ح ٦٦٠) بتخريجنا.

وَمَا أَخْطَأَ العَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ.

«إذا أحبَّ الله العبدَ، نادى : ياجبريل، إنى أُحبُّ فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادى جبريل فى السماء: إن الله يحبُّ فلاناً فأحبُّوه، فيحبه أهلُ السَّماء ثمَّ يُوضعُ له القبُول فى الأرض»(١)، وقال فى البغض مثل ذلك.

قال بعض السلف: ما احتاج تقى قط، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]. فقد ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجا مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لايحتسبون، فإذا لم يحصل ذلك، دل على أن فى التقوى خللا، فليستغفر الله وليتب إليه، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. أى فهو كافيه، لايحوجه إلى غيره.

سؤال: هل تعاطى الأسباب والاكتساب ينافى التوكل؟

جواب: ظن بعض الناس أن التوكل ينافى الاكتساب، وتعاطى الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة، فلا حاجة إلى الأسباب! وهذا فاسد، فإن الاكتساب: منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام. وقد كان النبى ﷺ أفضل المتوكلين، يلبس لأمة الحرب، ويمشى فى الأسواق للاكتساب، حتى قال الكافرون: ﴿مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾[الفرقان: ٧].

سؤال: ما معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].؟

جواب: قال البغوى: قال مقاتل: نزلت فى اليهود حين قالوا: إن الله لا يعطى يوم السبت.

قال المفسرون: من شأنه أنه يحى ويميت، ويرزق، ويعز قوما، ويذل آخرين، ويشفى مريضا ويفك عانياً، ويفرج كرباً، ويجيب داعيا، ويعطى سائلاً، ويغفر ذنباً، إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه فى خلقه ما يشاء(٢).

قوله: «وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه...»

سؤال: ما المراد بقول المصنف [وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه].

جواب: هذا بناء على ما تقدم من أن المقدور كائن لامحالة.

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى فى «التوحيد»/ باب: كلام الرب مع جبريل (١٣/ ٤٦٩/ ح٧٤٨٥) ومسلم فى «البر والصلة»/ باب: إذا أحب الله عبداً وضع له القبول فى الأرض (٦/ ١٦/ ١٨٣ ـ النووى) من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه.

(٢)، (٣) انظر «تهذيب الطحاوية»/ صلاح الصاوى.

«وعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ علْمُهُ فى كُلِّ كَائنٍ منْ خَلْقه، فَقَدَّرَ ذَلكَ تَقْديراً مُحْكَماً مُبْرَماً، لَيسَ فيه نَاقضٌ، وَلاَ مُعَقِّبٌ وَلاَ مُزيلٌ ولا مُغَيِّرٌ، وَلاَ مُحَوِّلٌ وَلاَ نَاقصٌ، وَلاَ زَائدٌ منْ خَلْقه فى سَمَاوَاته وأَرْضه».

قوله: «وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه....».

سؤال: سبق علم الله الأزلى وجود المخلوقات . بين ذلك؟ .

جواب: لقد سبق علم الله بالكائنات، وقدر مقاديرها قبل خلقها: قال ﷺ: «**قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء**»(١) . ولا يتصور إيجاد هذه المخلوقات على ما فيها من غرائب إلا من عالم سبق علمه على إيجادها.

ولقد أنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالماً فى الأزل، وقالوا: إن الله لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا!! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قال الشافعى: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا خصُمُوا، وإن أنكروا كُفِّروا!

فقد علم الله أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه لأنه لا يفعل مع القدرة، ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه(٢).

سؤال: فإن قيل: يلزم من ذلك: أن يكون العبد قادراً على تغيير علم الله، لأن الله علم أنه لا يفعل فإذا قدر على الفعل قدر على تغيير علم الله؟! . فبما ترد على ذلك؟

جواب: أنه لو فعل لكان المعلوم هو وقوعه لا عدم وقوعه، لأن علم الله مطابق للواقع، فيمتنع أن يقع شىء يستلزم تغيير العلم، بل أى شىء وقع كان هو المعلوم، وهؤلاء قد فرضوا وقوعه مع العلم بعدم وقوعه وهو محال(٣).

سؤال: فإذا كان وقوعه ـ مع علم الرب عدم وقوعه ـ محالاً، لم يكن مقدوراً. اشرح ذلك؟

جواب: فالجواب: إن لفظ المحال مجمل، وهذا ليس محالاً لعدم استطاعته له، ولا لامتناعه فى نفسه، بل هو ممكن مستطاع، ولكن إذا وقع كان الله عالماً بوقوعه، وإذا لم يقع كان عالماً بعدم وقوعه. فإذا فرض وقوعه مع انتفاء لازم الوقوع صار محالاً من جهة إثبات الملزوم بدون لازمه، وكل الأشياء بهذا الاعتبار هى محال! ويلزمهم أن لا يبقى أحد قادراً على شىء لا الرب ولا الخلق، لأن الرب إذا علم من نفسه أنه سيفعل كذا لا يلزم من ذلك انتفاء قدرته على تركه، وكذلك إذا علم أنه لا يفعله لا يلزم من انتفاء قدرته على فعله، فكذلك ما قدر من أفعال عباده(٤).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢، ٣، ٤) انظر «تهذيب الطحاوية» د. صلاح الصاوى.

سؤال: عرف الموجودات وأقسامها في باب الهداية؟ .

جواب: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وعن عائشة قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يفعل سوءاً ولم يدركه، فقال: «**أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**»(١). وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ [الإنسان: ٣]. والمراد الهداية العامة، وأعم منها الهداية المذكورة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: ٥٠].

فالموجودات نوعان:

* مسخر بطبعه، وقد هداه الله لما سخر له هداية طبيعية.

* متحرك بإرادته، وقد هداه الله هداية إرادية تابعة لشعوره، وعلمه بما ينفعه ويضره.

ثم قسم الأنواع إلى ثلاثة أنواع:

* نوع لا يريد إلا الخير، ولا يتأتى منه إرادة سواه كالملائكة.

* نوع لا يريد إلا الشر ولا يتأتى منه إرادة سواه كالشيطان.

* ونوع يتأتى منه إرادة القسمين كالإنسان، وقسمه إلى ثلاثة أصناف:

١ـ صنف يغلب إيمانه وعقله هواه وشهوته، فيلتحق بالملائكة.

٢ـ وصنف عكسه فيلتحق بالشياطين.

٣ـ وصنف تغلب شهوته البهيمية عقله، فيلتحق بالبهائم.

فكما أنه لا موجود إلا بإيجاده، فلا هداية إلا بتعليمه(٢).

سؤال: عطاؤه فضل، وعقابه عدل. بيّن ذلك مختصراً؟ .

جواب: يجب أن يعلم أن الله لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه وهو العمل الصالح. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾ [طه: ١١٢].

كذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب. قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. ولا ريب أنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء،

(١) [صحيح] أخرجه مسلم في «القدر»/ باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة (٨/ ٤٦١/ ح٢٦٦٢) وأبو داود في «السنة»/ باب: في ذراري المشركين (٤/ ٢٢٩/ ح ٤٧١٣).

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

«وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الإِيمَانِ وأُصُولِ المَعرِفَةِ، والاعتراف بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِه، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان: ٢] وقَالَ تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ [الأحزاب: ٣٨].

فمنعه الأسباب التي هي الأعمال من حكمته وعدله، فكل عطاء منه فضل، وكل عقوبة منه عدل، وهو المحمود على كل حال فإنه حكيم يضع الأشياء في مواضعها التي تصلح لها. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣][1].

قوله «وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة.....».

الإشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر، وسبق علمه بالكائنات قبل خلقها، قال ﷺ في جواب السائل عن الإيمان: «**أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ وملائكته وكُتُبِه ورُسُلِه واليوم الآخر، وتُؤْمِنَ بالقدر خَيْرِه وشرِّه**». وقال ﷺ في آخر الحديث: «**يا عُمرُ أتدري من السائلُ؟**» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريلُ أتاكم يُعلمكم دينكم**»[2].

وقوله: «**والاعترافُ بتوحيد الله وربُوبيَّته**» أي: لايتم التوحيد والاعتراف بالربوبية إلا بالإيمان بصفاته تعالى، فإن من زعم خالقا غير الله، فقد أشرك، فكيف بمن يزعم أن كل أحد يخلق فعله؟! ولهذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة.

روى أبو داود عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «**القَدَرِيَّةُ مجوسُ هذه الأُمَّة، إنْ مرِضُوا فلاتَعودُوهُم، وإنْ ماتُوا فلا تَشْهَدُوهُم**»[3].

سؤال: لماذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة؟

جواب: لأنه لا يتم التوحيد إلا بالإيمان بصفاته تعالى، فإن من زعم خالقا غير الله فقد أشرك، فكيف بمن زعم أن كل أحد يخلق فعله؟! ولهذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة، حيث جعلوه تعالى لم يخلق أفعال العباد، فأخرجوها عن خلقه وقدرته، وقوله: «**القدرية مجوس هذه**

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم في «الإيمان»/ باب: تعريف الإسلام والإيمان (١/ ١/ ١٥٧ - النووي).
وأبو داود في «السنة»/ باب: في القدر (٤/ ٢٢٢، ٢٢٣/ ح٤٦٩٥).
من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه.
وانظر «جامع العلوم والحكم» الحديث الثاني بتخريجنا.

(٣) أخرجه أبو داود في «السنة»/ باب: في القدر (٤/ ٢٢١/ ح ٤٦٩١) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٥) من حديث ابن عمر.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين: إن صح سماع أبي حازم من ابن عمرو ولم يخرجاه.

الأمة»، قال ابن الأثير فى «النهاية» (٤/ ٢٩٩): قيل إنما جعلهم مجوساً، لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس، فى قولهم بالأصلين، وهما النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة. . وكذا القدرية يضيفون الخير إلى الله، والشر إلى الإنسان والشيطان. والله تعالى خالقهما معاً، لايكون شيئاً منهما إلا بمشيئته، فهما مضافان إليه، خلقاً وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما، عملاً واكتساباً أهـ[١].

سؤال: وهل ورد فى السنة مايدل على ذم القدرية والتحذير منهم؟

جواب: نعم والأحاديث الواردة فى ذمهم كثيرة، وهى فى السنن، منها:

عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»[٢]. وعن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال: «**لاتجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم**»[٣]. وعن ابن عباس قال: قال ﷺ: «**صنفان من بنى آدم ليس لهم فى الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية**»[٤]. ولكن كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها. كقول ابن عباس: القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده، وهذا لأن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله القديم، وما أظهر من علمه الذى لايحاط به، وكتابة مقادير الخلائق.

وقد ضل فى هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة وغيرهم ممن ينكر علمه بالجزيئات أو بغير ذلك، فإن ذلك كله مما يدخل فى التكذيب بالقدر. **فتقدير الله لمقادير العباد. هو القدر الذى لا ريب فى دلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه**، والذين جحدوه هم القدرية المحضة بلا نزاع، وعامة ما يوجد من كلام الصحابة. والأئمة فى ذم القدرية يعنى به هؤلاء. كقول ابن عمر لما قيل له: يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف: أخبرهم أنى منهم برئ، وأنهم منى براء[٥].

سؤال: ما الذى يتضمنه الإيمان بالقدر؟

جواب: والقدر الذى هو التقدير المطابق للعلم يتضمن أصولا عظيمة:

١ ـ أنه سبحانه وتعالى عالم بالأمور المقدرة قبل كونها، فيثبت علمه القديم، وفيه رد على من أنكر ذلك.

(١، ٥) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) تقدم قريباً.

(٣) أخرجه أحمد فى «مسنده» (١/ ٣٠) وأبو داود فى «السنة»/ باب: فى القدر (٤/ ٢٢٨/ ح ٤٧١٠) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذى فى «القدر»/ باب: ما جاء فى القدر (٤/ ٤٥٤/ ح٢١٤٩).
وابن ماجه فى «المقدمة» (١/ ٢٤/ ح٦٢). من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال الترمذى: هذا حديث غريب حسن صحيح.

«فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لله تَعَالَى فِى القَدْرِ خَصِيمَاً، وأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْباً سَقِيماً، لَقَدْ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِى فَحْصِ الغَيْبِ سِراً كَتِيماً، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكاً أَثِيماً».

---

٢ ـ أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات، أى صفاتها المعينة المختصة بها، فإن الله جعل لكل شئ قدرا. قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان: ٢].

فالخلق يتضمن التقدير، تقدير الشئ فى نفسه بأن يجعل له قدرا، وتقديره قبل وجوده، وهذا أبلغ فى العلم بالأمور الجزئية المعينة خلافا لمن قال: يعلم الكليات دون الجزئيات، فالقدر يتضمن العلم القديم، والعلم بالجزئيات.

٣ ـ أنه يتضمن أنه أخبر بذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخبارًا مفصلاً وإذا كان يعلم عباده بذلك فكيف لا يعلمه هو.

٤ ـ أنه يتضمن أنه مختار لما يفعله.

٥ ـ إنه يدل على حدوث هذا المقدور، وأنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يقدره ثم يخلقه(١).

قوله «فويل لمن صار لله تعالى فى القدر خصيماً...».

اعلم أن القلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن، قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. أى: كان ميتا بالكفر، فأحييناه بالإيمان، فالقلب الصحيح الحى إذا عرض عليه الباطل والقبائح، نفر منها بطبعه وأبغضها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبدالله بن مسعود: هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر.

سؤال: اذكر أنواع مرض القلب؟

جواب: ومرض القلب نوعان: مرض شهوة، ومرض شبهة، وأردؤهما مرض الشبهة، وأردأ الشبه ما كان من أمرالقدر. وقد يمرض القلب، ويشتد مرضه، ولايعرف به صاحبه، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة. فإن القلب إذا كان فيه حياة، تألم بورود القبيح عليه، وتألم بجهله بالحق بحسب حياته.

وقد يشعر بمرضه، لكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها، فيؤثر بقاء ألمه على مشقة الدواء، فإن داوءه فى مخالفة الهوى، وذلك أصعب شئ على النفس، ليس له أنفع منه.

[وقد يوطن نفسه على الصبر ثم ينفسخ عزمه لضعف علمه وبصره وبصيرته، فهو محتاج إلى

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

قوة صبر، وقوة يقين بما يصير إليه. ومتى ضعف صبره ويقينه لم يتحمل مشقة الطريق، لا سيما مع عدم الرفيق، **واستيحاشه** من الوحدة ! فالصابر الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده، إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول من : ﴿**الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩]].

سؤال : ماهى علامة مرض القلب؟

جواب : وعلامة مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة الموافقة له إلى الأغذية الضارة، وعدوله عن دوائه النافع إلى دوائه الضار. فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافى على الضار المؤذى، والقلب المريض بضد ذلك.

سؤال: ماهى أنفع الأغذية والأدوية للقلب المريض؟

جواب: أنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاءوالدواء. قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾ [فصلت: ٤٤] ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾[الإسراء: ٨٣] ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[يونس: ٥٧].

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة. وإذا أحسن العليل التداوى به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاوم الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذى لو نزل على الجبال لصدعها.

سؤال : ما هى صفة جماعة الحق التى يجب أن تتبع؟

جواب : قال عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة فى كتاب (الحوادث والبدع): «حيث جاء الأمربلزوم الجماعة، فالمُرادُ لُزُومُ الحق وَّاتباعُهُ، وإنْ كان المتمسك به قليلاً، والمخالف له كثيراً، لأنَّ الحقَّ هو الذى كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبى ﷺ وأصحابه ـ رضى الله عنهم ـ ولانظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم».

وعن الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ أنه قال: « والسنة ـ والذى لا إله إلا هو ـ بين الغالى والجافى، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى.

وهم أقل الناس فيما بقى، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف فى إترافهم، ولا مع أهل البدع فى بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكونوا كذلك».

وقوله: «**لقد التمس بوهمه فى فحْص الغيب سرّاً كتيماً**» أى طلب بوهمه فى البحث عن الغيب

سراً مكتوماً، إذ القدر سر الله فى خلقه. فهو يروم ببحثه الاطلاع على الغيب، وقد قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦].

وقوله: «وعاد بما قال فيه» أى فى القدر، «أفاكاً» كذاباً، «أثيماً» أى مأثوماً.

قوله: «والعرش والكرسى حق».

سؤال: ماهو العرش؟وما الدليل على كونه حق؟

جواب: العرش فى اللغة: سرير الملك، قال تعالى﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].

وقد استفاضت النصوص بذكره: قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥]. وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

وفى صحيح البخارى: قال ﷺ: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن**»(١).

روى «فوقه» بالنصب على الظرفية، وبالرفع على الإبتداء أى: وسقفه. وذهب بعض أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم، وربما سموه الفلك الأطلس، أو الفلك التاسع، وهو غيرصحيح لسببين:

ما ثبت فى الشرع من أنه له قوائم تحمله الملائكة: قال ﷺ: «. . . . .**فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدرى، أفاق قبلى، أم جوزى بصعقة الطور**»(٢). متفق عليه. قال ﷺ: «**أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله ـ عز وجل ـ من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»(٣).

ماثبت فى اللغة: من أن العرش هو السرير الذى للملك، ليس هو فلكا ولا تفهم منه العرب ذلك فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات. فمن شعر عبدالله بن رواحة يعرض به عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته:

---

(١) [صحيح] أخرجه البخارى فى «التوحيد»/ باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (١٣/ ٤١٥/ ح٧٤٢٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود فى «السنة»/ باب: فى الجهمية (٤/ ٢٣٢/ ح٤٧٢٧) من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ.

وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ العَرْشِ وَمَا دُونَه، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَه.

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسومينا

وأما من جعل العرش عبارة عن الملك، فكيف يصنع بقوله تعالى: ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة: ١٧]. أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟!. وقوله: ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ [هود: ٧]. أيقول: وكان ملكه على الماء.؟!. ويكون موسى ـ عليه السلام ـ آخذاً بقائمة من قوائم الملك(١)؟

سؤال: ماهو الكرسى ومالدليل على كونه حق؟

جواب: وأما الكرسى فهو بين يدى العرش كالمرقاة إليه، قاله غير واحد من السلف. قال تعالى: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وروى ابن أبى شيبة والحاكم عن ابن عباس أنه قال: (الكرسى موضع القدمين، والعرش لايقدر قدره إلا الله تعالى)(٢). وقد روى مرفوعا، والصواب وقفه على ابن عباس. وقال السدى: السماوات والأرض فى جوف الكرسى بين يدى العرش. وقال ابن جرير: قال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسى فى العرش إلا: كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرى فلاة من الأرض**»(٣).

ونسب إلى ابن عباس أنه قال: كرسيه علمه، والمحفوظ عنه ما رواه ابن أبى شيبة كما تقدم، ومن قال غير ذلك فلا دليل عليه إلا مجرد الظن، ولعله من جراب الكلام المذموم(٤).

قوله «وهو مستغن عن العرش».

سؤال: هل يحتاج الله للعرش والكرسى؟

جواب: أما قوله: [**وهو مستغن عن العرش وما دونه**] فقد ذكره الشيخ بعد ذكر العرش والكرسى، ليبين أن خلقه تعالى للعرش لم يكن لحاجة إليه وإنما لحكمة اقتضته. قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦].

(١، ٤) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.
(٢) أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٢٨٢) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٣) أخرجه ابن جرير فى «تفسيره» (٣/ ٨، ٩) من طريق: يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد: حدثنى أبى قال: قال أبو ذر: سمعت رسول الله يقول: «... الحديث».

فكما أن السماء فوق الأرض، وليست مفتقرة إليها، فالله أعظم من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه:

فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته.

وغناه عن العرش وفقر العرش إليه.

وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به.

وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق، ولو أن دعاة التعطيل فصلوا هذا التفصيل لهدوا إلى سواء السبيل. سئل مالك عن قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. كيف استوى ؟ فقال: ـ الاستواء معلوم، والكيف مجهول ـ وقد روى هذا الجواب عن أم سلمة[1] موقوفاً، ومرفوعا إلى النبي ﷺ. وأما قوله: [محيط بكل شئ وفوقه]. أى محيط بكل شئ، وفوق كل شئ[2].

سؤال: اذكر ما تعرفه عن إحاطة الله تعالى بكل شئ من مخلوقاته؟

صيغة أخرى: ما كيفية أحاطته ـ عز وجل ـ بمخلوقاته دلل على ما تقول؟

جواب: وأما كونه محيطا بكل شئ فالمراد منه : إحاطة عظمته، وسعة علمه،وقدرته، وأن المخلوقات بالنسبة لعظمته كخردلة،وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة. قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾[النساء: ١٢٦].

روى عن ابن عباس أنه قال: (ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن فى يد الرحمن إلا كخردلة فى يد أحدكم). ومن المعلوم أنه لو كان فى يد أحدنا خردلة، فإنه إن شاء قبضها وأحاط قبضته بها، أوجعلها تحته، وهو فى الحالين مباين لها، عال عليها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذى لا يحيط بعظمته وصف واصف؟!

وكيف يستبعد العقل مع ذلك أن يدنو من بعض أجزاء العالم، وهو على عرشه فوق سماواته؟!

---

(١) أثر صحيح: أخرجه ابن قدامة فى «العلو» (١٠٤) والذهبى فى «العلو» هى (١٤١، ١٤٢) وأبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٣٢٥، ٣٢٦) وعثمان بن سعيد الدارمى فى «الرد على الجهمية» ص (٥٥) واللالكائى فى «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٦٦٤) وأبو عثمان الصابونى فى «عقيدة السلف» (٢٦٢٤) والبيهقى فى «الأسماء والصفات» ص (٤٠٨) من طرق يقوى بعضها بعضاً وصححه الذهبى فى «العلو» وكذا قواه الألبانى فى «مختصره للعلو» وقال الحافظ فى «الفتح» (١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧): «وأخرج البيهقى بسند جيد عن عبدالله بن وهب به... فذكره» انظر لمعة الاعتقاد.

(٢) انظر «تقريب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

وفى حديث أبى رزين المشهور: «. . . . . فقال له أبو رزين: كيف يسعنا يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟، فقال ﷺ: «**سأنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله: هذا القمر، آية من آيات الله، كلكم يراه مخلياً به، والله أكبر من ذلك، وإذا أفل تبين أنه أعظم وأكبر من كل شئ**»[1]. ففى هذا الحديث ما يزيل كل إشكال، ويبطل كل خيال[2].

سؤال: هل تحدثت النصوص القرآنية والسنة النبوية عن كون الله فوق مخلوقاته؟

صيغة أخرى: هل صفة الفوقية ثابتة لله وهل هناك أدلة على ذلك؟

جواب: نعم، إن من يتتبع نصوص القرآن والسنة، وكلام السلف الصالح من هذه الأمة، يجد منه فى إثبات الفوقية ما لا ينحصر، هذا فضلاً عن شهادة العقول السليمة، والفطر المستقيمة وسوف نقسم الأدلة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ شهادة النصوص والآثار. ٢ ـ وشهادة العقول.

٣ ـ وشهادة الفطر. وسيأتى تفصيل ذلك[3].

سؤال: اذكر النصوص والآثار المصرحة بفوقية الله؟

صيغة أخرى: لقد صرح الكتاب والسنة بفوقية الله تعالى على خلقه بين ذلك؟

صيغة أخرى: اذكر القسم الأول من الأدلة الداله على فوقيته تعالى مدللاً على ما تقول؟

جواب: لقد شهدت نصوص القرآن والسنة شهادة قاطعة بعلو الله على خلقه. وهذه النصوص أنواع كثيرة، منها:ـ

١ ـ **التصريح بالفوقية:**

قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام: ٦١]. وقال تعالى: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**﴾[النحل: ٥٠].

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتى سبقت غضبى**»[4].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٣، ٢٣٤/ ٤٧٣١) وابن ماجه (١/ ٦٤/ ١٨٠) جميعاً من طريق: يعلى بن عطاء، عن وكيع، قال موسى بن حُدُس، عن أبى رزين به. تقدم فى القسم الأول.

(٢)، (٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٤) [**متفق عليه**] وأخرجه البخارى (٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١) (١٤) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

وروى مسلم عن النبى ﷺ فى تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ قوله: «**أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ، وأنت الظاهر فليس فوقك شئ، وأنت الباطن فليس دونك شئ**»(١).

والمراد بالظهور هنا: العلو، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ**﴾ أى: يعلوه.

وقول النبى ﷺ لسعد بن معاذ يوم بنى قريظة: «**لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات**»(٢).

وعن جابر مرفوعا: « **بينما أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا إليه رؤوسهم، فإذا الجبار جلَّ جلاله أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم...**»(٣) الحديث.

روى البخارى عن زينب أنها كانت تفخر على أزواج النبى ﷺ وتقول: «زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات»(٤).

قال عمر ـ رضى الله عنه ـ عن خولة: «امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات»، هذه خولة التى أنزل الله فيها: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ**﴾ الآية [المجادلة: ١](٥).

٢ ـ التصريح بالعروج: ـ

قال تعالى: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ**﴾ الآية [المعارج: ٤].

وقال ﷺ: «**يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم...**» (٦) الحديث.

٣ـ التصريح بالصعود إليه:

قال تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر: ١٠].

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٢٧١٣)، والبخارى فى «الأدب المفرد» (١٢١٢)، وأبو داود (٥٠٥١) من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ انظر «الطحاوية» تحقيق شعيب الأرنؤوط.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٣٤٣)، ومسلم (١٧٦٨)، وأحمد (٣/ ٢٢)، من حديث أبى سعيد الخدرى دون قوله «من فوق سبع سماوات».

(٣) [**ضعيف**] أخرجه ابن ماجه (١٨٤)، فى المقدمة، وأبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٢٨ ـ ٢٩)، من حديث جابر بن عبدالله، انظر «الطحاوية» تحقيق شعيب الأرنؤوط.

(٤) [**صحيح**] أخرجه البخارى (٧٤٢٠)، والترمذى (٣٢١٣)، والنسائى (٦/ ٨٠)، من حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٥) أخرجه الديلمى فى الرد على الجهمية (ص ٢٦) من طريق أبى يزيد المدنى، عن عمر، أنظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٦) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٧)، من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

٤ ـ التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه:

قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. وقال تعالى: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

٥ ـ التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتاً وقدراً وشرفاً ؟

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

٦ ـ التصريح بتنزيل الكتاب منه:

قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

٧ ـ التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب من بعض:

قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ﴾ الآية [الأنبياء: ١٩]. ففرق بين (من له) عموماً، وبين (من عنده) من ملائكته وعبيده خصوصاً.

وقال ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب على نفسه: «إنه عنده فوق العرش»(١).

٨ ـ التصريح بأنه تعالى في السماء:

قال تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]. وهو عند مفسري أهل السنة على أحد وجهين:

* إما أن تكون (في) بمعنى (على).

* وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك.

٩ ـ التصريح بالإستواء مقروناً بأداة (على)، مختصاً بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحباً في الأكثر بأداة (ثم) الدالة على الترتيب والمهلة:

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

١٠ ـ التصريح برفع الأيدي إليه:

قال ﷺ: «إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه ص١٠٣ رقم (٢).

(٢) [حسن] أخرجه أحمد (٥/٤٣٨)، وأبو داود (١٤٨٨)، من حديث سلمان، وحسنه الحافظ في «الفتح» (١١/١٢١)، انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

١١ ـ التصريح بنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا:

والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل.

١٢ ـ الإشاره إليه حساً إلى العلو:

كرفعه ﷺ أصبعه إلى السماء فى حجة الوداع وهو يقول: « **اللهم اشهد** »[(١)].

١٣ ـ التصريح بلفظ الأين:

كقوله ﷺ للجارية: «**أين الله**» ؟[(٢)]. واخباره ﷺ بأنه تردد بين موسى وربه ليلة المعراج لتخفيف الصلاة، يصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى[(٣)]. والنصوص الدالة على رؤية أهل الجنة لربهم من فوقهم كرؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب وقد سبق ذكر بعضها.

بعض الآثار الواردة فى إثبات الفوقية:

سأل أبو مطيع البلخى أبا حنيفة [(٤)]. عمن قال: لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض، فقال: قد كفر، لأن الله يقول: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]. وعرشه فوق سبع سماواته، قلت: فإن قال: إنه على العرش، ولكن يقول: لا أدرى، العرش فى السماء أم فى الأرض: قال: هو كافر لأنه أنكر أنه فى السماء، فمن أنكر أنه فى السماء فقد كفر. ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبى حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم مخالفون له فى كثير من اعتقاداته. وقصة أبى يوسف فى استتابة بشر المريسى، لما أنكر أن يكون الله فوق العرش مشهورة[(٥)].

سؤال: (تقدمت أولاً : شهادة النصوص والآثار لإثبات الفوقية لله تعالى).

فاذكر ثانيا : شهادة العقول؟

صيغة أخرى: اذكر القسم الثانى من الأدلة الدالة على فوقيته تعالى؟

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن خزيمة فى «صحيحه» (٢٨٠٩)، وهو قطعة من حديث جابر المطول فى حجة النبى ﷺ، انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٥٣٧)، وأبو داود (٩٣٠)، والنسائى (٣/ ١٤ ـ ١٩)، من حديث معاوية بن الحكم السلمى ـ رضى الله عنه ـ انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، وأحمد (٤/ ٢٠٨، ٢١٠)، من حديث أنس ابن مالك ـ رضى الله عنه ـ انظر «الطحاوية» تحقيق والأرنووط.

(٤) رواه أبو إسماعيل الأنصارى، فى كتابه: «الفاروق».

(٥) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

جواب : لقد شهدت العقول السليمة بعلوالله على خلقه، وذلك من وجوه: العلم البديهى القاطع بأن كل موجودين إما أن يكون أحدهما قائماً بالآخر كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائناً من الآخر.

إن الله لما خلق العالم فإما أن يكون قد خلقه فى ذاته، أو خارجاً عن ذاته، والأول باطلاً بالاتفاق؛ ولما يلزم عليه أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات، والثانى يقتضى الانفصال والمباينة لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول.

إن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضى نفى وجوده بالكلية، فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجه، والأول باطل، فتعين الثانى، ولزمت المباينة.

لو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات، مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفاً بضد ذلك وهو السفول، وذلك مذموم لأنه مستقر إبليس وجنوده، فإن قيل: لا نسلم أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها؟

قلنا: لو لم يكن قابلاً للعلو والفوقية لم يكن له حقيقة قائمة بذاتها، فمتى أقررنا أنه قائم بذاته غير مخالط للعالم، وأنه موجود فى الخارج وليس فى الأذهان فقط، وقد علم العقلاء جميعاً أن من كان كذلك إما داخل العالم أو خارجاً عنه، وإنكار ذلك إنكار لما هو أظهر من البديهيات.

إن العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه، ولا يستلزم نقصاً، ولا يخالف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً. فنفى حقيقته عين الباطل المحال الذى لا تأتى به شريعة أصلاً[1].

سؤال : اذكر ثالثاً : شهادة الفطرة لإثبات الفوقية لله تعالى؟

صيغة أخرى: اذكر القسم الثالث من الأدلة الداله على فوقيته تعالى؟

جواب : وقوله شهدت الفطر المستقيمة بعلو الله على خلقه، فالخلق جميعاً يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى . ذكر محمد بن طاهر المقدسى أن الشيخ أبا جعفر الهمدانى حضر مجلس الجوينى المعروف بإمام الحرمين وهو يتكلم فى نفى صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان. فقال الهمدانى : أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التى نجدها فى قلوبنا ؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد فى قلبه ضرورة طلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا. قال: فلطم الجوينى على رأسه ونزل، وأظنه قال: وبكى ! وقال حيرنى الهمدانى حيرنى! فهذا أمر فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه من المرسلين[2].

(١، ٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

سؤال: ماهى الإعتراضات على الأدلة العقلية ؟ وما الجواب عليها؟

صيغة أخرى: كيف نرد شبه من انكر الدليل العقلى بإنكار بداهته؟

جواب: اعترض على الدليل العقلى بإنكار بداهته، لأنه قد أنكره جمهور العقلاء، ولو كان بديهياً ما اختلف فيه.

فالجواب أن يقال لهم: إن العقل إن قبل قولكم فهو لقولنا أعظم قبولاً، وإن رد قولنا فهو لقولكم أعظم رداً، فكل منا يدعى بالضرورة بطلان قول الآخر، ولكننا نترجح عليكم بالفطر لأن الناس موافقون لنا على هذا، فإن رددتم حكم الفطر بطل قولكم بالكلية، لأنكم قد بنيتموه على مقدمات معلومة بالفطرة الآدمية وبطلت عقلياتنا كذلك، ورجعنا إلى النصوص وحدها وهى شاهدة لنا دونكم، فنحن مختصون بالسمع، والعقل مشترك بيننا وبينكم.

فإن قلتم: إن أكثر العقلاء يقولون بقولنا. قلنا: ليس الأمر كذلك . بل أول ما عرف ذلك عن طائفة من النظار، وأول من عرف عنه ذلك فى الإسلام: جهم بن صفوان[1].

سؤال: ما الاعتراضات على الدليل الفطرى ؟ وما الجواب عليها؟

صيغة أخرى: كيف نرد شبه من انكر الدليل الفطرى بدعوى أن ذلك انما كان لأن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة...؟.

جواب: اعترض على الدليل الفطرى بما يلى: إن ذلك إنما كان لأن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة، وإنه منقوض بوضع الجبهة على الأرض مع أنه سبحانه وتعالى ليس فى جهة الأرض.

وأجيب عن ذلك من وجوه:

القول بأن السماء قبلة الدعاء قول لا دليل عليه لم يقله أحد من السلف، ولا أنزل الله به من سلطان، فقبلة الدعاء هى قبلة الصلاة، فيستحب للداعى إن يستقبل القبلة، ومن قال سوى ذلك فهو مبتدع.

إن القبلة هى ما يستقبله الداعى بوجهه، فلو كانت السماء قبلة الدعاءلكان المشروع أن يوجه الداعى وجهه إليها، ولكن ذلك لم تأمر به الرسل، بل نهوا عنه.

أما الوضع الذى ترفع إليه الأيدى فلا يسمى قبلة لا حقيقة ولا مجازاً. ومعلوم أن التوجه بالقلب واللجأ والطلب الذى يجده الداعى من نفسه أمر فطرى يفعله الناس جميعاً، مع أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كما تحولت من الصخرة إلى الكعبة. وأمر التوجه فى الدعاء إلى الجهة العلوية مركوز فى الفطر، والمستقبل للكعبة يعلم: أن الله تعالى ليس هناك، بخلاف الداعى فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه، ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده.

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

وأما النقض بوضع الجبهة على الأرض فما أفسده وأسمجه ! لأن من يفعل ذلك يقصد الخضوع لمن فوقه بالذل له، لا بأن يميل إليه إذ هو تحته، هذا لا يخطر بقلب ساجد وإن كان قد حكى عن بشر المريسى أنه سمع وهو يقول: سبحان ربى الأسفل ! تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيراً . وإن من أفضى به النفى إلى هذا الحال حرى أن يتزندق إن لم يتداركه الله برحمته.

قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. فمن لم يطلب الهدى من مظانه يعاقب بالحرمان. نسأل الله العفو والعافية[1].

سؤال: هناك من تأول الفوقية بمعنى الخيرية والأفضلية. كيف رد عليهم أهل السنة؟

صيغة أخرى: هل تأول الفوقية بمعنى الخيرية والأفضلية صحيح أم فاسد؟ اذكر مذهب أهل السنة فى ذلك؟

جواب: إن تأويل الفوقية بمعنى أنه خير وأفضل لما تنفر منه العقول السليمة، لأنه من جنس قول القائل: السماء أعلى من سقف الدار، والجبل أثقل من الحصى، ورسول الله أفضل من اليهود، فليس فى ذلك تمجيد ولا تعظيم، بل هو من أرذل الكلام وأسمجه بل فيه تنقص كما فى المثل السائر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل: إن السيف أمضى من العصى

اللهم إلا إذا كان المقام يقتضى ذلك، كما فى الاحتجاج على مبطل. قال تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

وإنما ثبت هذا المعنى من الفوقية. ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه. فله سبحانه فوقية القهر، وفوقية القدر، وفوقية الذات، فمن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص[2].

سؤال: وهناك من تأول العلو بأنه علو المكانة والمنزلة، أو علوه فى القلوب . اذكر كيفية الرد عليهم ؟

صيغة أخرى: هل تأول العلو بأنه علو المكانة والمنزلة صحيح أم فاسد؟ دلل على ما تقول.

جواب: علوه تعالى مطلق من جميع الوجوه. فإن قالوا: بل علو المكانة والمنزلة لا المكان والمنزل. قلنا: إن المكانة والمنزلة تأنيث للمكان والمنزل، وهى تستعمل فى المكانات النفسانية

(١، ٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

والروحية كما يستعمل لفظ المكان والمنزل فى الأمكنة الجسمانية. جاء فى الأثر: « إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله فى قلبه، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد فى قلبه»(١).

فقوله: منزله الله فى قلبه: أى ما يكون فى قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه، فإذا عرف أن المكان والمنزلة تأنيث المكان والمنزل، والمؤنث فرع المذكر فى اللفظ والمعنى وتابع له، فعلو المثل الذى يكون فى الذهن يتبع علو الحقيقة، إذا كان مطابقاً كان حقاً ، وإلا كان باطلاً

فإن قيل: المراد علوه فى القلوب من كل شئ.

قلنا: وكذلك هو، وهذا العلو مطابق لعلوه فى نفسه على كل شئ، فإن لم يكن عالياً بنفسه على كل شئ كان علوه فى القلوب غير مطابق، كمن جعل ما ليس بأعلى أعلى(٢).

سؤال : لقد تعلق كثير من نفاة العلو ببعض النصوص التى حسبوا أنها تشهد لما ذهبوا إليه من نفى حقيقة العلو، وتأويل النصوص التى تدل على ذلك، نذكر منها : قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[البقرة : ١١٥]. كيف رد عليهم أهل السنة؟

صيغة أخرى: اذكر شبه من نفى العلو وبما استدلوا على ذلك وكيف رد عليهم أهل السنة؟

جواب : وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية (٣). عن ذلك بأن هذه الآية ليست من آيات الصفات وأن من عدها فى الصفات، فقد غلط، فالوجه هنا هو: الجهة، يقال: أى وجه تريده؟ أى: أى جهة، وأنا أريد هذا الوجه أى: هذه الجهة، وسياق الكلام يدل على ذلك حيث قال ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾. والمشرق والمغرب: الجهات، وقد صح عن مجاهد والشافعى وغيرهما تفسيرها بالقبلة أى : قبلة الله أينما توجهت شرقاً أو غرباً.

وقد جاء فى سبب نزول هذه الآية عدة أقوال منها:

القول الأول: إنها نزلت فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا على أنحاء مختلفة، فأخبرهم ـ جل وعلا ـ : أن له المشارق والمغارب وأنهم حيثما ولوا وجوههم فصلاتهم ماضية.

القول الثانى: وروى أنها نزلت على رسول الله ﷺ إذناً من الله أن يصلى المتطوع حيث توجه من شرق أو غرب فى سفره لما روى عن ابن عمر أنه كان يصلى حيث توجهت به راحلته، ويذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك ويتأول هذه الآية: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(٤).

---

(١) عبر بالأثر، ولم يعبر بالحديث، وهو تعبير دقيق، لأنه ليس بحديث بل هو قول مأثور.

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية : (٣/ ١٩٣).

(٤) [صحيح] أخرجه مسلم (٣/ ٢٢٥/ ٣٣)، والترمذى (٢/ ١٨٣/ ٣٥٢).

من طريق: خالد الأحمر، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر به.

القول الثالث: وقيل إنها نزلت رداً على اليهود عندما قالوا بعد تحويل القبلة إلى الكعبة : ﴿**ما ولاَّهُمْ عن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا**﴾ [البقرة: ١٤٢].

القول الرابع: قال عكرمة عن ابن عباس: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾ . قال: قبلة الله أينما توجهت شرقاً أو غرباً .

القول الخامس : وقال مجاهد: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾ حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها: الكعبة.

وعلى هذا، فدلالة السياق من ناحية، ودلالة أسباب النزول من ناحية أخرى: يشهدان بأن المقصود هو الحديث عن جهة القبلة، وأن الآية لم تسق للحديث عن صفة من صفات الله عز وجل، حتى يمثل الأمر شبهة على قضية العلو، أو يكون بحاجة إلى تأويل[1].

سؤال : استدل المؤولون لصفه العلو بأدلة تدل على المعية العامة، وأخرى تدل على المعية الخاصة. اذكرهما والجواب عليهما؟

جواب : أولاً نصوص تدل على المعية العامة مثل: قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [الحديد: ٤]

وقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [المجادلة: ٧].

ثانياً : نصوص تدل على المعية الخاصة مثل: قوله تعالى: ﴿**قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ**﴾ [طه: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[التوبة: ٤٠].

والجواب : إنه لا حجة للمعطلة في هذه النصوص، إذ لا منافاة بين علوه على عرشه وبين معيته لخلقه، فما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر فيهما من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شئ في جميع نعوته، فهو عليٌّ في دنوه قريب في علوه. فالجواب عليهم من أكثر من جهة ، منها:

الأولى: وقد أجمع سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين، وأئمة العلماء المجتهدين على أنه سبحانه وتعالى فوق سماواته مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، وأنه مع ذلك قريب من عباده أينما

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

وَنَقُولُ : إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَى تكليما، إِيمَاناً وَتَصْدِيقاً وَتَسْلِيماً .

كانوا، فهو معهم جميعًا بعلمه وقدرته وسلطانه، ويخص بعضهم بمعية إعانة وتأييد ونصر، هذا هو المنقول عن علماء الصحابة والتابعين، وما خالفهم فى ذلك أحد يحتج بقوله، وقد ذكر ابن عبد البر وغيره: أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يخالفهم فى ذلك أحد يعتد بقوله، وهو مأثور عن: ابن عباس، والضحاك، ومقاتل بن حيان، وسفيان الثورى، وأحمد بن حنبل وغيرهم.

الثانية : ومن ناحية أخرى : فإن المعية ـ كما سبق ـ قد وردت خاصة ووردت عامة، فلو كان المراد أنه بذاته مع كل شئ لكان التعميم ينافى التخصيص، فإنه قد علم أن قوله تعالى: ﴿**لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾. أراد به تخصيصه وأبابكر دون عدوهم من الكفار. وكذلك قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ [النحل: ١٢٨]. خصهم بذلك دون الظالمين والفجار.

الثالثة : فإن لفظ المعية لا يراد به ـ فى لغة العرب ولا فى القرآن الكريم ـ اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى، كما فى قوله: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾الآية [الفتح: ٢٩] وقوله ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩]. وقوله: ﴿**فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم**﴾ [النساء: ٦٩]. وقوله: ﴿**وَجَاهِدُوا مَعَكُمْ**﴾ [الأنفال: ٧٥]. ومثل هذا كثير فامتنع أن يكون قوله: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ**﴾ يدل على أن ذاته مختلطة بذوات الخلق فهذا خلاف ما فطر الله عليه الخلق وأجمع عليه سلف الأمة.

وإلى الذين تضيق آفاقهم وتقصر عقولهم دون إدراك ذلك، نقول لهم: أليس القمر ـ وهو آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته ـ يراه المسافر وغير المسافر معه أينما كان بينما هو موضوع فى مكانه فى السماء؟!

والله أكبر من ذلك وأعظم، فما الذى يحيله العقل فى أن يكون ـ عز وجل ـ فوق سماواته مستوياً على عرشه بائناً من خلقه، وأن يكون مع عباده حيث كانوا معية فى كل موضع بحسبه، فهى مع الخلق كلهم معية علم وإحاطة، ومع بعضهم معية تأييد وإعانة؟![1].

قوله: «ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً...».

سؤال : مامعنى الخلة ؟

جواب : الخلة: كمال المحبة، وهى ثابتة لله على وجه بما يليق به. قال تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ**

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

إبراهيم خليلا﴾ [النساء: ١٢٥]. وقال ﷺ : «لوكنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله»(١).

وفى رواية : «إنى أبرأ إلى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً» (٢)(٣).

سؤال : ما الفرق بين الخلة والمحبة؟

جواب : الخلة أخص من مطلق المحبة، فقد بين ﷺ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً، وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر، مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً كقوله لمعاذ: «والله إنى لأحبك»(٤)، وكذلك قوله للأنصار، وكان أسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه. فالخلة إذن أخص من مطلق المحبة، ومن كمالها: أن المحبوب بها محبوب لذاته، وإنها لا تقبل الشركة ففيها كمال التوحيد وكمال الحب.

ولذلك أمر الله خليله إبراهيم بذبح ولده لما أخذ منه شعبة من قلبه: غيرة من الله على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فلما استسلم لربه، وظهر سلطان الخلة جاء الفداء لأن المصلحة فى الذبح كانت ناشئة من العزم و توطين النفس على ما أمر، فلما حصلت هذه المصلحة عاد الذبح مفسدة فنسخ فى حقه. وكما أن منزلة الخلة ثابتة لإبراهيم قد شاركه فيها نبينا ﷺ ، فإن منزلة التكليم ثابتة لموسى قد شاركه فيها نبينا ﷺ كما فى حديث المعراج(٥)(٦).

سؤال : اذكر موقف الجهمية والصابئة والمشركين من اتخاذ الله إبراهيم خليلاً وكذلك محمد ﷺ ، وتكليم موسى ؟ وماهى حجتهم ؟

جواب : وقد أنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين، زعماً منهم: أنها لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، ولا تناسب بين القديم والحديث، كما أنكروا حقيقة التكلم. وأول من ابتدع

(١) [صحيح] : أخرجه مسلم (٢٣٨٣)، وهو فى «المصنف» (١١/ ٤٧٣) لابن أبى شيبة، من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم (٨/ ١٦١/ ح٢٣٨٣)، من حديث ابن مسعود، والبخارى (٧/ ٢١/ ح٣٦٥٦)، من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ سبق فى القسم الأول.

(٣) انظر «تقريب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٤) أخرجه أبو داود (٢/ ٨٧، ٨٨/ ١٥٢٢)، والنسائى (٦/ ٣٢/ ٩٩٣٧)، كلاهما من طريق: حيوة بن شريح، قال: سمعت عقبة بن مسلم يقول: حدثنى أبو عبدالرحمن الحبلى، عن الصنابحى، عن معاذ بن جبل به سبق فى القسم الأول.

(٥) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، والنسائى (١/ ٢١٧)، من رواية أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٦) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

ذلك هو الجعد بن درهم فى أوائل المائة الثانية، وضحى به خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق والمشرق بواسط، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين. وأخذ هذا المذهب عن الجعد الجهم بن صفوان، وإليه نسبت الجهمية، فقتله مسلم بن أحوز أمير خراسان بها، ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد، وظهر قولهم فى أثناء خلافة المأمون حتى امتحن أئمة الإسلام ودعوهم إلى الموافقة لهم على ذلك.

وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة، وهم ينكرون أن يكون إبراهيم خليلاً وموسى كليماً لأن الخلة: هى كمال المحبة المستغرقة للمحب كما قيل:

وقد تخللت مسلك الروح منى ولذا سمى الخليل خليلاً

ولكن محبته وخلته كما يليق به تعالى كسائر صفاته[1].

سؤال: إذا كان النبى ﷺ أفضل من إبراهيم، فكيف يطلب له من الصلاة مثل ما لإبراهيم مع أن الأصل فى المشبه به أن يكون فوق المشبه؟

جواب: وقد أجيب عن ذلك بأجوبة عديدة، وأحسنها جوابان:

الأول: إن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس من آل محمد مثلهم، فإذا طلب للنبى وآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء، حصل لآل محمد ما يليق بهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التى للأنبياء - وفيهم إبراهيم - لمحمد ﷺ، فيحصل له من المزية ما لم يحصل لغيره.

الجواب الثانى: النبى من آل إبراهيم، بل أفضل آل إبراهيم، فيكون قولنا: كما صليت على آل إبراهيم متناولاً الصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم[2].

سؤال: ماهى الخصائص التى خص الله بها بيت إبراهيم؟

جواب: لما كان بيت إبراهيم أشرف بيوت العالم على الإطلاق خصهم الله بخصائص، منها:

أنه جعل فيه النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم نبى إلا من أهل بيته.

أنه جعلهم أئمة يهدون بأمر الله، فمن دخل الجنة من بعدهم فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم.

أنه سبحانه اتخذ منهم الخليلين.

أنه جعل صاحب هذا البيت إماماً للناس، وأجرى على يديه بناء بيته الحرام.

(١، ٢، ٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

«ونُؤْمِنُ بِالْمَلائِكَةِ وَالنَّبِيينَ وَالْكُتُبِ الْمَنْزَلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، ونَشْهَدُ أَنهم كَانُوا عَلَى الحَقِّ الْمُبِينِ».

قوله: «ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب...».

هذه الأمور من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[البقرة: ١٧٧].

فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من أمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

قال وفى حديث جبريل وسؤاله للنبيﷺ عن الإيمان، فقال: «أَنْ تُؤمن بالله، وملائكته، وكُتُبه، ورُسُله، واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقَدَر خَيْره وشَرِّه»(١). فهذه الأصول التى اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

سؤال: «أصل الدين الإيمان بماجاء به الرسول» ناقش هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟

جواب: أصل الدين الايمان بما جاء به الرسول، ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة ـ لما تضمنتا هذا الأصل ـ لهما شأن عظيم ليس لغيرهما، كما فى (الحديث)، قال رسول اللهﷺ: «مَنْ قَرأ الآيتين منْ آخرِ سُورة البقرة فى لَيْلَة كَفَتَاه»(٢).

سؤال: اذكر أصناف الملائكة وما وكلوا به من أعمال ومهام؟

جواب: قد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال فى القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالجنةوعمارتها وغراسها ملائكة.

قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[النازعات: ٥]. ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾[الذاريات: ٤]. وهم الملائكة عند

---

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (١/ ١٧٧/١)، من طريق: كهمس، عن ابن بُريدة، عن يحيى بن يعمر عن عمر بن الخطاب عنه به.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٨/ ٦٧٢/ ٥٠٠٨، ٥٠٠٩)، ومسلم (٢/ ٦/ ٩١ ـ النووى)، وأحمد فى «مسنده» (٤/ ١٢١).

من طريق: إبراهيم، عن عبدالرحمن بن يزيد، عن أبى مسعود الأنصارى.

وانظر تمام تخريجه «رياض الصالحين» (١٠١٩) بتخريجنا.

أهل الإيمان وأتباع الرسل. فالملائكة أعظم جنود الله، ومنهم: المرسلات عرفا، والناشرات نشرا، والفارقات فرقا، والملقيات ذكرا.

ومنهم النازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، والسابحات سبحاً، والسابقات سبقاً.

ومنهم الصافات صفاً، فالزاجرات زجراً، فالتاليات ذكراً.

ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس، فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون بالأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر.

سؤال: «الملائكة عباد الله وجنده يفعلون ما يؤمرون» ناقش هذه العبارة مدللاً على ماتقول؟

جواب: الملك رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شئ، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿**لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾[الأنبياء: ٢٧ ـ ٢٨]. ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [النحل: ٥٠]. ﴿**لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٩ ـ ٢٠].

سؤال: وضح العلاقة بين الملائكة وخالقهم سبحانه وتعالى وكيف ذكرهم القرءآن؟

جواب: قد بين ﷺ هذه العلاقة بقوله: «أطت السماوات بهم وحق لها أن تئط، فما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله تعالى، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه»(١) والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم، ومراتبهم، فتارة يقرن الله اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم ويضيفهم إليه في مواضع، التشريف، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم والتقريب والإخلاص. قال تعالى: ﴿**كِرَامًا كَاتِبِينَ**﴾[الإنفطار: ١١]. قال تعالى: ﴿**يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [المطففين: ٢١]. قال تعالى: ﴿**فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ**﴾ [فصلت: ٣٨]. قال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**﴾ [آل عمران: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ [الأحزاب: ٤٣](٢).

سؤال: هل للملائكة رؤساء وان كانوا كذلك فمن هم وما وظائفهم؟

---

(١) [حسن] أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٧٣) والترمذي في «الزهد» (٤/ ٢٣١٢/٥٥٦) وابن ماجه في «الزهد» (٢/ ٢ ـ ١٤٠/ ٤١٩) من حديث أبي ذر وتقدم في القسم الأول.

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

جواب: ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة : جبريل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبريل موكل بالوحي الذى به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ فى الصور الذى به حياة الخلق بعد مماتهم.

سؤال: هل يجوز المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر؟ وهل هذا من واجبات الاعتقاد؟

جواب: قال وقد تكلم فى المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحى البشر أو الأنبياء فقط على الملائكة. والشيخ ـ رحمه الله ـ لم يتعرض إلى هذه المسألة بنفى ولا إثبات، ولعله يكون قد ترك الكلام فيها قصداً، فإن الإمام أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ وقف فى الجواب عنها، على ما ذكره فى (مأل الفتاوى)، فإنه ذكر مسائل لم يقطع أبو حنيفة فيها بجواب، وعد منها: التفضيل بين الملائكة، والأنبياء. وهذا هو الحق.

فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن نعتقد أى الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجب لبين لنا نصاً، وقد قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة: ٣] ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ [مريم: ٦٤]. فالسكوت والكلام فى هذه المسأله نفياً وإثباتاً ـ والحالة هذه ـ أولى[1].

وحاصل الكلام: أن هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول، والله أعلم بالصواب.

سؤال: ما معنى الإيمان بالأنبياء والرسل وهل لهم عدد معين؟

جواب: وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى فى كتابه من رسل، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم أنبياء لا يعلم أسمائهم وعددهم إلا الله تعالى الذى أرسلهم. فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت فى عددهم نص.

---

(١) ممن تكلم فى هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد رجح فضل صالحى البشر على الملائكة، ومن أقوى ما استدل به، ما رواه الحاكم فى (المستدرك) بسند صحيح، عن بشر بن شغاف، عن عبدالله بن سلام، قال: وكنا جلوساً فى المسجد يوم الجمعة، فقال: إن أعظم أيام الدنيا يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة، وإن أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم ﷺ. قال: قلت يرحمك الله فأين الملائكة؟ قال: فنظر إلىّ وضحك وقال: يا ابن أخى هل تدرى ما الملائكة ؟ إنما الملائكة خلق كخلق السماء والأرض والرياح والسحاب وسائر الخلق الذى لا يعصى الله شيئاً. قال الشيخ ناصر: رواه الحاكم فى (المستدرك) «٤/ ٥٦٨ ـ ٥٦٩» بسند صحيح، وصححه هو والذهبى وقوله: «وكنا جلوساً فى المسجد يوم الجمعة» فيه أن قول عبدالله بن سلام كان على ملأ من الصحابة والتابعين، ومن دون أن ينكر عليه أحد منهم. وفيه أيضا أن السلف قد تكلموا فى المسألة وخاضوا فيها. وليست هى من محدثات الأمور.

ومما استشهد به أيضاً قول النبى ﷺ: «**لزوال الدنيا على الله أهون من قتل رجل مؤمن، والمؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده**».

قال شيخ الإسلام: وهذا نص فى أن المؤمنين أكرم على الله من الملائكة المقربين. وللشيخ كلام آخر قوى، راجعه فى (الفتاوى): (٤/ ٣٥٠ ـ ٣٩٢).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل له خلافه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[النحل: ٣٥]. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[النحل: ٨٢]. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[التغابن: ١٢].

وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه واتباع ماجاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً.

سؤال: من هم أولوا العزم من الرسل دلل على ما تقول؟

جواب: وأما أولوا العزم من الرسل، فقد قيل فيهم أقوال، أحسنها: ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة: أنهم نوح، وإبراهيم وموسى، وعيسى، ومحمد ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب: ٧]. وفي قوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى: ١٣].

سؤال: كيف يكون الإيمان بجميع الكتب المنزلة على المرسلين؟

جواب: وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوارة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى، ونؤمن بأنها من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء. وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد عن الإيمان بغيره من الكتب.

[فهذه هي الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل. فالإيمان هو: الإيمان بهذه الجملة، فقد سمى الله من آمن بها مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بها. قال تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾[النساء: ١٧٦]].

سؤال: اذكر تحريف الفلاسفة لأصول الدين؟

جواب: أما أعداء الرسل، ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة فإنهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس إنكاراً لها هم الفلاسفة، فحقيقة قولهم: أنهم لا يؤمنون بالله ولا برسله ولا بكتبه ولا بملائكته ولا باليوم الآخر:

«وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النبيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخبَرَ مُصَدِّقِينَ».

---

١ ـ فالله عندهم موجود لا ماهية له ولا حقيقة، لا يفعل بقدرته ومشيئته، وهم ينفون عنه سمعه وبصره وسائر صفاته.

٢ ـ وأما كتبه عندهم فهم لا يصفونه بالكلام، والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر طاهر تميز بقوة الإدراك ـ لينال من العلم أعظم مما يناله غيره. وقوة النفس، وقوة التخييل ليخيل بها القوى العقلية فى أشكال محسوسة.

٣ ـ والملائكة عندهم أمور ذهنية لا وجود لها فى الأعيان.

٤ ـ أما اليوم الآخر ومشاهده فما هى إلا أمثال مضروبة لتفهيم العوام لا حقيقة لها فى الخارج.

فهذا هو إيمان هؤلاء بأصول الدين الخمسة(١).

سؤال: اذكر تحريف المعتزلة لأصول الدين؟

جواب: أما المعتزلة فقد أبدلوا هذه الأصول بأصولهم الخمسة:

١ ـ فنفوا عن الله كل صفة، وسموا ذلك توحيداً

٢ ـ وتكلموا فى أفعاله التى هى القدر، وسموا ذلك العدل.

٣ ـ ثم مسائل الأسماء والأحكام التى هى المنزلة بين المنزلتين.

٤ ـ ومسألة إنفاذ الوعيد.

٥ ـ ثم تكلموا عن إلزام الغير بذلك، الذى هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فهذه أصولهم الخمسة التى وضعوها بإزاء أصول الدين الخمسة التى بُعِثَ بها الرسول ﷺ(٢).

سؤال: وهل حرف فى أصول الدين أحد غير من تقدم؟ وما هو موقف أهل السنة؟

جواب: نعم والرافضة المتأخرون، جعلوا الأصول أربعة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة. أما أهل السنة والجماعة فأصولهم تابعة لما جاء به الرسول ﷺ(٣).

قوله: «ونسمى أهل قبلتنا مسلمين...».

سؤال: بما دلل المصنف؟ على قوله (ونسمى أهل قبلتنا مسلمين ...)إلخ؟

جواب: يشير الشيخ: أن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب. ما لم يستحله، أو يكذب بشئ مما جاء به الرسول ﷺ.

(١، ٢، ٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

«وَلاَ نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلاَ نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ».

«وَلاَ نُجَادِلُ فِي القُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلاَمُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ

قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا»(*)(١).

قوله «ولا نخوض في دين الله...».

سؤال: اذكر معنى «ولا نخوض في الله، ولانُمَارِي في دين الله»؟

جواب: يشير الشيخ إلى الكف عن كلام المتكلمين بالباطل، وذم عملهم، فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم: ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى**﴾[النجم:٢٣].

وعن أبي حنيفة، قال: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشئ، بل يصفه بما وصف به نفسه.

وقوله: «لانماري في دين الله» معناه: لا نخاصم أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم، التماساً لامترائهم وميلهم، لأنه في معنى الدعاء إلى الباطل وتلبيس الحق، وإفساد دين الإسلام.

سؤال: ما المراد بقول الماتن «ولا نجادل في القرآن؟

جواب: قوله: [**ولا نجادل في القرآن**]: يحتمل أنه أراد به أنَّا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا، بلَ نقول: إنه كلام رب العالمين.... إلخ كلامه.

ويحتمل أنه أراد: أنَّا لا نجادل في القراءة الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح، وكل من المعنيين حق.

(*) فيه أن من كانت هذه صفته لا يجوز الإقدام على تكفيره، ما لم يظهر منه ما ينقض الإيمان، وكذلك من كانت هذه صفته يحكم عليه بالإسلام من دون أن يسأل عن عقيدته، أو يجرى له اختبار في التوحيد، فمثل هذا الصنيع لم يؤثر عن السلف الصالح، بل هو من خلق الخوارج الغلاة.
وكذلك فيه: أن تارك الصلاة، أو من اتصفت عنه هذه الصفات فهو غير مسلم، هذا ما يقتضيه مفهوم المخالفة للحديث، والله تعالى أعلم. قال حنبل: حدثنا الحميدي قال: وأخبرت أن ناساً يقولون: من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت، ويصلي مستدبر القبلة حتى يموت، فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً. إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقراً بالفرائض واستقبال القبلة، فقلت: هذا الكفر الصراح، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماء المسلمين، قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾.
وقال حنبل: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: من قال هذا فقد كفر بالله ورد على أمره وعلى الرسول ما جاء به عن الله اهـ. من الفتاوى لابن تيمية: (٧/ ٩٠٢).

(١) [**صحيح**] أخرجه البخاري (١/ ٥٩٢/ ٣٩١).
من طريق: عمرو بن عباس قال: حدثنا ابن المهدي، قال حدثنا منصور بن سعد، عن ميمون بن سياه، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: .... الحديث».

المرْسَلينَ مُحَمَّداً صَلَّى الله عَليه وعَلَى آله أَجْمَعينَ. وَهُوَ كَلامُ الله تَعَالى لا يُسَاويه شَيءٌ مِنْ كَلامِ المَخْلُوقينَ، وَلاَ نَقُولُ بِخَلْقِه، وَلاَ نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المُسْلِمينَ».

ويشهد للثانى ما روى عن ابن مسعود أنه قال: سمعت رجلاً قرأ آية سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك، فعرفت فى وجهه الكراهة، وقال: «لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»(١)(٢).

سؤال: اشرح قوله «ولانجادل فى القرآن»؟

جواب: نهى عن الاختلاف الذى فيه جحد كل منهم ما مع صاحبه من الحق لأن كلاً منهما كان محقاً

ولهذا قال حذيفة لعثمان: أدرك هذه الأمة لا تختلف كما اختلفت الأمم قبلهم، فجمع الناس على حرف واحد اجتماعاً سائغاً، ولم يكن فى ذلك ترك واجب أو فعل محظور، لأن القراءة على سبعة أحرف جائزة وليست واجبة رخصة من الله تعالى.

فلما خشى الصحابة: أن تختلف الأمة وتتقاتل إن لم تجتمع على حرف واحد جمعهم الصحابة عليه وهم معصومون من أن يجتمعوا على ضلالة وهذا قول جمهور السلف من العلماء والقراء.

كما أن ترتيب السور ليس واجباً منصوصاً عليه بل هو جائز، ولهذا كان ترتيب مصحف عبدالله على غير ترتيب المصحف العثمانى، بخلاف ترتيب الآيات فإنه منصوص عليه فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية.

وقد ذكر ابن جرير: أن الترخيص فى الأحرف السبعة كان فى أول الإسلام لمشقة الاجتماع على الحرف الواحد، فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة اجتمعوا على الحرف الذى كان فى العرضة الأخيرة(٣).

سؤال: هل كان ابن مسعود يجوز القراءة بالمعنى؟

جواب: من نقل عن ابن مسعود أنه كان يجوز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه، وإنما قال: نظرت إلى القراءة فرأيت قراءتهم متقاربة، وإنما هو كقول أحدكم: هلم، أقبل، تعالى، فاقرءوا كما علمتم.

سؤال: كيف تكون مناظرة أهل القبلة؟

جواب: وإذا كان الله قد أمرنا أن نجادل أهل الكتاب بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فكيف بأهل القبلة وهم بالجملة خير من أهل الكتاب، فلا يجوز أن يناظر من لم يظلم منهم إلا بالتى هى أحسن، ولا يكفر المخطئ منهم قبل أن تقوم عليه الحجة التى يكفر من تركها، وقد ذم

---

(١) [صحيح] أخرجه البخارى (٨/ ٧٢٠/ ٥٠٦٢) من حديث ابن مسعود رضى الله عنه تقدم فى القسم الأول.

(٢، ٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

«وَلاَ نُكفِّرُ أَحَداً مِنَ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَستَحِلَّهُ، وَلاَ نَقُولُ: لاَ يَضُرُّ مَعَ الإِيْمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ».

السلف أهل الأهواء وذكروا أن آخر أمرهم السيف[1]!

سؤال ١٩٢: اشرح قول المصنف رحمه الله تعالى فى قول الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾[الشعراء: ١٩٣].؟

جواب ١٩٢: هو جبريل، سمى روحٌ لأنه حامل الوحى الذى به حياة القلوب إلى الرسل من البشر وهو أمين حق أمين، قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢١].

قال المصنف رحمه الله تعالى: «**فعلمه سيد المرسلين**».

فيه تصريح بتعليم جبريل إياه إبطالاً لتوهم القرامطة وغيرهم أنه تصوره فى نفسه إلهاماً.

سؤال: بما يرد على من زعم: أن القرآن مخلوق؟

جواب: قال المصنف رحمه الله تعالى: «**ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين**».

فمن قال بخلق القرآن فقد خالف جماعة المسلمين لاتفاق السلف على أنه كلام الله بالحقيقة غير مخلوق. بل قوله: ﴿**ولا نخالف جماعة المسلمين**﴾ مجرى على إطلاقه: أى لا نخالف جماعة المسلمين فى جميع ما اتفقوا عليه فإن خلافهم زيغ وضلالة[2].

قوله ولا نكفر أحداً من أهل القبلة...».

سؤال: اذكر مذاهب الناس فى التكفير؟

جواب: يشير الشيخ إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب. واعلم أن باب التكفير وعدم التكفير، باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق. وتشتتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس فيه على طرفين ووسط.

سؤال: هل القول بأنّا لا نكفر من أهل القبلة أحداً، يصح على إطلاقه؟

جواب: فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحداً، فتنفى التكفير نفياً عاماً، مع العلم بأن فى أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين.

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول: بأنا لا نكفر أحداً بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعل الخوارج.

[فالواجب هو نفى العموم وليس النفى العام، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب].

(١، ٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

سؤال: هل إنكارُ ما هو معلومٌ من الدين بالضرورةِ، يكون كُفراً؟

جواب: فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، فإنه يستتاب.

فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً[1].

سؤال: «البِدَعُ والفجورُ مظنتان للنفاق والردَّة» اشرح هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟

جواب: النفاق والردة مظنتهما[2] البدع والفجور، كما ذكره الخلال في كتابه (السنة) بسنده إلى محمد بن سيرين، أنه قال: إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨][3].

سؤال: «المرجئةُ في الطَّرَفِ النقيض للخوارج» اشرح هذه العبارة؟

جواب: قوله: «**لا نقول لا يضر مع الإيمان ذنبٌ لمَن عمله**»، رد على المرجئة[4]؛ فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فهؤلاء في طرف، والخوارج[5] في طرف، فإنهم يقولون: نكفر المسلم بكل ذنب كبير.

سؤال: ما الفرق بين الخوارج والمعتزلة في مسألة الوعيد؟

---

(١) حكمة القتل لقوله ﷺ: «**من ارتدَّ عن دينه فاقتلوه**».

(٢) أي أن مظنة حصول النفاق والردة يكون من أهل البدع والفجور فالبدع والفجور بريد إلى الكفر والنفاق، كما أن الإدمان على الكبائر والاستهانة بها غالباً ما يوقع صاحبه في الكفر والشرك والعياذ بالله، وهذا يدل عليه قوله ﷺ: «**مدمن خمر كعابد وثن**» وقوله: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر**». صحيح سنن ابن ماجه (٢٧٢٠و ٢٧٢١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٤/ ٧٤٢٨)
من طريق: معاذ بن معاذ، ثنا ابن عون، عن محمد... الحديث.

(٤) قال الإمام أحمد: المرجئة يقولون من عرف ربه بقلبه وتكلم بلسانه فهو مؤمن وإن لم تعمل الجوارح اهـ. (المسائل والرسائل: ١/ ٧٢).
وقال ابن حجر في الفتح (١/ ١٠٠): نسبوا إلى الإرجاء، وهو التأخير، لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان، فقالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، ولم يشترط جمهورهم النطق، وجعلوا للعصاة اسم الإيمان على الكمال، وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب أصلاً اهـ.

(٥) قال ابن تيمية فيهم في الفتاوى (٧/ ٤٨١) هم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه من الذنوب واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك، فكانوا كما نعتهم النبي ﷺ: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**»، وكفروا علياً بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، ومن والاهما، وقتلوا علياً بن أبي طالب مستحلين لقتله؛ قتله عبدالرحمن بن ملجم المرادي منهم، وكان هو وغيره من الخوارج مجتهدين في العبادة، لكن كانوا جهالاً فارقوا السنة والجماعة. فقال هؤلاء: ما الناس إلا مؤمن أو كافر، والمؤمن فعل جميع الواجبات، وترك جميع المحرمات، فمن لم يكن كذلك فهو كافر مخلد في النار، ثم جعلوا كل من خالف قولهم كذلك. اهـ.

جواب: المعتزلة يقولون: يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان. لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر! والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين!! وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار!.

[إن نصوص الوعد التي تحتج بها المرجئة، تعارض نصوص الوعيد التي تحتج بها الخوارج والمعتزلة، ولا يستفاد من كلام كل طائفة إلا فساد مذهب الطائفة الأخرى].

سؤال: بيّنْ كيف يكون تكفيرُ العام غير تكفير المعيَّن؟

جواب: الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به، يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها، فهو كافر. وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد، وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه، بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت.

[لأنه قد يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له، وقد يكون ممن لم تبلغه الأدلة، أو أن له من الحسنات ما أوجب له رحمة الله، كما غفر للذي قال: «إذا مت فاسحقوني ثم أذروني ثم غفر الله له لخشيته، وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أوشك في ذلك][1].

عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كانَ رَجُلان في بني إسرائيل مُتَواخيَيْن، فكان أحدهما يُذنبُ، والآخَرُ مجتهدٌ في العبادَة، فكان لا يزالُ المجتَهدُ يَرى الآخرَ على الذنب، فيقولُ: أقصر، فوجده يوما على ذنب، فقال له: أقصرْ. فقال: خَلِّني وربي، أبُعِثْتَ عليَّ رَقيباً؟ فقال: والله لا يَغفرُ اللهُ لكَ، أو لا يُدخلكَ الجَنّة، فقبض أرواحَهُما، فاجتَمعَا عندَ ربِّ العالَمين، فَقال لهذا المجتهد، أكنتَ بي عالمًا؟ أو كُنتَ على ما في يَدَيَّ قادراً؟ وقال للمذنب: اذهَبْ فادخُلِ الجَنَّةَ برحمتي، وقال للآخر: اذهبُوا به إلى النار**»[2].

قال أبو هريرة والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

ثم إذا كان القول في نفسه كفراً، قيل: إنه كفر، والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقاً زنديقاً، فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخاري (١٣/ ٤٧٤/ ٦٧٥٠)، ومسلم (٩/ ٨١/ ٢٤).
من طريق: مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «... الحديث.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤/ ٢٧٧/ ٤٩٠١).
من طريق: عكرمة بن عمار، قال: حدثني ضمضم بن جوس، قال: قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... الحديث.

من يكون منافقاً زنديقاً. فإن الله صنف الخلق فى كتابه ثلاثة أصناف: صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب؛ وهم الذين لايقرون بالشهادتين، وصنف مؤمنون باطناً وظاهراً، وصنف أقروا به ظاهراً لا باطناً. وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة فى أول سورة البقرة، وكل من ثبت أنه كافر وفى نفس الأمر كان مقراً بالشهادتين، فإنه لا يكون إلا زنديقاً، والزنديق هو المنافق.

عن عمر، أن رجلاً كان على عهد النبى ﷺ، كان اسمه عبدالله، وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد جلده من الشراب، فأتى به يوماً، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه! ما أكثر ما يؤتى به! فقال رسول الله ﷺ: «**لا تلعنه، فإنه يُحب الله ورسُولَه**»(١).

سؤال: هل من عيوب أَهْل البدَعِ تكفيرُ بعضهم بعضاً بالظنِّ والشبهات؟

جواب: نعم فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن مماذح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون.

سؤال: بما نرد شبهة من قال: إن الشرع سمى بعض الذنوب كفراً واستدل به على تكفير مرتكب الكبيرة؟

جواب: بقى إشكال، وهو: أن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفراً، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»(*)(٢). وقال: «**لاترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»(**)(٣).

---

(١) [**صحيح**] أخرجه البخارى (١٢/ ٧٧/ ٦٧٨٠).

من طريق: زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ .

(*) قال ابن حزم فى «الملل» (٣/ ٢٣٧) فهو على عمومه، لأن قوله عليه الصلاة والسلام ها هنا عموم للجنس، ولاخلاف فى أن من نابذ جميع المسلمين وقاتلهم لإسلامهم فهو كافر اهـ.

وقال الشيخ ابن باز: من يستهزىء بأهل الدين والمحافظين على الصلوات من أجل دينهم ومحافظتهم عليه يعتبر مستهزئاً بالدين فلا تجوز مجالسته ولا مصاحبته بل يجب الإنكار عليه والتحذير منه، ومن صحبته، وهكذا من يخوض فى مسائل الدين، بالسخرية والاستهزاء يعتبر كافراً. اهـ.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١/ ١٣٥/ ٤٨)، ومسلم (١/ ٣٣٠/ ١١٦).

من طريق: أبى وائل، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله «...» الحديث.

(**) قال ابن حزم فى «الفصل» (٣/ ٢٣٧) الحديث على ظاهره، وإنما فى هذا اللفظ النهى عن أن يرتدوا بعده إلى الكفر فيقتتلوا فى ذلك اهـ. فحمل الكفر الوارد فى الحديث على الارتداد والكفر الأكبر، ويمكن أن يحمل على الكفر الأصغر بحسب دوافع القتال وأغراضه.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١/ ٢٦٢/ ١٢١)، ومسلم (١/ ٣٣٢/ ١١٨).

من طريق: على بن مُدرك، سمع أبا زُرعة يحدِّث عن جدِّه جرير؛ قال: قال لى النبى ﷺ فى حجة الوداع: «....» الحديث.

وقال ﷺ «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**»(١). وقال: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(٢). وقال: «**لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد**»(٣). وقال: «**بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة**»(٤).

وقال: «**من أتى كاهناً فصدقه، أو أتى امرأة فى دبرها، فقد كفر بما أنزل على محمد**»(٥).

وقال: «**من حلف بغير الله فقد كفر**»(*)(٦). وقال: «**ثنتان فى أمتى هما كفرٌ: الطعن فى النسب، والنياحة على الميت**»(٧) ونظائر ذلك كثيرة.

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (١٠/ ٥٣١/ ٦١٠٤)، ومسلم (١/ ٣٢٥/ ١١١). من طريق: عبدالله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ «. . . الحديث.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخارى (١/ ١١١/ ٣٤)، ومسلم (١/ ٣٢٢/ ١٠٦).
من طريق: الأعمش، عن عبدالله بن مرة، عن مسروق، عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله «. . . . الحديث.

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخارى (ح ٢٤٧٥، ٥٥٧٨، ٦٧٧٢، ٦٨١٠)، ومسلم (٥٧)، وأبو داود (٤٦٨٩)، والترمذى (٢٦٢٥)، وابن ماجه (٣٩٣٦)، والنسائى (٨/ ٦٤، ٦٥، ٣١٣)، من حديث عائشة بنحوه.

(٤) [صحيح] أخرجه مسلم (٨٢)، وأحمد (٣/ ٣٧٠، ٣٨٩)، والدارمى (١/ ٢٨٠)، وابن أبى شيبة (١١/ ٣٣)، وأبو داود (٤٦٧٨)، والترمذى (٢٦١٨)، وابن ماجه (١٠٧٨)، من طريق جابر رضى الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذى (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وابن الجارود (١٠٧)، والبيهقى (٧/ ١٩٨)، من حديث أبى هريرة.

(*) قال الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ فى كتابه (شرح كتاب التوحيد، ٥٩٣): فالجمهور: لا يكفر كفراً ينقل عن الملة، لكنه من الشرك الأصغر كما نص على ذلك ابن عباس وغيره. لكن الذى يفعله عباد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله، أعطاك ماشئت من الإيمان صادقاً أو كاذباً، فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته، ونحو ذلك، لم يقدم على اليمين به إن كان كاذباً. فهذا شرك أكبر بلا ريب؛ لأن المحلوف به عنده أخوف وأجل وأعظم من الله، وهذا ما بلغ إليه شرك عباد الأصنام، لأن جهد اليمين عندهم هو الحلف بالله كما قال تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ** ﴾ [النحل: ٣٨]. فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحياته، أو تربته فهو شركاً أكبر، فهذا هو تفصيل القول فى هذه المسألة اهـ.
وقد أثر عن ابن مسعود قوله: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقاً». قال الشيخ سليمان فى كتابه (شرح كتاب التوحيد). فيه دليل على أن الحلف بغير الله صادقاً أعظم من اليمين الغموس، وفيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر اهـ. المجردة عن صفة الكفر أو الشرك.

(٦) [صحيح] أخرجه الترمذى (١٥٣٥)، وإسناده صحيح، وصححه الحاكم (١/ ١٨)، من حديث ابن عمر.

(٧) [صحيح] أخرجه مسلم (٦٧)، وأحمد (٢/ ٣٧٧، ٤٤١، ٤٩٦)، وابن منده فى «الإيمان» (٦٦٠، ٦٦٢، ٦٦٣)، من حديث أبى هريرة.

والجواب: أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة، لكان مرتداً، يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولى القصاص، ولا تجرى الحدود فى الزنى والسرقة، وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام.

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل فى الكفر، ولا يستحق الخلود فى النار مع الكافرين، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى**﴾ إلى أن قال: ﴿**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة: ١٧٨]. فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولى القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب، وقال تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ [الحجرات: ١٠].

ونصوص الكتاب، والسنة، والإجماع، تدل على أن الزانى والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد.

وقد ثبت فى (الصحيح) عن النبى ﷺ أنه قال: «**مَنْ كانَت عندَه لأخيه مَظلمةٌ منْ عرض أو شيء فليَتَحَلَّلْهُ منه اليومَ، قبلَ أنْ لا يكونَ درهم ولا دينار، إن كان لَهُ عَملٌ صَالحٌ أُخِذَ منه بقَدر مَظْلَمَته، وإن لم تكن لَهُ حسنَاتٌ، أُخِذَ من سيِّئات صاحبه، فَطُرِحَتْ عليه، ثمَّ أُلقى فى النَّار**»(١). فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفى المظلوم منها حقه.

وكذلك ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما تعدُّونَ المفلسَ فيكم؟**» قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولا دينار، قال: «**المفلسَ من يأتى يومَ القيامة وله حسناتٌ أمثال الجبال قد شتم هذا، وأخذَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وقذفَ هذا، وضربَ هذا، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيتْ حسناتُه قبلَ أن يُقضى ما عليه أُخِذَ من خطاياهُمْ فطُرحتْ عليه، ثمَّ طُرِحَ فى النار**»(٢).

سؤال: بما سمى أهل السنة ذلك الكفر الذى جاء به لسان الشرع فى حق مرتكب الكبيرة؟

جواب: ومن قال من أهل السنة: إن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، قال: هو كفر عملى لا اعتقادى، والكفر عنده على مراتب؛ كفر دون كفر، كالإيمان عنده.

---

(١) [**صحيح**] أخرجه البخارى (ح ٢٤٤٩، ٦٥٣٤)، والترمذى (٢٤١٩)، وأحمد (٢/ ٤٣٥، ٥٠٦)، والطيالسى (٢٣٢٧)، والطحاوى فى «مشكل الآثار» (١/ ٧٠)، من حديث أبى هريرة.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (ح ٢٥٨١)، بلفظ أن رسول الله ﷺ، قال «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «**إن المفلس من أمتى، يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقض ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار**»، وأخرجه الترمذى (٢٤١٨)، وأحمد (٢/ ٣٠٣، ٣٣٤، ٣٧٢).

من حديث أبى هريرة.

[ومن قال: إن الإيمان هو التصديق، ولا يدخل العمل فى مسمى الإيمان، والكفر هو الجحود ولا يزيدان ولا ينقصان، قال: هو كفر مجازى غير حقيقى والكفر الحقيقى هو الذى ينقل عن الملة. وكذلك يقول فى تسمية بعض الأعمال بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]. أى صلاتكم لبيت المقدس، سميت إيماناً مجازاً، لتوقف صحتها على الإيمان، أو لدلالتها عليه. فليس بين فقهاء الملة نزاع فى أصحاب الذنوب، أنهم من أهل الوعيد إذا كانوا مقرين ظاهراً وباطناً بما جاء به الرسول ﷺ.

ولكن الأقوال المنحرفة: قول من يقول بتخليدهم فى النار كالخوارج والمعتزلة، وأردأ ما فى ذلك التعصب على من يضادهم، والتشنيع عليه](*).

سؤال: اذكر صفة الحاكم بغير ما أنزل الله الذى يكفر كفراً أكبر، والحاكم الذى يكفر كفراً أصغر؟

جواب: وهنا أمرٌ يجب أن يتفطن له، وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً أصغر، وذلك بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل لله، وعلمه فى هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاصٍ، ويسمى كافراً كفراً مجازياً، أو كفراً أصغر، وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده، واستفراغ وسعه فى معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطىء له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور.

سؤال: وضح خطأ من قال: لا يضر مع الإيمان ذنب؟

جواب: وقوله: «**ولا نقولُ لا يضر مع الإيمان ذنبٌ لمن عمله**»، أراد الشيخ مخالفة المرجئة. وشبهتهم كانت وقعت لبعض الأولين، فاتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك، فإن قدامة بن مظعون شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة، وتأولوا قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [المائدة: ٩٣]. فلما ذكر ذلك لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ، اتفق هو وعلى بن أبى طالب، وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا، وإن أصروا على استحلالها قتلوا، وقال عمر لقدامة: أخطأت استك الحفرة، أما إنك لو اتقيت وآمنت، وعملت الصالحات لم تشرب الخمر.

وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر، وكان تحريمها بعد وقعة أحد، قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فأنزل الله هذه الآية بيّن أن

(*) تهذيب الطحاوية د/ الصاوى.

من طعم الشيء في الحال التي لم يحرم فيها، فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين الصالحين، كما كان من أمر استقبال بيت المقدس، ثم إن أولئك الذين فعلوا ذلك ندموا وعلموا أنهم أخطأوا، وأيسوا من التوبة! فكتب عمر إلى قدامة يقول له: ﴿حم (١) تنزيلُ الْكتاب من اللَّه الْعزيز الْعليم (٢) غافر الذَّنب وقابل التَّوْب شديد الْعقاب﴾ [غافر: ١ ـ ٣]. ما أدري أي ذنبك أعظم، استحلالك المحرم أولاً أم يأسك من رحمة الله ثانياً؟!

سؤال: إلى من يشير المصنف بقوله: [ولانكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله؟].

جواب: يشير الشيخ ـ رحمه الله ـ بهذا الكلام إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب(١)(*).

سؤال: وإلى من يشير المصنف بقوله: [ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله؟].

جواب: يشير به إلى الرد على المرجئة القائلين لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

واعلم بأن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت فيه الفتنة والمحنة، والناس فيه في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية(٢).

سؤال: اذكر منهج المرجئة في تكفير أهل المعاصي؟.

جواب: هم الذين يقولون لا نكفر من أهل القبلة أحداً، فتنفي التكفير نفياً عاماً، مع أن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هم أكفر من اليهود والنصارى، وبعضهم قد يظهر ذلك حيث

---

(١) تعليق: قوله: [ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب مالم يستحله].

قال ابن باز ـ رحمه الله ـ مراده رحمه الله أن أهل السنة والجماعة لايكفرون المسلم الموحد المؤمن بالله واليوم الآخر بذنب يرتكبه كالزنا وشرب الخمر والربا وعقوق الوالدين وأمثال ذلك ما لم يستحل ذلك فإن استحله كفر لكونه بذلك مكذباً لله ولرسوله خارجاً عن دينه أما إذا لم يستحل ذلك فإنه لا يكفر عند أهل السنة والجماعة بل يكون ضعيف الإيمان وله حكم ما تعاطاه من المعاصي في التفسيق وإقامة الحدود وغير ذلك حسبما جاء في الشرع المطهر وهذا هو قول أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن سلك مسلكهم الباطل فإن الخوارج يكفرون بالذنوب، والمعتزلة يجعلونه في منزلة بين المنزلتين، يعني بين الإسلام والكفر، في الدنيا، وأما في الآخرة فيتفقون مع الخوارج بأنه مخلد في النار، وقول الطائفتين باطل بالكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة، وقد التبس أمرهما على بعض الناس لقلة علمه ولكن أمرهما بحمد الله واضح عند أهل الحق كما بينا وبالله التوفيق.

(*) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

«ونَرْجُو للمحسنينَ مِنَ المؤمنينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُم ويُدخلَهُم الجَنَّةَ بِرَحمته، ولا نأمَنُ عَلَيْهِم، ولا نَشْهَدُ لهم بالجنة، ونَسْتَغفِرُ لِمُسيئِيهِمْ، ونخافُ عَلَيْهِمْ ولَا نُقَنِّطُهُم».

يمكنه، وهم يتظاهرون بالشهادتين، وفيهم من يظهر إنكار بعض الواجبات أو المحرمات الظاهرة المتواترة، ولا خلاف فى استتابتهم، وقتلهم على الكفر إن أصروا.

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأننا لا نكفر أحداً بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج[1].

سؤال: وما هو موقف الخوارج والمعتزلة من فاعل الكبيرة؟

جواب: وعلى الطرف الآخر يقف الخوارج والمعتزلة: فالخوارج يكفرون بكل ذنب، والمعتزلة يخرجون مرتكب الكبيرة من الإيمان، ويقولون: إنه فى منزلة بين المنزلتين، ويوجبون له الخلود فى النار. وهناك طوائف من أهل الفقه، والحديث والكلام يقولون ذلك فى الاعتقادات البدعية، فيكفرون أصحابها وإن كانوا متأولين وكلامهم هذا من جنس كلام الخوارج والمعتزلة[2].

قوله «ونرجو للمحسنين....».

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]. ومدح أهل الخوف، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

وعن عائشة رضى الله عنها، قالت: يا رسول الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، أهو الذى يزنى ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا، يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل، يصوم، ويصلى، ويتصدق، ويخاف أن لا يقبل منه»[3].

---

(١)، (٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) أخرجه الترمذى فى (تفسير سورة المؤمنون) (ح/ ٣١٧٥)، وابن ماجه (ح/ ٤١٩٨)، وأحمد (٦/ ١٥٩، ٢٠٥)، وقال الترمذى حديث حسن.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى «الفتاوى» (٨/ ٧٠) وكذلك أمر الآخرة ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة، بل هى سبب، ولهذا قال النبى ﷺ: «**إنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: «**ولا أنا، إلاَّ أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل**». وقد قال تعالى: ﴿**ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**﴾، فهذه باء السبب؛ أى بسبب أعمالكم، والذى نفاه النبى ﷺ باء المقابلة، كما يقال: اشتريت هذا بهذا، أى ليس العمل عوضاً وثمناً كافياً فى دخول الجنة، بل لابد من عفو الله وفضله ورحمته، فبعفوه يمحو السيئات، وبرحمته يأتى بالخيرات، وبفضله يضاعف البركات.

قال الحسن رضى الله عنه: عملوا ـ والله ـ بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحساناً وخشيةً، والمنافق جمع إساءة وأمناً.

سؤال: اذكر لوازم الرجاء؟

جواب: ومما ينبغى أن يعلم أن من رجا شيئاً، استلزم رجاؤه أموراً: محبة ما يرجوه، وخوفه من فواته، وسعيه فى تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شىء من ذلك، فهو من باب الأمانى، والرجاء شىء، والأمانى شىء آخر، فكل راجٍ خائفٌ، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات.

[فالرجاء إنما يكون مع الإتيان بالأسباب، فلو أن رجلاً رجا أن يجيئه ولد بغير جماع، أو أن يجنى غلة أرضه من غير حرث وزرع وتعاهد للأرض، أو أن يصبح عالماً من غير طلب للعلم، لعده الناس من أسفه السفهاء، فكذلك من رجا الجنة بغير طاعة وامتثال، ذلك أن من رجا شيئاً أحبه، وخاف فواته، وسعى فى تحصيله بحسب الإمكان، وأما رجاء لا يقترن بشىء من ذلك فهو من باب الأمانى.

فالرجاء شىء والأمانى شىء آخر، فكل راجٍ خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات. والشرك لا ترجى له المغفرة لأن الله عزوجل نفى عنه المغفرة، وأما ما سوى الشرك من الذنوب ففى مشيئة الله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء: ١١٦].

وقد يقترن بالكبيرة من الخوف والحياء ما يلحقها بالصغائر، وقد يقترن بالصغيرة من الاستهانة وعدم المبالاة ما يلحقها بالكبائر، وهذا أمر مرده إلى ما يقوم بالقلب](*).

سؤال: «الاستخفاف بالصغائر قد يلحقها بالكبائر» اشرح هذه العبارة؟.

جواب: الكبيرة قد يقترن بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقترن بالصغيرة، من قلة الحياء، وعدم المبالاة، وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل.

= وفى هذا الموضع ضل طائفتان من النَّاس: فريق آمنوا بالقدر، وظنوا أن ذلك كاف فى حصول المقصود، فأعرضوا عن الأسباب الشرعية، والأعمال الصالحة، وهؤلاء يؤول بهم الأمر إلىّ أن يكفروا بكتب الله ورسُله، ودينه.

وفريق أخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الأجير من المستأجر، متكلين على حولهم وقوتهم وعملهم، وكما يطلبه المماليك، وهؤلاء جهال ضلال فإنّ الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة إليه، ولا نهاهم عما نهاهم بخلاً له، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وهو سبحانه كما قال: ﴿**يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى**﴾ ا هـ.

(*) تهذيب الطحاوية د/ الصاوى.

سؤال: اذكر الأسباب التى تمنع من لحوق الوعيد بالمعين؟

جواب: فإن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم، بنحو عشرة أسباب، عرفت بالإستقراء من الكتاب والسنة.

السبب الأول: التوبة، قال تعالى: ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ**﴾ [مريم: ٦٠]. وقال: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا**﴾ [البقرة: ١٦٠].

الثانى: الإستغفار، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الأنفال: ٣٣].

سؤال: ما العلاقة بين الاستغفار والتوبة؟.

جواب: وكل واحد من الاستغفار والتوبة يدخل فى مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران أحد اللفظين بالآخر فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه فى المستقبل من سيئات أعماله.

ونظير هذا الفقير والمسكين، فكل منهما إذا أفرد شمل المقل والمعدم، وإذا اقترن أحدهما بالآخر كان المراد بأحدهما المقل وبالآخر المعدم على خلاف فيه. وكذلك الإثم والعدوان، والبر والتقوى، والفسوق والعصيان، والإيمان والإسلام[1].

الثالث: الحسنات، فإن الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود: ١١٤]. وقال ﷺ: «**واتبع السيئة الحسنة تمحها**»[2].

الرابع: المصائب الدنيوية، قال ﷺ: «**ما يُصيبُ المؤمنَ من وَصبٍ ولا نَصَبٍ، ولا غمٍّ، ولا همٍّ، ولا حَزَنٍ حتى الشوكَة يُشاكُها، إلاَّ كَفَّرَ بها من خطاياه**»[3].

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) أخرجه الترمذى (ح/ ١٩٨٧)، والدارمى (٢/ ٣٢٣)، وأحمد (٥/ ١٥٣، ١٥٨)، وأبو نعيم (٤/ ٣٧٨)، من حديث أبى ذر، ولفظه بتمامه: «**اتق الله حينما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٢٨، ٢٣٦)، من حديث معاذ بن جبل، وأورده الترمذى، بعد حديث أبى ذر.

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخارى (ح ٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣)، من حديث أبى سعيد، وأبى هريرة، وأخرجه الترمذى (٩٦٦)، أحمد (٢/ ٣٠٢، ٣٣٥)، (٣/ ١٨، ٤٨، ٦١، ٨١)، والبخارى فى «الأدب المفرد» (٤٩٢)، وأبو يعلى الموصلى (١٢٣٧، ١٢٥٦)، وأخرجه البخارى (ح/ ٥٦٤٠) ومسلم (٢٥٧٢)، من حديث عائشة بلفظ «**ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها**»، وهو فى «مشكل الآثار» للطحاوى (٣/ ٦٩).

فالمصائب نفسها مكفرة، وبالصبر عليها يثاب العبد[1] وبالتسخط يأثم، بالمصيبة من فعل الله لا من فعل العبد، وهى جزاء من الله للعبد على ذنبه، ويكفر ذنبه بها.

الخامس: عذاب القبر.

السادس: دعاء المؤمنين واستغفارهم، فى الحياة وبعد الممات.

السابع: ما يهدى إليه بعد الموت، من ثواب صدقةٍ، أو قراءةٍ، أو حج، ونحو ذلك.

الثامن: أهوال يوم القيامة وشدائده.

التاسع: ما ثبت فى (الحديث): «**أن المؤمنين إذا عبروا الصراط، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة**»[2].

العاشر: شفاعة الشافعين، كما تقدم.

الحادى عشر: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة، كما قال تعالى: ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨و ١١٦].

[فإن كان ممن لم يشأ الله أن يغفر له لعظم جرمه، فلابد من دخوله إلى الكير ليخلص طيب إيمانه من خبث معاصيه، فلا يبقى فى النار من كان فى قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان. وإذا كان الأمر كذلك امتنع القطع لأحد معين من الأمة - باستثناء من وردت بشأنهم النصوص - ولكن نرجو للمحسنين ونخاف عليهم][3].

سؤال: لا يدخل أحد الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته، اشرح ذلك مع ذكر الدليل؟

جواب: يجب على المؤمن أن يعتقد هذا الذى قاله الشيخ فى حق نفسه وحق غيره. قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾ [الإسراء: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

---

(١) قال الشيخ السعدى - رحمه الله - فى «مقدمة التفسير»: أمر الله بالصبر وأثنى على الصابرين، وذكر جزاءهم العاجل والآجل فى عدة آيات، نحو تسعين موضعاً، وهو يشمل أنواعه الثلاثة: الصبر على طاعة الله، حتى يؤديها كاملة من جميع الوجوه، والصبر على محارم الله حتى ينهى نفسه الأمارة بالسوء عنها. والصبر على أقدار الله المؤلمة، فيتلقاها بصبر وتسليم، غير متسخط فى قلبه، ولا بدنه ولا لسانه اهـ.

(٢) [صحيح] أخرجه البخارى (ح/ ٢٤٤٠، ٦٥٣٥)، وأحمد (٣/ ١٣، ٥٧، ٦٣، ٧٤)، والبخارى فى «الأدب المفرد» (٤٨٦)، والطبرى (١٤/ ٣٧)، وابن منده فى «الإيمان» (٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩)، وأبو يعلى (١١٨٦).

(٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

والأمْن والإياسُ يَنْقُلان عَنْ ملَّةِ الإسْلامِ، وسَبيلُ الحَقِّ بَيْنَهُما لأهْلِ القِبلَةِ.

وفي حديث عائشة قالت: «**قلت يا رسول الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾** [المؤمنون: ٦٠] الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «**لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه**»(١). وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [البقرة: ٢١٨]. فجعل رجاءهم مع إيمانهم بهذه الطاعات(٢)(*).

قوله «والأمن، والإياس ينقلان....».

سؤال: اذكر ما يجب على العبد في جانب الخوف والرجاء؟

جواب: يجب على العبد أن يكون خائفاً راجياً:

فالخوف المحمود ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإن زاد خيف منه اليأس والقنوط.

والرجاء المحمود هو رجاء من عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، أو رجاء من أذنب ثم تاب فهو يرجو المغفرة. قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [البقرة: ٢١٨]. أما رجاء الرحمة بلا عمل فهو الغرور والتمني والرجاء الكاذب. وقد مدح الله ـ عز وجل ـ أهل الخوف والرجاء، قال تعالى: **﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾** [الزمر: ٩]، وقال تعالى: **﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾** [السجدة: ١٦]. فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً. والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً. وكل أحد

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

(*) قال الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ مراده رحمه الله إلا من شهد له الرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ بالجنة كالعشرة ونحوهم كما يأتي ذلك في آخر كلامه.

مع العلم بأن من عقيدة أهل السنة والجماعة الشهادة للمؤمنين والمتقين على العموم بأنهم من أهل الجنة وأن الكفار والمشركين والمنافقين من أهل النار كما دلت على ذلك الآيات الكريمات والسنة المتواترة عن رسول الله ﷺ ومن ذلك قوله سبحانه **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾** [الطور: ١٧].

وقوله عزوجل: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾** [التوبة: ٧٢] في آيات كثيرات تدل على هذا المعنى وقوله سبحانه في الكفار: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾** [فاطر: ٣٦].

وقوله سبحانه: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾** [النساء: ١٤٥].

وفي آيات أخرى تدل على هذا المعنى. وبالله التوفيق.

إذا خفته هربت منه إلا الله تعالى فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه!! وينبغي للعبد أن يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه، بخلاف زمن الصحة، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه.

قال بعضهم: من عبدالله بالحب وحده، فهو: زنديق، ومن عبده بالخوف وحده، فهو: مرجيء.

وروي: من عبده بالرجاء وحده، فهو: مرجئ، ومن عبده بالحب والرجاء، فهو: مؤمن موحد.

قال أبو علي الروذباري: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت(١).

قوله «ولا يخرج العبد من الإيمان...».

سؤال: هل ينحصر الخروج من الإيمان بجحود الحق؟.

جواب: ظاهر القول يفيد حصر الكفر في الجحود والتكذيب، وهذا قول فيه نظر لا يُسلم به؛ لدلالة النصوص الشرعية التي تفيد أن الكفر يمكن أن يكون من غير جهة الجحود والتكذيب. أو من طرق أخرى.

سؤال: اذكر بعض طرق الخروج من الدين غير ما ذكره المصنف؟.

جواب: أولاً: قد يكون من جهة العناد، كما قال تعالى: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾ [ق: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿**كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً**﴾ [المدثر: ١٦]. وهذا ككفر أبي طالب وأضرابه من أهل العناد مع علمهم أن ما جاء به محمد ﷺ حق.

ثانياً: وقد يكون من جهة الكبر والإباء والترفع عن متابعة الحق، ككفر إبليس وغيره من الطواغيت الذين صدهم الكبر عن متابعة الحق، قال تعالى: ﴿**إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾[البقرة: ٣٤]. وقال تعالى عن الذين اشترطوا طرد المؤمنين الفقراء لدخولهم في الإيمان: ﴿**قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[الشعراء: ١١١ ـ ١١٤]. وقال عن فرعون: ﴿**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ [القصص: ٣٩]. وقال: ﴿**بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾[الزمر: ٥٩]. وقال: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

[النساء: ١٧٣]. وغيرها كثير من الآيات التى تدل على كفر الكبر والمستكبرين، وفى الحديث فقد صحَّ عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر**»(١).

ثالثاً: **وقد يكون الكفر من جهة النفاق والزندقة**، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾[النساء: ١٤٥]. وقال: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾[التوبة: ٦٨].

رابعاً: **وقد يكون من جهة الكره لما أنزل الله**، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾[محمد: ٨ ـ ٩]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ**﴾[محمد: ٢٥ـ٢٦].

خامساً: **وقد يكون الكفر من جهة الطعن بالدين والاستهزاء به**، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾[التوبة: ٦٥ ـ٦٦].

سادساً: **وقد يكون من جهة التولى والإعراض عن الدين**، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ**﴾ [الكهف: ٥٧]. وقال: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[طه: ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ**﴾[الأحقاف: ٣].

سابعاً: **وقد يكون من جهة الاستحلال لما حرم الله تعالى**، قال ابن تيمية: والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه **كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء** ا ـ هـ (*).

ثامناً: **وقد يكون من جهة موالاة الكفار على المسلمين**، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾[المائدة: ٥١]. ومن أبلغ صور الموالاة المكفرة، التعاون مع الكفار على تسليمهم المؤمنين الموحدين ليفتنوهم فى دينهم.

تاسعاً: **وقد يكون الكفر من جهة الشك والظن بالله ظن الجاهلية**، كما قال تعالى عن الكفار: ﴿**وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾[إبراهيم: ٩]. وقال: ﴿**وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**﴾ [الجاثية: ٣٢].

---

(١) [صحيح] أخرجه مسلم فى «الإيمان»/ باب: تحريم الكبر وبيانه (١/ ٢/ ٨٩ ـ النووى)
وانظر رياض الصالحين بتخريجنا (١/ ٣٣٩/ ح: ٦١٣).

(*) الفتاوى (٣/ ٢٦٧).

وفى الحديث، فقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**»(١)، وفى رواية: «**مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة**»(٢).

مفهوم الحديث أن من لقى الله بشهادتى التوحيد وهو شاك فيهما وغير مستيقن بهما، لا يدخل الجنة ولا يكون من أهلها.

عاشراً: وقد يكون الكفر من جهة التقليد المحض كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾ [البقرة: ١٧٠]. وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [المائدة: ١٠٤].

الحادى عشر: وقد يكون من جهة صرف العبادة لغير الله تعالى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (١/ ٢٤٩/ ٤٤)، والنسائى فى «الكبرى» (٥/ ٢٤٥/ ٨٧٩٤).
من طريق: طلحة بن مُصرف، عن أبى صالح، عن أبى هريرة قال: . . . الحديث.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (١/ ٢٥٣، ٢٥٤/ ٥٢).
من طريق: عكرمة بن عمار قال: حدثنى أبو كثير، قال: حدثنى أبو هريرة قال: . . الحديث.

(*) [**تعليق**]: **قال الشيخ ابن باز فى تعليقه على ما جاء فى متن الطحاوية**: هذا الحصر فيه نظر، فإن الكافر يدخل فى الإسلام بالشهادتين إذا كان لا ينطق بهما، **فإن كان ينطق بهما دخل فى الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره**، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود لأسباب كثيرة بينها أهل العلم فى باب حكم المرتد، من ذلك: طعنه فى الإسلام أو فى النبى ﷺ، أو استهزائه بالله ورسوله، أو بكتابه، أو بشىء من شرعه سبحانه، لقوله سبحانه: ﴿**قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**﴾ الآية. ومن ذلك عبادته للأصنام أو الأوثان، أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم وطلبه منهم المدد والعون ونحو ذلك؛ لأن هذا يناقض قول لا إله إلا الله لأنها تدل على أن العبادة حق لله وحده، ومنها الدعاء والاستغاثة والركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك، فمن صرف منها شيئاً لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة، والجن، وأصحاب القبور وغيرهم من المخلوقين فقد أشرك بالله، ولم يحقق قول لا إله إلا الله، وهذه المسائل كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم، وهى ليست من مسائل الجحود وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة، وهناك مسائل أخرى كثيرة يكفر بها المسلم وهى لا تسمى جحوداً، وقد ذكرها العلماء فى باب حكم المرتد ا هـ.

* **تنبيه هام: وقال صاحب «كتاب الجامع فى طلب العلم الشريف»**: قول الطحاوى رحمه الله «**ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه**»، هذا الحصر خطأ، وهو صريح مذهب المرجئة. فإن الإيمان عندهم هو التصديق بالقلب ومنهم من لم يُدخل إقرار اللسان فيه، واعتبروه شرطاً لإجراء أحكام الإسلام عليه فى الدنيا، وهم الأشاعرة والماتريدية، ومنهم من قال بل الإقرار داخل فى حقيقة الإيمان، وهم مرجئة الفقهاء (الأحناف) وبعض الأشاعرة. انظر (شرح جوهرة التوحيد) **للبيجورى، ص ٤٦ ـ ٤٧**. ولما كان الإيمان عندهم هو التصديق فلا يكفر أحد إلا بعكسه وهو التكذيب، وهو معنى قول الطحاوى: «لا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود» ا ـ هـ. =

«والإِيمَانُ هُوَ الإِقْرَارُ باللِّسَانِ، والتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ، وجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ من

قوله: «والإيمان هو الاقرار باللسان».

سؤال: اذكر مذهب الجمهور فى تعريف حقيقة الإيمان؟

= وفى بيان بطلان حصر الكفر فى التكذيب أو الجحود، يقول **ابن تيمية فى الفتاوى** (٧/ ٢٩٢): المعروف فى مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب؛ بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق لكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك لكان كفره أعظم؛ فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط، علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط، بل إذا كان الكفر، يكون تكذيباً، ويكون مخالفةً ومعاداةً وامتناعاً بلا تكذيب، فلابد أن يكون الإيمان تصديقاً مع موافقة وموالاة وانقياد لا يكفى مجرد التصديق ا ـ هـ .

وقال فى الفتاوى (٢/ ٧٩): التكذيب أخص من الكفر، فكل مكذب لما جاءت به الرسل فهو كافر، وليس كل كافر مكذباً. . ا هـ . أى قد يكون كفره من غير جهة التكذيب.

وينقص. وقوله «**قول**» أى قول القلب واللسان، وقول القلب يتضمن المعرفة والتصديق، وجميع الأعمال والعبادات القلبية: كالحب، والخوف، والرجاء، والخشية، والانقياد وغيرها من الأعمال القلبية.

ونقل البخارى فى صحيحه عن عمر بن عبدالعزيز ما كتبه إلى المسلمين فى الأمصار: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص ا ـ هـ.

قال ابن حجر فى الفتح (١/ ٤٦): فالسلف قالوا هو: اعتقادٌ بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان ا ـ هـ.

وقال ابن رجب فى كتابه (جامع العلوم ١/ ١٠٤): أنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً. وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً محدثاً: سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة، وأيوب السَّختياني، وإبراهيم النخعى ، والزُّهرىُّ، ويحيى بن أبى كثير، وغيرهم.

وقال الثورىُّ: هو رأى محدَثٌ، أدركنا الناس على غيره، وقال الأوزاعى: كان من مضى ممن سلف لا يُفرقون بين الإيمان والعمل ا هـ .

قال ابن تيمية فى الفتاوى (٧/ ٢٠٩): قال الشافعى ـ رضى الله عنه ـ فى كتاب (الأم): كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزىء واحد من الثلاث إلا بالآخر ا هـ .

قال الحسن البصرى: لا يصح القول إلا بالعمل، ولا يصح قول وعمل إلا بنية، ولايصح قول وعمل ونية إلا بالسنة.

وقال سفيان بن سعيد الثورى: الإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلا بالعمل ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة.

وقال أحمد بن حنبل: والإيمان قول وعمل على سنة وإصابة ونية، والإيمان يزيد وينقص وأكمل المؤمنين أيماناً أحسنهم خلقاً.

=

جواب: اختلف الناسُ فيما يقعُ عليه اسمُ الإيمانِ اختلافاً كثيراً: فذهب مالكٌ والشافعىُّ،

= وقال ابن جرير الطبرى: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبه الخبر عن الجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل. (انظر جميع ما تقدم من آثار غير مخرجة شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبى القاسم اللالكائى: (١/ ١٥١ ـ ١٨٦).

قال ابن تيمية فى الفتاوى فى تفسير تباين عبارات السلف فى الإيمان (٧/ ١٧٠ ـ ١٧١): ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السُّنَّة فى تفسير الإيمان فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح.

فمن قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح. ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب. ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك. ومن زاد اتباع السُّنَّة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السُّنَّة اـ هـ.

والشاهد من جميع ما تقدم أن يدرك القارىء عقيدة أهل السنة والجماعة فى الإيمان، وأن قول الطحاوى الآنف الذكر فى الإيمان خطأ ومحدث وهو قول المرجئة فى الإيمان.

قال الشيخ ابن باز فى تعليقه على متن الطحاوى: «هذا التعريف فيه نظر وقصور، والصواب الذى عليه أهل السُّنَّة والجماعة أن الإيمان: قول وعمل، واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر. وإخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة اـ هـ.

(١) هذا قول المرجئة، ومفاده تساوى إيمان الأنبياء والمرسلين مع إيمان الفسقة والفجرة من المسلمين، وهذا مغاير لكثير من النصوص التى تدل على تفاضل المؤمنين فى إيمانهم، والتى على أساسها تتفاضل منازلهم يوم القيامة. قال تعالى: ﴿**لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ**﴾[الحديد: ١٠].

وفى الحديث فقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «**بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علىَّ وعليهم قُمُصٌ، منها ما يبلغ الثَّدى، ومنها دون ذلك، وعُرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره**»، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله، قال: «**الدين**». رواه البخارى.

وفى حديث الشفاعة الصحيح، وفيه «**أن الله تعالى يأمر بإخراج من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان، ومن كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان**»؛ والشاهد هل يستوى إيمان هذا بإيمان من يدخل الجنة من غير حساب ممن إيمانهم يزن الجبال؟.. كلا لا يستويان.

وقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»، وغيرها كثير من النصوص التى تدل على تفاضل المؤمنين فى إيمانهم، والتى على أساسها تتحدد منازلهم يوم القيامة.

قال الشيخ ابن باز فى تعليقه على متن الطحاوية: قوله «**والإيمان واحد وأهله فى أصله سواء**» هذا فيه نظر، بل هو باطل، فليس أهل الإيمان فيه سواء بل هم متفاوتون تفاوتاً عظيماً، فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ مثل إيمان غيرهم، وهكذا ليس إيمان المؤمنين كإيمان الفاسقين، وهذا التفاوت بحسب ما فى القلب من العلم بالله وأسمائه وصفاته، وما شرعه لعباده، وهو قول أهل السُّنَّة والجماعة خلافاً للمرجئة ومن قال بقولهم اـ هـ.

والتقى، ومُخالَفَة الهوى، ومُلازمَة الأولى»(١).

وأحمدُ، والأوزاعيُّ، وإسحاقُ بنُ راهوية، وسائرُ أهل الحديث، وأهل المدينة رحمهم الله إلى أنه تصديقٌ بالجَنان، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالأركان(٢).

وذهب كثيرٌ من أصحابنا (٣) إلى ما ذكره الطحاوى: أنه الإقرارُ باللسان، والتصديقُ بالجنان.

ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركنٌ زائدٌ ليس بأصلى(٤)، وإلى هذا ذهب أبو منصور

(١) الخشية والتقى وملازمة الأولى، هى من ثمار الإيمان ولوازمه، فالظاهر مرآة» تعكس حقيقة الباطن وما قر فى القلب، وبالتالى فإن التفاضل فى الآثار يستلزم التفاضل فى أصل ما وقر فى القلب من يقين وإيمان.

(٢) نسجل على هذا التعريف الملاحظتين التاليتين:

أولهما: أن أعمال القلب أعم وأشمل من التصديق، فمن أتى بالتصديق من دون بقية الأعمال القلبية كالحب، والخشية، والانقياد، واليقين وغيرها لا يكون مؤمناً، لذا نجد أن السلف ـ كما تقدم ـ استعاضوا فى تعريفهم للإيمان عن كلمة «التصديق» بكلمة «اعتقاد فى القلب» لدلالة هذا الوصف على عموم أعمال القلب التى تعتبر شرطاً لصحة الإيمان، بخلاف كلمة «التصديق» التى تعنى نوعاً واحداً من أعمال القلب.

ثانياً: لو قال «عمل بالجوارح» كما أثر عن السلف، بدلاً من قوله «وعمل بالأركان» لكان أصوب وأدق؛ لأن جميع الطاعات تدخل فى مسمى الإيمان وليس فقط العمل بالأركان الخمسة، والله تعالى أعلم.

(٣) أى الأحناف الذين هم على مذهب الإمام أبى حنيفة، وقد تقدم أن ما ذكره الطحاوى فى تعريفه للإيمان من: أنه تعريف ناقص ومُحدَث، وهو بخلاف ما دلت عليه الأدلة وأجمعت عليه كلمة سلف الأمة.

(٤) مفاد هذا القول حصر الإيمان فى التصديق فقط، وهذا المذهب ـ لا نخطىء لو قلنا ـ هو عين مذهب جهم بن صفوان فى الإيمان الذى يحصر الإيمان فى العلم أو المعرفة، أو التصديق القلبى، وبالتالى فالكفر يكون عنده محصوراً فى الجهل أو التكذيب القلبى!

قال ابن تيمية فى الفتاوى (٧/ ١٨٨ ـ ١٨٩): من هنا يظهر خطأ قول «جهم بن صفوان» ومن اتبعه حيث ظنوا: أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعمله، لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان.. إلى أن قال: فالكفر عندهم شىء واحد هو الجهل، والإيمان شىء واحد وهو العلم، أو تكذيب القلب وتصديقه ا ـ هـ.

فتأمل كيف نسب مذهب التصديق إلى جهم ومن تابعه، وكذلك حصر الكفر فى التكذيب القلبى حيث عده من مذهب جهم.

وقال ابن حزم فى المحلى: إلا أن الجهمية والأشعرية، وهما طائفتان لا يعتد بهما، يصرحون بأن سب الله تعالى وإعلان الكفر ليس كفراً.. وأصلهم فى هذا أصل سوء خارج عن إجماع أهل الإسلام، وهو أنهم يقولون: الإيمان هو التصديق فقط ا ـ هـ.

فتأمل كيف نسب مذهب حصر الإيمان فى التصديق القلبى إلى جهم، ونحوه: قول ابن تيمية فى الفتاوى (١٤/ ١٢١): وزعم جهم ومن وافقه أنه يكون مؤمناً فى الباطن وأن مجرد معرفة القلب =

الماتُريدى، ويُروى عن أبى حنيفة ـ رضى الله عنه ـ [1].

سؤال: اذكر قول بعض الفرق المنحرفه فى حقيقه الإيمان؟

جواب: وذهب الكرَّامِيَّة[2] إلى أن الإيمانَ هو الإقرارُ باللسان فقط، فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملُوا الإيمان!.

وذهب الجهم بن صفوان إلى أن الإيمان، هو: المعرفة بالقلب، وهذا القولُ أظهرُ فساداً مما قبله، فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، وكذلك أهل الكتاب وغيرهم من الكافرين، بل إبليسُ يكون عند الجهم مؤمناً، فإنه لم يجهل ربه بل هو عارفٌ به، ﴿**قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون**﴾، والكفر عند الجهم هو الجَهلُ بالربِّ تعالى، ولا أحدَ أجهل منه بربه.

[* قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾ [النمل: ١٤].

* وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقال أبو طالب:

ولقد علمت بأن دين محمدٍ من خير أديان البرية ديناً.

سؤال: هل الخلاف بين أبى حنيفة والجمهور خلاف حقيقى أم صورى؟

جواب: والاختلافُ الذى بين أبى حنيفة والأئمة الباقين من أهل السُّنَّة اختلافٌ صُورى، ونزاعٌ لفظى[3].

= وتصديقه يكون إيماناً يوجب الثواب يوم القيامة بلا قول ولا عمل ظاهر، وهذا باطل شرعاً وعقلاً ا.هـ.

وكذلك قول الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى رده على محمد بن عباد: قولك الإيمان هو التصديق الجازم بما أتى به الرسول فليس كذلك، وأبو طالب عمه جازم بصدقه، والذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والذين يقولون الإيمان هو التصديق الجازم هم الجهمية، وقد اشتد نكير السلف عليهم فى هذه المسألة ا هـ (الرسائل الشخصية).

(١) قال ابن تيمية فى الفتاوى (٧/ ٥٤٣/ ٥٤٧): اختلف المرجئة فى الإيمان ما هو؟ وهم اثنتا عشرة فرقة. منها الفرقة التاسعة: من المرجئة المنتسبين إلى أبى حنيفة وأصحابه، يزعمون: أن الإيمان المعرفة بالله وبالرسول، والإقرار بما جاء من عند الله فى الجملة دون التفسير ا ـ هـ.

(٢) قال ابن تيمية فى الفتاوى (٧/ ٥٤٨): الكرامية أصحاب محمد بن كرام يزعمون: أن الإيمان، هو: الإقرار والتصديق باللسان دون القلب! ا ـ هـ. وقد عدهم من فرق المرجئة.

(٣) بل هو خلاف لفظى ومعنوى وحقيقى، ولا أدل على ذلك من أن الذى يُخرج العمل من مسمى الإيمان، ويحصر أعمال القلب فى التصديق والمعرفة، يكون عنده المرء مؤمناً ومن أهل الجنة وإن لم يأت بجنس العمل، وانتفى عنه مطلق الانقياد الظاهر والباطن ـ باستثناء التصديق ـ لشرع الله، =

[وهذا الخلاف لا يعدو أن يكون خلافاً لفظياً، لا محذور فيه إلا ما قد يقع من عداوة بسببه، أو أن يصير ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام المذموم من أهل الإرجاء ونحوهم وإلى ظهور الفسق والمعاصي بأن يقول: أنا مؤمن حقاً كامل الإيمان، وليّ من أولياء الله. فلا يبالي بما يكون منه من المعاصي، وبهذا المعنى قالت المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، وهو باطل.

فالخلاف في الحقيقة بين أبي حنيفة والجمهور ليس إلا خلافاً لفظياً لا يترتب عليه فساد اعتقاد. فأبو حنيفة نظر إلى حقيقة الإيمان لغه مع أدلةٍ من كلام الشرع وبقية الأئمة نظروا إلى حقيقته في عرف الشرع][1].

سؤال: وما هو الخلاف بين أبي حنيفة والجمهور؟.

جواب: لقد حكينا فيما مضى الخلاف بين أبي حنيفة والجمهور في مسمى الإيمان، وذكرنا أن أبا حنيفة يرى أن الإيمان هو ما يقوم بالقلب واللسان فقط، بخلاف الجمهور فإنهم يرونه ما يقوم بالقلب واللسان والجوارح.

سؤال: وما هي أدلة أبي حنيفة وأصحابه؟.

جواب: استدل أبو حنيفة وأصحابه على مذهبهم بما يأتي:

(١) أن الإيمان في اللغة هو التصديق، ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[يوسف:١٧] وهذا التصديق بالقلب هو الواجب حقاً لله، فمن صدَّق الرسول فيما جاء به فهو مؤمن في الحقيقة والإقرار شرط لإجراء أحكام الدنيا عليه.

(٢) والإيمان في اللغة ضد الكفر وهو التكذيب والجحود، وهما يكونان بالقلب، فكذلك ما يضادهما.

(٣) قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[النحل:١٠٦]. يدل على أن القلب هو موضع الإيمان، ولأنه لو كان مركباً من قول وعمل لزال كله بزوال جزئه.

= بخلاف من يدخل العمل في مسمى الإيمان فإن ذلك يلزمه أن ينفي الإيمان عمن لم يأت بجنس العمل وأصله، الذي ينتفي عنه مطلق الانقياد الظاهر لشرع الله تعالى.

قال الشيخ ابن باز: ليس الخلاف بينهم وبين أهل السُّنَّة فيه لفظياً، بل هو لفظي ومعنوي، ويترتب عليه أحكام كثيرة يعلمها من تدبر كلام أهل السُّنَّة وكلام المرجئة ا ـ هـ.

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

(٤) ولأن العمل قد عطف على الإيمان، والعطف يقتضى المغايرة . قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣][١].

سؤال: اذكر مناقشة أهل السنة للدليل الأول لأبى حنيفة وأصحابه؟.

جواب: نوقش الدليل الأول من أدلة أبى حنيفة رحمه الله بمنع الترادف بين الإيمان والتصديق، ومما يدل على ذلك أنه يقال للمخبر إذا صدق: صدَّقه، ولا يقال آمنه، ولا آمن به. بل يقال: آمن له. قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾[العنكبوت: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾[يونس: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة: ٦١]. ففرق بين المعدى بالباء والمعدى باللام، فالأول يقال للمخبر به، والثانى يقال للمخبر.

فالحاصل أنه لايقال: قد آمنته ولا صدقت له، وإنما يقال: آمنت له، كما يقال: أقررت له، فتفسيره بالإقرار أقرب من تفسيره بالتصديق.

ومن ناحية أخرى فإن الفرق بينهما ثابت فى المعنى، وذلك أن كل مخبر عن مشاهد أو غيب يقال له فى اللغة: صدقت، كما يقال له كذبت.

أما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا فى الخبر عن الغائب لأن فيه أصل معنى الأمن، فالأمر الغائب هو الذى يؤمن عليه المخبر، فلا يقال لمن قال: طلعت الشمس: آمنا له، ولكن يقال: صدقناه، ولهذا لم يأت فى القرآن وغيره لفظ آمن له إلا فى هذا النوع.

أما قول الأحناف: إن التصديق هو الواجب حقا لله وإن من صدَّق الرسول فيما جاء به فهو مؤمن على الحقيقة فمردود، لأننا قد علمنا يقيناً من سنة رسول الله ﷺ أن من صدَّق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان وترك العمل بالفرائض، وأبغض الرسول وعاداه فليس بمؤمن، كما قد علمنا أيضاً أنه رتب الفوز على التكلم بالشهادتين مع الإخلاص والعمل بمقتضاهما، وقد قال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[٢].

فالإيمان أصل له شُعب متعددة كل منها تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك سائر الفرائض كالزكاة والحج وغيرها، حتى تنتهى هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق. وهذه

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخارى (ح/٩)، ومسلم (ح/٥٧، ٥٨)، وأبو داود (ح/ ٤٦٧٦)، والترمذى (ح/ ٢٦١٤) عن أبى هريرة.

الشعب منها ما يزول الإيمان بزواله إجماعاً كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزال بزواله إجماعاً كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يقرب من شعبة الشهادة ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى عن الطريق.

وكما أن شعب الإيمان إيمان، فكذا شعب الكفر كفر، فالحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله كفر، وقد قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١). وفي لفظ: «**ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»(٢). وروى الترمذي عنه ﷺ أنه قال: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله: فقد استكمل الإيمان**»(٣). إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل(٤).

سؤال: وكيف ناقش أهل السنة الدليل الثاني لأبي حنيفة وأصحابه؟.

جواب: وقد نوقش الدليل الثاني: بأن لفظ الإيمان لم يقابل بالتكذيب فقط، وإنما يقابل بالكفر. والكفر لا يختص بالتكذيب، بل قد يكون تكذيباً وقد يكون مخالفةً ومعاداةً بلا تكذيب، فمن قال: أنا أعلم أنك صادق، ولكن أُخالفك وأُعاديك لكان كفره أعظم، وكذلك الإيمان يكون تصديقاً، وموافقة، وموالاة، وانقياداً، ولا يكفي فيه مجرد التصديق، فيكون الإسلام جزءاً من مسمى الإيمان.

ولو سلم الترادف بين الإيمان والتصديق، فإن التصديق يكون بالأفعال أيضاً. قال ﷺ: «**العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزني وزناها السمع**»، إلى أن قال: «**والفرج يصدق ذلك ويكذبه**»(٥).

وقال الحسن البصري: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الأعمال). ولو كان تصديقاً، فهو تصديق مخصوص كما في الصلاة ونحوها، فإن الله لم يأمر

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم في «الإيمان»/ باب كون النهي عن المنكر من الإيمان (١/ ٢/ ٢١ ـ النووي)، وأبو داود في «الصلاة»/ باب الخطبة يوم العيد (١/ ٢٩٥)/ ح ١١٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري ـ وانظر رياض الصالحين بتخريجنا (١/ ١٢٠/ ١٨٦).

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وهو في «الكبير» للطبراني (٩٧٨٤)، و«المسند» (١/ ٤٥٨) وانظر الطحاوية بتحقيق الأرنؤوط.

(٣) [**حسن**] أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٣/ ٤٣٨، ٤٤٠)، وأبو داود (٤٦٨١)، والبغوي (٣٤٦٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه وانظر الطحاوية بتحقيق الأرنؤوط.

(٤) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

(٥) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧)، وأحمد (٢/ ٢٧٦)، والبغوي (٧٥) من حديث ابن عباس عن، أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ انظر الطحاوية بتحقيق الأرنؤوط.

بإيمان مطلق بل بإيمان خاص وصفه وبينه، فالتصديق الذى هو الإيمان أدنى أحواله أن يكون نوعاً من التصديق العام، فلا يكون مطابقاً له فى العموم والخصوص، بل يكون الإيمان فى كلام الشارع مؤلفاً من العام والخاص كالإنسان الموصوف بأنه حيوان ناطق.

ولأن التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلوب والجوارح ، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم، وهذه لوازم تدخل فى مسمى اللفظ تارة، وتخرج عنه تارة أخرى. أو أن اللفظ باق على معناه فى اللغة لكن الشارع زاد فيه أحكاماً ، أو أن يكون الشارع استعمله فى معناه المجازى فهوحقيقة شرعية مجاز لغوى، أو أن يكون قد نقله الشارع(١).

سؤال : وكيف ناقش أهل السنة الدليل الثالث لأبى حنيفة وأصحابه؟.

جواب : ونوقش الدليل الثالث وهو قولهم: (بأنه لو كان مركباً من قول وعمل لزال كله بزوال جزئه) بعدم التسليم بهذه النتيجة. ذلك أنه إن أريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت، فمسلم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء ، بل يزول عنه الكمال فقط(٢).

سؤال : وكيف ناقش أهل السنة الدليل الرابع لأبى حنيفة وأصحابه؟.

جواب : ونوقش الدليل الرابع وهو قولهم: (إن عطف العمل على الإيمان يقتضى المغايرة بينهما) بما يأتى: إن الإيمان تارة يذكر مطلقاً عن العمل وعن الإسلام، وهو حينئذ يستلزم الأعمال. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾[الحجرات: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾[المائدة: ٨١]. وقال ﷺ: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مومن**»(٣). وتارة يعطف عليه العمل الصالح.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾[البينة: ٧]. والمعلوم أن العطف يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، مع الاشتراك فى الحكم الذى ذكر لهما، ولكن هذه المغايرة على مراتب(٤).

سؤال : ما هى مراتب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه؟.

جواب : أن يكونا متباينين، ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءاً منه، ولا بينهما تلازم، وهذه

---

(١)، (٢)، (٤) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، وأبو داود (٤٦٨٩)، والترمذى ى(٢٦٢٥) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وانظر الطحاوية بتحقيق الأرنؤوط.

أعلى مراتب المغايرة. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[الأنعام:١]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:٣]. وهذا هو الغالب.

(٢) أن يكون بينهما تلازم: قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[النساء:٥٩].

(٣) عطف بعض الشيء عليه: قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة:٢٣٨]. وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[البقرة ٩٨].

وفى مثل هذا وجهان:

* أن يكون داخلاً فى الأول، فيكون مذكوراً مرتين.

* أنَّ عطفه عليه يقتضى أنه ليس داخلاً فيه هنا، وإن كان داخلاً فيه منفرداً، كما قيل مثل ذلك فى لفظ: الفقراء والمساكين، ونحوهما، تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران.

* عطف الشيء على الشيء لإختلاف الصفتين. قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر:٣].

* وقد جاء فى الشعر العطف لاختلاف اللفظ فقط. كقول الشاعر:

فألفى قولها كذباً ومينا

هذه هى وجوه العطف فى الكلام(١).

سؤال: كيف ورد الإيمان فى كلام الشارع؟.

جواب: إذا أطلق الإيمان فى كلام الشارع فإن يراد به ما يراد بلفظ البر والتقوى والدين. ذكر فى أسباب النزول أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.....﴾[البقرة:١٧٧].

وفى الصحيح قوله ﷺ لوفد عبدالقيس: «**أمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم**»(٢). فهذه مع إيمان القلب هى الإيمان، ولم يذكر التصديق للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود. وأى دليل على دخول الأعمال فى مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟!.

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٥٣)، ومسلم (١٧)، والترمذى (٢٦١١) من حديث ابن عباس، انظر الطحاوية بتحقيق الأرنؤوط.

ولا خلافَ بين أهل السُّنَّة أن اللهَ تعالى أراد من العباد القولَ والعملَ؛ وأعنى بالقول: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، وهذا الذى يُعنى به عند إطلاق قولهم: الإيمانُ قولٌ وعمل.

سؤال: اذكر أقسام القول والعمل فى مسمى الإيمان وما يحدث إن زالت؟

جواب: [والقول قسمان: قول القلب، وهو: الاعتقاد، وقول اللسان، وهو: التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب، وهو: نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربع زال الإيمان بالكلية وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقية الآخر فإنه شرط فى اعتبارها، وإذا بقى التصديق وزال الباقى، فهذا هو موضع المعركة][1].

وقد أجمعوا على أنه لو صَدَّق بقلبه وأقرَّ بلسانه، وامتنعَ عن العملِ بجوارحه: أنه عاصٍ لله ورسوله، مستحقٌ الوعيد[2].

---

(١) انظر تهذيب الطحاوية د/ صلاح الصاوى.

(٢) قال ابن تيمية فى الفتاوى (٧/ ١٤٢): قال تعالى: ﴿**يقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين**﴾، فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل. ففى القرآن والسنة من نفى الإيمان، عمن لم يأت بالعمل فى مواضع كثيرة كما نفى فيها الإيمان عن المنافق. وأما العالم بقلبه مع المعاداة والمخالفة الظاهرة فهذا لم يسم قط مؤمناً ا ـ هـ.

وقال رحمه الله: لو قدر أن قوماً قالوا للنبى ﷺ نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك ونقر بألسنتنا بالشهادتين إلا أنا لا نطيعك فى شىء مما أمرت به ونهيت عنه، فلا نصلى، ولا نصوم، ولا نحج، ولا نصدق الحديث، ونشرب الخمر، وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر، ونقتل ما قدرنا عليه من أصحابك وأمتك، ونأخذ أموالهم بل نقتلك أيضاً ونقاتلك مع أعدائك، هل كان يتوهم عاقل أن النبى يقول لهم أنتم مؤمنون كاملوا الإيمان، وأنتم من أهل شفاعتى يوم القيامة، ويرجى لكم أن لا يدخل أحد منكم النار، بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم: **أنتم أكفر الناس بما جئت به، ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك** ا ـ هـ.

وقال تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿**فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين (١/ ٥٠): جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان ضرورة انتفاء الملزم لانتفاء الآخر ا ـ هـ.

وقال رحمه الله فى (مفتاح دار السعادة: (١/ ٩٣): مجرد الإقرار والإخبار بصحة رسالته لا يوجب الإسلام **إلا أن يلتزم طاعته ومتابعته**، وهذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة السُّنَّة: أن الإيمان لا يكفى فيه قول اللسان بمجرده، ولا بمعرفة القلب مع ذلك، **بل لابد فيه من عمل القلب وهو حبه لله ورسوله وانقياده لدينه والتزامه طاعته ومتابعة رسوله**، وهذا خلاف من زعم أن: الإيمان هو مجرد معرفة القلب وإقراره، وفيما تقدم كفاية فى إبطال هذه المقالة، ا هـ. =

سؤال: وضح فسادُ قولِ مَن لا يُدخل الأعمالَ فى مُسَمَّى الإيمان؟

جواب: لكن فيمن يقول: إنَّ الأعمال غيرُ داخلةٍ فى مسمى الإيمان، مَن قال: لَمَّا كان الإيمانُ شيئاً واحداً، فإيمانى كإيمان أبى بكر الصديق، وعمر رضى الله عنهما! بل قال: كإيمان الأنبياء والمرسلينَ وجبريل وميكائيل عليهمُ السلامَ! وهذا غلُوٌّ منه، فإن الكفرَ مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولاشكَّ أن البصراءَ يختلفون فى قوة البصَر وضَعفه، فمنهم الأخفشُ والأعشى، ومن يرى الخطَّ الثخينَ دون الرفيع إلا بزجاجةٍ أو نحوها، ومَن يرى عن قُربٍ زائدٍ على العادة وآخرُ بضدِّه.

= قلت: ومنه تعلم أن الخلاف بين الماتُريدية والأحناف وبين أهل السُّنَّة فى الإيمان ليس خلافاً صورياً ولفظياً كما زعم الشارح عفا الله عنه.

وقال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب فى دعواه فى نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدى والدين النبوى فى جميع أقواله وأفعاله ا ـ هـ.

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شىء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما.. ا ـ هـ (مجموعة التوحيد: ٨٣).

وقال ابن تيمية فى الفتاوى (٧/ ٢٢١): والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه، كقوله تعالى: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك﴾ إلى قوله: ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾، فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول، وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا، فبين أن هذا من لوازم الإيمان ا ـ هـ.

وقال (٧/ ٥٣٣): وبهذا يظهر خطأ جهم ومن اتبعه فى زعمهم أن مجرد إيمان بدون الإيمان الظاهر ينفع فى الآخرة، فإن هذا ممتنع، إذ لا يحصل الإيمان التام فى القلب إلا ويحصل فى الظاهر موجبه بحسب القدرة.. ا ـ هـ.

وقال حنبل: حدثنا الحميدى قال: وأخبرت أن ناساً يقولون: من أقر بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت، ويصلى مستدبر القبلة ـ وهو أفضل ممن لا يصلى مطلقاً ـ حتى يموت، فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقراً بالفرائض واستقبال القبلة، فقلت: هذا الكفر الصراح، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماء المسلمين، قال تعالى: ﴿ما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال حنبل: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: من قال هذا **فقد كفر بالله**، وردَّ على أمره وعلى الرسول ما جاء به عن الله. (الفتاوى لابن تيمية: ٧/ ٢٠٩).

[وهكذا العقل أيضاً ، فإنه يقبل التفاضل ، وأهله في أصله سواء ، مستوون في أنهم عقلاء غير مجانين، وبعضهم أعقل من بعض، وكذلك الإيجاب والتحريم، فيكون إيجاب دون إيجاب، وتحريم دون تحريم][1].

فتفاوت نورِ لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يُحصيه إلاَّ الله تعالى، فمن الناس من نورُها في قلبه كالشمسِ، ومنهم مَن نُورُها في قلبه كالكوكب الدرِّي، وآخرُ كالمشعلِ العظيم، وآخر كالسِّراج المضيء، وآخرُ كالسراجِ الضعيفِ، ولهذا تظهر الأنوارُ يومَ القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علماً وعملاً، وكُلما اشتدَّ نورُ هذه الكلمة وعَظُمَ، أحرقَ من الشبهاتِ والشهواتِ بحسب قوته، بحيث إنه ربما وصلَ إلى حال لا يُصادفُ شهوةٌ ولا شُبهةٌ ولا ذنباً إلا حرقَهُ، وهذا حال الصادقِ في توحيده، فسماءُ إيمانه حُرِستْ بالرجومِ من كُل سارقٍ، ومَن عَرفَ هذا عَرَفَ معنى قول النبيِّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ حرَّم على النارِ مَن قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجهَ الله تعالى**»[2]. وقوله: «**لايدخلُ النارَ مَن قالَ: لا إله إلا الله**»[3].

[وحديث البطاقة التي توضع في كفة، فتطيش أمامها تسعة وتسعون سجلاً وضعت في الكفة الأخرى[4]! فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، والشارع لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان، وإلاَّ فالمنافقون يقولونها بألسنتهم وهم في الدرك الأسفل من النار.

سؤال : [وأهله في أصله سواء والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى وملازمة الأولى] اشرح هذه العبارة؟

جواب : يشير إلى أن الكل مشتركون في أصل التصديق ، ولكن التصديق يكون بعضه أقوى من بعض. وفي بعض النسخ: [**بالخشية والتقى**] بدلاً من: [**الحقيقة**] وفي هذه العبارة يشير إلى أن التفاوت بين المؤمنين بأعمال القلوب، وأما التصديق فلاتفاوت فيه، والأول أظهر][5].

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، وأحمد (٤/ ٤٤) من حديث عتبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه انظر الطحاوية بتحقيق الأرنؤوط.

(٣) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٢٩) من حديث عبادة مرفوعاً وفي البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢) من حديث أنس ـ رضي الله عنه.

(٤) [**صحيح**] أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه ابن حبان (٢٥٢٤)، والحاكم (١/ ٦، ٥٢٩) ووافقه الذهبي من حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ انظر الطحاوية بتحقيق الأرنؤوط.

(٥) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

سؤال : كيف يزيد الإيمان بزيادة الطاعات؟

جواب : وأما زيادةُ الإيمان من جهة الإجمالِ والتفصيل، فمعلومٌ أنه لا يجبُ فى أوَّلِ الأمر ما وجبَ بعد نزول القرآن كُلِّه، ولا يجبُ على كلِ أحدٍ من الإيمان المفصَّلِ مما أخبرَ به الرسولُ ما يجبُ على مَن بلغَه خبَرُهُ، كما فى حقِّ النجاشى وأمثاله.

وأيضاً فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلاً، يجبُ عليه من الإيمانِ أن يعلَمَ ما أُمِرَ به ويؤمن بأن اللهَ أوجبه، ما لا يجبُ على غيرِه إلا مجملاً، وهذا يجبُ عليه فى الإيمانُ المفصَّل.

وكذلك الرجلُ أول ما يُسلمُ، إنما يجبُ عليه الإقرارُ المجملُ، ثم إذا جاءَ وقتَ الصلاة، كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤدِّيها، فلم يتساوَ الناسُ فيما أُمروا به من الإيمان.

وأما الزيادةُ بالعمل والتصديق المستلزِمِ لعملِ القلبِ والجوارحِ، فهو أكمل من التصديق الذى لا يستلزمُهُ، فالعلمُ الذى يعمل به صاحبهُ أكملُ من العلم الذى لا يُعملُ به، فإذا لم يحصل اللازمُ دلَّ على ضعف الملزوم. ولهذا قال النبىُّ ﷺ: «**ليس المخبَرُ كالمعاين**»(١).

وموسى ـ عليه السلام ـ لما أخبرَ أن قومَهُ عبدوا العجلَ لم يُلقِ الألواحَ، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها، وليس ذلك لشكِّ موسى فى خبر الله، لكن المخبَرَ وإن جزم بصدق المخبِرِ فقد لا يتصورُ المخبَرَ وإن جزم بصدق المخبِرِ فقد لا يتصورُ المخبَرَ به فى نفسه كما يتصورُه إذ عاينَهُ، كما قال إبراهيمُ: ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ [البقرة: ٢٦٠].

سؤال : «يرتفعُ الإيمانُ عن صاحبه بسببِ معاصيه، فإن أقلع عادَ إليه». وضح ذلك مدللاً على ما تقول؟

جواب : ولا شكَّ أن من قام بقلبه التصديقُ الجازمُ، الذى لا يقوى على معارضَته شهوةٌ ولا شُبهةٌ، لا تقعُ معصيةٌ، ولولا ما حصلَ له من الشهوة والشُّبهةِ أو إحداهما، لَما عصى، بل يشتغلُ قلبُهُ ذلك الوقت بما يواقعه من المعصية، فيغيب عنه التصديق والوعيدُ فيعصى، فلهذا قال ﷺ: «**لا يزنى الزانى حينَ يزنى وهو مؤمن**»(٢).

فهو حين يزنى يغيبُ عنه تصديقُه بحُرمَةِ الزنى!، وإن بقى أصلُ التصديق فى قلبه، ثم يُعاودهُ، فإنَّ المتقين كما وصفَهُم الله تعالى بقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ**

---

(١) [صحيح] أخرجه ابن حبان (٢٠٨٨) وابن أبى حاتم فيما ذكره ابن كثير (٢/٢٤٨) من طريقين عن أبى عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ انظر الطحاوية بتحقيق الأرنؤوط.

(٢) [متفق عليه] تقدم تخريجه ص١٤٤ رقم (٣).

تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. قال ليثٌ عن مجاهد: هو الرجلُ يهمُّ بالذنب، فيذكرُ اللهَ فيدعُهُ. والشهوةُ والغضَبُ مبدأ السيئات، فإذا أبصرَ رجع، ثم قال تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

أي وإخوانُ الشياطين تمدُّهُم في الغيِّ ثم لا يُقصرون. قال ابن عباس: لا الإنسُ تقصر عن السيئات، ولا الشياطينُ تمسك عنهم. فإذا لم يُبصر يبقى قلبُه في عمى، والشيطانُ يمدُّه في غَيِّه، وإن كان التصديق في قلبه لم يكذب فذلك النورُ والإبصارُ، وتلك الخشيةُ والخوفُ تخرجُ من قلبه، وهذا كما أن الإنسانَ يُغمضُ عينيه فلا يرى، وإن لم يكن أعمى، فكذلك القلب بما يغشاهُ في رَيْن الذنوب، لا يُبصر الحقَّ وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر، وجاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: «إذا زنى العبدُ نُزِعَ منه الإيمانُ، فإن تابَ أُعيدَ إليه»(١).

سؤال: الإيمانُ لفظٌ يُقابلُهُ الكُفرُ. اشرح هذه العبارة؟

جواب: لم يُقابَلْ لفظُ الإيمان قطٌّ بالتكذيب، كما يُقابَلُ لفظُ التصديق، وإنما يُقابلُ بالكُفْر، والكفرُ لا يختصُّ بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنكَ صادقٌ ولكن لا أتبعُك بل أعاديك وأبغضُك وأخالفُكَ، لكان كُفرهُ أعظمُ، فعُلِمَ أن الإيمانَ ليس هو التصديقَ فقط، ولا الكفرُ هو التكذيب فقط، بل إذا كان الكفرُ يكونُ تكذيباً، ويكون مخالفةً ومعاداةً بلا تكذيب، فكذلك الإيمانُ يكونُ تصديقاً وموافقةً وموالاةً وانقياداً، ولا يكفي مجرَّدُ التصديق.

سؤال: اذكر أحاديث تدلُّ على دخولِ الأعمال في مُسَمَّى الإيمان؟

جواب: قال ﷺ: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون شُعبةً، فأفضلها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق**»(٢)، وقال: «**الحياءُ شُعبةٌ من الإيمان**»(٣). وقال: «**أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً**»(٤). وقال: «**من رأى منكم منكراً فليغيّرهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه،**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٠) في السنة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح وصححه الحاكم (١/ ٢٢) ووافقه الذهبي انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) وأبو داود (٤٦٧٦) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ سبق في القسم الأول ص ٨ رقم (١).

(٣) هو تتمة الحديث المتقدم.

(٤) [**حسن**] أخرجه أبو داود (٢٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) وأحمد (٢/ ٢٥٠) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

وذلك أضعفُ الإيمان»[1]. وفى لفظ: «**ليس وراء ذلك من الإيمان حبةَ خردل**»[2]. وقال: «**البذاذةُ من الإيمان**»[3]. وروى الترمذىُّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»[4]. إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضَعْفِه بحسبِ العمل.

فإذا كان الإيمانُ أصلاً له شُعَبٌ متعدِّدَةٌ، وكلُّ شُعبةٍ منها تُسمى إيماناً؛ فالصلاةُ من الإيمان، وكذلك الزكاةُ والصومُ والحج، والأعمالُ الباطنة؛ كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهى هذه الشُعَب إلى إماطة الأذى عن الطريق فإنه من شُعَبِ الإيمان، وهذه الشُعَب منها ما يزولُ الإيمانُ بزوالها، كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها، كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتةٌ تفاوتاً عظيماً، منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقربُ من شعبةِ إماطة الأذى[5]، وكما أنَّ شُعَبَ الإيمان إيمانٌ، فكذا شعَبُ الكفر كفرٌ، فالحكم بما أنزل اللهُ ـ مثلاً ـ من شُعب الإيمان والحكم بغير ما أنزل اللهُ كُفْرٌ.

قال الحسن البصرى رحمه الله: ليس الإيمانُ بالتحلى ولا بالتمنى، ولكنهُ ما وقرَ فى الصدرِ، وصدَّقتهُ الأعمالُ[6].

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٤٩) وأبو داود (١١٤٠) والترمذى (٢١٧٢) من حديث أبى سعيد الخدرى انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٥٠) وهو فى «الكبير» للطبرانى (٩٧٨٤) والمسند (١/٤٥٨) من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٣) [**صحيح**] أخرجه ابن ماجه (٤١١٨) وأبو داود (٤١٦١) من حديث أبى أمامة الخارثى، وصححه الحاكم، وأقره الذهبى، وحسنه الحافظ العراقى فى «أماليه» وقال الحافظ فى الفتح (١٠/ ٣١٠) حديث صحيح.

(٤) تقدم تخريجه ص ١٤٣ رقم (٣).

(٥) كل فعل أو قول تركه كفر فالقيام به شرط لصحة الإيمان، وكذلك كل فعل أو قول هو كفر فتركه يعتبر شرطاً لصحة الإيمان، وقد أجملت هذا المعنى فى قاعدة ـ لم يتسنى لى شرحها فى كتابى قواعد فى التكفير ـ تقول: «كل شىء فعله من شروط التوحيد فتركه من نواقض الإيمان، والعكس كذلك كل شىء فعله من نواقض الإيمان فتركه شرط لصحة الإيمان»، ومن يتأمل أدلة الشريعة ذات العلاقة بالقاعدة لا يتردد لحظة فى الجزم من صحة هذه القاعدة.

(٦) فيه أن التصديق يكون بالعمل الظاهر على الجوارح، كما يكون فى القلب؛ وبالتالى فإنَّ حصر التصديق فى القلب فيه نظر، قال ابن تيمية فى الفتاوى (٧/ ٢٩٣): الأفعال تسمى تصديقاً كما ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «**العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزنى وزناها السمع، واليد تزنى وزناها البطش، والرجل تزنى وزناها المشى، والقلب يتمنى ذلك ويشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**». وكذلك قال أهل اللغة وطوائف من السلف والخلف. فالعمل يصدق أن فى القلب إيماناً، وإذا لم يكن عمل كذب أن فى قلبه إيماناً، لأن ما فى القلب مستلزم للعمل الظاهر وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم أ هـ.

سؤال : كيف يكون صلاحُ الظاهرِ من صَلاح الباطن؟

جواب : لا شكَّ أنه يلزمُ من عَدمِ طاعة الجوارح عَدَمُ طاعَة القلب، إذْ لو أطاعَ القلبُ وانقادَ لأطاعت الجوارحُ وانقادَتْ، ويَلزَمُ من عَدَمِ طاعة القلب وانقياده عدَم التصديق المستلزم للطاعَة، قال ﷺ: «**إن في الجسد مُضغةً إذا صلَحَتْ صلحَ لها سائرُ الجسَد، وإذا فسدَت فسَدَ لها سائرُ الجسَد، ألا وهي القلبُ**»(*)(١).

* قال ابن تيمية في «الفتاوى» (١٤/ ١٢٠ ـ ١٢١): وهنا أصول تنازع الناس فيها، ومنها: أن القلب هل يقوم به تصديق أو تكذيب ولا يظهر قط منه شيء على اللسان والجوارح، وإنما يظهر انقياده من غير خوف؟ فالذي عليه السلف والأئمة وجمهور الناس أنه لابد من ظهور موجب ذلك على الجوارح، فمن قال: أنه يصدق الرسول ويحبه ويعظمه بقلبه ولم يتكلم قط بالإسلام ولا فعل شيئاً من واجباته بلا خوف، فهذا لا يكون مؤمنًا في الباطن، وإنما هو كافر.

وزعم جهم ومن وافقه أنه يكون مؤمناً في الباطن، وأن مجرد معرفة القلب وتصديقه يكون إيماناً يوجب الثواب يوم القيامة بلا قول ولا عمل ظاهر، وهذا باطل شرعاً وعقلاً وقد كفَّر السلف كوكيع وأحمد وغيرهما من يقول بهذا القول، وقد قال النبي ﷺ: «**إن في الجسد مُضغةً إذا صلَحَتْ صلحَ لها سائرُ الجسَد، وإذا فسدَت فسَدَ لها سائرُ الجسَد، ألا وهي القلبُ**»، فبين أن صلاح القلب مستلزم لصلاح الجسَد، وإذا كان الجسد غير صالح دَل على أن القلب غير صالح، والقلب المؤمن صالح، فعلم أن من يتكلم بالإيمان ولا يعمل به لا يكون قلبه مؤمناً؛ وذلك أن الجسد تابع للقلب فلا يستقر شيء في القلب إلاَّ ظهر موجبه ومقتضاه على البدن ولو بوجه من الوجوه اـ هـ.

وقال رحمه الله في الفتاوى (١٨/ ٢٧٣): فالظاهر والباطن متلازمان، لا يكون الظاهر مستقيماً إلاَّ مع استقامة الباطن، وإذا استقام الباطن فلابد أن يستقيم الظاهر اـ هـ.

وقال(٧/ ٢٢١): والقرآن يبين: أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه، كقوله تعالى: ﴿**ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين**﴾ إلى قوله: ﴿**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون**﴾، فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول، وأخبر: أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا، فبين: أن هذا من لوازم الإيمان اـ هـ.

وقال (٧/ ٥٣٣): وبهذا يظهر خطأ جهم ومن اتبعه في زعمهم: أن مجرد إيمان بدون الإيمان الظاهر ينفع في الآخرة، فإن هذا ممتنع إذ لا يحصل الإيمان التام في القلب إلاَّ ويحصل في الظاهر موجبه بحسب القدرة، فإن من الممتنع: أن يحب الإنسان غيره حباً جازماً وهو قادر على مواصلته، ولا يحصل منه حركة ظاهرة إلى ذلك اـ هـ.

وقال (٧/ ١٨٧): فإذا كان فيه ـ أي القلب ـ معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب. فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث: قول وعمل؛ قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد، ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابث: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه اـ هـ.

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (١/ ١٥٣/ ٥٢) ومسلم (٤/ ١١/ ٢٧ ـ النووي) وابن ماجه (٣٩٨٤) من حديث النعمان بن بشير: وتقدم في القسم الأول ص٧ رقم (١).

. . . . . فمن صَلَحَ قلبُهُ صلَحَ جسَدُه قطعاً، بخلاف العكس[1].

[وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كله، فإن أريد به الهيئة الإجتماعية، لم تبق مجتمعة كما كانت فمسلم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، بل يزول عنه الكمال فقط][2].

سؤال: هل الإيمانُ يزدادُ وينقصُ[3]. دلل على ما تقول من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة؟

جواب: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]. ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]. ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]. ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥].

وقد وصفَ النبيُّ ﷺ النساءَ بنقصان العقلِ والدين[4].

وقال ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدُكُم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولَده ووالده والناس أجمعين**»[5]. والمراد

---

(١) قوله «بخلاف العكس» أى أحياناً يستلزم صلاح الجسد صلاح القلب ويدل عليه، ولكن ليس على الاطلاق ووجه الجزم لاحتمال النفاق، حيث أن المنافق يُظهر من الأعمال الصالحة ما ليس فى قلبه من الاعتقاد والكفر، ومع ذلك فإن المنافق لا نستطيع أن نحكم على صلاح ظاهره كما لو كان سليم الباطن والاعتقاد حيث أن القرائن العملية الدالة على كفره ونفاقه لابد من أن تظهر بين الفينة والأخرى من خلال فلتات اللسان أو المواقف التى لا يمكن له أن يتجنبها أو يتجاوزها بحكم انقياده لاعتقاده الفاسد فى الباطن.

وقد تقدم قول ابن تيمية: وذلك أن الجسد تابع للقلب فلا يستقر شىء فى القلب إلاَّ ظهر موجبه ومقتضاه على البدن ولو بوجه من الوجوه ا ـ هـ.

قلت: فمن استقر فى قلبه النفاق، لابد من أن يظهر نفاقه على جوارحه وفى مواقفه ولو بوجه من الوجوه. ومنه تعلم أن صلاح ظاهر المنافق لا يتساوى مع صلاح ظاهر المؤمن الصادق فى إيمانه.

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) أى يزداد بالطاعات، وينقص بالذنوب والمعاصى، ومن لوازم هذا القول التسليم بأن المعاصى والذنوب تؤثر على الإيمان ضعفاً وسلباً بحسب نوعها وكمها، حيث كلما كبرت الذنوب وكثرت كلما ضعف الإيمان، فكبائر الذنوب تضعف الإيمان أكثر من الصغائر، والكفر أو الشرك أثره على الإيمان أشد من اجتماع الكبائر كلها معاً.

(٤) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٣٠٤) و (١٤٦٢) ومسلم (٨٠) من حديث أبى سعيد الخدرى وأخرجه مسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما. الطحاوية الأرنؤوط.

(٥) [متفق عليه] أخرجه البخارى (١٥) ومسلم (٤٤) وأحمد (٣/ ٢٠٧) من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

نفى الكمال. ونظائرهُ كثيرةٌ، وحديثُ شُعبِ الإيمانِ، وحديث الشفاعَةِ، وأنه يخرجُ مِنَ النارِ من فى قلبه أدنى أدنى مثقال ذَرَّةٍ من إيمانٍ.

فكيف يقال بعد هذا إن إيمانَ أهلِ السماواتِ والأرض سواء؟! وإنما التفاضلُ بينهم بمعانٍ أُخر غيرِ الإيمان.

ومن كلام الصحابة، قول أبى الدرداء: مِن فِقهِ العبدِ أن يتعاهدَ إيمانَهُ وما نقصَ منه، ومن فقه العبدِ أن يعلَمَ: أيزداد هو أم ينقصُ؟

وكان عمر رضى الله عنه ـ يقول لأصحابه هَلُمُّوا نَزدَدْ إيماناً، فيذكرون اللهَ ـ عز وجل[1] ـ.

وكان ابن مسعود يقولُ فى دعائه: اللهمَّ زِدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً[2].

وكان معاذ بن جبل يقولُ لِرجُلٍ: اجلس بنا نؤمن ساعَةً[3]. ومثله عن عبد الله بن رواحة. وصحَّ عن عمار بن ياسرٍ أنه قال: ثلاثٌ من كُنَّ فيه فقد استكمل الإيمانَ: إنصافٌ من نفسه، والإنفاقُ مِن إقتارٍ، وبذلُ السلام للعالَم[4].

[أما ما روى: «أن وفد ثقيف جاء إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص؟ فقال: لا، الإيمان مكمل فى القلب، زيادته كفر، ونقصانه شرك»[5]. فليس بصحيح، ففى إسناده مجهولون، ومن هو ضعيف، بل ومن هو متهم بالوضع.

سؤال: «مُسمَّى الإيمان أحياناً يتضمنُ العملَ ويشملُ الإسلام». اشرح هذه العبارة مع التدليل؟

جواب: قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾[الأنفال: ٢]. ﴿**وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ [المائدة: ٨١].

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى «الإيمان» (١٠٨) و«المصنف» (١١/ ٢٦) من طريق ذر بن عبدالرحمن المرهبى وذر لم يدرك عمر. الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٢) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٨٥٤٩) وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٠/ ١٨٥): إسناده جيد انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٣) علقه البخارى (١/ ٤٥) ووصله ابن أبى شيبة فى «الإيمان» (١٠٥) و«المصنف» (١١/ ٢٦) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٢٣٥) وإسناده صحيح على شرطهما.

(٤) ذكره البخارى (١/ ٨٢) ووصله معمر فى «الجامع» (١٩٤٣٩) الملحق بالمصنف وابن أبى شيبة فى «المصنف» (١١/ ٤٨) عن عمار بن ياسر ـ ورجاله ثقات.

(٥) [باطل] وقد حكم بوضعه ابن حبان والحاكم والجوزقانى، وابن الجوزى، والذهبى انظر «المجروحين والضعفاء (٢/ ١٠٢) «وميزان الإعتدال» (٣/ ٤٢) و«اللآلى المصنوعة» (١/ ٣٨) و«تنزيه الشريعة» (١/ ١٤٩).

وقال ﷺ: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن**»(١). وقال: «**لا تؤمنوا حتى تحابُّوا**»(٢). وفى الصحيح قوله لوفد عبدالقيس: «**آمركُم بالإيمان بالله وحدَه، أتدرون ما الإيمانُ بالله؟ شهادةُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وأن تؤدوا الخُمسَ مِنَ المَغنَم**»(٣) متفق عليه.

ومعلومٌ أنه لم يُرِدْ أنَّ هذه الأعمال تكونُ إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لِمَا قد أخبرَ فى مواضعَ: أنه لابُدَّ من إيمانِ القلب، فعُلِمَ أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان. وأى دليلٍ على أن الأعمال داخلةٌ فى مُسمَّى الإيمان فوق هذا الدليل؟

سؤال: أحياناً يكونُ الإيمان له معنى مغاير للإسلام. كيف يكون ذلك؟

جواب: كما فى حديث جبريل(٤) ـ عليه السلام ـ، ويشهدُ للفرق بين الإسلام والإيمان، قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾[الحجرات: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقوله ﷺ: «**اللهمَّ لك أسلمتُ وبك آمنتُ**»(٥). فإذا قُرِنَ أحدُهما بالآخر كان المرادُ من أحدهما غير المرادِ من الآخر، وإذا انفرَدَ أحدُهما شملَ معنى الآخر وحكمه. فالحاصلُ أن حالةَ اقترانِ الإسلامِ بالإيمانِ غيرُ حالة إفراد أحدهما عن الآخر، فإذا أُفرِدَ اسمُ الإيمانِ فإنه يتضمَّنُ الإسلامَ، وإذا أُفرِدَ الإسلام فقد يكونُ مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع!! وهذا هو الواجب.

سؤال: ما هى حقيقة الإسلام؟.

جواب: صارَ الناس فى مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال:

* فطائفة جعلت الإسلام هو الكلمة.

* وطائفة أجابت بما أجاب به النبى ﷺ، ففسروا الإسلام: بالأعمال الظاهرة، والإيمان: بالأصول الخمسة.

* وآخرون جعلوهما مترادفين، وتأولوا قوله ﷺ: «**الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام**

---

(١) [متفق عليه] تقدم تخريجه ص (٥٥) رقم (٣).

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم (٥٤) وأبو داود (٥١٩٣) والترمذى (٢٦٨٨) من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٥٣) ومسلم (١٧) والترمذى (٢٦١١) من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٤) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٨/ ٣٧٣/ ٤٧٧٧) ومسلم (١/ ١٧٩/ ٥) كلاهما من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وسبق فى القسم الأول.

(٥) [متفق عليه] أخرجه البخارى (١١٢٠) ومسلم (٧٦٩) ومالك (١/ ٢١٥) من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

الصلاة..»[1] الحديث، على معنى شعائر الإسلام، والأصل عدم التقدير، والحق أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة انفراد أحدهما عن الآخر، ذلك أنهما إذا اجتمعا أى اقترن أحدهما بالآخر، افترقا وأصبح يراد من أحدهما ما لا يراد من الآخر، وإذا افترقا اجتمعا. أى إذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه.

فمثل الإسلام مع الإيمان كالشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية، فهما شيئان فى الأعيان، وإحداهما مرتبطة بالأخرى فى المعنى والحكم كشىء واحد، فالشهادتان إذا اجتمعا كان المراد من شهادة أن لا إله إلا الله إثبات التوحيد، ومن شهادة أن محمداً رسول الله إثبات الرسالة.

أما إذا انفردت إحداهما، كقوله ﷺ: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[2]. فإنها تشمل الأخرى، فإنهم لو أقروا بالتوحيد وأنكروا الرسالة لم تعصم دماؤهم، بل لابد من أن يقولوا لا إله إلا الله قائمين بحقها، ولا يقوم بحقها إلا من صدَّق بالرسالة، وكذلك من شهد بالرسالة لا يقوم بحقها إلا من صدَّق الرسول فى كل شىء. فتضمنت التوحيد، ونظائر ذلك كثيرة، كالفقير والمسكين، والاستغفار والتوبة، والإثم والعدوان... إلخ.

فلا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له، فلا يخلو المسلم من إيمان يصح به إسلامه ولا يخلو المؤمن من إسلام يصح به إيمانه.

وبذلك يندفع تشنيع من قال: ما حكم من آمن ولم يسلم؟ أو أسلم ولم يؤمن؟! فمن أثبت لأحدهما حكماً ليس بثابت للآخر ظهر بطلان قوله، ويقال له فى مقابلة تشنيعه: أنت تقول المسلم هو المؤمن، وقد جعلهما الله غيرين فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقد قيل للرسول ﷺ: «**مالك عن فلان والله إنى لأراه مؤمناً؟ قال ـ أو مسلماً ـ قالها ثلاثاً**»[3] فأثبت له اسم الإسلام، وتوقف فى اسم الإيمان.

ورحم الله أبا حنيفة فإن هذه المعارضات لم تثبت عنه، وإنما هى من الأصحاب[4].

سؤال: هل الإسلام والإيمان مترادفان؟ ناقش ذلك بشىءٍ من التفصيل.

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٨) وأبو داود (٤٦٩٥) وابن ماجه (٦٣) من طريق عمر وهو حديث جبريل المتقدم.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٢٥) ومسلم (٢٢) والبغوى فى «شرح السنة» (٣٣) من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٢٧) و(١٤٧٨)، ومسلم (١٥٠)، وأحمد (١/ ١٨٢) من حديث سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٤) انظر «تقريب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

جواب : فى المسند عن أنس عن النبى ﷺ : «**الإسلام علانية، والإيمان فى القلب**»[1] وفيه دليل على المغايرة بين الإسلام والإيمان.

* قوله تعالى ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا**﴾ [الحجرات: ١٤]. فهذه الآية تشهد أيضاً للفرق بين الإسلام والإيمان.

* حديث أسئلة جبريل للنبى ﷺ فى معنى: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وفيه: «**هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم دينكم**»[2]. فجعل الدين هو: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فهو يجمع هذه الثلاثة، لكنه درجات: مسلم، ثم مؤمن، ثم محسن، وهذا كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[فاطر: ٣٢].

فالمقتصد، والسابق، يدخلان الجنة بلا عقوبة، وأما الظالم لنفسه، فإنه معرض للوعيد. وهكذا من أتى الإسلام، الظاهر مع تصديق القلب، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن، فإنه مُعَرَّض للوعيد، فالإحسان أعم من جهة نفسه أخص من جهة أهله، والإيمان أعم من جهة نفسه أخص من جهة أهله من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، وهذا كالرسالة والنبوة، فالنبوة داخلة فى الرسالة، والرسالة أعم من جهة نفسها، أخص من جهة أهلها. فكل رسول نبى ولا ينعكس. فحقيقة العلاقة بين الإسلام والإيمان أنهما إذا اجتمعا افترقا، وأصبح يراد من أحدهما ما لايراد من الآخر، وإذا افترقا اجتمعا. أى: إذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه.

أما الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الذاريات: ٣٥ ، ٣٦]. على ترادف الإسلام والإيمان، فلا حجة فيه، لأن البيت المُخرج كانوا متصفين بالإسلام والإيمان، ولا يلزم من الاتصاف بهما ترادفهما[3].

سؤال : هل يصح الاحتجاج بأية الحجرات على الفرق بين الإيمان والإسلام وبما نرد على من أنكر ذلك؟

جواب : نعم يصح الاحتجاج بأية الحجرات ويرد على من أنكر ذلك بالآتى:

---

(١) [ضعيف] أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥) وأبو عبيد فى الإيمان» ص (٥) وفى سنده: على بن مسعدة وهو سيىء الحفظ ضعفه البخارى، والنسائى، وأبو داود، وقال ابن عدى: أحاديثه غير محفوظه، انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٢) [متفق عليه] تقدم تخريجه ص (٦٦) رقم (٤).

(٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

واستدل من أنكر ذلك بأن معنى (أسلمنا): انقدنا بظواهرنا، فهم منافقون في الحقيقة، وهو أحد قولي المفسرين في هذه الآية، وقد أجيب عنه من وجوه:

أولاً: بالقول الآخر في هذه الآية، وهو أنهم ليسوا بمؤمنين كاملي الإيمان، كما نفى الإيمان عن القاتل، والزاني، والسارق، ومن لا أمانة له، ويشهد له قوله تعالى: ﴿**وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا**﴾ ولو كانوا منافقين ما نفعتهم الطاعة.

ثانياً: أنه أذن لهم أن يقولوا أسلمنا والمنافق لا يقال له ذلك.

ثالثاً: أنه أثبت لهم إسلاماً، ونهاهم أن يمنوا به على رسوله، ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً لكذبهم كما كذب المنافقين في قولهم: ﴿**نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ**﴾[المنافقون: ١].

رابعاً: دلالة السياق، فإن السورة من أولها إلى هنا في النهي عن المعاصي وأحكام بعض العصاة، وليس فيها ذكر المنافقين أ.هـ.

سؤال: ما هي مذاهب الناس في مسألةُ الاستثناء في الإيمان. وما أحكمها؟

جواب: وهو أن يقولَ الرجلُ: أنا مؤمنٌ إن شاءَ اللهُ. والناسُ فيه على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط، منهم مَن يوجبه، ومنهم من يُحرِّمُه، ومنهم من يُجيزُه باعتبار ويمنعُه باعتبار، وهذا أصحُّ الأقوال، وهم أسعدُ بالدليلِ من الفريقين: فإن أرادَ المستثنى الشكَّ في أصل إيمانه مُنع من الاستثناء، وهذا مما لا خلافَ فيه، وإن أرادَ مؤمنٌ من المؤمنين الذين وصفهم الله: ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾[الأنفال: ٤]. فالاستثناء حينئذ جائزٌ، وكذلك من استثنى وأرادَ عدَمَ علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله، لا شكاً في إيمانه.

سؤال: اشرح قول الموجبون للإستثناء؟.

جواب: أما من يوجبه فلهم مأخذان:

الأول: وهو لكثير من الكلابية وغيرهم، أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً أو كافراً باعتبار الموافاة، وما سبق في علمه أن يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به. فالإيمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً، ليس بإيمان. كالصوم الذي يفطر صاحبه قبل الغروب.

ويرى هؤلاء أن الله يحب في الأزل من كان كافراً إذا علم منه أنه يموت مؤمناً. وهو فاسد لقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]. فاتباع الرسول شرط المحبة، والمشروط يتأخر عن الشرط. وليس هذا قول السلف، ولا كان يقول بهذا: من يستثني من السلف في إيمانه.

ولقد غلا بعض من قال بهذا القول فطرده فى الأعمال الصالحة، يقول صليت إن شاء الله، يقصد القبول. بل طرده بعضهم فى كل شيء، فيقول أحدهم: هذا حبل إن شاء الله، هذا ثوب إن شاء الله. فإن قيل لهم: هذا لاشك فيه، قالوا: إن شاء الله أن يغيره غيره!.

المأخذ الثانى: وهو مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون فى الإيمان، وهو أن الإيمان المطلق يقتضى فعل جميع المأمورات وترك جميع المنهيات، فمن قال: أنا مؤمن، بهذا الاعتبار، فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار الأتقياء، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه، ولو صح ذلك لكان ينبغى أن يشهد لنفسه بالجنة إذا مات على ذلك. ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه. قال تعالى: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾[الفتح:٢٧]. وقال ﷺ: «**وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون**»(١)(٢)(*).

سؤال: اشرح قول المحرمون للاستثناء؟.

جواب: وأما من يحرِّمه فهم كل من جعل الإيمان شيئاً واحداً، فيقول: أنا أعلم أنى مؤمن كما أعلم أنى تكلمت بالشهادتين، فمن استثنى فى إيمانه فهو شاك فيه. وأجابوا عن الاستثناء الذى فى قوله تعالى: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ بأنه يعود إلى الأمن والخوف، فأما الدخول فلا شك فيه.

وأجيب: بأن الله أخبر أنهم يدخلون آمنين مع علمه بذلك، فلاشك فى الدخول ولا فى الأمن. وقيل المعنى: لتدخلن جميعكم أو بعضكم لأنه علم أن بعضهم يموت. وأجيب بأنه لاشك فى ذلك أيضاً لأن الله قد علم من يدخل، فكان قول: إن شاء الله؛ هنا تحقيقاً للدخول كقول العازم على الفعل لا محالة: والله لأفعلن كذا إن شاء الله، فالاستثناء هنا لا يرجع لشك فى العزم، ولكن لتوقى الحنث عند عدم التمكن، أو هو تعليم لنا كيف نستثنى إذا أُخبرنا عن مستقبل وفيه نظر. فإن الكلام ما سيق لذلك(٣).

---

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (٢٤٩) وأبو داود (٣٢٣٧) وابن ماجه (٤٣٠٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٢، ٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(*) قد سئل الإمام أحمد عن الإستثناء فى الإيمان، فقال: نعم، الاستثناء على غير معنى شك مخافة واحتياطاً للعمل، وقد استثنى ابن مسعود وغيره، وهو مذهب الثورى، قال الله عز وجل: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾[الفتح:٢٧]. وقال النبى ﷺ لأصحابه: «إنى لأرجو أن أكون أتقاكم لله»، وقال فى البقيع: «عليه نبعث إن شاء الله»، وقال: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»، قال: هذا حجة فى الاستثناء فى الإيمان. لأنه لابد من لحوقهم ليس فيه شك.

وقال أيضاً: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: ما أدركت أحداً من أصحابنا لا ابن عون، ولا غيره إلا وهم يستثنون فى الإيمان.

=

سؤال : اشرح قول المفصلون فى مسألة استثناء الإيمان؟ .

جواب : وأما من يجوز الاستثناء وتركه، فهو أسعد بالدليل من الفريقين. فإن أراد المستثنى الشك فى أصل إيمانه منع من الاستثناء، وهذا ما لا خلاف عليه. وإن أراد كمال الإيمان، وأنه من هؤلاء الذين وصفهم الله بقوله: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: ٢]، فالاستثناء حينئذ جائز.

وكذلك من استثنى وأراد عدم العلم بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقا للأمر بمشيئة الله، لا شكاً فى إيمانه. وهذا هو الصواب[1].

سؤال : هل يقبل خَبَرِ الآحاد إن صَحَّ . وهل يفيد العلم اليقين دلل على ما تقول؟

جواب : قوله: «**وجميعُ ما صَحَّ عن رسول الله ﷺ من الشَّرْعِ والبيان كلُّهُ حقٌ**». يشيرُ رحمه الله بذلك إلى الردِّ على الذين يُبطلون أحاديث الآحاد، بقولهم: أنها لا تُفيدُ العلمَ، ولا يحتجُّ بها من جهة طريقِها، ولا من جهة متنها! فسَدُّوا على القلوب معرفةَ الربِّ تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهةِ الرسولِ، وأحالُوا الناسَ على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سمَّوها قواطع عقلية، وبراهينَ

= وقال رحمه الله لرجل: أليس الإيمان قولاً وعملاً؟ قال الرجل: بلى، قال: فجئنا بالقول، قال: نعم، قال: فجئنا بالعمل؟ قال: لا، قال: فكيف تعيب أن يقول إن شاء الله ويستثنى؟ وقال: الإيمان قول وعمل فجئنا بالقول ولا نجيء بالعمل، فنحن مستثنون بالعمل.

وقال ـ أى الإمام أحمد ـ رحمه الله: بلغنى عن عبدالرحمن بن مهدى أنه قال: أول الإرجاء ترك الاستثناء.

وقال: لو كان القول كما تقول المرجئة أن الإيمان قول، ثم استثنى بعد على القول لكان هذا قبيحاً أن تقول: لا إله إلا الله إن شاء الله، ولكن الاستثناء على العمل. (انظر كتاب السُّنَّة للخلال، فصل الرد على المرجئة فى الاستثناء فى الإيمان، ص ٥٩٣).

وقال ابن تيمية فى الفتاوى (٧/ ٤٢٩ و ٤٣٨): وأما الاستثناء فى الإيمان بقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، فالناس فيه على ثلاثة أقوال: منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجوز الأمرين باعتبارين، وهذا أصح الأقوال. فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم، ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه، كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما فى قلبه.. إلى أن قال: وأما مذهب سلف أصحاب الحديث، كابن مسعود وأصحابه، والثورى وابن عيينة، وأكثر علماء الكوفة، ويحيى ابن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء أهل البصرة، وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة، فكانوا يستثنون فى الإيمان، وهذا متواتر عنهم، لكن ليس فى هؤلاء من قال: أنا استثنى لأجل الموافاة. وأن الإيمان هو اسم لما يوافى به العبد ربه، بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو **لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات**، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك، كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى، فإن ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لأنفسهم بلا علم ا ـ هـ.

ومما تقدم تعلم أن أصل الخلاف فى هذه المسألة وغيرها يعود إلى الموقف من تعريف الإيمان، ومنه تعلم أيضاً أن الخلاف بين أهل السُّنَّة الذين يقولون: الإيمان اعتقاد وقول وعمل.

يقينيَّة!! وهى فى التحقيق: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**﴾ [النور: ٣٩].

وخبرُ الواحد إذا تلقَّتْهُ الأمَّةُ بالقَبول عملاً به وتصديقاً له: يُفيدُ العِلْمَ اليقينى عندَ جماهير الأمة، ولم يكن بين سلف الأمَّة فى ذلك نزاع، كخبر عمر بن الخطاب: «إنما الإعمالُ بالنيات»(١). وخبر ابن عمر: «**نهى عن بيعِ الولاء وهبَتِه**»(٢). وخبر أبى هريرة: «**لا تُنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها**»(٣). وكقوله: «**يحرمُ من الرضاعة ما يحرمُ من النسب**»(٤). وهو نظيرُ خبرِ الذى أتى مسجد قباء، وأخبرَ أنَّ القبلةَ تحوَّلَت إلى الكعبة، فاستداروا إليها(٥).

وكان رسولُ الله ﷺ يُرسل رُسُلَهُ آحاداً، ويُرسلُ كتبه مع الآحادِ، ولم يكن المرسَلُ إليهم يقولون: لا نقبلُهُ لأنه خبرُ واحد(٦).

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١) ومسلم (١٩٠٧) وأبو داود (٢٢٠١) والترمذى (١٦٤٧) من حديث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٢٥٣٥) ومسلم (١٥٠٦) وأبو داود (٢٩١٩) والترمذى (١٢٣٦) من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٥١٠٩) ومسلم (١٤٠٨) ومالك (٢/ ٥٣٢) والبغوى (٢٢٧٧) من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٤) [**متفق عليه**] أخرجه بهذا اللفظ البخارى (٢٦٤٥) وابن ماجه (١٩٣٨) وأخرجه مسلم (١٤٤٧) بلفظ «**يحرم من الرضاعة ما يحرم من الرحم**» من حديث ابن عباس.

(٥) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٤٤٨٨) و (٧٢٥١) ومسلم (٥٢٦) ومالك (١/ ١٩٥) والشافعى فى «الرسالة» فقرة (٣٦) كلهم من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٦) للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى كلام جيد ـ يرد فيه على من يشترطون حد التواتر لقبول الخبر فى العقائد ـ فى رسالته «وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى العقيدة» ـ حيث يقول: إن هذا القول ـ أن أحاديث الآحاد لاتفيد العلم، وأنها لا تثبت بها عقيدة ـ وإن كنا نعلم: أنه قد قال به بعض المتقدمين من علماء الكلام، فإنه منقوض من وجوه عديدة:

الوجه الأول: أنه قول مبتدعٌ محدث، لا أصل له فى الشريعة الإسلامية الغراء، وهو غريب عن هدى الكتاب وتوجيهات السنة، ولم يعرفه السلف الصالح ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ، ولم ينقل عن أحد منهم، بل ولا خطر لهم على بال، ومن المعلوم المقرر فى الدين الحنيف أن كل أمر مبتدع من أمورٍ الدين باطل مردود لا يجوز قبوله بحال، عملاً بقول النبى ﷺ: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه.

وإنما قال هذا القول جماعة من علماء الكلام، وبعض من تأثر بهم من علماء الأصول من المتأخرين، وتلقاه عنهم بعض الكتاب المعاصرين بالتسليم دون مناقشة ولا برهان، وما هكذا شأن العقيدة، وخاصة من يشترط لثبوتها القطعية فى الدلالة والثبوت.

الوجه الثانى: أن هذا القول يتضمن عقيدة تستلزم رد مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبى ﷺ لمجرد كونها فى العقيدة، وهذه العقيدة هى أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة، وإذا كان الأمر كذلك عند هؤلاء المتكلمين وأتباعهم فنحن نخاطبهم بما يعتقدون، فنقول لهم أين الدليل القاطع على صحة هذه العقيدة لديكم من آية أو حديث متواتر قطعى الثبوت، قطعى الدلالة أيضاً بحيث أنه لا يحتمل التأويل.

وقد يحاول البعض الإجابة عن هذا السؤال، فيستدل ببعض الآيات التى تنهى عن اتباع الظن، كقوله=

سؤال: اشرح موقفُ أَهْلِ السنَّة من النصِّ الصحيحِ؟

جواب: وطريقُ أهل السُّنَّة أن لا يعدلوا عن النصِّ الصحيح، ولا يُعارضُوه بمعقول، ولا قول فلان، كما أشارَ إليه الشيخُ، وكما قال البخاريُّ رحمه الله: سمعتُ الحميديَّ يقولُ: كنا عند الشافعي ـ رحمه الله، فأتاه رجلٌ، فسألَهُ عن مسألة، فقال: قضى فيها رسولُ الله ﷺ كذا وكذا، فقال الرجل للشافعي: ما تقول أنت؟! فقال: سبحان الله! ترانى فى كنيسة! ترانى فى بيعة! ترى على وسطى زناراً؟! أقول لك: قضى رسولُ الله ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنت[1]؟!!

ونظائرُ ذلك فى كلامِ السَّلَف كثيرٌ، وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

= تعالى فى حق المشركين: ﴿**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾ [النجم: ٢٨]. ونحوها، وجوابنا على ذلك أن الذى أنزلت عليه هذه الآية وغيرها هو الذى أنزلت عليه الآيات الأخرى التى تأمر الأفراد والجماعات بنقل العلم كقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة: ١٢٢]. والطائفة تقع على الواحد فما فوقه فى اللغة، فأفادت الآية أن الطائفة تنذر قومها إذا رجعت إليه، والإنذار والإعلام بما يفيد العلم، وهو يكون بتبليغ العقيدة وغيرها مما جاء به الشرع، وكقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [الحجرات: ٦]. وفى القراءة الأخرى ﴿**فتثبتوا**﴾، وهذا يدل على الجزم والقطع بقبول خبر الواحد الثقة، وأنه لا يحتاج إلى تثبت، ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم. والمراد بالظن ـ فى الآية ـ الظن المرجوح الذى لا يفيد علماً، بل هو قائم على الهوى والغرض المخالف للشرع ويوضح ذلك قوله تعالى فى آية أخرى: ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ**﴾ [النجم: ٢٣]. إلى أن قال: لو كان هناك دليل قطعى على أن العقيدة لا تثبت بخبر الآحاد كما يزعمون لصرح بذلك الصحابة، ولما خالف فى ذلك من سيأتى ذكرهم من العلماء، لأنه لا يعقل أن ينكروا الدلالة القاطعة أو تخفى عليهم، لما هم عليه من الفضل والتقوى وسعة العلم..

الوجه الثالث: أن هذا القول مخالف لجميع أدلة الكتاب والسنة التى نحتج نحن وإياهم جميعاً بها على وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى الأحكام الشرعية، وذلك لعمومها وشمولها لما جاء به رسول الله ﷺ عن ربه سواء كان عقيدة أو حكماً.. فتخصيص هذه الأدلة بالأحكام دون العقائد تخصيصاً بدون مخصص وذلك باطل، وما لزم منه باطل فهو باطل.

الوجه الرابع: أن هذا القول المذكور ليس فقط لم يقل به الصحابة بل هو مخالف لما كانوا عليه رضى الله عنهم، فإننا على يقين أنهم كانوا يجزمون بكل ما يحدث به أحدهم من حديث رسول الله ﷺ، ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول الله ﷺ: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر، بل لم يكونوا يعرفون هذه الفلسفة التى تسربت إلى بعض المسلمين بعدهم من التفريق بين العقائد والأحكام فى وجوب الأخذ فيها بحديث الآحاد... اـ هـ. وهناك أوجه أخرى مفيدة ذكرها الشيخ رد فيها على شبهة القوم، تُراجع فى الرسالة المذكورة.

(١) الخبر فى «حلية الأولياء» (٩/ ١٠٦)، «وتاريخ ابن عساكر» (١٥/ ١٠/ ٢)، و«مناقب الشافعى» للبيهقى (١/ ٤٧٤)، و«توالى التأسيس» ص (٦٣) و«مفتاح الجنة» (١٥٤) انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤط.

«والمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحمنِ».

قوله: «والمؤمنون كلهم.....».

سؤال: من هم أولياء الرحمن دلل على ما تقول؟

جواب: فالمؤمنون أولياءُ الله، والله تعالى وليُّهم، قال تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾[يونس: ٦٢ ـ ٦٣]. ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾[البقرة: ٢٥٧]. ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ**﴾[محمد: ١١]. والمؤمنون بعضُهم أولياءُ بعض، قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾[التوبة: ٧١]. ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[المائدة: ٥٥ ـ ٥٦].

سؤال: ما معنى الولاية؟

جواب: الولي: من الولاية التي هي ضدُّ العداوة، وهو مشتق من الولي، وهو الدُّنو والتقرُّب فولي الله: هو من والى اللهَ بموافقته في محبوباته، والتقرُّبُ إليه بمرضاته. والولاية: هي عبارةٌ عن موافقة الولي الحميد في محابِّه ومَسَخطه.

[وهؤلاء كما قال الله فيهم: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**﴾ [الطلاق: ٢].

قال أبو ذر: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «**يا أبا ذر لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم**»(١). فالمتقون يدفع الله عنهم المضار، ويجلب لهم المنافع، ويعطيهم من فضله ما يشاء](٢).

سؤال: ولايةُ الخالقِ، ليستْ كولايَة المخلوق للمخلوق. وضح ذلك؟

جواب: فاللهُ يتولَّى عبادَهُ المؤمنينَ، فيُحبُّهُم ويُحبونَهُ، ويَرضى عنهم ويرضونَ عنه، ومن عادَى له ولياً فقد بارزَه بالمحاربَة، وهذه الوَلايةُ من رحمته وإحسانه، ليسَت كولاية المخلوق للمخلوق لحاجته، قال تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا**﴾ [الإسراء: ١١١]. فاللهُ تعالى ليس له وليٌّ من الذلِّ، بل لله العزَّةُ جميعاً، خلافَ الملوكِ وغيرِهم ممن يتولاهُ لذلِّه وحاجته إلى وليٍّ ينصرُه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٠) والحاكم (٢/ ٤٩٢) والدارمي (٢/ ٣٠٣)، وفي مسنده انقطاع بين أبي السليل وأبي ذر ومع ذلك فقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي. انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

سؤال : قد يجتمعُ في المؤمنِ ما يستلزمُ موالاتَهُ من وجهٍ، وعداواتَهُ من وجه اشرح هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟.

جواب : يجتمع في المؤمن ولايةٌ من وجهٍ، وعداوةٌ من وجه(١)، كما يكونُ فيه كفرٌ وإيمان، وشركٌ وتوحيد، وتقوى وفجورٌ، ونفاقٌ(٢) وإيمان. قال تعالى: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾[يوسف:١٠٦]. وقال تعالى: ﴿**قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾ [الحجرات:١٤]. وقال ﷺ: «**أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَن كانت فيه خلَّةٌ منهُنَّ كانت فيه خلَّةٌ من النفاق حتى يدعَها: إذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا عاهدَ غدَرَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا خاصم فجر**»(٣) وقوله ﷺ: «**يخرج من النار من كان في قلبه ذرَّةٌ من إيمان**»(٤). فعُلِمَ أنَّ من كان معه من الإيمان أقلُّ القليل لم يَخلُدْ في النار، وإنْ كان معه كثيرٌ من النفاق، فهو يُعذَّبُ في النارِ على قدرِ ما معه من ذلك، ثم يُخْرَجُ من النار.

سؤال : هل للولاية مراتب ؟ وضح ذلك؟.

جواب : والولاية: نظير الإيمان، فأهلها في أصلها سواء، وتكون كاملة وناقصة، فالكاملة

---

(١) قال ابن تيمية في الفتاوى (٢٨ / ٢٠٩): إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السُّنَّة والجماعة ا ـ هـ.

قلت: وهذا فقه قلَّ من ينتبه إليه في حياته العملية مع الآخرين، فالناس فيه إما إفراط وغلو وإما تفريط ومجافاة، فهم إما يوالون على الإطلاق من يستحق في الشرع المجافاة والمعاداة، وإما يعادون على الإطلاق من يستحق في الشرع نوع موالاة وإكرام، وهم بصنيعهم هذا يكونون قد والوا الباطل الذي يبغضه الله، وعادوا الحق ـ ولو بوجه دون وجه ـ الذي يحبه الله ويرضاه. وغالب الذين يقعون في هذا النوع من الخطأ والانحراف يكون بسبب الولاءات والانتماءات الباطلة التي يتربون عليه، والتي تملى عليهم مثل هذا السلوك والخُلق.

(٢) قال ابن تيمية في الفتاوى (٧/ ٢٤١) : فالخطاب بالإيمان يدخل فيه ثلاثة طوائف، يدخل فيه المؤمن حقاً، ويدخل فيه المنافق في أحكامه الظاهرة وإن كان في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، وهو في الباطن ينفى عنه الإسلام والإيمان، وفي الظاهر يثبت له الإسلام والإيمان الظاهر، ويدخل فيه الذين أسلموا وإن لم تدخل حقيقة الإيمان في قلوبهم، لكن معهم جزء من الإيمان والإسلام يثابون عليه ا هـ.

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨) وابن حبان (٢٥٤) وابن منده في «الإيمان» (٥٢٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٤) [متفق عليه] أخرجه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣) وابن ماجه (٤٣١٢) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

للمؤمنين المتقين. قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

فالولاية لأهل الإيمان والتقوى، وهي عبارة عن: موافقة الولي الحميد في محابه، ومساخطه، وليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تملق.

الولاية الكاملة:

وأولياء الله الكاملون هم المذكورون في الآية السابقة. والتقوى هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٧].

وهم قسمان:

* مقتصدون: وهم الذين يتقربون إلى الله بالفرائض.

* ومقربون: وهم الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض. قال ﷺ: يقول الله تعالى: «**من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمعه به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته**»(١).

الولاية الناقصة:

وقد تجتمع في العبد ولاية من جهة، وعدواة من جهة، كما قد يكون فيه شرك وتوحيد، وكفر وإيمان، وإن كان في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة، ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع، ولكن موافقة الشارع في اللفظ والمعنى، أولى من موافقته في المعنى وحده. قال تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا....﴾ [الحجرات: ١٤].

وقد تقدم الكلام في هذه الآية، وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين. قال ﷺ: «**أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا**

(١) [صحيح] أخرجه البخاري (٦٥٠٢) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤) والبيهقي في «الزهد الكبير» (٦٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»[1] **قال ﷺ: «يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان»**[2]. فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل، لم يخلد فى النار، وإن كان معه كثير من النفاق، فهو يعذب فى النار، على قدر ما معه من ذلك، ثم يخرج من النار[3].

سؤال: هناك بعض المفاهيم الخاطئة الخاصة بالولاية اذكر بعضها وناقشها بالدليل.

جواب: يبين بطلان دعوى اشتمال كل جماعة على ولى لا يعرف:

وأما ما يروى مرفوعاً إلى النبى ﷺ أنه قال: «**ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولىّ لله لا هم يدرون به، ولا هو يدرى بنفسه**»[4]، فلا أصل له، وهو كلام باطل، فإن الجماعة قد يكونون كفاراً، وقد يكونون فساقاً، يموتون على الفسق.

زوال العقل ليس سبباً إلى ولاية الله:

أما ما كان من جنس الأطفال والمجانين، فقد رفع عنهم القلم، وليس لهم من الإيمان ما يكونون به من الأولياء، لكن يدخلون فى الإسلام تبعاً لآبائهم. فمن اعتقد فى البله ومن كان على شاكلتهم، فهو ضال مبتدع، فالأبله: إما أن يكون زنديقاً متحيلاً، أو مجنوناً معذوراً، فكيف يفضل على من كان من أولياء الله أو يساويه!

أما قول البعض: لعله متبع فى الباطن، فهو خطأ أيضاً، لأن الواجب هو متابعته ﷺ باطناً وظاهراً. قال موسى بن عبدالأعلى الصدفى: قلت للشافعى: إن صاحبنا (الليث) كان يقول: إذا رأيت الرجل يمشى على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة؟ فقال الشافعى: قصر الليث رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء، ويطير فى الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب. أما حديث: «**اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها البُله**»[5]، فلا يصح عن رسول الله ﷺ، ولا ينبغى نسبته إليه، فإن الجنة إنما خلقت لأولى الألباب، ولم

(١) [**متفق عليه**] تقدم تخريجه ص (١٧٥) رقم (٣).

(٢) [**متفق عليه**] تقدم تخريجه ص (١٧٥) رقم (٤).

(٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٤) ذكره شيخ الإسلام فى الفتاوى (١١/ ٦٠) وقال هو من الأكاذيب ليس فى شىء من دواوين الإسلام انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٥) [**ضعيف**] أخرجه الكلاباذى فى «مفتاح المعانى» (١/١٧٥)، وابن عساكر (١٢/ ٣٤٥/ ٢٢) وفى سنده مصعب بن ماهان، وهو كثير الخطأ، وأحمد بن عيسى الخشاب، قال الدارقطنى: ليس بالقوى، وكذبه ابن طاهر وأورده ابن عدي فى «الكامل» (١/ ١٩٤) وقال: هذا حديث باطل بهذا الإسناد وأخرجه الطحاوى فى «مشكل الآثار» (٤/ ١٢١) انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

يذكر الله من أوصاف أهلها: البلـه الذى هو: ضعف العـقل، وإنما قال ﷺ: «**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**»(١) ولم يقل البله.

وكذلك الذين يصـعقون عند سمـاع الأنغام الحسنة، مـبتدعون ضـالون، لأنه ليس للإنسان أن يستـدعى ما يكون سبب زوال عـقله. ولم يكن فى الصحـابة والتابعين من يـفعل ذلك، ولو عند سماع القرآن، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿**إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ [الأنفال: ٢]. وكما قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الزمر: ٢٣].

أما ما يحـصل للبعض من الهذيان، والتكلم ببعض اللغـات المخالفة للسانه عند سـماع الأنغام المطربة، فذلك شيطان يـتكلم على لسانه، كما يتكلم على لسـان المصروع، وذلك كله من الأحوال الشيطانية!! إذ كيف يكون زوال العقل سبباً إلى ولاية الله؟ كما يظن ذلك كثير من أهل الضلال، حتى قال بعضهم:

هم معشر حلوا النظام وخرقوا الـ ـسياج فلا فرض لديهم ولا نفـل

مـجانيـن إلا أن سـر جنـونهـم عزيز على أبوابه يسجد العـقـل

يظن أن فى الجنون سراً يسـجد العقل على بابه، لما رأى فى تصرفات بـعض المجانين نوعاً من الخوارق، وسببه ما اقترن به من الشيـاطين كما يكون للسحـرة والكهان، فظن أن كل من خبل أو خرق عادة كان ولياً لله، ومن اعتقد هذا فهو كافر. قال تعالى: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢] فكل من تنزل عليه الشـياطين لابد أن يكون عنده كذب وفجور.

عقلاء المجانين:

وأما الذين ذكرهم العلماء بخير من عقلاء المجانين، فأولئك كان فيهم خير، ثم زالت عقولهم، ومن علاماتهم، أنهـم إذا حصل لهم فى جنونهم نوع من الصحو، تكلمـوا بما كان فى قلوبهم من الإيمان، فمن جُنَّ من المؤمنين يحـشر معهم، فزوال العقل بجنون أو غـيره لا يوجب مزيد حال، بل حال صـاحبه من الإيمان والتـقوى، تبقى على مـا كان عليه من خيـر أو شر، ولكن جنونه يحرمه الزيادة من الخير، كما يمنع عقوبته على الشر، ولا يمحو عنه ما كان عليه قبله.

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه مسلم (٩/ ٦٢/ ٩٤) والترمذى (٤/ ٧١٥/ ٢٦٠٢).

مريق: اسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب عن أبى رجاء العُطاردىّ قال: سـمعت ابن عباس يقول: قال محمد ﷺ: «. . . . الحديث وأخرجه البخارى (١١/ ٢٧٨/ ٦٤٤٩)، والبيهقى فى «الشعب» (٧/ ١/ ٣٠/ ١٠٣٨٣) من طريق: سلم زرير حدثنا أبو رجاء عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى ﷺ . . . . الحديث.

الملامتية:

والطائفة الملامتية وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه، ويقولون: نحن متَّبعوُن فى الباطن، ردوا باطلهم بباطل آخر، والصراط المستقيم بيَّن عن ذلك.

الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات:

وأما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات، وترك الجمع والجماعات، فهم الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فكل من عدل عن اتباع السنة، إن كان عالماً بها، فهو مغضوب عليه، وإلا فهو ضال، ولهذا شرع لنا أن نسأل الله فى كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

قال ﷺ: «**من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر طبع الله على قلبه**»(١)(٢).

سؤال: هل يجوز الاستغناء عن الوحى بالعلم اللدنى؟

جواب: وأما من يتعلق بقصة موسى والخضر، فى تجويز الاستغناء عن الوحى بالعلم اللدنى، فهو ملحد زنديق. لأن موسى ﷺ لم يبعث إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته، ولهذا قال له: أنت موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم.

أما محمد ﷺ فبعثته إلى جميع الثقلين، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعه، وعيسى إذا نزل فإنما يحكم بشريعته ﷺ. فمن زعم أنه مع محمد ﷺ: كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه، فقد فارق الإسلام بالكلية! وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القوم وأهل الاستقامة.

ومثله من يقول: إن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا!! فهلا خرجت الكعبة إلى الحديبية فطافت برسول الله ﷺ حين أحصر عنها، وهو يود منها نظرة؟ ألا ما أشبه هؤلاء بمن وصفهم الله بقوله: ﴿**بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً**﴾ [المدثر: ٥٢](٣).

---

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٣/ ٤٢٤)، وأبو داود (١/ ٢٧٦/ ١٠٥٢)، والترمذى (٢/ ٣٧٣/ ٥٠٠)، والنسائى (٣/ ٨٨ ـ السيوطى).

من طريق: محمد بن عمرو، حدثنى عبيدة بن سفيان الحضرمى، عن أبى الجعد الضمرى، وكان له صحبة... الحديث.

قال الترمذى: «حديث حسن».

انظر تمام تخريجه «نيل الأوطار» (٤/ ح١١٨١ ـ بتخريجنا).

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

وأكرمُهُمْ عندَ الله أطوعُهُمْ وأَتْبعُهُمْ للقُرآن.

والإيمانُ هُوَ الإيمَانُ بالله، ومَلاَئكته وكُتُبه ورُسُله واليَوْمِ الآخِر.

قوله «أكرمهم عند الله أطوعهم....».

أى أكرم المؤمنين هو الأطوع لله، والأتبع للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى هو الأكرم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقال ﷺ: «**لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب**»(١).

سؤال: أيهما أفضل الفقير الصابر أم الغنى الشاكر؟.

جواب: وبهذا يتبين القول الفصل فى مسألة الفقير الصابر والغنى الشاكر. ذلك أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى، وإنما يرجع إلى التقوى، وحقائق الإيمان.

قال عمر رضى الله عنه: الفقر والغنى مطيتان لا أبالى أيهما ركبت. فأفضلهما أتقاهما لله، فإن استويا فى التقوى، استويا فى الدرجة، فإن الفقر والغنى لا يوزنان، وإنما يوزن الصبر والشكر(٢).

قوله «والإيمان هو: الإيمان بالله وملائكته....».

سؤال: ما هى أركان الإيمان.

جواب: أركان الإيمان: هذه الخصال وهى أصول الدين، وبها أجاب النبى ﷺ عندما سئل عن الإيمان فى حديث جبريل(٣).

والكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لايثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: ٢]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحجرات: ١٥]. وقال تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٤/ ٤١١) من طريق: سعيد الجريرى، عن أبى نضرة، حدثنى من سمع خطبة رسول الله فى وسط أيام التشريق فقال: «أيها الناس....» الحديث.

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) تقدم تخريجه.

فنفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل على أنها فرض على الناس، فمن تركها كان من أهل الوعيد ولم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذى وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب[1].

سؤال: هل بين تفسير الإيمان فى حديث جبريل، وتفسيره فى حديث وفد عبد القيس تعارض؟ وماذا قال المصنف فى ذلك؟

صيغة أخرى: لقد ورد تفسير الإيمان فى حديث جبريل بالأركان الستة السابقة، وورد تفسيره فى حديث وفد عبدالقيس بأنه: «**شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم**»[2]. فهل بين التفسيرين تعارض؟

جواب: أنه لا تعارض، لأنه فسر الإيمان فى حديث جبريل بعد تفسيره للإسلام، فكان المعنى: أنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر مع الأعمال التى ذكرها فى تفسير الإسلام، كما أن الإحسان متضمن للإيمان الذى قدم تفسيره قبل ذكره، أما الحديث الثانى ففيه تفسير الإسلام ابتداءً.

ولكن هذا الجواب لا يتأتى مع ما ذكره الشيخ ـ رحمه الله ـ من تفسير الإيمان، فحديث وفد عبدالقيس مشكل عليه[3].

سؤال: لماذا خصت فرائض الإسلام الخمسة بالذكر مع أن أعمال الإسلام الظاهرة أكثر من ذلك؟

جواب: أجاب البعض عن ذلك بأن هذه أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال انقياده. والتحقيق أنه ﷺ ذكر الدين الذى هو: استسلام العبد لربه مطلقاً، الذى يجب لله على عباده محضه على الأعيان، فيجب على كل من كان قادراً عليه، ليعبد الله مخلصاً له الدين. وهذه هى الخمس. وما سوى ذلك فإنه يجب بأسباب ومصالح، فلا يعم وجوبها جميع الناس، بل إما أن يكون فرضاً على الكفاية كالجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإما أن يجب بسبب حق الآدميين فيختص به من وجب له وعليه، وقد يسقط بإسقاطه كقضاء الديون، ورد الأمانات، والإنصاف من المظالم وغير ذلك. بخلاف هذه الخمس فإنها فرائض عينية وجبت حقا لله تعالى بصورة محضة، ولهذا وجبت فيها النية، ولم يجز أن يفعلها غيره عنه بغير إذنه، ولم تطلب من الكفار[4].

---

(١)، (٣)، (٤) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٣/ ٣٠٨/ ١٣٩٨)، ومسلم (١/ ٢١٢/ ٢٣) والترمذى (٥/ ٨/ ٢٦١١)، وأبو داود (٣/ ٣٢٩/ ٣٦٩٢) والنسائى (٨/ ١٢٠ ـ السيوطى).

من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

والقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، وَحلْوِه وَمُرِّه مِنَ الله تَعَالَى.

سؤال: الإيمان بالقدر أصل من أصول الدين. بين ذلك؟ مدللاً على ما تقول؟

جواب: الإيمان بالقدر أصل من أصول الدين: قال تعالى: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾[التوبة: ٥١].

وفى حديث جبريل وسؤاله عن الإيمان: «...**وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

وقال تعالى: ﴿**وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾[النساء: ٧٨ ـ ٧٩][(١)].

سؤال: ماهو وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾، وقوله: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾؟

جواب: فإن قيل ما وجه الجمع بين قوله تعالى فى الآية الأولى: ﴿**قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾وقوله فى الآية الثانية: ﴿**وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾؟ فالجواب: أن قوله: ﴿**قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ يعنى أن الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله. أما قوله: ﴿**وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾. أى ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾[الشورى: ٣٠]. يدل لذلك ما روى عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿**وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾ وأنا كتبتها عليك.

سؤال: ما المراد بالنعمة والسيئة وهل يجوز نسب الشر إليه؟

جواب: والمراد بالحسنة هنا: النعمة، والسيئة: البلية على الأرجح، وفرق سبحانه بين الحسنة التى هى النعم، وبين السيئات التى هى المصائب فجعل هذه من عند الله، وهذه من نفس الإنسان لأن الحسنة مضافة إلى الله إذ هو أحق بها من كل وجه، وأما السيئة فهو إنما يخلقها لحكمة، وهى باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط.

ولهذا كان ﷺ يقول فى الاستفتاح: «**والخير كله بيديك، والشر ليس إليك**» [(٢)]. أى فإنك لا تخلق شراً محضاً، بل كل ما تخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، فهو شر جزئى إضافى، أما الشر الكلى أو المطلق فإن الله منزه عنه.

---

(١) انظر «تقريب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم (٣ / ٣٠٩ / ٢٠١)، وأحمد فى «مسنده» (١ / ٩٤، ٩٥) والشافعى فى «الأم» (١ / ٩٠ ـ ٩٢)، وأبو داود (١ / ١٩٩ / ٧٦٠) من طريق عبدالرحمن الأعرج، عن عبيد الله بن أبى رافع، على به وانظر تمام تخريجه «نيل الأوطار» (٦٨٢ ـ بتخريجنا).

سؤال: ما الحكمه من توليه ملك ظالم فى الدنيا رغم ظلمه؟

جواب: قد يمكن الله ملك ظالم مدة من الدهر، بخلاف المتنبئين والكذابين فإنه لا يطيل تمكينهم، بل لابد من إهلاكهم لأن فسادهم عام فى الدين والدنيا، بخلاف الأول فإنه قد يدفع الله به من الشر أكثر من ظلمه، حتى قيل ستون سنة بإمام ظالم خير من ليلة واحدة بلا إمام، فضلاً عن ثواب الصبر عليه، وإثارة الهمم نحو الاستغفار والتوبة[1].

سؤال: بين بطلان احتجاج القدرية بقوله تعالى: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾؟مدللاً على ما تقول؟

جواب: ليس للقدرية أن يحتجوا بقوله تعالى: **﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾** لأنهم يقولون: إن فعل العبد، حسنة كان أو سيئة فهو منه، والقرآن قد فرق بينهما.

لأنه تعالى قد قال: **﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾** فجعل كلاً من الحسنات والسيئات من عند الله وهم لا يقولون بذلك فى الأعمال بل فى الجزاء. وفى قوله: **﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾** إشارة إلى أن العبد لا يطمئن إلى نفسه فإن الشر كامن فيها، لا يجئ إلا منهم، فلا يشتغل بملام الناس إن أساءوا إليه، فإن ذلك من السيئات التى أصابته، وهى إنما أصابته بذنوبه، فيرجع عن ذنبه، ويستعيذ بالله من شر نفسه، وسيئات عمله، فيحصل له كل خير ويندفع عنه كل شر.

سؤال: لما كان انفع الدعاء الفاتحه؟

جواب: ولهذا كان أنفع الدعاء الفاتحة: **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾** [الفاتحة: ٧]. فإنه إذا هداه إلى الصراط المستقيم أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر لا فى الدنيا ولا فى الآخرة. ولا يقال إنه قد هداه، فالمراد هو التثبيت، أو مزيد الهداية، لأن العبد يحتاج إلى الهدى فى كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الطعام والشراب. وفهو محتاج إلى أن يعلمه الله تفاصيل المأمورات والمنهيات. وأن يلهمه العمل بذلك، فلا يكفى مجرد العلم إن لم يجعله مريداً للعمل بمايعلمه، وإلا كان العلم حجة عليه، ولم يكن مهتديا. وأن يجعله قادرا على العمل بتلك الإرادة الصالحة.

فالمجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله كسلاً وتهاوناً قد يبلغ مثل ما نريده أو أكثر، ومالا نقدر عليه مما نريده كذلك، أما ما لا نعرف جملته، ولا نهتدى إلى تفاصيله فأمر يفوت الحصر فمن كملت له هذه الأمور كان سؤاله سؤال تثبيت، وبعد ذلك كله هداية أخرى، وهى الهداية إلى طريق الجنة.

(١) انظر «تقريب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

سؤال: بين أهميه الدعاء بالهداية؟

جواب: ولهذا كان الدعاء بالهداية من أعظم الأسباب المقتضية للخير، المانعة من الشر، فقد بين الله أن السيئات من النفس وإن كانت بقدر الله، وأن الحسنات كلها من الله عز وجل، فوجب الشكر على الطاعة، والاستغفار من المعصية، وأن يفرده وحده بالتوكل والاستغفار والشكر.

ولقد كان ﷺ يجمع الأمور كلها فى الصلاة، كما ثبت عنه فى الصحيح أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**ربنا لك الحمد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شئ بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد**»(١).

فهذا حمد وشكر لله، وبيان أن حمده أحق ما قال العبد، ثم يقول بعد ذلك: «**لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**» أى لا ينجيه ولا يخلصه ما أصاب من ملك ورئاسة.

وهذا تحقيق لتوحيد الربوبية خلقاً وقدراً، وتوحيد الإلهية شرعاً وأمراً ونهياً، وتحقيق قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾.

فإنه لو قدر أن شيئاً من الأسباب يكون مستقلاً بالمطلوب، وإنما يكون بمشيئة الله وتيسيره لكان الواجب ألا يرجى إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه، فكيف وليس شئ من الأسباب مستقل بمطلوب بل لابد من انضمام أسباب أخرى إليه، ولا بد أيضاً من صرف الموانع والمعارضات عنه. فالمطر وحده لا ينبت النبات إلا بما ينضم إليه من الهواء والتراب وغير ذلك، ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة له.

فكل سبب له شريك وضد، فإذا لم يعاونه شريك، ولم ينصرف عنه ضده لم تحصل مشيئة وكل سبب معين فهو جزء من المقتضى، وليس فى المخلوقات علة تامة تستلزم معلولها.

وإن من عرف هذا حق المعرفة انفتح له باب توحيد الله، وعلم أنه لا يستحق أن يسأل غيره فضلاً عن أن يعبد غيره(٢).

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٢/ ٤٣١/ ٢٠٥)، وأبو داود (١/ ٢٢٢/ ٨٤٧)، والنسائى فى «الكبرى» (١/ ٢٢٤/ ٦٥٥).

من طريق: سعيد بن عبد العزيز، عن عطية بن قيس، عن قزعة، عن أبى سعيد. . . .الحديث.

(٢) انظر «تهذيب الطحاوية» د / صلاح الصاوى.

وَ نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذلكَ كُلِّه . لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه، ونُصَدِّقُهُم كُلَّهُم عَلَى مَا جَاؤُا بِه.

وَ أَهْلُ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فى النار، لاَ يُخَلَّدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا الله عَارِفِينَ، وَهُمْ فى مَشِيئَتِه وحُكْمِه، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُم وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِه، كَمَا ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ فى كِتَابِه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء: ١١٦]. وإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُم فى النار بِعَدْلِه ثمَّ يُخْرِجُهُم مِنْهَا بِرَحْمَتِه وَشَفَاعَةِ الشافعينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِه ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلى جَنَّتِه. وَذلكَ بِأَنَّ الله تَعَالى مَوْلى أهل مَعرفته، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فى الدَّارين كَأَهْلِ نُكرته، الَّذين خَابُوا مِنْ هدَايته، وَ لَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلاَيته. اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الإِسْلامِ وأَهْلِه، ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِه.

قوله: « نحن مؤمنون بذلك كله....».

سؤال: «التكذيب برسول واحد يستلزم التكذيب بجميع الأنبياء والرسل». اشرح هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟

جواب: الإشارة بذلك إلى ما تقدم مما يجب الإيمان تفصيلاً.

قوله: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِه﴾[البقرة: ٢٨٥]. أى لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، فإن من فعل ذلك فهو كافر بالكل، ذلك أن الرسول الذى زعم أنه آمن به قد جاء بتصديق بقية المرسلين، فإذا لم يؤمن ببعض المرسلين كان كافراً بمن فى زعمه أنه يؤمن به لأن ذلك الرسول قد جاء بتصديق المرسلين كلهم. قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١][(١)].

قوله: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ فى النار لا يخلدون....».

سؤال: اذكر عقيدة أهل السنة والجماعة فى أهل الكبائر؟

جواب: أشار بقوله: [وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ فى النار لا يخلدون...] إلى الرد على الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد أهل الكبائر فى النار، لكن الخوارج يقولون بتكفيرهم والمعتزلة يقولون: إنهم فى منزلة بين المنزلتين. وقد تقدم هذا وتخصيصه أمة محمد ﷺ ، يفهم منه أن أهل الكبائر من غيرهم، قبل نسخ تلك الشرائع لهم حكم مخالف. وفيه نظر!

فقد أخبر ﷺ «**أنه يخرج من النار من كان فى قلبه ذرة من إيمان**»[(٢)]، ولم يخص أمته بذلك[(٣)].

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د / صلاح الصاوى.
(٢) تقدم خريجه ص ١٧٥ رقم (٤).
(٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د / صلاح الصاوى.

سؤال: ماهى الكبائر؟ وما عددها وما أقوال العلماء فيها وما أمثل تلك الأقوال، دلل على ما تقول؟

جواب: اختلف العلماء فى الكبائر على أقوال:

* فقيل: إنها سبعة، وقيل: سبعة عشر، وقيل: إنها إلى السبعين أقرب، وهذا كله مجرد دعوى.

* وقيل: هى ما اتفقت الشرائع على تحريمه، وهذا يقتضى أن شرب الخمر، والفرار من الزحف، والزواج بالمحارم، ليس من الكبائر، وأن سرقة الحبة من مال اليتيم، والكذبة الواحدة الخفيفة نحوها من الكبائر. وفساده ظاهر.

* وقيل: هى مايسد باب المعرفةبالله.

* وقيل: ذهاب الأموال والأبدان، وهذا يقتضى أن شرب الخمر، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وقذف المحصنات ليس من الكبائر، وهو فاسد.

* وقيل: هى كل ما نهى الله عنه، وهذا يقتضى أن الذنوب لا تنقسم فى نفسها إلى قسمين: صغائر، وكبائر، وهو فاسد لأنه خلاف النصوص.

* وقيل: لا تعلم أصلاً، أو أنها أخفيت كليلة القدر، وقائل ذلك قد أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها، فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره.

* وقيل: هى ما ترتب عليها حد، أو تُوعِدَ عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب. وهو أمثل الأقوال لانه يسلم من القوادح الواردة على غيره. وترجيحه من وجوه:

أنه هو المأثور عن السلف: كابن عباس، وابن عيينة، وابن حنبل، وغيرهم.

أن الله تعالى قال: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً**﴾ [النساء: ٣١]. ولا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره، كذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر.

أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكر الله ورسوله من الذنوب، فهو متلقى من خطاب الشارع.

أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الصغائر والكبائر. قوله: [**وإن لم يكونوا تائبين**]: لأن التوبة لاخلاف فى أنها تمحو الذنوب، وإنما الخلاف فى غير التائب، وقوله: [**بعد أن لقوا الله تعالى عارفين**]: أراد المعرفة الكاملة المستلزمة للاهتداء، ولو قال: مؤمنين لكان أولى وأدفع للبس، لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر.

وإنما اكتفى الجهم بالمعرفة وحدها، وقوله مردود، فقد كان إبليس عارفاً بربه، قال تعالى: ﴿ **قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[الأعراف: ١٤]. وقال تعالى: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

كذلك كان فرعون وأكثر الكافرين قال تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾[الزمر: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿**قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا**﴾ [الإسراء: ١٠٢].

قوله: (**وهم فى مشيئة الله وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله..**) إلخ كلامه.

فصل الله تعالى بين الشرك وغيره، لأن الشرك أكبر الكبائر، وأخبر أن الشرك غير مغفور، وعلق غفران ما دونه بالمشيئة، ولو كان الكل سواءلما كان للتفصيل معنى، ولأنه علق الغفران بالمشيئة وغفران الكبائر والصغائر بعد التوبة مقطوع به غير معلق بالمشيئة. قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣]. فوجب أن يكون المعلق بالمشيئة هو غفران الذنوب سوى الشرك بالله قبل التوبة[1].

سؤال: ماهى الصغائر؟

جواب: اختلفت عبارات السلف فى تحديدها:

* فقيل: هى ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة.

* وقيل: هى كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب أو نار.

* وقيل: هى ما ليس فيه حد فى الدنيا، ولا وعيد فى الآخرة، والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بلعنة أو نار أو غضب. وهذا هو الأصح.

وقوله: (**اللهم ياولى الإسلام وأهله مسكنى بالإسلام حتى ألقاك عليه**)، مناسبة ختم الكلام بهذا الدعاء ظاهرة.

فقد روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصارى فى كتابه الفاروق بسنده عن أنس قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ (**اللهم يا ولى الإسلام وأهله مسكنى بالإسلام حتى ألقاك عليه**)[2]. ومثل هذا الدعاء دعا يوسف: قال تعالى: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ [يوسف: ١٠١].

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د / صلاح الصاوى.

(٢) أورده الهيثمى فى «المجمع» (١٠ / ١٧٦) ولفظه: «يا ولى الإسلام وأهله ثبتنى به حتى ألقاك». وقال الطبرانى فى «الأوسط» ورجاله ثقات. انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

ونَرَى الصَّلاةَ خلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أهْلِ القِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ.

وبه دعا السحرة الذين كانوا أول مؤمن بموسى. قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾ [الأعراف: ١٢٦].

ومن استدل بهاتين الآيتين على جواز تمنى الموت فقد وهم، فإن الدعاء إنما هو بالموت على الإسلام لا بمطلق الموت(١).

قوله «ونرى الصلاة خلف كل برٍ وفاجر...».

فى صحيح البخارى أن عبدالله بن عمر كان يصلى خلف الحجاج بن يوسف الثقفى، وكذا أنس ابن مالك، وكان الحجاج فاسقا ظالماً. وقال ﷺ: «**يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم**»(٢). وكذلك كان عبدالله بن مسعود وغيره، يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبى معيط، وكان يشرب الخمر، حتى إنه صلى بهم الصبح مرة أربعاً، ثم قال: أزيدكم؟! فقال له ابن مسعود: مازلنا معك منذ اليوم فى زيادة(٣)!!

[قال ﷺ «**صلوا خلف كل بر وفاجر**»(٤). وقال ﷺ: «**الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم براً كان أو فاجراً وإن عمل بالكبائر**»(٥)].

سؤال: هل يجوز الصلاة خلف مستور الحال؟

جواب: يجوز للرجل أن يصلى خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقاً، باتفاق الأئمة، وليس

---

(١) انظر «تهذيب الطحاوية» د / صلاح الصاوى.

(٢) [**صحيح**] أخرجه البخارى (٢ / ٢١٩ / ٦٩٤)، وأحمد فى «مسنده» (٢ / ٣٥٥، ٥٣٦).
من طريق: الحسن بن موسى الأشيب، قال: حدثنا عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار المدينى، عن زيد ابن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ... الحديث.
انظر «نيل الأوطار» (ح١١٠٤ ـ بتخريجنا).

(٣) رواه عمر بن شبة فيما ذكر ابن عبدالبر فى «الاستيعاب» (٣ / ٥٩٦ ـ ٥٩٧) عن هارون بن معروف، عن ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب قال: صلى الوليد بن عقبة... فذكره وانظر: «الاصابة» (٣/ ٦٠١)، و«أسد الغابة» (٥ / ٤٥١ ـ ٤٥٣). انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٤) [**ضعيف**] أخرجه أبو داود (٣ / ١٨ / ٢٥٣٣)، والدار قطنى فى «سننه» (٥٧ / ٢) والبيهقى فى «الكبرى» (٨ / ١٨٥).
من طريق: ابن وهب، حدثنى معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول، عن أبى هريرة... الحديث
قال الدار قطنى: مكحول لم يسمع من أبى هريرة، ومن دونه ثقات.
انظر «نيل الأوطار» (١٠٨٩ ـ بتخريجنا).

(٥) ماقبله.

من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه، فيقول: ماذا تعتقد[1]؟! بل يصلى خلف المستور الحال.

سؤال: ماهى الحالات التى تترك فيها الصلاةخلف الفاسق المبتدع؟

جواب: ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الراتب الذى لا يمكنه الصلاة إلا خلفه،كإمام الجمعة والعيدين، والإمام فى صلاة الحج بعرفة، ونحو ذلك فإن المأموم يصلى خلفه، عند عامة السلف والخلف.

والفاسق والمبتدع صلاته فى نفسها صحيحة، فإذاصلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كره من كره الصلاة خلفه، لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب[2].

وذلك أن من أظهر بدعة وفجوراً لا يرتب إماماً للمسلمين، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإذا أمكن هجره حتى يتوب كان حسنا، وإذا كان بعض الناس إذا ترك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره، أثر ذلك فى إنكار المنكر حتى يتوب أو يُعْزَل أو ينتهى الناس عن مثل ذنبه، فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه كان فى ذلك مصلحة شرعية،ولم تفت المأموم جمعة ولا جماعة.

وكذلك إذا أمكن الإنسان أن لا يقدم مظهر للمنكر فى الإمامة وجب عليه ذلك، لكن إذا ولاه غيره، ولم يمكنه صرفه عن الإمامة، أو كان لا يتمكن من صرفه عن الإمامة إلا بشر أعظم ضرراً من ضرر ما أظهر من المنكر، فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، فتفويت الجمع والجماعات أعظم فساداً من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لا سيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجوراً.

[وفى الصحيح أن عثمان لما حصر، صلى بالناس شخص فسأل عثمان سائل: إنك إمام عامة، وهذا الذى صلى بالناس إمام فتنة؟ فقال: يا ابن أخى إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم][3].

---

(١) ولهؤلاء ولمن كان على نهجهم وجهلهم ـ سائلين الله لهم الهداية ـ ننقل إليهم قول ابن تيمية رحمه الله، حيث يقول فى الفتاوى (٤/ ٥٤٢): وتجوز الصلاة خلف كل مسلم مستور باتفاق الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين، فمن قال: لا أصلى جمعةولا جماعة إلا خلف من أعرف عقيدته فى الباطن، فهذا مبتدع مخالف للصحابة والتابعين بإحسان وأئمة المسلمين الأربعة وغيرهم ا.هـ.
وقال فى الفتاوى (٢٣/ ٣٥١): ليس من شروط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه،ولا أن يمتحنه فيقول: ماذا تعتقد؟ بل يصلى خلف مستور الحال. وقول القائل: لا أصلى خلف من لا أعرفه، كما لا أسلم مالى إلا لمن أعرفه، كلام جاهل لم يقله أحد من أئمة الإسلام ا.هـ.

(٢) لا تنافى بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبين الصلاة خلف الفاسق أو المبتدع، إذ كلاهما ممكنان فى إن معاً،ولا يستلزم أحدهما انتفاء الآخر، ومن رأى كراهية الصلاة خلف المبتدع، هو لاجتهاده أن فى اجتناب الصلاة خلفه يكون أبلغ فى الزجر والتحذير من بدعته.

(٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

سؤال: هل إذا أخطأ الأمام تجب الاعادة على المأموم؟

جواب: وأما الإمام إذا نسى أوأخطأ، ولم يعلم المأموم بحاله فلا إعادة على المأموم، لقوله ﷺ: «**يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم**»(١). نص صحيح صريح فى أن الإمام إذا أخطأ فخطؤه عليه لا على المأموم. وقد صلى عمر ـ رضى الله عنه ـ وهو جنب ناسياً. للجنابة، فأعاد الصلاة، ولم يأمر المأمومين بالإعادة(٢).

سؤال: هل تجب طاعة الأئمة فى موارد الاجتهاد؟ولماذا؟

جواب: قد دلت نصوص الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة أن ولى الأمر، وإمام الصلاة، والحاكم، وأمير الحرب، وعامل الصدقة يطاع فى مواضع الاجتهاد، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف أعظم من أمر المسائل الجزئية. ويروى عن أبى يوسف أنه لما حج مع هارون الرشيد، فاحتجم الخليفة، وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ وصلى بالناس، فقيل لأبى يوسف: أصليت خلفه؟ قال سبحان الله ! أمير المؤمنين. يريد بذلك أن ترك الصلاة خلف ولاة الأمور من فعل أهل البدع.

سؤال: هل تكون الصلاة على موتى المسلمين وإن كانوا فجاراً؟

جواب: وقوله: «**وعلى من مات منهم**» أى ونرى الصلاة على من مات من الأبرار والفجار، وإن كان يستثنى من هذا الكلام البغاة وقطاع الطريق، وكذا قاتل نفسه، لكن الشيخ إنما ساق هذا الكلام لبيان أنا لا نترك الصلاة على من مات من أهل البدع والفجور. لا للعموم الكلى.

سؤال: هل تجزىء الصلاة والاستغفار لمن عرف بالنفاق أو مات مرتداً؟

جواب: فمن علم نفاقه، لم تجزالصلاة عليه والاستغفار له، ومن لم يعلم ذلك منه صلى عليه، فإذا علم شخص نفاق شخص لم يصل هو عليه، وصلى عليه من لم يعلم نفاقه، وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ لا يصلى على من لم يصل عليه حذيفة، لأنه كان فى غزوة تبوك قد عرف المنافقين، وقد نهى الله سبحانه رسوله ﷺ عن الصلاة على المنافقين، وأخبر أنه لا يغفرلهم باستغفاره، وعلل ذلك بكفرهم بالله ورسوله.

[فمن كان مؤمناً لم ينه عن الصلاة عليه، ولو كان له من الذنوب الاعتقادية البدعية، أو العملية الفجورية ما له. فما من مؤمن إلا وقد أمر المؤمنون بالصلاة عليه والدعاء له.

---

(١) تقدم تخرجه.

(٢) أخرجه الدار قطنى فى«سننه» (١ / ٣٦٤)، والبيهقى فى «الكبرى» (٢ / ٤٠٠).
من طريق: هيثم، عن خالد بن سلمة، عن محمد بن عمرو بن الحارث بن أبى ضرار عنه به
انظر «نيل الأوطار» (ح١١٠٥**) بتخريجنا.

ولا نُنْزِلُ أحَداً مِنْهُمْ جَنَّةً وَلاَ نَاراً،

«ولا نَشْهَدُ عَلَيهِمْ بِكُفْرٍ وَلاَ بِشِرْكٍ وَلاَبِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيءٌ مِنْ ذلِكَ، ونَذَرُ سَرَائِرَهُم إلى الله تَعَالَى».

وروى عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»(١)](*).

قوله «ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً..».

سؤال: متى يشهد للمعين بالجنة أو النار؟ وما أقوال السلف فى ذلك؟

جواب: لا نشهد لأحد معين من أهل القبلة أنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا من وردت بشأنه النصوص، كالعشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم.

وإن كنا نقول: أنه لابد أن يدخل النار من أهل الكبائرمن شاء الله له ذلك، ثم يخرج منها بالشفاعة. أما الشخص المعين فإنا نقف فيه فلا نشهد له بجنة ولانار إلا عن علم، لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نحيط به.

وللسلف فى الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

١ ـ لايشهد لأحد إلا للأنبياء، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعى.

٢ ـ يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهو قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

٣ ـ أنه يشهد لهؤلاء، ولمن شهد له المؤمنون.

ففى الحديث أنه ﷺ: «مر بجنازة فأثنوا عليها بخير، فقال النبى ﷺ: وجبت، ومر بأخرى فأُثْنِىَ عليها بشر، فقال: وجبت، فقال عمر: يا رسول الله: ما وجبت؟ فقال ﷺ: هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض»(٢)(٣).

قوله «ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك...».

سؤال: يجب أن يكون الاعتماد على الظاهر فى الحكم على المرء: كفراً وإيماناً.اشرح ذلك مع ذكر الدليل.

---

(١)أخرجه أبوداود (٣ / ٢٠٧ / ٣١٩٩)، وابن ماجه (١ / ٤٨٠ / ١٤٩٧).

وابن حبان فى «صحيحه» (٥ / ٣١ / ٣٠٦٥) والبيهقى فى «الكبرى» (٤ / ٦٥ / ٤٠).

من طريق: محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم التيمى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة.

انظر «نيل الأوطار» (ح ١٤٣٠ ـ بتخريجنا).

(*) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخارى(٣ / ٢٧٠ / ١٣٦٧)، ومسلم (٤ / ٢٢ / ٦٠).

من طريق: عن العزيز بن صُهيب، عن أنس بن مالك، قال: ... الحديث.

(٣) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

جواب : وذلك لأنا قد أمرنا بالحكم بالظاهر، ونهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢]. وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٦](١)(*).

---

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(*) كما يحكم على المرء بالإسلام من خلال ظاهره الدال على إسلامه وانقياده، كذلك يحكم عليه بالكفر والخروج من الدين من خلال ظاهره الدال على كفره، فمن أظهر لنا الكفر البواح - من غير مانع شرعى معتبر - أظهرنا له التكفير، فمدار الحكم إيماناً وكفرا على الظاهر، من دون أن نتكلف معاناة شق القلوب، وتتبع خفايا السرائر التى لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لاإله إلا الله، فطعنته، فوقع فى نفسى من ذلك، فذكرته للنبى ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**قال لا إله إلا الله وقتلته؟!**»، قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح !، قال: «**أشققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟!**» فما زال يكررها على حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ. (رواه مسلم).

أى كونك لا تستطيع أن تشق عن قلبه، وهو فوق الطاقة، لتعلم أقالهما تعوذاً من السلاح أم لا، كان يجب عليك أن تكتفى بما ظهر منه مما يدل على إسلامه.

قال النووى فى الشرح (٢/ ١٠٧): وقوله ﷺ: «**أفلا شققت عن قلبه**». فيه دليل للقاعدة المعروفة فى الفقه والأصول أن الأحكام يعمل فيها بالظواهر، والله يتولى السرائر اهـ

ومن عجائب أصحاب مذهب الغوص فى القلوب ومعرفة ما فيها! أنهم، يستشهدون بهذا الحديث على وجوب شق القلوب ومعرفة حقيقة ما وقر فيها قبل الحكم على أصحابها، فإن حكم على معين بالكفر بناء على ما أظهر من الكفر البواح، سرعان ما يبادرونك السؤال: هلاً شققت عن قلبه، لتعلم أنه كفر من قلبه أم لا . .؟! فيحملون الحديث على الإلزام لا على إثبات العجز! وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنى لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**»، وكان ﷺ يتعامل مع المنافقين بناء على ما يظهرونه من إسلام ويكف عنهم مع علمه أنهم فى قلوبهم وبواطنهم أشد كفراً ونفاقاً، وتقريراً لأمته قاعدة اعتبار الظاهر عند تبنى الأحكام على الآخرين.

وعن عبدالله بن عتبة بن مسعود، قال: سمعت عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول: إن ناساً كانوا يأخذون بالوحى فى عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحى قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه وليس لنا من سريرته شئ، الله يحاسبه فى سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال: إن سريرته حسنة. (رواه البخارى).

وقال ابن حجر فى الفتح: وكلهم أجمعوا على أن أحكام الدين على الظاهر والله يتولى السرائر، وأن أمور الناس محمولة على الظاهر، فمن أظهر شعائر الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك ا.هـ.

وَلاَ نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ إِلاَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ(*).

قوله «ولا نرى السيف...».

سؤال: إلى أى شئ أشارقول الماتن ؟ (ولا نرى السيف على أحدمن أمة محمد ﷺ)؟

جواب: أشار إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب.

ومما يرد عليهم به ميا قد ثبت عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال رسول الله ﷺ «لايحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وإنى رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»(١)(٢).

= ولكن مما ينبغى التنويه له أن من يكون كفره مرجوح ومحتمل وغير بواح، فهنا لابد من التبين والتثبت ومراعاة مراده وقصده فيما صدر عنه من كفر محتمل، بخلاف الكفر البواح الظاهر الذى لا يحتاج إلى مثل هذا التحقيق أو التدقيق.

(*) أى إلا من وجب عليه القتل بنص شرعى جلى صحيح،لا يحتمل صرفاً ولا تأويلاً، فإن الدماء شأنها عظيم، وحرمتها مغلظة، لا يسفك منها شئ بزعم عقوبة التعزير، كما يفعل من أصابهم الهوس، والغلو،والإسراف فى القتل وسفك الدماء، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: **لا يجلد فوق عشر جلدات إلا فى حد من حدود الله**».

قال الترمذى فى سننه:وقد اختلف أهل العلم فى التعزير، وأحسن شئ يروى فى التعزير هذا الحديث اهـ.

فتأمل: إذا كان التعزير لا يجوز أن يتجاوز العشرة سياط بنص حديث النبى ﷺ، فكيف تراه يتجاوز عندك ليبلغ حد قطع الأعناق، وسفك الدماء، وانتهاك الحرمات...؟!!

وفى كلام الماتن رد على الخوارج الغلاة الذين يضعون سيوفهم فى أمة الإسلام، وكما وصفهم النبى ﷺ: «**يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان**».

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (١٢ / ٢٠٩ / ح٦٧٧٨)، ومسلم (٤ / ١١ / ١٦٤ ـ النووى) وأبو داود (٤ / ١٢٤ / ح٤٣٥٢)، والترمذى (٤ / ٤٨ / ح١٤٤٤) من حديث عبدالله بن مسعود.

انظر «جامع العلوم الحكم» (ح١٤ ـ بتخريجنا).

(٢) المراد بالتارك لدينه المفارق للجماعة، أى المرتد عن دينه الإسلام إلى دين الكفر، والمفارق لجماعة المؤمنين إلى جماعة الكافرين، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «**من ارتد عن دينه فاقتلوه**» ويوضح هذا المعنى رواية ابن ماجة فى سننه: «**لايحل دم امرئ مسلم إلافى إحدى ثلاث: رجل زنى وهو محصن فرجم، أو رجل قتل نفساً بغير نفس، أو رجل ارتد بعد إسلامه**». ففسرمفارقة الجماعة، بالارتداد عن الدين بعد إسلامه.

«ولا نَرَى الخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلاَةِ أُمُورِنَا

وَإِنْ جَارُوا...

وَلاَ نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلاَ نَنْزِعُ يَداً مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُم مِنْ طَاعَةِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ

قوله « ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا....».

سؤال : «طاعة أولوا الأمر من طاعة الله ورسوله» اشرح هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟

جواب : قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء:٥٩]. وقال رسول الله ﷺ : «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصى الأمير فقد عصاني**»(١) وقال ﷺ : «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة**»(٢).

وعن أبي ذر قال: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف»(٣). وفي رواية: «ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة»(٤).

وعن حذيفة بن اليمان، قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ فقال: «**نعم**»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**»، قال: قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال : «**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها**

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (١٣ / ١١٩ / ٧١٣٧)، ومسلم (٤ / ١٢ / ٢٢٣ ـ النووي)
وأحمد في «مسنده» (٢ / ٢٧٠).
من طريق: الزهري، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة مرفوعاً .
انظر «رياض الصالحين ح٦٧٢» بتخريجنا».

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (١٣ / ١٣٠ / ٧١٤٤)، ومسلم (٤ / ١٢ / ٢٢٦ ـ النووي)
والنسائي في «الكبرى» (٥ / ٢٢٠ / ٨٧٢٠).
من طريق: عبيد الله بن عمر، عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.
انظر «رياض الصالحين» (ح٦٦٤ ـ بتخريجنا).

(٣) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٦ / ٤٦٥ / ٣٦)، وأحمد في «مسنده» (٥ / ١٦١)
وابن ماجه (٢ / ٩٥٥ / ٢٨٦٢).
من طريق: شعبة، عن أبي عمران، عن عبدالله بن الصامت، عن أبي ذر قال: .... الحديث.

(٤) [**صحيح**] أخرجه البخاري (٢ / ٢١٦ / ٦٩٣)، وابن ماجه (٢ / ٩٥٥ / ٢٨٦٠).
عن طريق: شعبة، حدثني أبو التَّيَّاح، عن أنس بن مالك قال: قال رسول ﷺ..... الحديث.

وَنَدْعُو لَهُم بِالصَّلَاحِ والمُعَافَاةِ(*).

قذفوه فيها» فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: **«نعم، قوم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا»**، قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركنى ذلك؟ قال: **«تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»** قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: **«فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يُدرِكَكَ الموت وأنت على ذلك»**(١).

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإن من فارق الجماعة شبراً فمات، فميتته جاهلية»**(٢). وفى رواية: **«فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»**(٣).

(*) عن عوف بن مالك الأشجعى، عن رسول الله ﷺ قال: **«خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»**، قالوا: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: **«لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة»** رواه مسلم.

والحديث فيه أن عدم الخروج عليهم لا يستلزم عدم بغضهم ولعنهم إن توفر فيهم من المعاصى والذنوب التى تستدعى البغض واللعن والسب. وفيه كذلك أن الصلاة التى تمنع من الخروج عليهم هى الصلاة التى يقيمونها فى الأمة، ويلزمون الناس بها، وليس مجرد حصر الإقامة فى ذاوتهم وأنفسهم دون أفراد الأمة.

قال محمد صديق خان فى كتابه« العبرة مما جاء فى الغزو والشهادة»: وقد تواترت الأحاديث فى النهى عن الخروج على الأئمة ما لم يظهر منهم الكفر البواح، أويتركوا الصلاة، فإذا لم يظهر من الإمام الأول أحد الأمرين لم يجز الخروج عليه، وإن بلغ فى الظلم أى مبلغ، لكنه يجب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بحسب الاستطاعة اهـ.

قال النووى فى شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٢٢٩): قال القاضى عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل، وقال: كذا لو ترك إقامة الصلاة والدعاء إليها. اهـ.

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (١٣ / ٣٨ / ٧٠٨٤)، ومسلم (٦ / ٤٧٨ / ٥١).

من طريق: بُسر بن عبيد الله الحضرمىُّ أنه سمع أبا إدريس الخولانىَّ يقول: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: . . . . الحديث.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخارى (١٣ / ٧ / ٧٠٥٤)، ومسلم (٦ / ٤٨٠ / ٥٥).

من طريق: حماد بن زيد، عن الجعد: أبى عثمان، عن أبى رجاء

عن ابن عباس يرويه قال: قال رسول الله ﷺ: . . . . . الحديث.

(٣) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٤ / ١٣٠)، والترمذى (٥ / ١٤٨ / ٢٨٦٣).

من حديث الحارث الأشعرى رضى الله عنه.

قال الترمذى: حسن صحيح غريب. قال محمد بن إسماعيل: الحارث الأشعرى له صحبة وله غير هذا الحديث.

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ والجَمَاعَة، ونجْتَنِبُ الشُّذُوذَ والخِلاَف والفُرقَةَ.

وعن أبى سعيدالخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»(١).

وعن عوف بن مالك، عن رسول الله ﷺ، قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**، فقلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولى عليه وال فرأه يأتى شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتى من معصية الله، ولاينزعن يدا من طاعة»(٢).

سؤال: ما الحكمة من عدم الخروج على أئمة الجور؟ دلل على ما تقول؟

جواب: وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل فى الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد فى الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾[الشورى: ٣٠]. وقال: ﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[الأنعام: ١٢٩]. فإذا أراد الرعية أن يتخلصوامن ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم.

[عن مالك بن دينار أنه جاء فى بعض الكتب: أنا الله مالك الملك، قلوب الملوك بيدى، فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة، ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك لكن توبوا أعطفهم عليكم](٣)(*).

قوله «ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ، والخلاف، والفرقة».

سؤال: بين معنى السنة والجماعة والدليل على وجوب اتباعها وعدم الشذوذ عنها؟

جواب: السنة: طريقة الرسول ﷺ، والجماعة: المسلمون، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال. قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥]. وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن**

---

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (٦ / ٤٨٤ / ٦١).
عن طريق: الجُرَيرىّ، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد الخُدرىّ قال: قال رسول ﷺ: ... الحديث.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم (٦ / ٤٨٦ / ٦٥).
من طريق: رُزيق بن حيَّان، عن مسلم بن قرظة، عن عوف بن مالك، عن النبى ﷺ قال: ... الحديث.

(٣) رواه الهيثمى فى «المجمع» (٥/ ٢٤٩) وقال: رواه الطبرانى فى «الأوسط» وفيه إبراهيم بن راشد وهو متروك.

(*) انظر «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

«ونُحبُّ أَهْلَ العَدْلِ والأَمَانة، ونُبْغِضُ أَهْلَ الجَوْرِ والخِيَانَة».

سبيله ذلكُمْ وصَاكُم به لعلَّكُمْ تتقُون﴾ [الأنعام: ١٥٣]. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وفى السنن من حديث العرباض بن سارية: «...**فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(١).

وقال ﷺ: «**إن أهل الكتابين افترقوا فى دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ـ يعنى: الأهواء، كلها فى النار، إلا واحدة وهى الجماعة**»(٢).

وقال عبدالله بن مسعود: من كان مستنا فليستن بمن قد مات، فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم فى آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم(٣).

قوله «ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة».

سؤال: وضح أن هذه الجملة ـ من قول الماتن ـ من كمال الإيمان وتمام العبودية؟

وهذا من كمال الإيمان وتمام العبودية، فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة التى لله لا يستحقها غيره، فغير الله يحب فى الله، لا مع الله (٤)، فإن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض، ويوالى من يواليه، ويعادى من يعاديه، ويرضى لرضائه، ويغضب لغضبه،

---

(١) [**صحيح**] أخرجه الترمذى (٥ / ٤٢ / ٢٦٧٦)، وأبوداود (٤ / ٢٠٠ / ٤٦٠٧).
من طريق: خالد بن معدان، عن عبدالرحمن بن عمرو السُّلمىّ، عن العرباض بن سارية قال: وعظنا ..... الحديث.

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٤ / ١٠)، وأبو داود (٤ / ١٩٧ / ٤٥٩٧)
من طريق: أزهر عبدالله الحرازى، عن أبى عامر الهوزنى، عن معاوية بن أبى سفيان..... الحديث.

(٣) أخرجه ابن عبدالبر فى «جامع بيان العلم وفضله»
واخرجه من طريق ابن عمر أبو نعيم فى «الحلية» (١ / ٣٠٥).

(٤) قال ابن تيمية رحمه الله فى «الفتاوى» (١٠/ ٦٠٧): لا يجوز أن يحب شئ من الموجودات لذاته إلا هو سبحانه وبحمده، فكل محبوب فى العالم إنما يجوز أن يحب لغيره لا لذاته، والرب تعالى هو الذى يجب أن يُحَب لنفسه، هذا من معانى إلهيته ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾. فإن محبة الشئ لذاته شرك، فلا يحب لذاته إلا الله، فإن ذلك من خصائص إلهيته، فلا يستحق ذلك إلا الله وحده، وكل محبوب سواه لم يحب لأجله فمحبته فاسدة. اهـ.

ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال[1].

سؤال: «من لوازم الإيمان أن تحب ما يحبه الله، وتكره ما يكرهه الله، اشرح هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟

جواب: إن الله تعالى يحب المحسنين ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحتب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله.

والله لا يحب الخائنين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب المستكبرين، ونحن لا نحبهم أيضا ونبغضهم، موافقة له سبحانه تعالى.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: **«ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمان: مَنْ كانَ الله ورسولهُ أحَبَّ إليه مِمَّا سواهُما، ومَنْ كانَ يُحِبُّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاَّ لله، ومَنْ كانَ يَكرهُ أن يَرْجِعَ في الكُفْرِ بَعْدَ**

(١) وذلك أوثق وأعظم عرى الإيمان، كما قال ﷺ **«أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله»**. وهذا لايقوم به إلا من كمل إيمانه، وكان إيمانه كالجبال، كما قال ﷺ: **«من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»**. ومن تأمل أكثر أنواع الشرك تسللاً لنفوس الناس، يجدها تأتي من جهة الولاء والبراء، فمنهم من يوالي ويعادي على أساس الانتماء القومي!! ومنهم من يوالي ويعادي على أساس الانتماء الوطني أو القبلي!! ومنهم من يوالي ويعادي على أساس الانتماء الحزبي أو المشيخي !! ومنهم من يوالي ويعادي على أساس التعصب للسلطان والحاكم!! ومنهم من يوالي ويعادي على أساس المصلحة الدنيوية، ومن أجل الدرهم والدينار وما أكثرهم في زماننا. وهذا كله يعتبر نوع من أنواع الشرك، أعاذنا الله منه، وجعلنا ممن يوالون ويعادون فيه، ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى.

ومن تمام الدين والولاية أن يغضب المرء لغضب الله، ويرضى بكل ما يرضى الله تعالى، أما أن تنتهك محارم الله، ويضيع الدين، ويسود الكفر والفساد والفجور ثم هو لا يغضب لله، ولا يحرك ساكناً، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، فهذا ليس من أولياء الله، مهما تظاهر بالعلم، والزهد والورع، واتسع صيته بين الناس.

قال ابن القيم رحمه الله في الأعلام(٢/١٧٧): وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يترك، وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟! شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟ وخيارهم التحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل، وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه!، وهؤلاء - مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم - قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل.

وقد ذكر الإمام أحمد وغيره أثراً: **«أن الله سبحانه أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا، فقال: يارب كيف وفيهم فلان العابد؟ فقال: به فابدأ، فإنه لم يتمعر وجهه في يوما قط.**

وذكر أبو عمر في كتاب «التمهيد» أن الله سبحانه أوحى إلى نبي من أنبيائه أن قل لفلان الزاهد: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة، وأما انقطاعك إليّ فقد اكتسبت به العز، ولكن ماذا عملت فيما لي عليك؟ فقال: يارب وأي شئ لك علي ؟ قال: هل واليت فيّ ولياً أو عاديت فيّ عدواً؟؟ اهـ. فتأمل وتدبر.

ونَقُولُ: الله أَعْلَمْ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ.

أنْ أنقذَهُ الله منْهُ، كما يكرَهُ أنْ يُلْقَى فى النار»[1].

فالمحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب فى محبوبه ومكروهه، وولايته وعداوته. ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة، فلا بد أن يبغض أعداءه، ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم[2]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

[كذلك حكم العبد عند الله ـ عز وجل، فإن الله قد يحب الشئ من وجه ويكرهه من وجه آخر. قال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**وما ترددت فى شئ أنا فاعله، ترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولابد له منه**»[3].

فالله ـ عز وجل ـ يحب مايحب عبده المؤمن، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، ولكنه سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد كونه، ولكن لابد من وقوعه لأنه مفض إلى ماهو أحب منه][4].

سؤال: كيف تكون الموالاة والمعاداة بحسب خصال الخير والشر؟

جواب: والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية، وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوبا من وجه مبغوضا من وجه والحكم للغالب.

قوله: «ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه».

سؤال: من يفتى الناس بغير علم يأثم من وجهين، اذكرهما؟دلل على ما تقول؟

جواب: لا يسلم فى دينه إلا من سلم الله ورسوله، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه، فكل من تكلم بغير علم فإنما يتبع هواه. قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ**

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (١ / ٧٧ / ١٦)، ومسلم (١ / ٢ / ١٣ ـ النووى).
وأحمد فى «مسنده» (٣ / ١٠٣، ١٧٢)، والترمذى (٥ / ١٥ / ٢٦٢٤).
من طريق: عبدالوهاب الثقفى عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس مرفوعاً به.
قال الترمذى «حسن صحيح» انظر «رياض الصالحين» ح٣٧٦ ـ بتخريجنا».

(٢) قال ابن تيمة رحمة الله فى الفتاوى (٨ / ٣٥٩): فكل من ادعى أنه يحب الله ولم يتبع الرسول ﷺ فقد كذب، ليست محبته لله وحده، بل إن كان يحبه فهى محبة شرك، فإنما يتبع ما يهواه، كدعوى اليهود والنصارى محبة الله، فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب، فكانوا يتبعون الرسول ﷺ، فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبة، كانت محبتهم من جنس محبة المشركين اهـ.

(٣) [صحيح] أخرجه البخارى (١١ / ٣٤٨ / ٦٥٠٢ ـ الفتح)، والبغوى فى «شرح السنة» (٥/ ١٩/ ح١٢٤٨)
من طريق: سليمان بن بلال، عن شريك بن عبدالله بن أبى نمر، عن عطاء، عن أبى هريرة مرفوعاً به.
انظر (رياض الصالحين ح٩٦ ـ بتخريجنا).

(٤) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

اللَّهِ﴾[القصص: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[الحج: ٣ ـ ٤]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[غافر: ٣٥]. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٣٣]. وقد أمر الله نبيه أن يرد علم ما لم يعلم إليه. قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الكهف: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾[الكهف: ٢٢].

وعندما سئل ﷺ عن أطفال المشركين قال: « الله أعلم بما كانوا عاملين »(١). وقال عمر ـ رضى الله عنه: يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتنى يوم أبى جندل ولو أستطيع أن أرُدَّ أمر رسول الله لرددته»(٢).

وقال أيضاً: «السنة ما سنه الله ورسوله، لا تجعلوا خطأ الرأى سنة للأمة»(٣). وقال أبو بكر رضى الله عنه: «أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إن قلت فى آية من كتاب الله برأيى، أوبما لا أعلم»(٤)(*).

قوله: «ونرى المسح على الخفين فى السفر والحضر....».

سؤال: لماذا أدخل الماتن قوله «ونرى المسح على الخفين فى متن عقائدى علماً أن المقولة فقهية ولها علاقة بحكم المسح على الخفين؟

جواب: تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، وخالفت

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٣ / ٢٨٩ / ١٣٨٤)، ومسلم (٨ / ٤٦٠ / ٢٦).
من طريق: ابن شهاب عن عطاء بن يزيد، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ سُئل .... الحديث.

(٢) ذكره الهيثمى فى «مجمع الزرائد» (١ / ١٧٩).
وعزاه لأبى يعلى وقال: ورجاله موثقون وإن كان فهيم مبارك بن فضاله.

(٣) رواه ابن عبد البر فى «جامع بيان العلم وفضله» (٢ / ١٣٦) من طريق ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن عبيد الله بن جعفر، قال: قال عمر.

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة فى «مصنفه» (٧ / ١٧٩ / ح٥).
من طريق: الشعبى قال: وكان أبو بكر يقول.... فذكره.
وهو مرسل انظر تمام تخريجه كتابى «النكت المتممة على مقدمة ابن تيمية ص ٩٩».

(*) «تهذيب الطحاوية» د / صلاح الصاوى.

والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شئ ولا ينقضهما.

ذلك الرافضة، مستدلين بقراءة الخفض فى آية المائدة. قال تعالى: ﴿وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾[المائدة: ٦].

الرد على الرافضة: يقال لهم: إن الذين نقلوا عن النبى ﷺ الوضوء قولاً وفعلا أكثر عددا من الذين نقلوا لفظ هذه الآية، لأن جميع المسلمين كانوا يتوضاؤن على عهده، ولم يتعلموا الوضوء إلا منه، وقد نقلوا عنه غسل الرجلين فى ما شاء الله من الحديث، حتى نقلوا عنه من غير وجه فى كتب الصحيح وغيرها: «**ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار**»(١)، فلو جاز الطعن فى تواتر صفة الوضوء لكان فى نقل لفظ الآية أقرب إلى الجواز!!

فإن قالوا: لفظ الآية ثبت بالتواتر الذى لايمكن فيه الكذب، ولا الخطأ.

قلنا: إن ثبوت التواتر فى نقل الوضوء عنه أولى وأكمل.

ولفظ الآية لا يخالف ما تواتر من السنة، فإن المسح قد يراد به الإصابة، وقد يراد به الإسالة كما تقول العرب: تمسحت للصلاة. وفى قوله﴿إلى الكعبين﴾دليل على أن المراد بالمسح هنا هو الغسل، لأن من يمسح المسح الخاص يجعل المسح لظهور القدمين، فجعل الكعبين فى الآية غاية، يرد قولهم. وفى الآية قراءتان مشهورتان: النصب، والخفض، وقراءة النصب نص فى وجوب الغسل لأن العطف عل المحل إنما يكون إذا كان المعنى واحداً. وليس المعنى: «مسحت برأسى ورجلى» هو معنى «مسحت رأسى ورجلى» بل ذكر الباء يفيد معنى زائداً على مجرد المسح وهو إلصاق شئ من الماء بالرأس. فتعين العطف على قوله: «وأيديكم».

فالسنة المتواترة تقضى على ما يفهمه البعض من ظاهر القرآن، فإن الرسول ﷺ قد بين للناس لفظ القرآن ومعناه.

و فى ذكر المسح فى الرجلين تنبيه على قلة الصب فى الرجلين، لأن السرف يعتاد فيهما كثيرا وتفصيل هذه المسألة فى كتب الفروع(٢).

قوله: «والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين...».

سؤال: نسبة العصمة للأئمة كما هو عند الروافض يترتب عليه مزالق عقدية عدة اذكر ثلاثة منها ؟

---

(١) [صحيح] أخرجه أحمد فى «مسنده» (٤ / ١٩١)، والدار قطنى (١/ ٩٥)،والبيهقى (١ / ٧٠).
قال: حدثنا حسن قال: حدثنا ابن لهيعة قال: حدثنا حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم قال: سمعت عبدالله بن الحارث بن جزء . . . .فذكره مرفوعاً .
انظر تمام تخريجه «نيل الأوطار» (ح٢٠٩) بتخريجنا.
(٢) «تهذيب الطحاوية» د / صلاح الصاوى.

«ونؤْمنُ بالكرَام الكاتبينَ ، فإنَّ الله قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَينا حافظينَ ».

جواب : فبه رد على الرافضة حيث قالوا: لا جهاد حتى يخرج الرضى من آل محمد، وينادى مناد من السماء اتبعوه، وبطلان هذا القول لا يحتاج إلى دليل. كذلك اشترطوا أن يكون الإمام معصوماً اشتراطا بغير دليل.

ففى صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيارأئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**، قال: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: **لا ما أقاموا فيكم الصلاة، إلا من ولى عليه وال ورأه يأتى شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة**» (١). ولم يقل: إن الإمام يجب أن يكون معصوماً. والرافضة من أخسر الناس صفقة فى هذه المسألة، فقد جعلوا المعصوم هو الإمام المعدوم الذى لم ينفعهم فى دين ولا دنيا، فإنهم يدعون أنه الإمام محمد بن الحسن العسكرى الذى اختفى فى السرداب سنة ٢٦٠هـ، أو قريباً من ذلك بسامرا، فهم يقفون بباب السرداب فى أوقات عينوا فيها من ينادى عليه اخرج يا مولانا !! أخرج! مجهزين له دابة ليركبها إذا خرج، شاهرين أسلحتهم إلى غير ذلك من الأمور التى يضحك عليها العقلاء(٢).

سؤال : ما الحكمة من وجوب الجهاد مع البَرِ والفاجر؟

جواب : قال المصنف رحمه الله تعالى :[مع أولى الأمر برهم وفاجرهم]لأن الحج والجهاد فرضان متعلقان بالسفر، فلابد من سائس يسوس فيهما ويقاوم فيها العدو،وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر: يحصل بالإمام الفاجر(٣).

قوله: «ونؤمن بالكرام الكاتبين...».

سؤال : هل الإيمان بالملائكة الكتبه والحفظه من أصول الاعتقاد؟ دلل على ما تقول؟

جواب : قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الإنفطار: ١٠ ـ ١٢]. ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٧ ـ ١٨]. ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾[الرعد: ١١]. ﴿**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾الزخرف: ٨٠]. ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الجاثية: ٢٩].

وفى الصحيح، عن النبى ﷺ أنه قال: «**يتعاقبونَ فيكُم ملائكةٌ باللَّيل وملائكةٌ بالنَّهار،**

(١)تقدم تخريجه (٢)، (٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

ويَجْتمعونَ في صلاة الصُّبْح وصَلاة العَصْر،فيَصْعَدُ إليه الذين كانوا فيكم، فيَسْألُهم ـ وهم أعْلَمُ بهم ـ :كيفَ تركتُم عبادي؟ فيقولون: أتيناهُم وهُم يُصَلُّون، وفارَقناهم وهم يُصَلُّونَ»[1].

[وفي الحديث الآخر: «إن معكُم منْ لاَّ يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم»[2]].

وقال ﷺ: «مامنكُم منْ أحَد إلاَّ وقَدْ وكِّلَ به قرينُهُ منَ الجنِّ، وقرينه منَ الملائكَة، قالوا: وإياك يارسول الله؟قال: «وإيايَ، ولكن أعانَني الله عليه، فأسْلَمَ، فلا يأمُرُني إلاَّ بخَيْر»[3].

[ومن قال إن الشيطان صار مؤمنا فقد حرف معناه، فإن الشيطان لا يكون مؤمناً].

جاء في التفسير: اثنان عن اليمين وعن الشمال، يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد أمامه، فهوبين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان.

وقال عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، قال: ملائكةيحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله، خلوا عنه.

ومعنى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، قيل: حفظهم له من أمر الله، أي: الله أمرهم بذلك، يشهد لذلك قراءة من قرأ: يحفظونه بأمر الله.

سؤال: هل الملائكة تكتب القول، والفعل، والنية؟دلل على ما تقول؟

جواب: قد ثبت أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية، لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الإنفطار:١٢]. ويشهد لذلك قوله ﷺ: «قال الله عز وجل إذا هم

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخاري (٢/ ٤١/ ح٥٥٥)، ومسلم (٢ / ٥ / ١٣٣ ـ النووي).
وأحمد في «مسنده» (٢ / ٤٨٦).
من طريق: أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
انظر «رياض الصالحين» (ح١٠٥٢ ـ بتخريجنا).

(٢) أخرجه الترمذي (٥ / ١١٢ / ٢٨٠٠).
من طريق: ليث عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والتَّعرِّي ...» الحديث.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) [صحيح] أخرجه مسلم (٩ / ١٧٢ / ٦٩).
من طريق: سالم بن أبي الجعد، عن أبيه عن عبدالله بن مسعود
قال: قال رسول الله ﷺ: ..... الحديث.

عبدى بسيئة، فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدى بحسنة فلم يعملها، فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشراً»(١). وقال ﷺ: «قالت الملائكة: ذلك عبدك يريد أن يعمل سيئة ـ وهو أبصر به ـ فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها، فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرائ»(٢).

قوله: «ونؤمن بملك الموت....».

سؤال: هل يصح أضافه التوفى إلى ملك الموت وغيره من الملائكه دلل على ما تقول؟

جواب: قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]. ولا تعارض هذه الآية قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]. لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها، ثم تأخذها منه ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره وحكمه، فصحت إضافة التوفى إلى كل بحسبه.

سؤال ٢٧٧: هل للإنسان نفس واحدة، لها صفات؟ أم له ثلاثة أنفس دلل على ما تقول؟

جواب: وقع فى الكلام كثيرمن الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس: مطمئنة، ولوامة، وأمارة، قالوا: وإن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]. ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]. ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

والتحقيق: أنها نفس واحدة، لهاصفات، فهى أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان، صارت لوامة، تفعل الذنب، ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوى الإيمان صارت مطمئنة.

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (١١ / ٣٣١ / ٦٤٩١)، ومسلم (١ / ٢ / ١٤٩).
من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.
انظر «جامع العلوم والحكم» (ح٣٧) بتخريجنا.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم (١ / ٢ / ١٤٧، ١٤٨ ـ النووى)، والبغوى فى «شرح السنة» (١٤ / ٣٣٧ ـ ٣٣٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.
انظر «جامع العلوم والحكم» (ص٦٢٠ هامش (١) ـ بتخريجنا).

«وبعذاب القبر لمنْ كانَ له أهْلاً، وسؤال منكر ونكير في قبْره عنْ ربِّه ودينه ونبيِّه على ما جاءتْ به الأخبارُ عنْ رسُول الله ﷺ وعن الصَّحابَة رضوانُ الله عليهم. والقبْرُ رَوْضَةٌ منْ رياض الجنَّة، أو حُفرةٌ منْ حُفَر النيران».

سؤال: هل تموت الروح بعد مفارقتها الجسد؟ دلل على ما تقول؟

جواب: اختلف الناس: هل تموت الروح أم لا؟ والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب(١).

وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿لا يذُوقُونَ فيهَا الْمَوْتَ إلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾[الدخان: ٥٦]. وتلك الموتة وهي مفارقة الروح للجسد، وأما قول أهل النار: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[غافر: ١١]. وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[البقرة: ٢٨]. فالمراد أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات.

وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها، والذي يدل عليه أن نفخة الصعق ـ والله أعلم ـ موت كل من لم يذق الموت قبلها من الخلائق، وأما من ذاق الموت أو لم يكتب عليه الموت من الحور والولدان وغيرهم، فلا تدل الآية(٢). على أنه يموت موتة ثانية والله أعلم.

قوله « وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً ....».

سؤال: كيف نرد شبهه منكري البعث؟ دلل على ماتقول بأدله من الكتاب والسنة؟

جواب: قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥ ـ ٤٦].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وهو يلحد له، فقال: «أعوذ بالله من عذاب القبر»،

---

(١) وهو قول ابن القيم، والكلام له، انظره في «الروح»، ص ٤٣ ، ٤٤.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. قال ابن القيم في «الروح» (٤٤): قيل: هم الشهداء، هذا قول أبي هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير. وقد نص الإمام أحمد على أن الحور العين والولدان لا يمتن عند النفخ في الصور. اهـ.

ثلاث مرات، ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر،ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان»، قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فىّ السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين، حين يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال:فيصعدون بها، فلا يمرون بها ـ يعنى على ملأ من الملائكة ـ إلا قالوا: ماهذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإنى منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال: فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له:من ربك؟ فيقول:ربى الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول:دينى الإسلام، فيقولان له:ماهذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ماعلمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادى مناد من السماء: أن صدق عبدى، فأفرشوه من الجنة،وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال:فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له فى قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذى يجئ بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يارب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجى إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق فى جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفه عين، حتى يجعلوها فى تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا، حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه فى سجين، فى الأرض السفلى، فتطرح روحه

طرحا، ثم قرأ: ﴿ومن يُشْرِكْ باللَّه فكأنَّما خرَّ من السَّماء فتخْطَفُه الطَّيْر أو تهْوِي به الرِّيحُ في مكانٍ سحيق﴾ [الحج: ٣١].

فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: هاه، هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول هاه، هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجئ بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»[(١)].

وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث، وفي الصحيح، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ العبدَ إذا وضُعِ في قَبره وتَولَّى عنهُ أصحابُهُ، إنَّهُ ليَسْمَعُ قَرْعَ نعَالَهم، فيأتيه مَلكان، فيُقعدانه، فيقولان له: ما كُنتَ تَقُولُ في هذا الرجل، محمد ﷺ؟ فأَمَّا المؤمنُ، فيقول: أشْهَدُ أنَّه عبدُ الله ورسولُه، فيقولُ له: انظُرْ إلى مَقْعَدكَ منَ النَّار أبدَلَكَ الله به مقعداً من الجنَّة، فيراهما جميعا»[(٢)].

وفي «الحديث» عن ابن عباس: أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما، فكان لا يستبرىء. من البول، وأما الآخر، فكان يمشي بالنميمة، فدعا بجريدة رطبة، فشقها نصفين، وقال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»[(٣)]. وعن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «إذا قبر أحدكم. أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير..»[(٤)].

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، كونه لا عهد لنا به في هذا الدار.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤ / ٢٨٧)، وأبو داود (٤ / ٢٣٩، ٢٤٠ / ٤٧٥٣).
من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخاري (٣/ ٢٧٥/ ١٣٧٤)، ومسلم (٩ / ٢٢٠ / ٧٠).
من طريق: قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخاري (٣ / ٢٨٦ / ١٣٧٨)، ومسلم (١ / ٣ / ٢٠٠ ـ النووي).
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
انظر كتابي «٢٠٠ سؤال من الإيمان لمحمد نعيم» ص١١٢ هامش(١).

(٤) أخرجه ابن حبان (٥ / ٤٧، ٤٨ / ٣١٠٧ ـ الإحسان).
من طريق: سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ..... الحديث.

سؤال: اذكر أنواع تعلق الروح بالبدن؟

جواب: الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام [1].

أحدها: تعلقها به فى بطن الأم جنينا.

الثانى: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به فى حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به فى البرزخ، فإنها وإن فارقته، وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها إليه التفات البته.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فساداً.

سؤال: هل يكون السؤال فى القبر للروح والبدن؟

جواب: دلت الأحاديث الصحيحة أن السؤال فى القبر يكون للروح والبدن، وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب، مفردة عن البدن ومتصلة به.

[* وفى صحيح أبى حاتم عن أبى هريرة قال النبى ﷺ: «**إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير...**» الحديث. وقد سبقت الإشارة إلى حديث البراء بن عازب عند أحمد وأبى داود. وفيه سؤال الملكين للعبد عن ربه ودينه وعمن بعث إليه، وعن عمله.

والسؤال فى القبر للبدن والروح معاً، وليس وحدها كما قال ابن حزم، فيجب الإيمان بذلك، ولا يسأل عن كيفيته إذ ليس للعقل مدخل فى ذلك لأنه لا عهد له به فى هذه الدار، والشرع لا يأتى بما تحيله العقول، ولكن قد يأتى بما تحار فيه! فإعادة الروح للجسد ليست على الوجه المعهود فى الدنيا.].

سؤال: وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟

جواب: أنه نوعان: منه ما هو دائم، كما قال تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٦]. وكذا فى حديث البراء بن عازب فى قصة

(١) إنظر «الروح» لابن القيم، ص(٥٥). ومما يجدر التنبيه له، أن أكثر كلام الشارح فى هذا الفصل، مأخوذ عن كتاب «الروح».

الكافر: «**ثم يفتح له باب إلى النار، فينظر إلى مقعده فيهاحتى تقوم الساعة**»(١). والنوع الثانى: أنه مدة، ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه.

سؤال: هل سؤال منكر ونكير خاص بهذه الأمة؟

جواب: فى المسأله ثلاثة أقوال ثالثها: التوقف، وهو قول جماعة منهم أبو عمر بن عبد البر قال: وفى حديث زيد بن ثابت عن النبى ﷺأنه قال: «**إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها**»(٢). منهم من يروية «**تسأل**» وعليه يحتمل اختصاص هذه الأمة بذلك، وهذا أمر لا يقطع به ويظهر عدم الاختصاص، والله أعلم.

أما ما ورد من إجلاسه، واختلاف أضلاعه، ونحو ذلك، فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، ذلك أن سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت فى الإسلام، وهو أصل كل خطأ فى الأصول ولاسيما إذا أضيف إليه سوء القصد!!(٣).

سؤال: هل من مات مستحقا لعذاب القبر، ناله العذاب قبر أولم يقبر؟

جواب: اعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات، وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع، أو احترق حتى صار رماداً، ونسف فى الهواء، أو صلب أو غرق فى البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور.

سؤال: «نارالقبر ونعيمه ليس من جنس نار الدنيا ونعيمها» اشرح هذه العبارة ؟

جواب: يجب أن يعلم أن النار التى فى القبر والنعيم، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يُحَمِّى عليه التراب والحجارة التى فوقه وتحته حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا فى حفرة من حفر النار، وهذا فى روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شئ من حر ناره، ولامن هذا إلى جاره شئ من نعيمه، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما!! وقد أرانا الله فى هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير، وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه، وغيبه عن غيره،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٩ / ٢١٨ / ح٢٨٦٧).
من حديث زيد بن ثابت.
انظر كتابى «٢٠٠ سؤال من الإيمان» ص١١١ هامش (٣).

(٣) «تهذيب الطحاوية» د / صلاح الصاوي.

ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم، لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما فى الصحيح عنه ﷺ: «**لولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع**»(١).

سؤال: أين يكون مستقر الأرواح بعد الموت؟

جواب: [اختلف فى مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة على أقوال كثيرة متفاوتة، يصل بعضها إلى حد الخروج عن الإسلام، كقول التناسخية منكرى المعاد: إن مستقرها بعد موتها أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التى اكتسبتها فى حال حياتها، فتصير تلك الروح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح].

والأرواح فى البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت، فمنها: أرواح فى أعلى عليين، فى الملأ الأعلى، وهى أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهم متفاوتون فى منازلهم.

ومنها: أرواح فى حواصل طير خضر، تسرح فى الجنة حيث شاءت.

ومنها: من يكون محبوساً على باب الجنة بسبب دين عليه، كما فى الحديث: «**رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة**»(٢). ومنها: من يكون طائراً يعلق فى شجر الجنة، كما فى الحديث: «**إن نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**»(٣).

ومنهم من يكون محبوسا فى قبره، ومنهم من يكون محبوساً فى الأرض، ومنها أرواح تكون فى تنور الزناة والزوانى، وأرواح فى نهر الدم تسبح فيه، وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة.

سؤال: هل تأكل الأرض أجساد الأنبياء والشهداء؟

جواب: حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روى فى «السنن»، وأما الشهداء، فقد شوهد بعضهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك فى تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة وكأنه ـ والله أعلم ـ كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول.

سؤال: كيف تكون حياة الشهداء بعد موتهم فى الدنيا؟ وهل يختصون بتلك الحياة؟

جواب: أما الحياة التى أختص بها الشهداء فهى أن الله ـ عز وجل ـ جعل أرواحهم فى أجواف طيور خضر، فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله ـ عز وجل ـ حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم الله

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٩/ ٢١٠٨/ ٦٧).
من طريق: سعيد الجُريرىُّ، عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخُدرى عن زيد بن ثابت رضى الله عنهم.
(٢) تقدم تخريجه. (٣) سيأتى تخريجه.

منها فى البرزخ أبداناً خيراً منها تكون فيها إلى يوم القيامة، يكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من تلك الأرواح المجردة عنها.

قال ﷺ : «**لما أصيب إخوانكم ـ يعنى: يوم أحد ـ جعل الله أرواحهم فى أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب مظللة فى ظل العرش**»(١).

قال ﷺ : «**إن نسمة المؤمن تعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**»(٢).

فقوله نسمة المؤمن يعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأنه فى جوف طير خضر، ومعلوم أنها إذا كانت فى جوف طير صدق عليها أنها طير فتدخل فى عموم الحديث الأول بهذا الاعتبار، ولكن نصيبها من النعيم فى البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم(٣).

الروح

تقدم أن ملك الموت يتولى قبض الأرواح واستخراجها، ثم يتولى أمرها بعد ذلك ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، وأن كل ذلك بأمر الله وحكمه. وهناك بعض المسائل المتعلقة بالروح نشير إليها فيما يأتى:

سؤال : ماهى الروح؟ وبما توصف؟

جواب : اعلم لقد اختلف فى حقيقة الروح، والذى يدل عليه الكتاب والسنة والإجماع والمعقول أنها جسم نورانى علوى حى متحرك يسرى فى الأعضاء سريان الماء فى الورد، والدهن فى الزيتون، والنار فى الفحم. وأنها مخالفة بالماهية لهذا الجسد المحسوس، فما دامت أعضاء الإنسان صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم سارياً فى هذه الأعضاء، وإذا فسدت وخرجت عن قبولها فارقت الروح البدن. قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ [الزمر: ٤٢]. ففى هذه الآية الإخبار بتوفيها، وإمساكها، وإرسالها. قال تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِى إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِى فِى عِبَادِى * وَادْخُلِى جَنَّتِى**﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠]. وفى هذه الآية وصفها بالرجوع والدخول والرضا.

---

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (١/ ٢٦٦)، وأبو داود (٣/ ١٤/ ٢٥٢٠).
من طريق أبى الزبير، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ . . . . الحديث.

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٣/ ٤٥٥)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٨/ ٤٢٧١). والنسائى (٤/ ١٠٨ ـ السيوطى).
من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه.

(٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

وقال ﷺ: «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر**»(١). ففى هذا الحديث وصف الروح بالقبض وأن البصر يراه. وقد أخبر ﷺ **أن روح المؤمن تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء**(٢)، وأنها تصعد ويوجد منها كأطيب ريح... إلى غير ذلك من الصفات(٣).

سؤال: هل الروح حادثة أم هى قديمة؟دلل على ما تقول ؟

جواب: اختلف فى حدوث الروح أو قدمها. والذى أجمعت عليه الرسل، واتفق عليه أهل السنة والجماعة أنها مخلوقة محدثة، ممن نقل الإجماع على ذلك محمد بن نصر المروزى، وابن قتيبة وغيرهما، وقد زعم البعض أنها قديمة، وتوقف آخرون .

وهذه هى الأدلة.

الأدلة على حدوث الروح:

قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[الزمر: ٦٢]. فهذا عموم لا مخصص له، فالله - عز وجل - بذاته وصفاته هو الخالق، وما سواه مخلوق، ومن المعلوم قطعاً: أن الروح ليست هى الله ولا صفة من صفاته، وإنما هى من مصنوعاته. وهذا العموم لا يدخل فيه صفات الله لأنها داخلة فى مسمى اسمه.

قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا**﴾[الإنسان: ١].

وقوله تعالى لزكريا: ﴿**وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**﴾[مريم: ٩]، والإنسان اسم لروحه وجسده، والخطاب لزكريا لروحه وبدنه - والروح توصف بالوفاة، والقبض، والإمساك، والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث(٤).

سؤال: اذكر شبه القائلين بقدمها؟ وبما نرد عليهم؟

جواب: قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى**﴾[الإسراء: ٨٥]. فقد أخبر عز وجل بأن الروح من أمره، وأمره غير مخلوق.

* أن الله أضافها إليه كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويده: قال تعالى: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى**﴾[الحجر: ٢٩].

---

(١) [**ضعيف**] أخرجه أحمد فى «مسنده» (٤/ ١٢٥)، وابن ماجه (١/ ٤٦٨/ ١٤٥٤). والحاكم فى «مستدركه» (١/ ٣٥٢).

من طريق: قزعة بن سويد عن حميد الأعرج عن الزهرى عن محمود بن لبيد عنه.

انظر «الدرارى المضية» (٥٤٨ - بتخريجنا).

(٢) تقدم تخريجه. (٣)، (٤) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

وأجيب عن الأول بأنه ليس المراد بالأمر هنا هو الطلب، بل المراد به هو المأمور.

وأجيب عن الثانى بأن المضاف إلى الله نوعان:

* صفات لا تقوم بنفسها، كالعلم والقدرة وغيرها، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها.

* إضافة أعيان منفصلة عنه، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكنها تقتضى التخصص والتشريف.

سؤال: هل تموت الروح؟وماهو موتها؟

جواب: اختلف فى موت الأرواح وبقائها فقيل: إنها تموت، لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت. ولأنه إذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت.

وقيل لا تموت بل خلقت للبقاء، وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله إلى أجسادها.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا الفراق فهى ذائقة الموت، وإن أريد أنها تفنى بالكلية فهى لا تموت بهذا الإعتبار، بل هى باقية بعد خلقها فى نعيم أو فى عذاب. قال تعالى مخبراً عن أهل الجنة: ﴿**لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى**﴾[الدخان: ٥٦]. وتلك الموتة هى مفارقة الأرواح للأجساد.

أما قول أهل النار: ﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ**﴾[غافر:١١]. قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**﴾[البقرة: ٢٨]. فالمراد أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف فى الأصلاب والأرحام، ثم أحياهم بعد ذلك ثم يميتهم، ثم يحيهم يوم النشور.

وليس فى ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة وإلا كانت ثلاث موتات. وأما صعق الأرواح عند النفخ فى الصور فلا يلزم منه موتها، فإن الناس يصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء وليس ذلك بموت، وكذلك صعق موسى لم يكن موتاً. فغاية الأمر أن نفخة الصعق موت كل من لم يذق الموت قبلها من الخلائق، وأما من ذاق الموت أو لم يكتب عليه من الحور والولدان وغيرهم فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية[1].

سؤال: هل النفس والروح شئ واحد؟ وعلى ما يطلق كلاً منهما ؟

جواب: اختلف الناس فى مسمى النفس والروح هل هما متغايران أو مسماهما واحد؟ والتحقيق أن مدلولها قد يتحد تارة، وقد يختلف أخرى.

(١) «تهذيب الطحاوية» د / صلاح الصاوي.

ذلك أن النفس تطلق على عدة أمور:

* فقد تطلق على الروح، ولكن غالباً ما تسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، أما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها.

* وقد تطلق على الدم، ففى الحديث: « ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه»(١).

* وقد تطلق على العين، يقال: أصابت فلاناً نفس، أى عين.

* وقد تطلق على الذات، قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾[النور: ٦١]. أما الروح فإنها لا تطلق على البدن بانفراده ولا مع النفس، وإنما قد تطلق على:

* القرآن: قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى: ٥٢].

* جبريل: قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[الشعراء: ١٩٣].

* الهواء المتردد فى بدن الإنسان.

* القوى التى فى البدن: فإنها تسمى أرواحاً، فيقال الروح الباصر، والروح السامع.

* وتطلق الروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله، والإنابة إليه ونسبة هذه الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن.

والناس متفاوتون فى هذه الروح فمنهم: من تغلب عليه الروح فيصير روحياً. ومنهم: من فقدها فيصير أرضياً بهيمياً.

أما ما يؤيد الله به أولياءه فهو روح أخرى. قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢](٢).

سؤال: هل لابن آدم ثلاثة أنفس « مطمئنة ولوامة وأمارة» ؟

جواب: ذهب إلى ذلك البعض، قالوا: إن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه. والتحقيق أنها نفس واحدة لها صفات:

فهى آمرة بالسوء. فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها. فإذا قوى الإيمان صارت مطمئنة. ولهذا قال ﷺ: «**من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن**»(٣). وقال: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ...**»(٤)(٥) الحديث.

---

(١) قال الألبانى فى تخريج الطحاوية: لا أعرف له أصلاً وإنما هو من كلام الفقهاء.

(٢)، (٥) «تهذيب الطحاوية» د / صلاح الصاوي. (٣) تقدم تخريجه.

(٤) [متفق عليه] أخرجه البخاري (٥ / ١٤٣ / ٢٤٧٥)، ومسلم (١ / ٣١٧ / ١٠٠). =

«ونُؤمنُ بالبَعْث وجزاء الأعمال يومَ القيامة والعرْض والحساب، وقراءَة الكتاب، والثَّواب والعقاب، والصِّرَاط والميزَان».

قوله: «ونؤمن بالبعث والحساب وجزاء الأعمال....».

سؤال: بما نرد على شبهه منكرى البعث بزعم أنه لم يفصح بميعاد الأبدان إلا محمد ﷺ؟

جواب: الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه فى كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه فى غالب سور القرآن.

[ولما كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء فقد بين تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد فى شئ من كتب الأنبياء، حتى ظن بعض المتفلسفة أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ وجعلوا هذا حجة لهم فى أنه من باب التمثيل والخطاب الجمهورى! وهؤلاء ينكرون معاد الأبدان وينكرون القيامة الكبرى، وقولهم هذا غاية فى الفساد.]

سؤال: هل الأنبياء مجمعون على الإيمان بالبعث واليوم الآخر؟دلل على ماتقول؟

جواب: الأنبياء - عليهم السلام - كلهم متفقون على الإيمان بالآخرة. فإن القيامة الكبرى هى معروفة عندهم، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام.

وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم، فقال تعالى: ﴿**قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ**﴾[الأعراف: ٢٤ - ٢٥].

ولما قال إبليس اللعين: ﴿**رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**﴾.[ص: ٧٩ - ٨١].

وأما نوح عليه السلام، فقال: ﴿**وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا**﴾[نوح: ١٧ - ١٨].

وقال إبراهيم عليه السلام،: ﴿**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾[الشعراء: ٨٢]. وقال: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾[إبراهيم: ٤١].

وأما موسى عليه السلام، فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ**﴾[طه: ١٥ - ١٦].

= من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

وانظر كتابى «٢٠٠ سؤال عن الإيمان» ص٢٣١ هامش (٤).

وقال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ إلى قوله: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٢ ـ ٣٩].

وقد أخبر الله تعالى عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم.

سؤال: هل أمر النبي ﷺ أن يقسم بالميعاد وعلى أي شئ يدل ذلك ؟

جواب: وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾[سبأ: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[يونس: ٥٣]. وقال: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن: ٧].

وأخبر عن اقترابها، فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[القمر: ١]. ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: ١]. ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾[المعارج: ٦ ـ ٧].

سؤال: هل ذم الله المكذبين بالمعاد؟ وبما رد شبههم ؟

جواب: قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[يونس: ٤٥]. ﴿أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾[الشورى: ١٨]. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾[الأنعام: ٣١]. ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾[النحل: ٣٨]. ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾[غافر: ٥٩]. ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا﴾[الإسراء: ٩٧ ـ ٩٩]. ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٤٩ ـ ٥٢]. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ

رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾[يس: ٧٨ـ ٨١].

[قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْىِ الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ...﴾ إلى آخر السورة: [يس:٧٨ ـ ٨٣].

افتتح سبحانه هذه الحجة بسؤال أورده ملحد، اقتضى جواباً، فكان فى قوله: ﴿وَنَسِىَ خَلْقَهُ﴾مايفى بالجواب. فلما أراد تأكيد الحجة وزيادة تقريرها قال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فاحتج بالابتداء على الإعادة، وبالنشاة الأولى على النشأة الآخرة، فمن قدر على تلك قدر على هذه، ولو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز. ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ . فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول، فإذا كان تام العلم كامل القدرة فكيف يتعذر أن يحيى العظام وهى رميم. ثم أكد الأمر ببرهان آخر يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر يقول: إن العظم إذا رم أصبح ذا طبيعة باردة يابسة، فكيف يرجع إلى الحياة التى لابد لها من طبيعة حارة رطبة؟ فقال: ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾. فأخبر بإخراج هذا العنصر الذى هو فى غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ من الرطوبة والبرودة، فالذى يخرج الشئ من ضده ولا يستعصى عليه شئ هو الذى يفعل ما أنكره الملحد ودفعه!!].

فأخبر أن الذى أبدع السماوات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيى عظاما قد صارت رميماً، فيردها إلى حالتها الأولى، كما قال فى موضع آخر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧].

ومن هذا قوله سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِىَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة:٣٦ ـ ٤٠]. فاحتج سبحانه على أنه لا يتركه مهملا عن الأمر والنهى، والثواب والعقاب، وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك أشد الإباء، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]. فإن من نقله من النطفة إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس والقوى، والعظام، وأحكم خلقه غاية الإحكام، وأخرجه على هذا

الشكل والصورة، والتى هى أتم الصور، وأحسن الأشكال كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية؟

سؤال : اذكر بعض أدلة الجزاء على الأعمال؟

جواب : قال تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾[الفاتحة: ٣]. ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾[النور: ٢٥]. والدين: الجزاء، يقال كما تدين تدان، أى كما تجازى تجازى، وقال تعالى: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾[السجدة: ١٧]. ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾[الأنعام: ١٦٠]. ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾[النمل: ٨٩ ـ ٩٠]. ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾[القصص: ٨٤].

وفى الحديث «يا عبادى، أنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياه، فمن وجد خيراً، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(١).

سؤال : اذكر بعض أدلة العرض والحساب، وقراءة الكتاب من الكتاب والسنة؟

جواب : قال تعالى: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾[الحاقة: ١٨]. ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه * فأما من أوتى كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب إلى أهله مسرورا * وأما من أوتى كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبورا * ويصلى سعيرا﴾ [الإنشقاق: ٦ ـ ١٢]. ﴿وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾[الكهف: ٤٨]. ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾[الكهف: ٤٩].

عن عائشة أن النبى ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك» فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾. فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض، وليس أحدٌ يناقش الحساب يومَ القيامة إلا عُذِّب»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) [صحيح] أخرجه البخارى (٨/ ٥٦٦، ٥٦٧/ ٤٩٣٩).

من طريق: ابن أبى مليكة عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ الحديث.

[* يعنى أنه لو ناقش فى حسابه لعبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم، لكنه تعالى يعفو ويصفح.

قال ﷺ: «**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فعرضتان جدال ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتى كتابه بيمينه وحوسب حساباً يسيراً دخل الجنة، ومن أوتى كتابه بشماله دخل النار**»(١)].

سؤال: ماهو اعتقاد أهل السنة فى النشأة الأخرى ؟ وماهى اعتقادات الفرق الضالة؟

جواب: الذى عليه السلف وجمهور العقلاء أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال فتستحيل تراباً، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، فيعيد الجسم بعد أن يبلى كله ـ إلاعجب الذنب ـ وذلك كما استحال فى النشأة الأولى من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام ولحم ثم أنشأه الله خلقاً آخر. قال ﷺ: «**كل ابن آدم أوله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب**»(٢).

وفى حديث آخر قال ﷺ: «**إن السماء تمطر مطراً كمنى الرجال، ينبتون فى القبور كما ينبت النبات**»(٣). فعجب الذنب هو الذى يبقى، وأما سائره فيستحيل فيعاد من المادة التى استحال إليها. ومعلوم أنه من رأى شخصاً وهو صغير ثم رآه بعد أن صار شيخاً علم أن هذا هو ذاك مع أنه دائماً فى تحلل واستحالة، ويضطرد ذلك فى سائر الحيوان والنبات، فمن رأى شجرة وهى صغيرة ثم رآها وهى كبيرة قال: هذه تلك.

وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة للأولى، فالأولى فانية معرضة للآفات، والثانية باقية غير معرضة للآفات، فتتفق النشأتان من وجه، ويختلفان من وجه آخر. أما القائلون بإن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة فإن لهم فى المعاد خبط واضطراب:

* فمنهم من يقول: تعدم الجواهر ثم تعاد.

* ومنهم من يقول: تفرق ثم تجمع.

وقد أورد عليهم:

* الإنسان الذى يأكله حيوان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تعد من هذا.

---

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٤/ ٤١٤)، والترمذى (٥/ ٦١٧/ ٢٤٢٥). عند أحمد من حديث أبى موسى، وعند الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنهما.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٨/ ٤١٤/ ٤٨١٤)، ومسلم (٩/ ٣١٧/ ١٤١)

من طريق: الأعمش، عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ... الحديث.

(٣) أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٤/ ٥٩٨).

من طريق: سلمة بن كهيل عن أبى الزاعراء قال الدجال عند عبدالله فقال: .... الحديث.

وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قال فى «التخليص»: ما احتجا بأبى الزعراء.

* أن الإنسان يتحلل دائماً فماذا الذى يعاد؟ أهو الذى كان وقت الموت فيلزم أن يعاد بصورة ضعيفة، وهو خلاف النصوص. أم غيره، ليس بعض الأبدان بأولى من بعض[١].

سؤال: وهل يصعق الخلائق فى الموقف؟ وما هو اعتقاد أهل السنة فى ذلك؟

جواب: نعم، وقد قال ﷺ: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش،فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة يوم الطور**»[٢]. وهذا صعق فى موقف القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء فحينئذ يصعق الخلائق كلهم[٣].

سؤال: ما وجه الجمع بين هذا الحديث، وبين رواية: «إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش»[٤]؟

جواب: فالجواب: أن هذه الرواية الثانية قد دخل فيها على الراوى حديث فى حديث. فركب بين اللفظين، فجاء هذان الحديثان هكذا:

أحدهما: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق**»[٥].

والثانى: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة**»[٦].

فدخل على الراوى هذا الحديث فى الآخر. وممن نبه على هذا أبو الحجاج المزى، وابن القيم، وابن كثير[٧].

سؤال: وإن قيل: لقد رواه البعض بلفظ: « فلا أدرى أفاق قبلى، أم كان ممن استثنى الله عز وجل كيف تجيب على ذلك؟

جواب: فالجواب: أن المحفوظ الذى تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول، وعليه المعنى الصحيح، فإن الصعق يوم القيامة لتجلى الله لعباده إذا جاء لفصل القضاء، فإذا كان موسى لم يصعق معهم فيكون قد جوزى بصعقة يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكاً، فجعلت هذه عوضا عن صعقة الخلائق لتجلى الله يوم القيامة[٨].

سؤال: هل الصرط حق؟ دلل على ما تقول؟

جواب: ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، قالت عائشة رضى الله عنها، إن رسول الله ﷺ سئل: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، فقال: «**هم فى الظلمة دون الجسر**»[٩]. وفى هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون.

---

(١)، (٢)، (٣)، (٧)، (٨) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٤) تقدم تخريجه. (٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه. (٩) تقدم تخريجه.

عن عبدالله بن مسعود، قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة». إلى أن قال: «فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر ذلك من يعطى نوره على إبهام قدمه، يضى مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدَّم قدمه، وإذا طُفِئَ قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال لهم: آمضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرحل ويرمل رملاً فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذى نوره على إبهام قدمه، تجر يد، وتعلق يد، وتجر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، قال: فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذى نجانا منك بعد أن أرانا، لقد أعطانا الله مالم يعط أحدا[1].

سؤال: ما المراد بورود جهنم بالنسبة للمؤمنين؟

جواب: المراد من قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾[مريم: ٧١]. أنه المرور على الصراط. فى الصحيح أنه ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة**»، قالت حفصة: فقلت يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا**﴾، فقال: «ألم تسمعيه قال: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾[2]. فقد بين النبى ﷺ أن الورود هو المرور على الصراط، وورود النار لا يستلزم دخولها.

سؤال: هل يوجد صراط آخر غير الصراط الأول؟

جواب: ورد فى الصحيحين: «**إن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة**»[3]. جعل القرطبى فى التذكرة هذه القنطرة صراطاً ثانياً للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد فى النار[4].

---

(١) أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٣٧٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ».

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٨/ ٢٩٦/ ١٦٣)، وابن ماجه (٢/ ١٤٣١/ ٤٢٨١) وأحمد فى «مسنده» (٦/ ٢٨٥).

من طريق: جابر بن عبدالله يقول: أخبرتنى أم مُبشِّر أنها سمعت النبى ﷺ يقول عند حفصة: . . . . الحديث.

(٣) [**صحيح**] أخرجه البخارى (١١/ ٤٠٣/ ح٦٥٣٥).

من طريق: سعيد عن قتادة عن أبى المتوكل الناجىّ أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ يخلص المؤمنون من النار. . . .» الحديث.

(٤) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

سؤال : هل يجب الإيمان بالميزان الذى توزن به الأعمال يوم القيامة؟ وهل هو ميزان واحد؟

جواب : نؤمن بالميزان، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٣].

قال القرطبي: وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله أعلم.

سؤال : ميزان الأعمال حسى مشاهد أم معنوى دلل على ما تقول؟

صيغة أخرى: ما هى كيفية الميزان؟

جواب : الذى دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان، قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشرعليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر[1]، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ قال: لا، يارب، فيقول: ألك عذر أوحسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يارب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهدأن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فيقول: أحضروه، فيقول: يارب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات فى كفة، والبطاقة فى كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شئ بسم الله الرحمن الرحيم»[2].

---

(١) ينبغى أن تحمل سعة هذه السجلات وضخامتها على أنها لا تحوى على الشرك الأكبر، ولو كانت تتضمن الشرك الأكبر لما نفع الرجل شئ، ولحبطت عنه مطلق حسناته وأعماله، كما قال تعالى: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾. وقال تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾. فنصوص الشريعة تصدق بعضها بعضاً، ولا تعارض بينها ولله الحمد.

(٢) أخرجه الترمذى (٥/ ٢٤/ ٢٦٣٩)، وأحمد فى «مسنده» (٢/ ٢١٣) والحاكم فى «المستدرك» (١/ ٦).
من طريق: عامر بن يحيى عن أبى عبدالرحمن المُعافرىً ثم الحُبلىً.
قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ... » الحديث.
قال الترمذى: حسن غريب.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج فى الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم.
قال فى «التلخيص»: هذا على شرط مسلم.

ومن الأحاديث الدالة على وزن الأعمال، قوله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**»(١). وقوله: «**كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان فى الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٢).

[* ولا وجه لاعتراض البعض بأن الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، لأن الله عز وجل يقلب الأعراض أجساماً، كما يؤتى بالموت - وهو عرض - فى صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار].

سؤال: هل يوزن العامل مع أعماله؟

جواب: العامل يوزن مع عمله، عن أبى هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة**، وقال: اقرأوا إن شئتم: ﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾(٣).

وروى الإمام أحمد، عن ابن مسعود: أنه كان يجتنى سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون؟» قالوا: يا نبى الله، من دقة ساقيه، فقال: « والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد»(٤).

[* روى البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «**إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عندالله جناح بعوضة**، قال: اقرأوا إن شئتم: ﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾(٥) [الكهف: ١٠٥]. وقال ﷺ عندما ضحك البعض من دقة ساقى ابن مسعود: «**والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد**»(٦).

فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان.

سؤال: ما الحكمة من وزن الأعمال يوم القيامة؟

جواب: ولو لم يكن من الحكمة فى وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه وتعالى لجميع عباده

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (١/ ٣/ ١١٣) من حديث أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١١/ ٢١٠/ ح٦٤٠٦)، ومسلم (٩/ ٢٢/ ح٣١).
من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٨/ ٢٧٩/ ٤٧٢٩)، ومسلم (٩/ ١٤٢/ ١٨).
من طريق: أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: ... الحديث.

(٤) أخرجه أحمد فى «مسنده» (١/ ١١٤، ٤٢١).
من حديث على رضى الله عنه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

«الجنَّةُ والنَّار مخْلوقَتان، لا تفْنيان أبَداً ولا تَبيدان، فإنَّ الله تعالى خلقَ الجَّنةَ والنَّار قبْلَ الخلْق، وخَلَقَ لُهما أهلاً، فَمَن شاَء مْنهُم إلى الجنة فَضْلاً مْنهُ ومَنْ شاءَ مْنهُم إلى النَّار عَدْلا مْنهُ، وكُلّ يعملُ لما قَدْ فُرغَ له، وَصائرٌ إلى ما خُلقَ لَهُ، والخْيرُ والشَّرُّ مقَدَّران على العباد».

لكان ذلك كافياً، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله عز وجل، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه؟

سؤال: هل يكون الصراط بعد الميزان أم قبله؟

جواب: الحوض قبل الميزان، الصراط بعد الميزان، ففي «الصحيحين»: «**أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقضى لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة**»(١).

قوله: «**الجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان**».

سؤال: اذكر مذهب أهل السنة في وجود الجنة والنار مدللاً على ما تقول؟

جواب: اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن. قال تعالى عن الجنة: ﴿**أُعدَّتْ للْمُتَّقين**﴾[آل عمران: ١٣٣]. ﴿**أُعـدَّتْ للَّذين آمَنُوا باللَّه ورُسُله**﴾[الحديد: ٢١]. وعن النار ﴿**أُعدَّتْ للْكافرين**﴾[آل عمران: ١٣١]. ﴿**إنَّ جهَنَّم كانَتْ مرْصَاداً * للطَّاغين مآباً**﴾[النبأ: ٢١ ـ ٢٢]. ، قال تعالى: ﴿**ولَقَدْ رآهُ نزْلَةً أُخْرىٰ * عند سدْرَة الْمُنتَهىٰ * عندَها جَنَّةُ الْمأْوَى**﴾[النجم: ١٣ ـ ١٥]. وفي «الصحيحين» من قصة الإسراء: «**ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ماهي، قال: ثم دخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»(٢).

وفي «الصحيحين». أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وإن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»(٣).

وتقدم الحديث: «**ينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها..**»(٤).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (٦/ ٤٣١، ٤٣٢/ ٣٣٤٢)، ومسلم (١/ ٤٨٩/ ٢٦٣).
من طريق: ابن شهاب قال: قال أنس بن مالك..... الحديث.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (٣/ ٢٨٦/ ١٣٧٩)، ومسلم (٩/ ٢١٨/ ٦٥).
من طريق: مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٤) تقدم تخريجه.

وقال رسول الله ﷺ: «**رأيت فى مقامى هذا كل شئ وعدتم به، حتى لقد رأيتنى آخذ قطفا من الجنة حين رأيتمونى أقدم. ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتمونى تأخرت**»(١).

وفى «الصحيحين»، عن ابن عباس، قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وفيه: فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك، ثم رأيناك تكعكعت؟ فقال: «**إنى رأيت الجنة فتناولت عنقوداً،ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء**»، قالوا: بم يارسول الله ؟ قال: «**يكفرن**»، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً قط!!**»(٢).

وفى «صحيح مسلم». من حديث أنس: «**وايم الذى نفسى بيده، لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً**. قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «**رأيت الجنة والنار**»(٣).

ومن حديث أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها**...(٤). ونظائر ذلك فى السنة كثيرة.

[وفى الصحيحين من حديث أنس فى قصة الإسراء: «... **ثم انطلق بى جبريل حتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدرى ماهى، قال: ثم دخلت الجنة فإذا هى جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك...**»(٥)].

سؤال: وماهى أدلة من قال بإنها لم تخلق بعد؟

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٣/ ٩٨/ ١٢١٢)، ومسلم (٣/ ٤٦٨/ ٣).
من طريق: ابن شهاب قال: أخبرنى عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: ... الحديث.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٢/ ٦٢٧، ٦٢٨، ١٠٥٢)، ومسلم (٣/ ٤٧٩، ٤٨٠/ ١٧)، والنسائى (٣/ ١٤٦، ١٤٧/ السيوطى)، وابن حبان (٤/ ٢١٢، ٢١٣/ الإحسان).
من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

(٣) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٢/ ٣٨٥، ٣٨٦/ ١١٢)، والنسائى (٣/ ٨٣ ـ السيوطى).
من طريق: على بن مسهر عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: ... الحديث.

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٦، ٢٣٧/ ٤٧٤٤)، والترمذى (٤/ ٦٩٣، ٦٩٤/ ٢٥٦٠) والنسائى (٧/ ٣، ٤ ـ السيوطى).
من طريق: محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ... الحديث.
قال الترمذى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) تقدم تخريجه.

جواب : أدلة القائلين بإنها لم تخلق بعد: استدل المعتزلة والقدرية على دعواهم بما يأتى:

* أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة، وأن يهلك كل من فيها ويموت لقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾[القصص: ٨٨]. ولقوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥].

* ماثبت من أن الجنة قيعان، وأن غراسها ذكر الله والأعمال الصالحة. قال ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى، فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»(١). وأيضاً عن جابر عن النبى ﷺ قال: «**من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة**»(٢). قالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغراس معنى. وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿**رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ**﴾[التحريم: ١١](٣).

سؤال : كيف أجاب أهل السنة على القدرية والمعتزلة بأن الجنة تفنى وتبيد؟

جواب : مناقشة أدلة القدرية والمعتزلة: أجاب أهل السنة على الدليل الأول بأن قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ قد يكون المقصود به: كل شئ مما كتب عليه الفناء والهلاك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذا العرش فإنه سقف الجنة.

وقيل: المراد إلا ملكه، أو إلا ما أريد به وجهه، وذلك للتوفيق بين هذه الآية وبين النصوص المحكمة الدالة على بقاء الجنة والنار. أما الأدلة الأخرى فقد أجاب عليها أهل السنة بأنها تدل على أن ما أعده الله لأهلها فيها لم يكتمل خلقه كله، وأن الله لا يزال يحدث فيها شيئاً بعد شئ، وذلك متفق عليه. أما القول بإنها معدومة بمنزلة النفخ فى الصور، والبعث، ذلك باطل ترده الأدلة السابقة(٤).

---

(١) أخرجه الترمذى (٥/ ٥١٠/ ٣٤٦٢).
من طريق: القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث قال الترمذى: حسن غريب.

(٢) أخرجه الترمذى (٥/ ٥١١/ ٣٤٦٤)، وابن حبان (٢/ ٩٦، ٩٧/ ٨٣٢ ـ الإحسان) والحاكم فى «المستدرك» (١/ ٥٠٢).
من طريق: الحجاج الصوّاف عن أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ قال: «... الحديث.
قال الترمذى: «حسن صحيح غريب».
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
قال فى «التلخيص»: على شرط البخارى.

(٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٤) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

سؤال : «الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان» اذكر الأدلة على ذلك؟

جواب : قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾[هود:١٠٨]. أي: غير مقطوع. وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ**﴾[ص:٥٤]. وقوله: ﴿**وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾[الحجر:٤٨].

والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة، كقوله: «من يدخل الجنة ينعم ولايبأس، ويخلد ولايموت»(١). وقوله: «**ينادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا، فلا تسقموا أبدا**»(٢). وكذلك ذبح الموت بين الجنة والنار، ويقال: «**يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**»(٣).

سؤال : ما معنى الاستثناء الوارد في سورة هود: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود: ١٠٨].

جواب : اختلف السلف في هذا الإستثناء:

* فقيل معناه: إلا مدة إقامتهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم النار ثم خرج منها لا لكلهم.

* وقيل إلا لمدة مقامهم في الموقف.

* وقيل إلا لمدة مقامهم في القبور والموقف.

* وقيل هو استثناء الرب ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت تراه بل تجزم بضربه.

* وقيل لإعلامهم أنهم مع خلودهم في مشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود. ونظير هذه الايات: ﴿**قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا**

---

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (٩/ ١٩١/ ٢١).
من طريق: حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: . . . الحديث.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم (٩/ ١٩١/ ٢٢)، والترمذي (٥/ ٣٧٤/ ٣٢٤٦).
من طريق: أبي إسحاق أن الأغرَّ أبا مسلم حدثه عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: . . . الحديث.

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخاري (١١/ ٤١٤/ ٦٥٤٤)، ومسلم (٩/ ٢٠١/ ٤٣).
من طريق: صالح حدثنا نافع أن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ قال: . . . . الحديث.

أَدْرَاكُم به﴾ [يونس: ١٦]. ﴿فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]. ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦].

* وقيل إلا من شاء الله دخوله النار من السعداء، وقيل غير ذلك.

وبالجملة فإن هذا الإستثناء من المتشابه، والآيات السابقة من المحكم، وقد قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾[الدخان: ٥٦]. فهذا الإستثناء منقطع، فإذا ضممته إلى الإستثناء فى قوله: إلا ما شاء ربك، تبين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذى لم يكونوا فيه فى الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت. فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وتلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

ومن السنة:

قال ﷺ: «**من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت**»(١). وقال ﷺ: « **ينادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا**»(٢).

وقد تقدم ذكر ذبح الموت بين الجنة والنار، ويقال: «**يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**»(٣)(٤).

سؤال: اذكر الأدلة على أبدية النار ومن الذى يخرج منها؟

جواب: قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[المائدة: ٣٧]. ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[الزخرف: ٧٥]. ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[النبأ: ٣٠]. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[البينة: ٨]. ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[البقرة: ١٦٧]. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[الأعراف: ٤٠]. ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[فاطر: ٣٦]. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]. أى مقيما لازماً.

وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وأحاديث الشفاعة صريحة فى خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم.

سؤال: أذكر مذهب أهل السنة والجماعة فى أبدية النار ودوامها؟

جواب: وأما أبدية النار ودوامها فلأهل السنة قولان:

---

(١)، (٢)، (٣) تقدم تخريجه.

(٤) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

* **الأول**: أن الله يخرج منها من يشاء، ثم يسقيها شيئا، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهى إليه. وهو منقول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم

* **الثانى**: أن الله يخرج منها من يشاء، ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له.

وهناك أقوال أخرى ظاهرة البطلان](١).

سؤال: وماهى أدلة القول الأول؟

جواب:

١ ـ قال تعالى: ﴿**قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام:١٢٨].

٢ ـ قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾[هود:١٠٦ ـ ١٠٧]. ولم يأت بعد هذين الإستثناءين ما أتى بعد الإستثناء المذكور لأهل الجنة وهو قوله: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾[هود:١٠٨].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿**لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا**﴾[النبأ:٢٣].

٤ ـ وقد روى عبد بن حميد فى تفسيره بسنده إلى عمر أنه قال: لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه.

٥ ـ أن النار موجب غضبه، والجنة موجب رحمته، وقد قال ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: إن رحمتى سبقت غضبى**، وفى رواية: **تغلب غضبى**»(٢).

٦ ـ أنه عز وجل قد أخبر عن العذاب أنه عذاب يوم «عظيم» و«أليم»و«عقيم» ولم يخبر أبداً عن النعيم أنه نعيم يوم.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿**قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[الأعراف:٥٦]. فلابد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا فى العذاب أبداً لم تسعهم رحمته، وقد ثبت تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة، والمعذبون فيه متفاوتون فى مدة لبثهم فى العذاب بحسب جرائمهم.

٨ ـ ليس من الحكمة أن يخلق الله خلقا يعذبهم أبد الآباد، وأما أن يخلق خلقاً ينعم عليهم نعيما سرمدياً فذلك من مقتضى الحكمة.

---

(١) تهذيب الطحاوية د/ صلاح الصاوى.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٦/ ٣٣١/ ٣١٩٤)، ومسلم (٩/ ٧٨، ٧٩/ ١٤) من طريق: أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: .... الحديث.

ثم قالوا: أما ما ورد من الخلود فيها، والتأبيد، وعدم الخروج وما شابه ذلك فهو حق مسلم لا نزاع فيه، وذلك يقتضى الخلود فى دار العذاب ما دامت باقية، فلا يخرج منها فى حال بقائها إلا أهل التوحيد. ففرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه لخراب الحبس وانتقاضه](١).

سؤال: وماهى أدالة الفريق الثانى القائلين ببقاء النار وأنها لاتفنى ؟

جواب: أدلة القول الثانى: ومن أدلة القائلين ببقائها وعدم فنائها:

* الآيات التى تصرح بالتأبيد وعدم الخروج مثل: قوله تعالى: ﴿**ولَهُمْ عذابٌ مُقيم**﴾[التوبة: ٦٨]. وقوله: ﴿**لا يُفتَّرُ عنْهُمْ وهُمْ فيه مُبْلسُون**﴾ [الزخرف: ٧٥]. وقوله: ﴿**وما هُم منْها بمُخْرجين**﴾(٢) [الحجر: ٤٨]. وقوله: ﴿**وما هُم بخارجين من النَّار**﴾[البقرة: ١٦٧]. وقوله: ﴿**ولا يدْخُلُون الْجنَّةَ حتَّى يلج الْجملُ فى سمِّ الْخياط**﴾ [الأعراف: ٤٠]. وقوله: ﴿**لا يُقْضى عَلَيْهمْ فَيمُوتُوا ولا يُخفَّفُ عنْهُم منْ عذَابها**﴾ [فاطر: ٣٦]. وقوله: ﴿**خالدين فيها أبداً**﴾ [الجن: ٢٣].

* إن أحاديث الشفاعة صريحة فى إخراج عصاة الموحدين من النار، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم.

سؤال: اذكر مذهب الجهمية فى ذلك؟

جواب: وذهب الجهم بن صفوان إلى القول بفناء الجنة والنار، ليس له فى ذلك سلف قط وكفره بذلك عامة أهل السنة. وشبهته فى ذلك هو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، وأن ما يمنع من حوادث لا أول لها فى الماضى يمنعه فى المستقبل. ووافقه على ذلك أبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة، لكنه قال: إن هذا يقتض فناء الحركات، فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار، حتى يصيروا فى سكون دائم لا يقدر أحد منهم على الحركة. والحق أن الله عز وجل لم يزل ربا قادرا فعالا لما يريد](٣).

سؤال: هل خلق الله تعالى لكل من الجنة والنار أهلاً؟

جواب: قال تعالى: ﴿**ولَقَدْ ذَرَأْنا لجهَنَّمَ كَثيراً منَ الْجنِّ والإنس**﴾[الأعراف: ١٧٩]. وعن عائشة رضى الله عنها، قالت: دعى رسول الله ﷺ إلى جنازة صبى من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه، فقال: «**أو غير ذلك يا عائشة،**

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى. (٢) هذه الآية فى أهل الجنة فتنبه.
(٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

والإستطاعةُ التى يجبُ بها الفعلُ ، منْ نَحو التُّوفيق الذى لا يوَصفَ المخلوقُ به تكونُ معَ الفعْل ، وأَما الإسْتطاعَةُ منْ جهَة الصِّحَّة والوُسْع والتمكين وسلامة الآلات، فهى قَبْلَ الفعْل ، وبها يتعلَّقُ الخطابُ، وهو كما قال تعالى: ﴿لا يُكلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها﴾[البقرة:٢٨٦].

إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم»(١).

سؤال: الله تعالى منزه عن الظلم؟ وضح ذلك؟

جواب: وقوله: «فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه». مما يجب أن يعلم: أن الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح، : ﴿ومن يعْملْ منَ الصَّالحات وهُو مؤْمنٌ فلا يخافُ ظُلْماً ولا هضْماً﴾[طه:١١٢]. وكذلك لايعاقب أحدا إلا بعد حصول سبب العقاب، فإن الله تعالى يقول: ﴿وما أصابكُم منْ مُصيبةٍ فبما كسبتْ أيْديكُمْ ويعْفُو عن كثير﴾[الشورى: ٣٠].

فإذا منَّ الله على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح، لايمنعه موجب ذلك أصلا، بل يعطيه من الثواب والقرب ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وحيث منعه ذلك، فلانتفاء سببه، وهو العمل الصالح.

قوله: «والإستطاعة التى يجب بها الفعل....».

الإستطاعة والطاقة والقدرة والوسع، ألفاظ متقاربة، وتقسيم الإستطاعة إلى قسمين ـ كما ذكر الشيخ رحمه الله ـ هو قول عامة أهل السنة وهو الوسط.

سؤال: ما هى الإستطاعة التى يترتب عليها التكليف؟

جواب: الذى قاله عامة أهل السنة: أن للعبد قدرة هى مناط الأمر والنهى، وهى القدرة التى من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات، وهى تتقدم الأفعال، كما فى قوله تعالى: ﴿وللَّه علَى النَّاسِ حجُّ الْبيْتِ منِ اسْتطاعَ إليْه سبيلاً﴾[آل عمران:٩٧].

فأوجب الحج على المستطيع، فلو لم يستطع إلا من حج، لم يكن الحج قد وجب إلا على من حج، ولم يعاقب أحد على ترك الحج! وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من الدين.

---

(١) رواه مسلم وغيره. قلت: لعلمه سبحانه وتعالى المتقدم أن هؤلاء يعملون بعمل أهل الجنةبعد خلقهم ووجودهم فى الحياة الدنيا، فجعلهم من أهل الجنة وهم فى أصلاب آبائهم، والآخرون يعملون بعمل أهل النار بعد خلقهم ووجودهم فى الحياة الدنيا، فجعلهم من أهل النار وهم فى أصلاب آبائهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦]. وقوله: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾[المجادلة: ٤]. والمراد منه استطاعة الأسباب والآلات.

ومن ذلك قوله ﷺ لعمران بن حصين: «**صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب**»(١).

سؤال: ما دليل ثبوت الإستطاعة القدرية الكونية؟

جواب: وأما دليل ثبوت الأستطاعة التى هى حقيقة القدرة، كما فى قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[هود: ٢٠]. والمراد نفى حقيقة القدرة، ولا نفى الأسباب والآلات، لأنها كانت ثابته. وكذا قول صاحب موسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[الكهف: ٧٥] وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[الكهف: ٧٢]. والمراد منه حقيقة قدرة الصبر، لا أسباب الصبر وآلاته، فإن هذه ثابتة له.

أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر، متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمة دينية، خصه بها دون الكافر، وأنه أعانه على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]. وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

سؤال: ما هو مذهب القدرية والمعتزلة فى الإستطاعة والقدرة والوسع؟

جواب: [القدرية والمعتزلة: قالوا: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل وهو بناء على أصلهم الفاسد أن أقدار الله للبر والفاجر على حد سواء، وهو فاسد باتفاق أهل السنة المثبتين للقدر. فإن الله أعان البر على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر. قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]. ولكن القدرية

(١) [صحيح] أخرجه البخارى (٢/ ٦٨٤/ ١١١٧ ـ الفتح)، وأبو داود (٢٤٨/ ٩٥٢)، والترمذى (٢/ ٢٠٨/ ٣٧٢).
من طريق: الحسين المُكتب عن ابن بريدة عن عمران بن حصين. انظر «منار السبيل» (ح٣٤٦ ـ بتخريجنا).

يقولون : هذا التحسيب والتزيين عام فى كل الخلق، وهو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق. والآية تقتضى أن هذا خاص بالمؤمنين بدلالة قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

ولما كان فاعل الطاعات وتاركها كلاهما ـ عند المعتزلة ـ فى الإعانة والأقدار سواء، امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه، لأن القدرة هى التى يكون بها الفعل والترك، وحال وجود الفعل يمتنع الترك، فلهذا قالوا لا تكون القدرة إلا قبل الفعل.

وقولهم هذا باطل، بل نقيضه هو الحق: وهو أن الفعل لابد أن يكون معه قدره لأن وجود الأمر مع عدم بعض شروطه الوجودية ممتنع][1].

سؤال : (لا تكون القدرة إلا مع الفعل) ناقش هذا القول؟

جواب : [وهو لبعض أهل السنة: قالوا: لا تكون القدرة إلا مع الفعل، لأن القدرة نوع واحد لا يصلح للضدين. القدرة المقارنة للفعل لا تصلح إلا لذلك الفعل، وهى مستلزمة له لا توجد بدونه.

وقال بعضهم: إن القدرة عرض فلا تبقى زمانين، فيمتنع وجودها قبل الفعل][2].

سؤال : ما هو القول الراجح فى الإستطاعة؟

جواب : [والصواب هو المذهب الأول، وأن القدرة نوعان:

* نوع مصحح للفعل يمكن معه الفعل والترك، وهى مناط التكليف، وهذه تحصل للمطيع والعاصى وتكون قبل الفعل، وتبقى إلى حين الفعل، إما بنفسها عند من يقول ببقاء الأعراض، أو أمثالها عند من يقول: إن الأعراض لا تبقى زمانين، وضد هذه القدرة هو العجز.

* نوع يجب به الفعل، أى لابد أن يوجد معها، وهذه لابد أن تكون مع الفعل][3].

سؤال: ما هى الإستطاعة المشروطة فى الشرع؟ وهل تكفى وحدها فى وجود الفعل؟

جواب: الإستطاعة المشروطة فى الشرع أخص من الإستطاعة التى يمتنع الفعل مع عدمها، فالشارع ييسر على عباده، ويريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، وما جعل عليكم فى الدين من حرج، والمريض قد يستطيع القيام مع زيادة المرض وتأخر برئه، فهذا فى الشرع غير مستطيع، لأجل حصول الضرر عليه، وإن كان يسمى مستطيعا، فالشارع لا ينظر فى الإستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل، بل ينظر إلى لوازم ذلك، فإذا كان الفعل ممكنا مع المفسدة الراجحة، لم تكن هذه إستطاعة شرعية، كالذى يقدر على الحج مع ضرر يلحقه فى بدنه أو ماله، أو يصلى قائماً مع زيادة

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.
(٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.
(٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

مرضه، أو يصوم الشهرين مع انقطاعه عن معيشته، فإذا كان الشارع قد اعتبر فى المكنة عدم المفسدة الراجحة، فكيف يكلف مع العجز؟!

[* ولكن هذه الإستطاعة وحدها لا تكفى فى وجود الفعل، وإلا كان التارك كالفاعل، بل لابد من إحداث إعانة أخرى مثل جعل الفاعل مريداً، فإن الفعل لا يتم إلا بقدرة وإرادة، فالإستطاعة المقارنة تدخل فيها الإرادة الجازمة بخلاف المشروطة فى التكليف فإنه لا يشترط فيها الإرادة، فالله تعالى يأمر بالفعل من لا يريده، ولكن لا يأمر به من لو أراده لعجز عنه. وعلى هذا ينبنى تكليف ما لا يطاق. فمن قال: القدرة لا تكون إلا مع الفعل، قال: كل كافر أو فاسق كلف بما لا يطيق، وما لا يطاق فسر بشيئين:

١ـ ما لا يطاق للعجز عنه، فهذا لم يكلفه الله أحداً.

٢ـ ما لا يطاق للإشتغال بضده، وهو الذى وقع فيه التكليف.

وهذا واضح فى أمر العباد بعضهم بعضاً: فلا يأمر السيد عبده الأعمى بنقط المصاحف، ويأمره إذا كان قاعداً أن يقوم، ويعلم الفرق بين الأمرين بالضرورة][1].

قوله: «وأفعال العباد خلق الله...».

سؤال: اذكر منهج واعتقاد أهل السنة فى خلق أفعال العباد؟

جواب: قال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهى مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه تعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه. فالجبرية غلوا فى إثبات القدر، فنفوا صنع العبد أصلا، والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أرادأ من المجوس، من حيث إن المجوس أثبتت خالقين، وهم أثبتوا خالقين!!

فكل دليل صحيح يقيمه الجبرى، فإنما يدل على أن الله خالق كل شئ، وأنه على كل شئ قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل فى الحقيقة ولا مريد ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش، وهبوب الرياح، وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيمه القدرى، فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى، وإنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دل عليه

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما فى الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

سؤال: ما هى الأدلة على خلق الله لأفعال العباد؟

جواب: من الأدلة على خلق الله لأفعال العباد قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الرعد:١٦]. أى: الله خالق كل شئ مخلوق، فدخلت أفعال العباد فى عموم «كل». وقال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[الصافات:٩٦]. وقال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ [الشمس:٧ ـ ٨]. فقوله: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ إثبات للقدر بقوله: فألهمها، وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هى الفاجرة والمتقية، وقوله بعد ذلك: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[الشمس:٩ ـ ١٠]. إثبات أيضا لفعل العبد، ونظائر ذلك كثيرة.

سؤال: ما هى أدلة الجبرية على أن التدبير فى أفعال العباد كلها لله، وهى كلها اضطرارية، وإضافتها للخلق مجاز؟

جواب: [كان مما استدلت به الجبرية على دعواهم ما يأتى: قوله تعالى: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾[الأنفال:١٧]. فنفى عن نبيه الرمى، وأثبته لنفسه ـ عز وجل، فدل على أنه لا صنع للعبد. وأن الجزاء غير مترتب على الأعمال بدليل: قوله ﷺ: «**لن يدخل أحد الجنة بعمله**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل**»](١)(٢).

سؤال: كيف ناقش أهل السنة حجج الجبرية؟

جواب: [نوقش استدلال الجبرية بالآية الكريمة على ما ذهبوا إليه من الجبر: بأن الآية تشهد عليهم لا لهم فإنه تعالى أثبت لنبيه رمياً بقوله: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ**﴾ فعلم أن المثبت غير المنفى، وذلك لأن الرمى له ابتداء وهو الحذف وله انتهاء وهو الإصابة، وكل منهما رمى، فيكون المعنى ـ والله أعلم ـ وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب. ، وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت، وما صمت إذ صمت، وما زنيت إذ زنيت وما سرقت إذ سرقت، وفساد هذا ظاهر.

ونوقش الدليل الثانى: بأن الباء التى فى النفى غير الباء التى فى الإثبات.

فالنفى فى وقوله: « **لن يدخل أحد الجنة بعمله**»(٣) باء العوض، وهو أن يكون العمل: كالثمن

---

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ الصاوى.

(٢) [**صحيح**] أخرجه البخارى (١٠/ ١٣٢/ ٥٦٧٣).

من طريق: الزهري قال أخبرنى أبو عبيد مولى عبدالرحمن بن عوف.

أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: . . . . . الحديث.

(٣) تقدم تخريجه.

لدخول الجنة كما زعمت المعتزلة أن العامل يستحق دخول الجنة عل ربه بعمله ! بل ذلك برحمة الله وفضله.

والمثبت فى قوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾باء السبب، أى بسبب عملكم والله ـ عز وجل خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته](١).

سؤال: وماهى أدلة المعتزلة القائلين: بإن أفعال العباد كلها اختيارية لا تعلق لها بخلق الله؟

جواب: [كان مما استدل به المعتزلة على دعواهم ما يأتى: قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون: ١٤]. أن الجزاء مرتب على الأعمال ترتب العوض:

قال تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧]. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الزخرف: ٧٢]](٢).

سؤال: كيف ناقش أهل السنة حجج المعتزلة؟

جواب: [نوقش الدليل الأول: بأن المراد بالخلق فى هذه الآية هو التقدير، بدليل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر: ٦٢]. أى خالق كل شئ مخلوق، وقد دخلت أفعال العباد كلها فى هذا العموم.

وإن تعجب فعجب: أن يدخل المعتزلة فى هذا العموم كلام الله وهو صفة من صفاته يستحيل عليه أن يكون مخلوقاً، وأن يخرجوا من هذا العموم أفعال العباد التى هى مخلوقة له وداخلة فى هذا العموم حتماً. كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦].

ولا نقول: إن [ما] مصدرية: أى خلقكم وعملكم، إذ سياق الآية يأباه، لأن إبراهيم إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت لا النحت،ولو لم يكن النحت مخلوقا لله تعالى لم يكن المنحوت مخلوقاً له بل الخشب والحجر لا غير. ولا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله، وكون هذا الإحداث وجب وجوده بمشيئه الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧,٨].

فقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾إثبات للقدر، وقوله: ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾إثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم: أنها هى الفاجرة، وهى التقية.

أما الدليل الثانى من أدلة المعتزلة: فقد أجيب عنه ضمن مناقشة الدليل الثانى من أدلة الجبرية](٣).

---

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى. (٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

شبهات وجوابها:

سؤال: فإن قيل كيف يعذب الله المكلفين على ذنوبهم،وهوخلقها فيهم ؟ فأين العدل فى تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم؟! بما نرد على ذلك؟

جواب: [قلنا: هذا سؤال لم يزل مطوقا فى العالم على ألسنة الناس،وعنه تفرقت بهم الطرق.

والجواب الصحيح أن يقال: إن ما يبتلى به العبد من الذنوب وإن كانت خلقًا لله تعالى، فهى عقوبة له على ذنوب قبلها فالذنب يكسب الذنب، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها، فالذنوب كالأمراض يورث بعضها بعضاً][1]!!

سؤال: فإن قيل: فماذا عن الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب؟ بماذا نرد على ذلك؟

جواب: [قلنا: هو عقوبة على عدم فعل ما خلق لأجله وفطر عليه، وهو عبادة الله وحده، ومحبته وتأليهه والإنابة إليه. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[الروم: ٣٠].

فلما لم يفعل ذلك عوقب بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصى، فيكون جعله مذنباً فى هذه الحالة عقوبة له على عدم خلوص قلبه من تأليه ما سوى الله ومحبته وإرادته][2].

سؤال: فإن قيل: فهذا العدم من خلقه فيه بما نجيب؟

جواب: [قلنا: سؤال فاسد، فإن عدم الفعل ليس أمراً وجودياً حتى يضاف إلى الفاعل، بل هو شر محض، والشر ليس إليه عز وجل: «**والشر ليس إليك**»][3][4].

سؤال ٣٢٥: فإن قيل: إن كان هذا الترك أمراً وجودياً عاد السؤال جذماً، وإن كان أمراً عدمياً فكيف يعاقب على العدم المحض؟ بما نرد عليهم؟

جواب: [قلنا: إن العدم هنا هو محض خلوها مما هو أنفع شئ لها، والعقوبة عليه هى بفعل السيئات، لا بالعقوبة التى تنالها بعد إقامة الحجة بالرسل. فالله فيه عقوبتان:

(١) جعله مذنباً خاطئاً، وهذه عقوبة عدم إخلاصه لله، وهذه قد لا يحس بألمها ومضرتها لموافقها لشهوته، وهى فى الحقيقة من أعظم العقوبات.

(٢) العقوبات المؤلمة بعد فعل السيئات.

وقد فرق الله بينهما فى قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٤٤]. فهذه هى العقوبة الأولى. ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]. فهذه هى العقوبة الثانية][5].

---

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.
(٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.
(٥) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

سؤال : فإن قيل: كان يمكنهم أن يأتوا بالإخلاص من غير أن يخلق ذلك فى قلوبهم كيف نجيب على ذلك؟

جواب : [قيل: لا، بل هو محض منته وفضله][1].

سؤال : فإن قيل: فإذا لم يخلقه فى قلوب البعض، ولم يوفقوا إليه ولا سبيل لهم إليه بأنفسهم عاد السؤال كما كان، وكان منعهم منه ظلماً، ولزمكم القول: بإن العدل هو تصرف المالك فى ملكه بما يشاء، بما نرد على ذلك؟

جواب : [قيل: لا يكون بمنعهم من ذلك ظالما، فالظلم هو من يمنع غيره حقا وجب لذلك الغير عليه وهذا هو الذى حرّمه الرب على نفسه، أما إذا منع غيره ما ليس بحق له لم يكن ظالما بمنعه، فمنع الحق ظلم ومنع الفضل عدل، وهو سبحانه العدل فى منعه، المحسن المنان بعطائه][2].

سؤال : فإن قيل: لما يتفضل على هذا ولم يتفضل على الآخر اجب عن هذه الشبهة؟

جواب : [قيل: قد تولى الله الجواب: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾[الجمعة: ٤]. ولما سأل اليهود والنصارى عن تخصيص هذه الأمة بأجرين، وإعطائهم أجرهم قال: «**هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلى آويته من أشاء**».

وعندما استشكل المشركون هذا التخصيص، قالوا: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾. قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]. فالله أعلم بالمحل الذى يصلح لغرس شجرة النعمة فتثمر الشكر من المحل الذى لو غرست فيه لم تثمر فكان غرسها فى الثانى ضائعاً لا يليق بالحكمة. وليس من الحكمة إطلاع كل فرد من الناس على كمال حكمته فى إعطائه ومنعه، بل إذا كشف لعبد عن جزء يسير من حكمته استدل بما علمه على ما لم يعلمه][3].

سؤال : فإن قيل: فإذا حكمتم باستحالة الإيجاد من العبد فإذا لا فعل له أصلا اجب عن ذلك؟

جواب : [قيل: بل هو فاعل لفعله حقيقة كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأفعاله نوعان:

(١) اضطرارية كحركات المرتعش، وهذه تكون صفة له ولا تكون فعلاً.

(٢) إختيارية، فتوصف بكونها صفة وفعلاً وكسباً للعبد. والله تعالى هو الذى جعل العبد فاعلا مختاراً، ولهذا أنكر السلف الجبر، لأنه لا يكون إلا من عاجز، والله لا يوصف بالجبر بهذا الإعتبار، لأنه سبحانه خالق الإرادة والمراد قادر على أن يجعله مختاراً بخلاف غيره، ولهذا جاء فى لفظ الشارع: الجبل دون الجبر: قال ﷺ لأشج عبد القيس: «**إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم،**

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى. (٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.
(٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

ولمْ يُكلِّفهُم الله تعالى إلاَّ مَا يُطيقُونَ ، ولَايُطيقُونَ إلا مَا كلَّفَهمُ وَهو تفْسيرُ: «لَا حَوْل وَلا قُوَّة إلَّا بالله». نقول: لا حيلَة لأحَد، ولا حركَةَ لأحَد عَنْ مَعْصيَة الله إلاَّ بمَعُونَة الله، وَلاَ قُوَّة لأحَد على إقامة طَاعَة الله والثَّبَات إلا بتَوْفيق الله تعالى.

والأناة». فقال أخلقين تخلقت بهما ؟ أم خلقين جبلت عليهما؟ فقال: «بل خلقان جبلت عليهما». فقال: الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله تعالى»[1]. والله تعالى إنما يعذب العبد على فعله الاختيارى، والفرق بين العقاب على الفعل الاختيارى وغير الاختيارى مستقر فى الفطر والعقول][2].

سؤال : فإن قيل: خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم؟! بما نرد عليهم؟

جواب : [قيل: هذا بمنزلة أن يقال: خلق أكل السم ثم حصول الموت به ظلم، فكما أن هذا سبب الموت فهذا سبب العقوبة][3].

سؤال : ما هى المحصلة والنتيجة المترتبة على عرض هذه الإشكالات؟

جواب : الحاصل: أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله، ليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق.

وإلى هذا المعنى أشار الشيخ بقوله: [وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد]، أثبت للعباد فعلا وكسباً، وأضاف الخلق إلى الله. والكسب هو الفعل الذى يعود على فاعله منه نفع أو ضرر. قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة: ٢٨٦]][4].

قوله «ولم تكلفهم الله تعالى مالا يطيقون...».

سؤال : اذكر اختلاف الناس فى التكليف بما لا يطاق؟ وما هو منهج أهل السنة فى ذلك مدللاً على ذلك؟

جواب : [ذهب أهل السنة إلى امتناع التكليف بما لا يطاق. قال تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. وإليه أشار الشيخ بقوله: [ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون].

أما قوله تعالى للملائكة: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١]، مع عدم علمهم بذلك، وقوله للمصورين: «أحيوا ما خلقتم»[5]، وأمثال ذلك فهو خطاب تعجيز وليس خطاب تكليف.

---

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (١/ ١/ ١٨٨، ١٨٩ ـ النووى)، والترمذى (٤/ ٣٦٦/ ح٢٠١١) وابن حبان فى «صحيحه» (٩/ ١٦٦/ ح٧١٦٠ ـ الإحسان) جميعًا من طريق: قرة بن خالد، عن أبى حمزة، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما. انظر رياض الصالحين (ح٦٣٣) بتخريجنا.

(٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى. (٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٤) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٥) [صحيح] أخرجه مسلم فى اللباس (٧/ ٣٣٧/ ٩٦) عن عائشة رضى الله عنها به انظر كتابنا «مغنى المريد» (٨/ ٣١٤٤).

أما دعاء المؤمنين فى قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾[البقرة:٢٨٦]. أى لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه، وإن كنا مطيقين له على تجشم وتحمل مكروه، كما تقول للرجل الذى تبغضه لا أطيق النظر إليك، وأنت مطيق لذلك لكنه يثقل عليك، ذكره ابن الأنبارى.

* وذهب أبو الحسن الأشعرى إلى جواز التكليف بما لا يطاق عقلا، واختلف أصحابه فى وقوعه شرعاً. واحتج من قال بوقوعه شرعاً بأمر أبى لهب بالإيمان، وقد أخبر تعالى أنه لا يؤمن. قال تعالى: ﴿**سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾[المسد:٣]. فكان مأمورا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن! وقد أجيب عن هذا بأننا لا نسلم بأنه مأمور بأن يؤمن بأنه لا يؤمن، والاستطاعة التى بها يقدر على الإيمان كانت حاصلة، فما كان عاجزا عن تحصيل الإيمان، وما كلف إلا ما يطيقه. ومنهم من يقول: يجوز التكليف بالممتنع عادة دون الممتنع لذاته، لأنه لايتصور وجوده، فلا يعقل الأمر به. ومنهم من يقول: ما لا يطاق للعجز عنه لا يجوز التكليف به، أما ما لا يطاق للإشتغال بضده فإنه يجوز التكليف به. هؤلاء موافقون للسلف فى المعنى، إلا أن جعل ما يتركه العبد لا يطاق لكونه مشتغلا بضده بدعة فى الشرع واللغة، فإن مضمونه أن كل من لم يفعل فإنه لا يطيقه، وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف.

وقد يحتج هؤلاء بمثل قوله تعالى: ﴿**مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾[هود:٢٠]. وقوله: ﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾[الكهف:٦٧].

ولكن المراد بالآية الأولى أن هؤلاء لبغضهم الحق وثقله عليهم ـ إما حسداً، أو اتباعاً للهوى ـ لايستطيعون السمع، لا لعجزهم عنه.

أما الآية الثانية فالمراد بها أن موسى عليه السلام لا يستطيع الصبر لما يرى من مخالفة ظاهر الشرع، وليس عن عجز منه عن ذلك. وهذه لغة العرب وسائر الأمم، فمن يبغض غيره يقول: إنه لا يستطيع الإحسان إليه، ومن يحبه يقول: إنه لا يستطيع عقوبته، لشدة محبته لا لعجزه عن عقوبته. والله عز وجل لو لم يأمر العباد إلا بما يهوونه لفسدت السماوات والأرض. قال تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ**﴾[المؤمنون:٧].

وقول الشيخ رحمه الله تعالى:[ولا يطيقون إلا ما كلفهم به] أى ولا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه وفى عبارة الشيخ إشكال، لأن التكليف لا يستعمل بمعنى الإقدار بل بمعنى الأمر والنهى، وهو قال: [لا يكلفهم إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم به]. ظاهره أنه يرجع إلى معنى واحد ولا يصح ذلك، لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به، ولكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف، فلو زاد فيما كلفنا به لأطقناه، ولكنه تفضل علينا وخفف عنا. قال تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ**﴾ [النساء:٢٨].

وَكُلُّ شَيْءٍ يجْرِى بِمَشيئَةِ اللهِ تَعَالى وعِلمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدرِهِ.

ويجاب عن هذا الإشكال بأن المراد الطاقة التى من نحو التوفيق، لا من جهة التمكن وسلامة الآلات، ولكن لا تخلو العبارة من قلق. و[لا حول ولا قوة إلا بالله] دليل على إثبات القدر، قد فسرها الشيخ بعدها](١).

قوله «وكل شئ يجرى بمشيئة الله تعالى....».

سؤال : أشرح قول المصنف «وكل شئ يجرى بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره»؟

جواب : يريد بقضائه القضاء الكونى لا الشرعى، فإن القضاء يكون كونيا وشرعيا، أما القضاء الكونى، ففى قوله تعالى: ﴿ **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾[فصلت: ١٢]. والقضاء الدينى الشرعى، فى قوله تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾[الإسراء: ٢٣].

الذى دل عليه القرآن تنزيه الله عن ظلم العباد، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا**﴾[طه: ١١٢]. ﴿**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[ق: ٢٩]. وقال: ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ**﴾[الزخرف: ٧٦]. وقال: ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[الكهف: ٤٩]. وقال: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[غافر: ١٧].

وعن النبى ﷺ قال: «**إن الله لو عذَّب أهل سماواته وأرضه، لعذبهم وهوغير ظالم لهم،ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم**»(٢).

قال أبو بصير:

إشكال وجوابه:

سؤال : كيف التوفيق بين الحديث وبين أن المؤمن لا يخاف ظلماً ولا هضماً ولا يضيع شئ من حسناته؟

جواب : فالجواب: إذا حجب الله عونه وتوفيقه عن عباده وتركهم لأنفسهم، وقعوا حينها فى التقصير وارتكبوا المعاصى والذنوب، فاستحقوا بذلك العذاب والعقاب، وهذا تمام العدل، فإن عفا عنهم فهو فضل منه ومنة ورحمة، ثم أن المؤمن إذ آمن وعمل الصالحات، فهو بتوفيق الله وهدايته له، فإيمانه وفعله للخيرات، وعفو الله عن زلاته يوم القيامة، كل ذلك عائد إلى رحمة الله وفضله، وهذا زائد عن العدل. ثم إن الإنسان لو قابل جميع حسناته ـ التى هى من فضل الله ورحمته ـ مع

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى. (٢)سيأتى تخريجه ص ٢٤٥ هامش (١).

غَلَبَتْ مَشِيئَتُه المَشيئَات كُلَّها، وغَلَبَ قَضاؤه الحِيلَ كُلَّها.

ما تفضل الله عليه من النعم والخيرات، لأدرك مدى تقصيره، ولعلم أنه لو ظل طيلة حياته ساجدا لله عز وجل لما وفى شكر نعمة البصر والسمع، فكيف بك بنعمة الإيمان وبقية النعم التى يصعب حصرها.. لذا فالسلامة أن ينشد العبد ـ مهما عظمت حسناته ـ رحمة الله وعفوه، فذلك خير له.

سؤال : هل تنقسم هذه الأشياء إلى كونية وإلى شرعية (القضاء، الإرادة، الأمر، والإذن، والكتاب، والحكم، والتحريم، والكلمات)، بين ذلك ؟

جواب : [يريد بقضائه، القضاء الكونى لا الشرعى، فإن كلا من القضاء، والإرادة، والأمر، والإذن، والكتاب، والحكم، والتحريم، والكلمات، ونحو ذلك قد يكون كونيا، وقد يكون شرعياً.

أما القضاء الكونى ففى مثل قوله تعالى: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾[فصلت: ١٢].

والقضاء الدينى الشرعى ففى مثل قوله تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾[الإسراء: ٢٣].

أما الإرادة الكونية ففى مثل قوله تعالى: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا**﴾ [الأنعام: ١٢٥]. والإرادة الشرعية فى مثل قوله تعالى: ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ**﴾ [المائدة: ٦].

أما الأمر الكونى ففى مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[الإسراء: ١٦].

والأمر الشرعى فى مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾[النحل: ٩٠].

أما الإذن الكونى ففى مثل قوله تعالى: ﴿**وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[البقرة: ١٠٢].

والإذن الشرعى فى مثل قوله تعالى: ﴿**مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ**﴾[الحشر: ٥].

أما الكتاب الكونى ففى قوله تعالى: ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ**﴾ [فاطر: ١١]. والكتاب الشرعى فى مثل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾ [البقرة: ١٨٣].

أما الحكم الكونى ففى مثل قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ**﴾[الأنبياء: ١١٢]. والحكم الشرعى فى مثل قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ**﴾[الممتحنة: ١٠].

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ غَيرِ ظَالِمٍ أَبَداً.

أما التحريم الكونى ففى مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[المائدة: ٢٦].

والتحريم الشرعى مثل قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾[المائدة: ٣].

أما الكلمات الكونية ففى مثل قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الأعراف: ١٣٧]. والكلمات الشرعية فى مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[البقرة: ١٢٤][(١)].

تقدم شرح هذه المسألة

سؤال: أشرح قول المصنف (يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً)؟ مدللاً على ما تقول؟

جواب: [الذى دل عليه القرآن من تنزية الله نفسه عن ظلم العباد، يقتضى قولاً وسطاً بين قولى القدرية والجبرية. فليس ما كان من ابن آدم ظلماً وقبيحاً يكون منه ظلماً وقبيحاً، كما يقول القدرية والمعتزلة، فإن ذلك يقتضى تمثيل الله بخلقه، وقياسه عليهم، وهو ظاهر الفساد. وليس الظلم عبارة عن الممتنع الذى لا يدخل تحت القدرة، كما يقوله بعض المتكلمين، يقولون كل ما كان ممكناً مقدوراً لله عز وجل، فلا يكون ظلماً منه إن فعل، لأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهى، وهى باطل للأدلة الآتية:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[طه: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٩]. وقال تعالى فى الحديث القدسى: «**يعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته فيما بينكم محرماً فلا تظالموا**»[(٢)].

ووجه الدلالة فى هذه النصوص: أن الله حرم على نفسه الظلم كما كتب على نفسه الرحمه، وإنما حرم على نفسه وكتب على نفسه ما هو قادر عليه، لا ما هو ممتنع عليه. وأيضاً فإن الإنسان لايخاف الممتنع الذى لا يدخل تحت القدرة حتى يأمن من ذلك وإنما يأمن مما يمكن، فلما آمنه من الظلم بقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ علم أنه ممكن مقدور عليه. وقد فسر السلف الظلم فى قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، بأن توضع عليه سيئات غيره، والهضم: أن ينقص من حسناته. وأنه يلزم

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم (٦/ ١٦/ ١٣٢ ـ النووى، وأحمد فى «مسنده» (٥/ ١٥٤) من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه.
انظر «رياض الصالحين» (ح١١٢ ـ بتخريجنا).

على قولهم ألا يكون الله منزها عن شئ من الأفعال أصلا ولاحقيقة للفعل السوء، بل ذلك ممتنع، والممتنع لا حقيقة له، والقرآن يدل على نقيض ذلك، فقد نزه الله نفسه عن فعل ما لا ينبغى له، فعلم أنه منزه عن فعل السوء، والفعل المعيب المذموم، كما أنه منزه عن وصف السوء والوصف المعيب المذموم. قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾[المؤمنون: ١١٥]. فنزه نفسه عن خلق الخلق عبثا، وأنكر على من حسب ذلك. وقال تعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[القلم: ٣٥، ٣٦]. فأنكر على من جوز عليه أن يسوى بين هذا وهذا.

عذابه عدل، ورحمته فضل

روى أبو داود، والحاكم فى المستدرك من حديث ابن عباس، وعبادة بن الصامت، وزيد بن ثابت عن النبى ﷺ: «**لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم**»(١).

احتج الجبرية بهذا الحديث على مذهبهم الفاسد، وتلقاه القدرية إما بالتكذيب وإما بالتأويل(٢).

وكان أسعد الناس به أهل السنة الذين قابلوه بالتصديق، وعلموا من عظمة الله وجلاله قدر نعمه على خلقه وعجزهم عن القيام بشكرها كما ينبغى، كما علموا عظيم حقه على خلقه من أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وأن يكون القلب عاكفا على إفراده بالمحبة والتألية، واللسان محبوساً على ذكره، والجوارح وقفاً على طاعته.

رأوا ذلك ففقهوا كيف أن الله عز وجل لو وضع عدله على أهل سماواته وأرضه لعذبهم بعدله، ولم يكن ظالما لهم، فلا يسع الخلائق إلا عفوه ورحمته عز وجل. وقال ﷺ «**لن ينجى أحداً منكم عمله**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل**»(٣)(*).

سؤال: (الله تعالى حرم على نفسه الظلم وهوقادر عليه) بين ذلك؟

جواب: جاء فى الحديث القدسى: «**يعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم**

---

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٥/ ١٨٩)، وأبو داود (٤/ ٢٢٤/ ٤٦٩٩) من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه.

(٢) ومنشأ الفساد فى المذهبين: أن الجبرية فهمت طلاقة المشيئة الإلهية أنها مجردة عن الحكمة والعدل والرحمة، مع أن الله تعالى يتصف بهذه الصفات جميعاً بلا تعارض بينها. والقدرية فهمت من جريان أحكام الله عز وجل وفق سنن ثابتة عادلة أن ذلك واجب عليه لايستطيع تغييره، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً. فأولئك غفلوا عن الحكمة والعدل وهؤلاء غفلوا عن المشيئة والإرادة. والله أعلم.

(٣) تقدم تخريجه. (*) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

وفى دُعَاءِ الأحْيَاءِ ، وَصَدَقَاتِهِم منفعةٌ للأمْوَاتِ.

محرما، فلا تظّالموا»[1]. أخبر أنه حرمه على نفسه، كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة، وإنما حرم على نفسه وكتب على نفسه ما هو قادر عليه لا ما هو ممتنع.

قال أبو بصير: الظلم يعد من المثالب والعيوب، وصفات النقص، والله تعالى منزه عن كل ذلك. ومن الإطلاقات الخاطئة عند كثير من عوام الناس، قول أحدهم لمن ظلمه: الله يظلمك مثل ما ظلمتنى..! اهـ.

سؤال: بين معنى هذه العبارة(الله تعالى منزة عن العبث والوصف المعيب المذموم)؟

جواب: الله تعالى منزه مقدس عن فعل السوء، والفعل المعيب المذموم، كما أنه منزه مقدس عن وصف السوء والوصف المعيب المذموم، كما قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾[المؤمنون:١١٥]. فإنه نزه نفسه عن خلق الخلق عبثاً، وأنكر على من حسب ذلك، وهذا فعل، وقوله تعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**﴾[القلم:٣٥]. ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾[ص:٢٨]. إنكار منه على من جوز أن يسوى الله بين هذا وهذا. وكذا قوله: ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾[الجاثية:٢١]. إنكار على من حسب أنه يفعل هذا، وإخبار أن هذا حكم سئ قبيح، وهو مما ينزه الرب عنه.

قوله: «وفى دعاء الأحياء».

اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعى الأحياء، ما تسبب فيه الميت فى حياته، ودعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج، والصوم وغير ذلك.

سؤال: بما ينتفع الميت فيما تسبب إليه فى حياته؟

جواب: ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده**»[2]. رواه مسلم.

سؤال: هل ينتفع الميت بدعاء الآخرين واستغفارهم له؟

جواب: قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾[الحشر:١٠]. فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم. وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سيأتى تخريجه ص (٢٥١) هامش (٤).

إجماع الإمة على الدعاء له فى صلاة الجنازة، والأدعية التى وردت بها السنة فى صلاة الجنازة مستفيضة، وكذا الدعاء له بعد الدفن، فقد كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: **«استغفروا لأخيكم، واسالوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل»**(١).

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم، كما فى «صحيح مسلم». من حديث بريدة بن الحصيب، قال: كان رسول الله ﷺ يعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: **«السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»**(٢).

سؤال: هل يصل ثواب الصدقة للميت؟

جواب: عن عائشة رضى الله عنها: أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمى أفتلتت نفسها، ولم توصى، وأظنها لوتكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: **«نعم»**(٣).

وفى «صحيح البخارى»، عن ابن عباس، أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها، فأتى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أمى توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: **«نعم»**، قال: فإنى أشهدك أن حائطى المخراف صدقة عنها(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٢١٣/ ٣٢٢١) من طريق: هانى مولى عثمان بن عفان قال: كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: ... الحديث.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٧/ ٤٥ ـ النووى)، وأحمد فى «مسنده» (٢/ ٣٠٠) والنسائى (٤/ ٩٤)، وابن ماجه (١/ ٤٩٤/ ١٥٤٧).

من طريق: سفيان عن علقمة بن مرثد عن ابن بريدة عنه.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٣/ ٢٩٩/ ١٣٨٨)، ومسلم (٣/ ٧/ ٨٩، ٩٠ ـ النووى).

من طريق: هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

انظر «نيل الأوطار» (ح١٤٨٩ ـ بتخريجنا).

(٤) [**صحيح**] أخرجه البخارى (٥/ ٤٦٥/ ٢٧٧٠)، والترمذى (٣/ ٤٧/ ٦٦٩)، وأبو داود (٣/ ١١٧/ ٢٨٨٢).

من طريق: عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس.

انظر «نيل الأوطار» (ح١٤٩٠ ـ بتخريجنا).

قال الشيخ ناصر فى كتابه «أحكام الجنائز»: مايفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة، فإن لوالدية مثل أجره، دون أن ينقص من أجره شئ، لأن الولد من سعيهما وكسبهما، الله عز وجل يقول: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**﴾، قال: رسول الله ﷺ: **«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه»**.

قال الشوكانى فى «نيل الأوطار» (٤/ ٧٩): «وأحاديث الباب تدل على أن الصدقة من الولد تلحق الوالدين بعد موتهما بدون وصية منهما، ويصل إليهما ثوابها، فيخصص بهذه الأحاديث عموم قوله تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**﴾. ولكن ليس فى أحاديث الباب إلا لحوق الصدقة من الولد، وقد ثبت أن ولد الإنسان من سعيه فلا حاجة إلى دعوى. التخصيص، وأما من غير الولد فالظاهر من العموميات القرانية أنه لا يصل ثوابه إلى الميت، فيوقف عليها، حتى يأتى دليل يقتضى =

سؤال: هل يصله ثواب الصوم؟

جواب: أما وصول ثواب الصوم، ففي «الصحيحين»، عن عائشة رضى الله عنها، أن رسول الله ﷺ، قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»(١). وله نظائر في «الصحيح». ولكن أبا حنيفة رحمه الله قال: بالإطعام عن الميت دون الصيام عنه، لحديث ابن عباس المتقدم(٢).

= تخصيصها». قلت ـ والكلام للشيخ ـ : وهذا هو الحق الذى تقتضيه القواعد العلمية، أن الآية على عمومها وأن ثواب الصدقة وغيرها يصل من الولد إلى الوالد لأنه من سعيه بخلاف غير الولد. . وذهب بعضهم إلى قياس غير الولد على الولد، وهو قياس باطل من وجوه:

الأول: أنه مخالف للعموميات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿**ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه**﴾، وغيرها من الآيات التى علقت الفلاح ودخول الجنه بالأعمال الصالحة، ولا شك أن الوالد يزكى نفسه بتربيته لولده وقيامة عليه فكان له أجره بخلاف غيره.

الثاني: أنه قياس مع الفارق إذا تذكرت أن الشرع جعل الولد من كسب الوالد كما سبق فى حديث عائشة فليس هو كسباً لغيره، والله عز وجل يقول: ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾ ويقول: ﴿**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾. وقد قال ابن كثير فى تفسير قوله عز وجل: ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾: «أى كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه. ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء».

وقال العز بن عبد السلام فى «الفتاوى» (٢/٢٤): «ومن فعل طاعة لله تعالى، ثم أهدى ثوابها إلى حى أو ميت، لم ينتقل ثوابها إليه، إذ ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾، فإن شرع فى الطاعة ناوياً أن يقع عن الميت لم يقع عنه، إلا فيما استثناه الشرع. .».

وما ذكره ابن كثير عن الشافعي هو قول أكثر العلماء وجماعة من الحنفية، كما نقله الزبيدى فى «شرح الإحياء». (١٠/٣٦٩).

الثالث: أن هذا القياس لو كان صحيحاً، لكان من مقتضاه استحباب إهداء الثواب إلى الموتى، ولو كان كذلك لفعله السلف، لأنهم أحرص على الثواب منا بلا ريب، ولم يفعلوا ذلك كما سبق فى كلام ابن كثير، فدل هذا على أن القياس المذكور غير صحيح، وهو المراد. قال ابن تيمية فى «الإختيارات العلمية» (ص٥٤): «ولم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعًا أو صاموا تطوعاً أو حجوا تطوعاً، أو قرؤوا القرآن يهدون ثواب ذلك إلى أموات المسلمين، فلا ينبغى العدول عن طريق السلف فإنه أفضل وأكمل» ا.هـ

قلت: القول بوصول ثواب الأعمال الصالحة مطلقا إلى الميت، هو مدعاة للتواكل، وإهمال الفرائض والواجبات الشرعية، على أمل من يقوم بها بالنيابة عنه من الأحياء من بعده!!

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٤/٢٢٦، ٢٢٧/١٩٥٢ ـ الفتح)، ومسلم (٨/٢٣ ـ النووى) وأبو داود (٢/٣٢٧/٢٤٠٠) من حديث عائشة رضى الله عنها انظر «عمدة الأحكام» بتخريجنا (١٩٧).

(٢) قال الشيخ ناصر فى كتابه« أحكام الجنائز». (ص:١٧): هذه الأحاديث صريحة الدلالة فى مشروعية صيام الولى عن الميت صوم النذر، إلا أن الحديث الأول ـ وهو حديث عائشة ـ يدل بإطلاقه على=

سؤال : هل يصله ثواب الحج؟

جواب : عن ابن عباس: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: «**نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء**»(١).

سؤال : بما يسقط الدين عن الميت؟

جواب : أجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي، ومن غير تركته، وقد دل على ذلك حديث أبي قتادة حيث ضمن الدينارين عن الميت، فلما قضاهما، قال النبي ﷺ: « **الآن بردت عليه جلدته**»(٢).

=شئ زائد على ذلك وهو أنه يصوم عنه صوم الفرض أيضا. وقد قال به الشافعية، وهو مذهب ابن حزم (٧/ ٢و٨) وغيرهم. وذهب إلى الأول الحنابلة، بل هو نص الإمام أحمد، فقال أبو داود في «المسائل» (٩٦): «سمعت أحمد بن حنبل قال: لايصام عن الميت إلا في النذر». وحمل أتباعه الحديث الأول على صوم النذر، بدليل ما روت عمرة: «أن أمها ماتت وعليها من رمضان، فقالت لعائشة: أقضيه عنها؟ قالت: لابل تصدقي عنها مكان كل يوم نصف صاع على كل مسكين». وعن ابن عباس قال: «إذا مرض الرجل في رمضان، ثم مات ولم يصم، أطعم عنه ولم يكن عليه قضاء، وإن كان عليه نذر قضى عنه وليه». أخرجه أبو داود بسند صحيح على شرط الشيخين.

وهذا التفصيل الذي ذهبت إليه أم المؤمنين، وحبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما، وتابعهما إمام السنة أحمد بن حنبل هو الذي تطمئن إليه النفس، وينشرح له الصدر، هو أعدل الأقوال في هذه المسألة وأوسطها، وفيه إعمال لجميع الأحاديث دون رد لأي واحد منها، مع الفهم الصحيح لها خاصة الحديث الأول منها، فلم تفهم منه أم المؤمنين ذلك الإطلاق الشامل لصوم رمضان، وهي راويته، ومن المقرر أن راوي الحديث أدرى بمعنى ما روى، لاسيما إذا كان ما فهم هو الموافق لقواعد الشريعة وأصولها، كما هو الشأن هنا.

قال ابن القيم في «أعلام الموقعين» (٣/ ٥٥٤): «فطائفة حملت هذا على عمومه وإطلاقه، وقالت: يصام عنه النذر والفرض وأبت طائفة ذلك وقالت: لا يصام عنه نذر ولا فرض وفصلت طائفة فقالت: يصام عنه النذر دون الفرض. وهذا قول ابن عباس وأصحابه، وهو الصحيح، لأن فرض الصيام جار مجرى الصلاة، فكما لا يصلي أحد عن أحد، ولا يُسلم أحد عن أحد، فكذلك الصيام، وأما النذر فهو التزام في الذمة بمنزلة الدين، فيقبل قضاء الولي له كما يقضى دينه، وهذا محض الفقه. وطرد هذا أنه لايحج عنه، ولا يزكى عنه إلا إذا كان معذورا بالتأخير كما يطعم الولي عمن أفطر في رمضان لعذر، فأما المفرط من غير عذر أصلاً فلا ينفعه أداء غيره لفرائض الله التي فرط فيها، وكان هو المأمور بها ابتلاء وامتحاناً دون الولي، فلا تنفع توبة أحد عن أحد، ولا إسلامه عنه، ولا أداء الصلاة عنه ولاغيرها من فرائض الله تعالى التي فرط فيها حتى مات» اهـ

(١) [**صحيح**] أخرجه البخاري (٤/ ٧٧/ ١٨٥٢).

من طريق: أبي بشر عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن امرأة ... الحديث.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٨) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه وقال «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتمام الحديث: عن جابر بن عبدالله قال: مات رجل منا فغسلناه وكفناه=

سؤال: هل يجوز ويجزىء قراءة القرآن على الميت؟

جواب: أما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعا بغير أجرة، فهذا يصل إليه، كما يصل ثواب الصوم والحج[1].

[فإن قيل: لم يكن معروفا عند السلف، ولا أرشدهم إليه ﷺ قيل: ليس كون السلف لم يفعلوه حجة فى عدم الوصول، ومن أين لنا هذا النفى العام؟

أما كونه ﷺ أرشد إلى الصوم والحج دون القراءة، فإنه ﷺ لم يبتدئهم بذلك بل خرج مخرج الجواب لهم، فهذا سأله عن الحج عن ميته فأذن له فيه وهذا سأله عن الصوم فأذن له فيه، ولم يمنعهم مما سوى ذلك.

وأى فرق بين وصول ثواب الصوم الذى هو مجرد إمساك ونية، وبين وصول ثواب القراءة وهى فعل ونية؟!](*)[2].

وأما استئجار قوم يقرؤون القرآن، ويهدونه للميت، فهذا لم يفعله أحد من السلف[3]، ولا أمر به أحد من أئمة الدين، ولا رخص فيه، والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف.

[والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله، وهذا لم يقع عبادة خالصة، فلا يكون له من الثواب ما يهدى إلى الموتى، ولهذا لم يقل أحد أنه يكترى من يصوم ويصلى ويهدى ثواب ذلك

= وحنطاه، ووضعنا لرسول الله ﷺ حيث توضع الجنائز عند مقام جبريل، ثم آذنا رسول الله ﷺ بالصلاة عليه، فجاء معنا خطئ، ثم قال: «**لعل على صاحبكم دينا؟**» قالوا: نعم ديناران، فتخلف، فقال له رجل منا يقال له أبو قتادة: يارسول الله هما علىّ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**هما عليك وفى مالك، والميت منها برئ**». فقال: نعم، فصلى عليه، فجعل رسول الله ﷺ إذا لقى أبا قتادة يقول: «**ما فعل الديناران؟**» حتى كان آخر ذلك، قال: قد قضيتها يا رسول الله، قال: «**الان بردت عليه جلده**».

(١) هذا القياس باطل من وجهين: الأول، أنه يُحَمِّل الأحاديث التى تدل على وصول ثواب الصوم والحج للميت ما لايحتمل. والثانى: أن الصحابة - وهم قدوتنا - لم يسبقونا إلى هذا القياس فهماً وعملاً، ونحن يكفينا ما كفاهم. ثم أن تلاوة القرآن ووهب ثوابها للأموات - فى نظر المجيزين - هى عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، فلو كانت كذلك لبينها لنا النبى ﷺ بنص صريح، كما فى قوله: «**ما تركت شيئا يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، وما تركت شيئا يبعدكم عن الله ويقربكم من النار، إلا وقد نهيتكم عنه**». فإن قيل لم يرد حديثا ينهى عن إهداء ثواب تلاوة القرآن للأموات، قيل: بلى، فقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «**من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد**». فالأصل فى العبادات المنع والحظر ما لم يرد نص يأمر أو يجيز، بخلاف الأمور الدنيوية البحتة، فإن الأصل فيها الإباحة ما لم يرد نص على التحريم. والشارح قد استدل ببعض الآثار لا يصح سندها، كما أشار إلى ذلك الشيخ، ونحن تعهدنا أن لا نثبت فى هذا التهذيب إلا ما يصح من جهة سنده ومتنه، الذى به تقوم الحجة.

(*)، (٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٣) كما استدل الشارح على بطلان الاستئجار بعدم فعل السلف، يستدل على بطلان إهداء ثواب التلاوة بعدم فعل السلف.

إلى الميت، وفى الإختيارات: لو أوصى بأن يعطى شيئا من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره فالوصية باطلة لأنه فى معنى الأجرة.

أما إذا أعطى لمن يقرأ القرآن ويعلمه ويتعلمه معونة لأهل القرآن على ذلك كان هذا من جنس الصدقة عنه فيجوز](١).

سؤال: ما حكم قراءة القرآن عند القبور؟

جواب: [اختلف العلماء فى قراءة القرآن عند القبور:

فقال: بكراهتها أبو حنيفة ومالك وأحمد فى رواية لأنه محدث لم ترد به السنة ولأن القراءة تشبه الصلاة، والصلاة عند القبور منهى عنها](٢).

سؤال: ما حكم الإهداء إلى رسول الله ﷺ ؟

جواب: [أما الإهداء إلى رسول الله ﷺ فمن المتأخرين من استحبه، ومنهم من رآه بدعة، لأن الصحابة لن يكونوا يفعلونه، ولأن النبى ﷺ له مثل أجر كل من عمل من أمته خيراً، لأنه هو الذى دلهم على ذلك من غير أن ينقص ذلك أجورهم شيئاً](٣).

سؤال: مامعنى قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾؟

جواب: أجاب العلماء بأجوبة: أصحها جوابان(*):

أحدهما: أن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير، وتودد إلى الناس، فترحّموا عليه، ودعوا له، وأهدوا له ثواب الطاعات، فكان ذلك أثر سعيه، بل دخول المسلم مع جملة المسلمين فى عهد الإسلام من أعظم الأسباب فى وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه فى حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم.

الثانى: أن القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره، وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين من الفرق ما لا يخفى، فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه، وأما سعى غيره، فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه.

وأما استدلالهم بقوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله**»(٤). فاستدلال ساقط، فإنه لم يقل انقطع انتفاعه، وإنما أخبر عن انقطاع عمله، وأما عمل غيره، فهو لعاملة، فإن وهبه له، وصل إليه ثواب عمل العامل لاثواب عمله هو، وهذا كالدين يوفيه الإنسان عن غيره، فتبرأ ذمته، ولكن ليس له ما وفى به الدين.

---

(١)، (٢)، (٣) «تهذيب الطحاوية» د/ الصاوى.

(*) انظر كتاب «الروح» (ص١٥٧ ـ ١٥٨)، لابن القيم.

(٤) [صحيح] أخرجه مسلم (٤/ ١١/ ٨٥ ـ النووى)، وأحمد (٢/ ٣. ٣٧٢)، وأبو داود (٣/ ١١٧/ ح٢٨٨٠). جميعاً من طريق: إسماعيل بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه انظر «رياض الصالحين» بتخريجنا.

«واللهُ تعالى يَسْتَجيبُ الدَّعوات، ويَقْضى الحاجات».

سؤال: هل الدعاء من أسباب جلب المنافع ودفع المضار؟

جواب: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]. ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. والذى عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل: أن الدعاء من أقوى الأسباب فى جلب المنافع، ودفع المضار، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر فى البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه، أو قاعداً، أو قائماً. وإجابة الله لدعاء العبد، مسلماً كان أو كافراً، وإعطاؤه سؤله، من جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقاً. ثم قد يكون ذلك فتنة فى حقه ومضره عليه، وإذ كان كفره وفسوقه يقتضى ذلك.

[وإجابة الله لدعاء العبد، مسلماً كان أو كافراً، من جنس رزقه لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقاً، ثم قد يكون ذلك فتنة فى حقه إذ كان كفره وفسوقه يقتضى ذلك][1].

سؤال: هل يغضب الله على من لا يسأله.؟

جواب: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عليه»[2]. وقد نظم بعضهم هذا المعنى، فقال:

الرب يغضب إن تركت سؤاله ... وبنى آدم حين يُسأل يغضب

سؤال: اذكر المعانى المستخلصة من ندب الله تعالى إلى الدعاء؟

جواب: الوجود، فإن من ليس بموجود لايدعى.

الثانى: الغنى، فإن الفقير لايدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لايدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لايدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسى لايدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجزلايدعى.

سؤال: التعلق بالأسباب شرك، والأعراض عنها نقص فى العقل وقدح فى الشرع وضح ذلك؟

---

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) أخرجه الترمذى فى «سننه» (٥/ ٤٥٦/ ٣٣٧٣).

من طريق: أبى المليح عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... الحديث».

جواب: مما ينبغى أن يعلم أن الإلتفات إلى الأسباب شرك فى التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً، نقص فى العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع، ومعنى التوكل والرجاء، يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع.

وبيان ذلك: أن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه، ورجاؤه، والإستناد إليه، وليس من المخلوقات ما يستحق هذا، لأنه ليس بمستقل، ولابد له من شركاء وأضداد، ومع هذا كله فإن لم يسخره مسبب الأسباب لم يسخر.

سؤال: استجابة الدعاء تكلم عن كيفيته بشئ من التفصيل؟

جواب: يوجد سؤال، وهو: أن من الناس من قد يسأل الله شيئا فلا يعطى، أو يعطى غير ما سأل، فأجيب عنه بأجوبة:

أحدهم: أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقا، وإنما تضمنت إجابة الداعى، والداعى أعم من السائل، وإجابة الداعى أعم من إعطاء السائل.

ولهذا قال النبى ﷺ: «**ينزل ربنا فى كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيقول: من يدعونى فأستجيب له؟من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟**»(١)(٢). ففرق بين الداعى والسائل، وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرق بين العموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر، وهو نوع من السائل، فذكر العام، ثم الخاص، ثم الأخص.

الجواب الثانى: أن إجابة دعاء السائل أعم من إعطاء عين السؤال. كما فسره النبى ﷺ بقوله: «**ما من رجل يدعو الله بدعوة ليست فيها إثم ولا قطيعة رحم إلاأعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها**»، قالوا: يا رسول الله إذا نكثر، قال: «**الله اكثر**»(٣).

---

(١) وصفة النزول لربنا سبحانه تعالى الوارادة فى الحديث، هى حق نؤمن بها من غير تأويل، ولا تعطيل، أو تشبيه، فهو نزول يليق بجلال عظمته، وعظيم كبريائه. والغاية من الحديث حث النفوس للنهوض فى الثلث الأخير من الليل، ليعبدوا الله تعالى فى الدعاء والطلب، والرجاء. ثم هو شعور ما أعظمه، فالله تعالى بعظمته وكبريائه وجلاله، وصفاته العليا ينزل إلى السماء الدنيا ليقول لعبده الضعيف الفقير المحتاج، قم من فراشك فاسأل لأعطيك، وادعو لأجيبك...

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١١/ ١٣٣/ ٦٣٢١)، ومسلم (٣/ ٢٩٢/ ١٦٨)، وأبو داود (٤٧٣٣)، وابن ماجه (١٣٦٦)، والترمذى (٣٤٩٣) كلهم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٣) [**صحيح**] أخرجه أحمد (٣/ ١٨)، والبخارى فى «الأدب المفرد» (٧١٠) والطحاوى فى«مشكل الآثار» (١/ ٣٧٥)، وأبى نعيم فى «الحلية» (٦/ ٣١١) كلهم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وصححه الحاكم (١/ ٤٩٣) ووافقه الذهبى انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والمسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطة، وانتفت موانعه، حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره.

فإذا كان الدعاء فى نفسه غير صالح، أو الداعى لم يجمع بين قلبه ولسانه فى الدعاء، أوكان ثم مانع من الإجابة، لم يحصل الأثر.

سؤال: هل أثر الداعى فى ربه حتى أعطاه؟

إذا كان إعطاء الله معللاً بفعل العبد، هل يكون السائل قد أثر فى المسئول حتى أعطاه؟

جواب: [الجواب: إن الله هو الذى حرك العبد إلى هذا الدعاء، وجعله سبباً للخير الذى يعطيه إياه، فكما وفق إلى التوبة، ثم قبلها، ووفق للعمل الصالح، ثم أثابه عليه - فهو الذى وفق للدعاء ثم أجابه. فلم يؤثر فيه شئ من المخلوقات - بل هوجعل ما يفعله سببا لما يفعله.

* قال عمر: إنى لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء(١).

* قال مطرف بن عبد الله: نظرت فى هذا الأمر، فوجدت مبدأه من الله، وتمامه على الله، ووجدت ملاك ذلك الدعاء.

* وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]. فأخبر سبحانه أنه يبتدئ بتدبير الأمر، ثم يصعد إليه الأمر الذى دبره.](١).

سؤال: كيف ترد على هذه الشبهة؟

وذهب قوم من المتفلسفة وغالية المتصوفة، إلى أن الدعاء لا فائدة فيه، لأن المشيئة إذا كانت قد اقتضت وجود المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء، وإن لم تقتضيه فلا فائدة فى الدعاء!

جواب: [وقولهم هذا معلوم الفساد بضرورة العقل والشرع. والجواب عنه: أن ثم قسما ثالثاً، وهو أن ما تقتضيه بشرط لا تقتضيه مع عدمه، وقد يكون الدعاء من شرطه، كما توجب الثواب مع العمل الصالح ولا توجبه مع عدمه، كما توجب الشبع والرى عند الأكل والشرب، ولا توجبه مع عدمهما، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء، لم يصح أن يقال لا فائدة فى الدعاء، وكما لا يقال لافائدة فى الأكل والشراب وسائر الأسباب.

وكذلك قولهم: إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء. يرد عليه بأنه قد تكون إليه حاجة من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة أو آجلة، أودفع مضرة أخرى عاجلة أوآجلة، بل لو لم يكن فيه إلا افتقار العبد إلى ربه، ولجوئه إليه، لكفى](٢).

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

سؤال: ما حكم من قال بحق النبى ، أو بحق فلان؟

جواب: [الإستشفاع بالنبى، وغيره، فى الدنيا، إلى الله تعالى فى الدعاء فيه تفصيل: فإن قال الداعى: بحق فلان. يقسم على الله بأحد من مخلوقاته، فهذا محذور من وجهين:

* **الأول: أنه أقسم بغير الله**، وهذا لا يجوز، لأن الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز فكيف بالإقسام به على الخالق؟

قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(١).

* **الثانى: اعتقاده أن لأحد على الله حقا، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه الله على نفسه**، كقوله تعالى: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[الروم: ٤٧]. وكقوله ﷺ لمعاذ فى الصحيحين: «**أتدرى ما حق الله على عباده؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدرى ما حق العباد على الله، إذا فعلوا ذلك ؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال : «**حقهم عليه ألا يعذبهم**»(٢).

فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعدة الصادق](٣).

سؤال: إذا كان لا يجوز قول(بحق فلان)، فما الجواب على حديث (أسألك بحق ممشاى هذا وبحق السائلين عليك)؟

جواب: وأما ما روى فى «المسند» عن أبى سعيد عن النبى ﷺ فى قول الماشى إلى الصلاة: «**أسألك بحق ممشاى هذا وبحق السائلين عليك**»(٤). فإن الله عز وجل هو الذى أحق للسائلين أن يجيبهم وللعابدين أن يثيبهم.

وأما الفرق بين قول الداعى بحق السائلين عليك، وبين قوله بحق النبى ﷺ. أن معنى قوله الأول: أنت وعدت السائلين بالإجابة، وأنا من جملتهم فأجب دعائى، وأما الثانى: فلا مناسبة

---

(١) [**إسناده صحيح**] أخرجه أحمد فى «مسنده» (٢/ ٣٤، ٦٩)، وأبو داود (٣/ ٢١٩/ ٣٢٥١)، والترمذى (٤/ ١١٠/ ١٥٣٥).

من طريق: سعد بن عبيدة أن عبدالله بن عمر فذكره.

انظر تمام تخريجه كتابى «مغنى المريد» (٧/ ٢٦٥٤).

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠)، والترمذى (٢٦٤٥) والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٨١) من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٤) [**إسناده ضعيف**] أخرجه ابن ماجه (١/ ٢٥٦/ ٧٧٨)، وأحمد فى «مسنده» (٣/ ٢١).

من طريق: عطيَّة عن أبى سعيد الخدرى.

وإسناده ضعيف لضعف فضيل بن مرزوق وعطية العوفى.

بين قوله بحق فلان، وإجابة دعاء هذا السائل، فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين فأجب دعائى، ولا مناسبة فى هذا ولا ملازمة، بل هو من الإعتداء فى الدعاء، فضلا عن أنه لم ينقل مثل ذلك عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من السلف الصالح، وإنما يوجد مثله فى الحروز والهياكل التى يكتبها الجهال والطرقية. ولهذا كره أبو حنيفة وصاحباه، قول الداعى: أسالك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك وحق البيت الحرام والمشعر الحرام ونحو ذلك بل كره أبو حنيفة ومحمد، قول الداعى: أسألك بمعقد العز من عرشك، ولم يكرهه أبو يوسف لما بلغه، الأثر فيه. وتارة يقول: بجاه فلان، ويقول نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك، ومراده: لأن هؤلاء ذوو وجاهة عندك وشرف، فأجب دعاءنا.

وهذا أيضا محذور، لأنه لو كان هذا هو التوسل الذى كان يفعله الصحابة فى حياته ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون فى حياته بدعائه ﷺ، يطلبون منه الدعاء وهم يؤمّنون، كما فى الاستسقاء وغيره، فلما مات ﷺ، قال عمر ـ لما خرجوا يستسقون ـ : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا. يعنى: بدعائه، وليس المراد: أننا نقسم عليك به، أو نسألك بجاهه عندك، إذ لوكان ذلك مراداً؛ لكان جاهه ﷺ أعظم من جاه العباس.

وتارة يقول: باتباعى لرسولك، ومحبتى له، وإيمانى به، فهذا من أحسن ما يكون من الدعاء والتوسل والاستشفاع. فلفظ التوسل بالشخص فيه إجمال:

* فإن أريد التسبب به لكونه داعياً وشافعاً ـ وذلك إنما يكون فى حياته ـ أو يكون الداعى محبًا ومتبعاً له فذلك حسن مشروع.

* وإن أريد الإقسام به، أوالتوسل بذاته فذلك مكروه ممنوع. وكذلك السؤال بالشىء.

* إن قصد به التسبب به لكونه سبباً، كدعاء الثلاثة الذين سدت عليهم الصخرة باب الغار، بصالح أعمالهم، فانفرجت عنهم، فذلك حسن مشروع، لأن الأعمال الصالحة هى أعظم ما يتوسل به العبد إلى ربه.

* وإن أريد به الإقسام به، فذلك هو المنهى عنه](١).

سؤال: وما الفرق بين الشفاعة عند الله وبين الشفاعة عند البشر؟

جواب: [والحاصل أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر. فالشفيع عند البشر قد شفع الطالب فى طلبه، فأصبح به شفعاً بعد أن كان وتراً، وشفع المطلوب منه. لأن بشفاعته قد صار فاعلاً للمطلوب. والله عز وجل وتر لا يشفعه أحد، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فسيد

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

قولُه: «ويملكُ كلَّ شيء، ولا يَملكُهُ شَيءٌ. ولا غنى عَنِ الله تعالى طرفةَ عينٍ، ومَنِ استغنى عَنِ الله طَرفةَ عينٍ، فقَدْ كَفَرَ، وصارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ»(*).

«واللهُ يَغْضَبُ ويَرْضى، لا كأَحَدٍ مِنَ الورى».

الشفعاء يوم القيامة عندما يسجد بين يدى الله يوم القيامة، ويسأله الشفاعة، يحد الله له حدًا، فيدخلهم الجنة(١)، فالأمر كله لله. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وإذا شفع عنده الشفيع، فقبل شفاعته لم يكن هذا هو المؤثر فيه، كما يؤثر المخلوق فى المخلوق، لأنه سبحانه هو الذى وفق للشفاعة، وأذن بها، وهو الذى أجاب الشفيع وقبل شفاعته، وهو سبحانه الخالق لكل شيء](٢).

سؤال: اشرح قول المصنف ويملك كل شيء ولا يملكه شيء ولا غنى عن الله... إلخ) مدللاً على ما تقول؟

جواب: كذا من حقه سبحانه وتعالى أن يحدد لعباده سياسة الكسب والإنفاق ـ وفق ما أمر وشرَّع ـ فيما استؤمنوا عليه من رزق الله وملكه.. لأن المالك الحقيقى لما بين أيدى الناس هو الله سبحانه وتعالى، يهب الملك لمن يشاء، وينزع الملك ممن يشاء.

أى: من ادعى أنه غنى عن الله عز وجل، فقد كفر. لأنَّ فى دعواه المزعوم قد جعل من نفسه نداً لله عز وجل، حيث إنه وصف نفسه بصفة الربوبية التى هى من خصوصيات الله عز وجل وحده، وبالتالى يكون قد جحد ربوبية الله وفضله عليه، فليحذر الذين غَرَّتهم الحياة الدنيا والمادَّة التى بين أيديهم أن يظنوا أنهم أغنياء عن الله عز وجل.

سؤال: اشرح قول المصنف «والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى» مدللاً؟

جواب: قال تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. وقال تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]. ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]. ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات التى ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذى يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك فى السمع والبصر والكلام وسائر الصفات.

(*) قال أبو بصير والحين: الهلاك.

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (١١/ ٤٢٥/ ٦٥٦٥)، ومسلم (٢/ ٥١/ ٣٢٢).

من طريق: أبى عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال: رسول الله ﷺ... الحديث.

(٢) «تهذيب الطحاوية» د/ الصاوى.

«ونُحبُّ أَصْحابَ رسُول الله ﷺ، ولا نُفْرطُ فى حُبِّ أحد منهمْ، ولا نتبرَّأُ من أَحد منهم. ونُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهم، وبغيرِ الخَيرِ يَذكُرُهُمْ. ولا نَذْكُرهُم إلاَّ بخير. وحُبُّهمْ دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ،

وفى حديث الشفاعة: «إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»(١).

وفى «الصحيحين» عن أبى سعيد الخدرى، عن النبى ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يارب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يارب، وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى، فلا أسخط عليكم بعده أبدا»(٢). فيستدل به على أنه يحل رضوانه فى وقت دون وقت، وأنه قد يحل ثم يسخط، كما يحل السخط ثم يرضى، لكن هؤلاء أحل عليهم رضوانا لا يتعقبه سخط.

[وقول الشيخ: [لا كأحد من الورى] نفى للتشبيه](٣).

سؤال: كيف رد أهل السنة على الجهمية فى نفيهم لهذه الصفات؟

جواب: [نفى الجهمية ومن تابعهم هذه الصفات، وتأولوا الغضب بأنه إرادة الانتقام، والرضا بأنه إرادة الإحسان. وقد رد عليهم بأن هذا نفى للصفة، وقد اتفق أهل السنة أن الله قد يأمر بما يحبه ويرضاه وإن كان لا يريده، ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه وإن كان قد شاءه وأراده. ثم يقال لهذا المتأول: لم تأولت ذلك؟

فإن قال: لأن الغضب غليان دم القلب، والرضا: الميل والهوى، وذلك لا يليق بالله تعالى.

قلنا له: فكذلك الإرادة هى ميل الحى إلى الشىء، أو إلى ما يلائمه ويناسبه.

فإن الحى منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ذلك مفتقر إليه، فإن جاز هذا جاز ذاك، وإن امتنع هذا امتنع ذاك.

فإن قال: الإرادة التى يوصف بها الله مخالفة للإرادة التى يوصف بها العبد، وإن كان كل منهما حقيقة.

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، وأحمد (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦).
وابن أبى عاصم فى السنة (٢/ ٣٧٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩)، وأخرجه الترمذى (٢٥٥٨) وابن منده فى الإيمان (٨١٩) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.
انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٣) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

وبُغْضُهُم كُفْرٌ ونفاقٌ وطُغيانٌ»(*).

قلنا: فكذلك الغضب والرضا وإن كان كل منهما حقيقة، فإن كان ما يقال فى الإرادة يمكن أن يقال فى هذه الصفات فقد وجب ترك التأول لنسلم من التناقض، ونسلم أيضاً من التعطيل، فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بلا موجب حرام. ولا يقال: إن الموجب للصرف هو ما دل عليه العقل إذ العقول متفاوتة.

وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات الله تعالى، فإنه لابد أن يثبت شيئاً لله تعالى على خلاف ما يعهده فيحتج عليه بما أثبته لإلزامه بما نفاه: وإذا كان الجهم ومن وافقه قد نفوا كل ما وصف الله به نفسه من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وقالوا لا يتصف بشىء من ذلك بل هى أمور مخلوقة منفصلة عنه، فإن ابن كلاب ومن وافقه عارضوا هؤلاء وقالوا جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته قديمة أزلية، فلا يرضى فى وقت دون وقت، ولا يغضب فى وقت دون وقت فلا يوصف الله بشىء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلاً إذ لو تعلقت بذلك لكان محلاً للحوادث](١).

---

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(*) وهذا ينقلنا للحديث عن الرافضة الاثنى عشرية أحقد الناس على أهل السنة وأشدهم كرهاً لصحابة رسول الله ﷺ ولمن يترضى عليهم من بعدهم - وأن نبين حكم الإسلام فيهم؟

وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله - كفانا مؤنة الجواب، عندما سُئل عنهم: عمن يزعمون أنهم يؤمنون بالله عز وجل، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، ويعتقدون أنَّ الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ، هو على بن أبى طالب، وأنَّ رسول الله ﷺ نصَّ على إمامته، وأن الصحابة ظلموه ومنعوه حقه، وأنهم كفروا بذلك.

فهل يجب قتالهم؟ ويكفرون بهذا الاعتقاد أم لا؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين. أجمع علماء المسلمين على أن كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة، فإنه يجب قتالهم حتى يكون الدين كله لله.

وقد ثبت عن على فى «صحيح البخارى» وغيره من نحو ثمانين وجهاً، أنه قال: "خير هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر وعمر. وثبت عنه أنه حرق غالية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية. وروى عنه بأسانيد جيدة، أنه قال: لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر، إلا جلدته جلد المفترى.

وهؤلاء الرافضة إن لم يكونوا شرا من الخوارج المنصوصين - أى المنصوص على قتالهم ومروقهم من الدين - فليسوا دونهم، فإنَّ أولئك إنما كفروا عثمان وعلياً وأتباع عثمان وعلى فقط، دون من قعد عن القتال أو مات قبل ذلك. والرافضة كفرت أبا بكر وعمر وعثمان وعامة المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، وكفروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين.

فيكفرون كل من اعتقد فى أبى بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة، أو ترضى عنهم كما رضى الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولهذا يكفرون أعلام الملة، مثل: سعيد بن المسيب، وأبى مسلم الخولانى، وأويس القرنى، وعطاء بن أبى رباح، وإبراهيم النخعى، ومثل مالك والأوزاعى وأبى حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن أبى سلمة، والثورى، والشافعى، أحمد بن=

= حنبل، وفضيل بن عياض، وأبى سليمان الدارانى. . ويستحلون دماء من خرج عنهم، ويرون فى أهل الشام ومصر والحجاز والمغرب واليمن والعراق والجزيرة وسائر بلاد الإسلام أنه لا يحل نكاح هؤلاء ولا ذبائحهم، وأنَّ المائعات التى عندهم من المياه والأدهان وغيرها نجسة، ويرون أنَّ كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى لأن أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلى.

ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين، فيعاونون التتار على الجمهور، وهم كانوا من أعظم الأسباب فى خروج جنكيز خان ملك الكفار، إلى بلاد الإسلام وفى قدوم هولاكو إلى بلاد العراق، وفى أخذ حلب، ونهب الصالحية. وبهذا السبب يقطعون الطرقات على المسلمين، والكآبة الشديدة بانتصار الإسلام ما ظهر، وكذلك لما فتح المسلمون الساحل ـ عكة وغيرها ـ ظهر فيهم من الانتظار للنصارى وتقديمهم على المسلمين ما قد سمعه الناس منهم. .

وقد أظهروا الرفض، ومنعوا أن نذكر على المنابر الخلفاء الراشدين، وذكروا علياً وأظهروا الدعوة للاثنى عشر، الذين تزعم الرافضة أنهم أئمة معصومون، وأن أبا بكر وعمر وعثمان كفار وفجار ظالمون، لا خلافة لهم ولالمن تبعهم.

والرافضة تحب التتار ودولتهم، لأنه يحصل لهم بها من العز ما لا يحصل بدولة المسلمين. والرافضة هم معاونون للمشركين واليهود والنصارى على قتال المسلمين، وهم كانوا من أعظم الأسباب فى دخول التتار قبل إسلامهم إلى أرض المشرق بخراسان والعراق والشام، وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام وقتل المسلمين وسبى حريمهم.

وقضية ابن العلقمى وأمثاله مع الخليفة، وقضيتهم فى حلب مع صاحب حلب مشهورة يعرفها عموم الناس. وكذلك فى الحروب التى بين المسلمين وبين النصارى بسواحل الشام، وقد عرف أهل الخبرة أن الرافضة تكون مع النصارى على المسلمين، وأنهم عاونوهم على أخذ البلاد لما جاء التتار، وعزَّ على الرافضة فتح عكة وغيرها من السواحل، وإذا غلب المسلمون النصارى والمشركين كان ذلك غصةً عند الرافضة، وإذا غلب المشركون والنصارى المسلمين كان ذلك عيداً ومسرةً عند الرافضة. .

فهم أشد ضرراً على الدين وأهله وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج الحرورية، ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة. فليس فى الطوائف المنتسبة إلى القبلة أكثر كذباً ولا أكثر تصديقاً للكذب وتكذيباً للصدق منهم، وسيما النفاق فيهم أظهر منه فى سائر الناس، وهى التى قال فيها النبى ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**». وكل من جربهم يعرف اشتمالهم على هذه الخصال، ولهذا يستعملون التقية التى هى سيما المنافقين، واليهود يستعملونها مع المسلمين: ﴿**يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ**﴾. وقد أشبهوا اليهود فى أمور كثيرة، لا سيما السامرة من اليهود: يشبهونهم فى دعوة الإمامة فى شخص أو بطن بعينه، والتكذيب لكل من جاء بحق غيره يدعونه، وفى اتباع الأهواء أوتحريف الكلم عن مواضعه، وتأخير الفطر وصلاة المغرب وغير ذلك، وتحريم ذبائح غيرهم، ويشبهون النصارى فى الغلو فى البشر والعبادات المبتدعة، وفى الشرك وغير ذلك.

وهم يوالون اليهود والنصارى والمشركين على المسلمين، وهذه شيم المنافقين. . ، وليس لهم عقل ولا نقل، ولا دين صحيح، ولا دنيا منصورة، وهم لا يصلون جمعة ولا جماعة، والخوارج كانوا يصلون جمعة وجماعة، وهم لا يرون جهاد الكفار مع أئمة المسلمين، ولا الصلاة خلفهم، ولا طاعتهم فى طاعة الله، ولا تنفيذ شىء من أحكامهم لاعتقادهم أن ذلك لا يسوغ إلا خلف إمام معصوم، ويرون أن المعصوم قد دخل السرداب من أكثر من أربعمائة وأربعين سنة، وهو إلى الآن لم يخرج، ولا رأه =

= أحد، ولا علم أحداً ديناً ولا حصل به فائدة بل مضرة. ومع هذا فالإيمان عندهم لا يصح إلا به ولا يكون مؤمناً إلا من آمن به، ولا يدخل الجنة إلا أتباعه..!!

وأكثر محققيهم عندهم يرون أن أبا بكر وعمر، وأكثر المهاجرين والأنصار، وأزواج النبيً ﷺ، مثل عائشة وحفصة وسائر أئمة المسلمين وعامتهم، ما آمنوا بالله طرفة عين..!!

ومنهم من يرى أن فرج النبى ﷺ الذى جامع به عائشة وحفصة لابد أن تمسه النار، ليطهر من وطىء الكوافر على زعمهم، لأن وطىء الكوافر حرام عندهم.

ومع هذا يردون أحاديث رسول الله ﷺ الثابتة المتواترة عنه عند أهل العلم، مثل أحاديث البخارى ومسلم، ويرون أن شعر شعراء الرافضة، مثل: الحميرى، وكوشيار الديلمى، وعمارة اليمنى خير من أحاديث البخارى ومسلم. وقد رأينا فى كتبهم من الكذب والإفتراء على النبى ﷺ وصحابته وقرابته أكثر مما رأينا من الكذب فى كتب أهل الكتاب من التوراة والإنجيل.

ويبنون على القبور المكذوبة وغير المكذوبة مساجد يتخذونها مشاهد. وقد لعن رسول الله ﷺ من اتخذ المساجد على القبور، ونهى أمته عن ذلك.. ويرون أن حج هذه المشاهد المكذوبة وغير المكذوبة من أعظم العبادات، حتى أن من مشايخهم من يفضلها على حج البيت الذى أمر الله به ورسوله..!!

فبهذا يتبين أنهم شر من عامة أهل الأهواء، وأحق بالقتال من الخوارج، وهذا هو السبب فيما شاع فى العرف العام: أن أهل البدع هم الرافضة، فالعامة شاع عندها أن ضد السنى هى الرافضة فقط، لأنهم أظهر معاندة لسنة رسول الله ﷺ، وشرائع دينه من سائر أهل الأهواء.. وأيضاً فالخوارج كانوا يتبعون القرآن بمقتضى فهمهم، وهؤلاء إنما يتبعون الإمام المعصوم عندهم الذى لا وجود له، فمستند الخوارج خير من مستندهم.

وأيضاً فالخوارج لم يكن منهم زنديق ولا غال، وهؤلاء فيهم من الزنادقة والغالية من لا يحصيه إلا الله.. فغالب أئمتهم زنادقة، إنما يظهرون الرفض لأنه طريق إلى هدم الإسلام.. وأما ذكر المستفتى أنهم يؤمنون بكل ما جاء به محمد ﷺ، فهذا عين الكذب، بل كفروا بما جاء به بما لا يحصيه إلا الله، فتارة يكذبون بالنصوص الثابتة عنه، وتارة يكذبون بمعانى التنزيل. وما ذكرنا وما لم نذكره من مخازيهم يعلم كل أحد أنه مخالف لما بعث الله به محمداً ﷺ. فإنهم مشركون، لأنهم أشد الناس تعظيماً للمقابر التى اتخذت أوثاناً من دون الله، وهذا باب يطول.

وهم يقاتلون لعصبية شر من عصبية ذوى الأنساب، وهى العصبية للدين الفاسد، فإن فى قلوبهم من الغل والغيظ على كبار المسلمين وصغارهم وصالحيهم وغير صالحيهم ما ليس فى قلب أحد. وأعظم عبادتهم عندهم لعن المسلمين من أولياء الله، مستقدمهم ومستأخرهم، وأمثلهم عندهم الذى لا يلعن ولا يستغفر!!

وأما خروجهم يقتلون المؤمن والمعاهد فهذا أيضاً حالهم، مع دعواهم أنهم هم المؤمنون وسائر الأمة كفار! وروى مسلم فى «صحيحه» عن محمد بن شريح، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنه ستكون هنأة وهنأة، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائن من كان»**. وهؤلاء أشد الناس حرصاً على تفريق جماعة المسلمين.. أعظم أصولهم عندهم التكفير واللعن والسب لخيار ولاة الأمور، كالخلفاء الراشدين، والعلماء المسلمين ومشايخهم، لاعتقادهم أنَّ كل من لم يؤمن بالإمام المعصوم - الذى لا وجود له - فما آمن بالله ورسوله..!!.

الخروج والمروق يتناول كل من كان فى معنى أولئك - أى الرافضة - ويجب قتالهم بأمر النبى ﷺ =

يشير الشيخ إلى الرد على الروافض. وقد أثنى الله على الصحابة هو ورسوله، ورضى عنهم، ووعدهم الحسنى.

سؤال: كيف أثنى الله ورسوله على الصحابة.؟

جواب: قال تعالى: ﴿ **والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا** ﴾ [الفتح: ٢٩]. ﴿ **لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ [الفتح: ١٨]. ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [الأنفال: ٧٢]. ﴿ **لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ** ﴾ [التوبة: ١١٧]. ﴿ **لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [الحديد: ١٠]. ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠].

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم، يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل فى قلوبهم غلاً لهم.

وفى «الصحيحين» عن أبى سعيد الخدرى، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شىء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحداً من أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق**

= كما وجب قتال أولئك ـ أى الخوارج ـ وإن كان الخروج عن الدين والإسلام أنواعاً مختلفة، وقد بينا أن خروج الرافضة ومروقهم أعظم بكثير..

وأما تكفيرهم وتخليدهم، ففيه للعلماء قولان مشهوران: وهما روايتان عن أحمد، والقولان فى الخوارج والمارقين من الحرورية والرافضة وغيرهم.

والصحيح: أن هذه الأقوال التى يقولونها التى يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول ﷺ كفر، وكذلك أفعالهم التى هى من جنس أفعال الكفار بالمسلمين، هى كفر أيضاً. وقد ذكرت دلائل ذلك فى غير هذا الموضع، لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده فى النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه ا ـ هـ. (الفتاوى: ٢٨/ ٥٦٨، ٥٠٠، ٥٢٧).

مثل أحد ذهبا، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»(١). فالنبى ﷺ يقول لخالد ونحوه: «**لا تسبوا أصحابى**»، يعنى عبدالرحمن وأمثاله، لأن عبدالرحمن ونحوه هم السابقون الأولون، وهم الذين أسلموا من قبل الفتح، وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل، وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبى ﷺ أهل مكة، ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة، وسموا الطلقاء، منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية. والمقصود أنه نهى من له صحبة آخراً أن يسب من له صحبة أولاً، لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة فكيف حال من ليس من الصحابة؟!

والسابقون الأولون، من المهاجرين والأنصار، هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألفٍ وأربع مائة.

وعن ابن عباس، أنه قال: (لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة ـ يَعْنِى مَعَ النبى ﷺ ـ خير من عمل أحدكم أربعين سنة)(٢). وفى رواية: (خير من عبادة أحدكم عمره).

وفى «الصحيحين»، قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(٣).

وقال ﷺ: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»(*)(٤).

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، وأخرجه أبو داود (٤٦٥٨) رواية الأعمش عن أبى صالح، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٢) [**إسناده صحيح**] الأثر بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد فى «فضائل الصحابة» رقم (٤٠) من طريق عبدالرحمن بن مهدى، عن سفيان، عن نسير بن ذعلوق، قال: سمعت ابن عمر يقول... ورواية وكيع أخرجها ابن ماجه (١٦٢)، وأحمد فى «فضائل الصحابة» رقم (١٥)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (١٠٠٦). من طريق وكيع، عن سفيان به وإسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين غير نسير بن ذعلوق وهو ثقة، وثقة ابن معين ويعقوب بن سفيان وقال ابن عبدالبر وهو عندهم من ثقات الكوفيين وقد تصحف فى المطبوع من «السنة» لابن أبى عاصم إلى بسر بن ذعلوق فقال محققه: لم أعرفه. انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٥/ ٣٠٦/ ٢٦٥٢)، ومسلم (٨/ ٣٢٥/ ٢١٢).
من طريق: إبراهيم عن عبيدة عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه.

(*) وصح عنه ﷺ أنه قال: «**لن يدخل النار رجل شهد بدراً والحديبية**». وقال: «**إن الله تعالى إطلع على أهل بدر، فقال: اعملو اما شئتم فقد غفرت لكم**». وفى هذه الأحاديث وغيرها دلالة على فضل الصحابة على من بعدهم من الأجيال والقرون.

(٤) [**صحيح**] أخرجه بهذا اللفظ الترمذى (٣٨٥٩)، وأبو داود (٤٦٥٣) وأخرجه مسلم (٢٤٩٦) من =

وعن عبدالله بن مسعود، قال: إن الله نظر فى قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئا، فهو عند الله سيء[1]. وفى رواية: وقد رأى أصحاب محمد جميعاً: أن يستخلفوا أبا بكر.

فمن أضل ممن يكون فى قلبه غلٌ خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟! بل قد فضلتهم اليهود والنصارى بخصلة، فقيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد!! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة.

وقوله: «**ولا نفرط فى حب أحد منهم**» أى: لا نتجاوز الحد فى حب أحد منهم، كما تفعل الشيعة، فنكون من المعتدين، قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ [النساء: ١٧١].

سؤال: عند الروافض والشيعة: من لوازم موالاة أئمتهم، البراء من الصحابة وضح منهج أهل السنة فى ذلك؟

جواب: قوله: «**ولا نتبرأ من أحد منهم**» كما فعلت الرافضة، فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أى: لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما!! وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التى يستحقونها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب.

سؤال: لما كان حب الصحابة دين وإيمان وإحسان.

جواب: لأنه امتثال لأمر الله فيما تقدم من النصوص.

[وتسمية حب الصحابة إيمانا مشكل على الشيخ ـ رحمه الله، لأن الحب عمل القلب وليس هو التصديق فيكون العمل داخلاً فى مسمى الإيمان، وكلام الشيخ فى الإيمان: أنه الإقرار باللسان،

=حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال أخبرتنى أم مبشر أنها سمعت النبى ﷺ يقول عند حفصة «لا يدخل إن شاء الله ـ من أصحاب الشجرة أحد بالذين بايعوا تحتها...» وهو فى المسند (٦/ ٣٦٢و ٤٢٠).

انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(١) [حسن] أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩) والطبرانى (٨٥٨٢) و(٨٥٩٣) والخطيب فى «الفقيه والمتفقة» (١/ ١٦٦ ـ ١٦٧)، وسنده حسن، وصححه الحاكم (٣/ ٧٨) ووافقه الذهبى.

انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

فأتيته، فقلت: أى الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟ قال: «**عمر**»(١).

وعن أبى الدرداء، قال: كنت جالساً عند النبى ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبى ﷺ: «**أما صاحبكم، فقد غامر**»(٢)، فسلم، وقال: إنه كان بينى وبين ابن الخطاب شىء، فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لى، فأبى على، فأقبلت إليك، فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» ثلاثاً، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبى بكر، فسأل: أثم هو؟ فقالوا: لا، فأتى النبى ﷺ، فسلم عليه، فجعل وجه النبى ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين، فقال النبى ﷺ: «**إن الله بعثنى إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لى صاحبى؟**». مرتين، فما أذى بعدها(٣).

أن عمر لما قال فى خطبته التى خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ لم ينكر ذلك أحدٌ منهم ولم يقل أحدٌ من الصحابة قط أن النبى ﷺ نص على أبى بكر لا على ولا العباس ولا غيرهما ومن نقل عنه أنه طلب تولية غير أبى بكر لم يذكر حجة دينية شرعية، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط(*).

سؤال: ما حجة من قال: لم يستخلف بالنص؟

جواب: واحتج من قال: لم يستخلف بالخبر المأثور، عن عبدالله بن عمر، عن عمر رضى الله عنهما، أنه قال: إن أستخلف، فقد استخلف من هو خير منى، يعنى أبا بكر، وإن لا أستخلف، فلم يستخلف من هو خير منى، يعنى رسول الله ﷺ(٤).

وبما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف(٥).

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)، والترمذى (٣٨٨٥)، وأحمد (٤/ ٢٠٣) من حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه. انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٢) قال ابن حجر فى «الفتح». والمعنى دخل فى غمرة الخصومة، والغامر الذى يرمى بنفسه فى الأمر العظيم كالحرب وغيره اهـ.

(٣) [**صحيح**] أخرجه البخارى فى «فضائل الصحابة» / باب: فضل أبى بكر رضى الله عنه (٧/ ٢٢/ ح٣٦٦١).

(*) «تهذيب الطحاوية» د. الصاوي.

(٤) [**صحيح**] أخرجه البخارى فى «الأحكام»/ باب: الاستخلاف (١٣/ ٢١٨/ ح٧٢١٨) من حديث عمر رضى الله عنه.

(٥) [**صحيح**] أخرجه مسلم فى «فضائل الصحابة»/ باب: فضائل أبى بكر الصديق: (٨/ ١٦٢/ ح٢٣٨٥).

«ثمَّ لِعُمَرَ بنِ الخطَّابِ رضى الله عنه».

والظاهر ـ والله أعلم ـ أن المراد أنه لم يستخلف بعهدٍ مكتوب، ولو كتب عهداً، لكتبه لأبى بكر، بل أراد كتابته ثم تركه، وقال: «**يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**»(١).

فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبى ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبى بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك، حامدٍ له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك.

فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة، لبينه بياناً قاطعاً للعذر، لكن لما دلهم دلالاتٍ متعددة على أن أبا بكر المتعين، وفهموا ذلك، حصل المقصود، ولهذا قال عمر فى خطبته التى خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. ولم ينكر ذلك منهم أحدٌ، ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبى بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم يقل أحدٌ منهم قط: إن النبى ﷺ نص على غير أبى بكر، لا على، ولا العباس، ولا غيرهما، كما قد قال أهل البدع.

سؤال: اذكر ما حصل فى سقيفة بنى ساعدة ؟

جواب: عن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح ـ فذكرت الحديث إلى أن قالت: واجتمع الأنصار إلى سعد بن عبادة، فى سقيفة بنى ساعدة، فقالوا: منا أمير، ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أنى هيأت فى نفسى كلاماً قد أعجبنى، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال فى كلامه: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب، وأعزهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعداً، فقال عمر: قتله الله(٢).

قوله: «ثم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه».

أى ونثبت الخلافة بعد أبى بكر، لعمر رضى الله عنهما. وذلك بتفويض أبى بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه.

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٥٦٦٦)، ومسلم (٢٣٨٧) من حديث عائشة رضى الله عنها.
انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٢) أخرجه البخارى فى «فضائل الصحابة»/ باب: فضل أبى بكر رضى الله عنه (٧/ ٢٤/ ٣٦٦٨).

سؤال: اذكر بعض فضائل عمر رضى الله عنه.

جواب: عن محمد بن الحنفية أنه قال: قلت لأبى: يا أبت، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بنى، أو ما تعرف؟ فقلت: لا، قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول: ثم عثمان فقلت: ثم أنت؟ فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين(١).

وتقدم قوله ﷺ: **«اقتدوا باللذين من بعدى: أبى بكر وعمر»**.

وفى «صحيح مسلم» عن ابن عباس، قال: وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويثنون، ويصلون عليه قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعنى إلا برجل قد أخذ بمنكبى من ورائى، فالتفت إليه، فإذا هو على، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أنى كنت كثيراً ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: **جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**، فإن كنت لأرجو، أو لأظن أن يجعلك الله معهما»(٢).

وفى «الصحيحين»، من حديث سعد بن أبى وقاص: قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ، وعنده نساء من قريش، يكلمنه عالية أصواتهن... وفيه، فقال النبى ﷺ: **«إيها يا ابن الخطاب! والذى نفسى بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجا غير فجك»**(٣).

وقال ﷺ: **«قد كان فى الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن فى أمتى منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم»**(٤).

قال ابن وهب: تفسير محدثون: ملهمون.

وفى الصحيحين قوله ﷺ لعمر: **«إيهاً ابن الخطاب، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجا غير فجك»**(٥).

---

(١) أخرجه البخارى فى «فضائل الصحابة»/ باب: قول النبى ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (٧/ ٢٤/ ح٣٦٧١) وأبو داود فى «السنة»/ باب: فى التفضيل (٤/ ٢٠٦/ ح٤٦٢٩).

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «فضائل الصحابة»/ باب: مناقب عمر بن الخطاب (٧/ ٥٢/ ح٣٦٨٩) ومسلم فى «فضائل الصحابة»/ باب: من فضائل عمر رضى الله عنه (٨/ ١٧٦/ ح٢٣٩٨).

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى « فضائل الصحابة»/ باب: مناقب عمر بن الخطاب (٧/ ٥٠/ ح٣٦٨٣)، ومسلم فى «فضائل الصحابة»/ باب: من فضائل عمر رضى الله عنه (٧/ ١٧٥/ ح٢٣٩٦).

(٤) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى فى «فضائل الصحابة»/ باب: مناقب عمر بن الخطاب (٧/ ٥٢/ ح٣٦٨٩)، ومسلم فى «فضائل الصحابة»/ باب: من فضائل عمر رضى الله عنه (٨/ ١٧٦/ ح٢٣٩٨).

(٥) تقدم قبل حديث.

«ثمَّ لِعُثمانَ رضى الله عنه».

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبى قحافة، فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين، وفى نزعه ضعف والله يغفر له، ثم استحالت غرباً، فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً من الناس يفرى فريه، حتى ضرب الناس بعطن**»(١).

قوله: «**ثم لعثمان رضى الله عنه**».

أى ونثبت الخلافة بعد عمر لعثمان رضى الله عنهما.

سؤال: اذكر قصة مقتل عمر، ومبايعة عثمان.

جواب: عن عمرو بن ميمون، قال: رأيت عمر رضى الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة.. قال: إنى لقائم ما بينى وبينه إلا عبدالله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف، أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر، فسمعته يقول: قتلنى أو أكلنى الكلب، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين، طرح عليه برنساً، فلما ظن أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبدالرحمن بن عوف، فقدمه، فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى، وأما نواحى المسجد، فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فصلى بهم عبدالرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا، قال: يا ابن عباس انظر من قتلنى؟ فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة. قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، فلقد أمرت به معروفاً! الحمد لله الذى لم يجعل منيتى على يد رجل يدعى الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقاً، فقال: إن شئت فعلت، أى: إن شئت قتلنا، فقال: كذبت، بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم! فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس عليه، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتى بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه، فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت. فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم فى الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كان كفافاً، لا على ولا لى، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا على الغلام، قال: يا ابن أخى، ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبدالله بن عمر، انظر ما على من الدين فحسبوه، فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩٢)، وابن أبى شيبة (١٢/ ٢١ ـ ٢٢) كلهم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه. انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر، فأده من أموالهم، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب، فإن لم تف أموالهم، فسل فى قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عنى هذا المال. انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكى، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، قالت: كنت أريده لنفسى، ولأوثرن به اليوم على نفسى، فلما أقبل، قيل: هذا عبدالله قد جاء، قال: ارفعونى، فأسنده رجل إليه، قال: ما لديك؟ قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمدلله، ما كان شيء أهم إلى من ذلك، فإذا أنا قضيت، فاحملونى ، ثم سلم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى، فأدخلونى، وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلاً لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط، الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى علياً، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعداً، وعبدالرحمن، وقال: يشهدكم عبدالله بن عمر، وليس له من الأمر شيءٌ، كهيئة التعزية له، فإن أصابت سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإنى لم أعزله من عجز ولا خيانة.

وقال: أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين: أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء الإسلام، وجباة الأموال، وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشى أموالهم، وأن يرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم.

فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشى، فسلم عبدالله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هناك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه، اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبدالرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمرى إلى علىٍّ وقال طلحة قد جعلت أمرى إلى عثمان وقال سعد قد جعلت أمرى إلى عبدالرحمن فقال عبدالرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إلى؟ والله على أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم فى الإسلام ما قد علمت، فبالله عليك، لئن

«ثُمَّ لِعَلِيٍّ بن أَبى طالِبٍ رضى الله عنه».

أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، وبايع له على، وولج أهل الدار فبايعوه(١).

سؤال: اذكر بعضاً من فضائل عثمان بن عفان رضى الله عنه.

جواب: عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً فى بيته، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحالة، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو على تلك الحالة، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج، قالت عائشة: دخل أبو بكر، فلم تهش له ولم تباله، ثم دخل عمر، فلم تهش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: **«ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة»**(٢).

وفى «الصحيح»: لما كان يوم بيعة الرضوان، وأن عثمان رضى الله عنه كان قد بعثه النبى ﷺ إلى مكة، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: **«هذه يد عثمان»**، فضربت بها على يده، فقال: **«هذه لعثمان»**(٣).

قوله: «ثم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه»

أى: ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلى رضى الله عنهما. وهو الخليفة فى زمانه خلافة نبوة، لقوله ﷺ: **«خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء»**(٤).

فالخلافة ثبتت لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد عثمان رضى الله عنه، بمبايعة الصحابة، سوى معاوية مع أهل الشام.

والحق مع على رضى الله عنه(٥).

---

(١) [صحيح] أخرجه البخاري (٣٧٠٠) وفيه مقتل عمر رضى الله عنه من طريق موسي بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن حصين بن عبدالرحمن، عن عمرو بن ميمون، وهو عنده مختصراً (١٣٩٢) وأخرجه ابن سعد (٣/ ٣٣٧) وابن أبى شيبة (١٤/ ٥٧٤) انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم (٨/ ١٨١/ ٢٦)، وأحمد (٦/ ١٥)، والبغوى (٤٨٩٩) من طريق: عطاء وسليمان ابنى يسار، وأبى سلمة بن عبدالرحمن أن عائشة قالت: . . . . الحديث.

(٣) [صحيح] أخرجه البخارى (٧/ ٦٦/ ٣٦٩٨) من حديث ابن عمر رضى الله عنها. من طريق: أبى عوانة حدثنا عثمان هو ابن موهب قال: . . . الحديث.

(٤) تقدم تخريجه

(٥) كون الحق هو بجانب على بن أبى طالب رضى الله عنه، ففى ذلك نص، وهو قول النبى ﷺ فى صحيح مسلم وغيره: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق». وهذه المارقة هى مارقة الخوارج، وأول من قاتلهم على بن أبى طالب رضى الله عنه، فدل أنه أولى الطائفتين بالحق. ومما يجدر ذكره هنا: أن قتال على للخوارج لم يخالفه أحد من الصحابة ممن كانوا معه، بخلاف ما حصل له عندما أراد قتال معاوية وأهل الشام.

ذلك أنه لما قتل عثمان رضى الله عنه كثر الكذب والافتراء عليه وعلى علىٍّ، وكان فى عسكر على من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته ومن فى قلبه نفاق لم يتمكن من اظهاره كله، فرأى طلحة والزبير أنه إن لم ينتصر للشهيد المظلوم ويقمع أهل الطغيان والفساد وإلا استوجبوا غضب الله وعقابه، فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علىٍّ، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين.

ثم جرت فتنة صفين لرأى: وهو أن أهل الشام يخافون طغيان من فى العسكر، كما طغوا على الشهيد المظلوم، وعلى هو الإمام الذى يجب أن يجتمعوا عليه، فاعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبتين عليهم تحصل بقتالهم، فحمله ما رآه من أن الدين إقامة الحد عليهم ومنعهم من الإثارة دون تأليفهم على القتال، وقعد عن القتال أكثر الأكابر لما سمعوا من النصوص فى الأمر بالقعود فى الفتنة، ولما رأوه من الفتنة التى تربو مفسدتها على مصلحتها.

ونقول فى الجميع بالحسنى: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠].

والفتن التى كانت فى أيامه رضى الله عنه صان الله عنها أيدينا فنسأله جل وعلا أن يصون عنها ألسنتنا بمنه وكرمه.

سؤال: اذكر بعضاً من فضائل على بن أبى طالب رضى الله عنه.

جواب: عن سعد بن أبى وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ لعلى: «**أنت منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى**»(١).

وقال ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**» **قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لى علياً، فأتى به أرمد، فبصق فى عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه**»(٢).

ولما نزلت هذه الآية: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ**﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلى»(٣).

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٧/ ٨٨/ ٣٧٠٦)، ومسلم (٨/ ١٨٧/ ٣٠).
من حديث سعد بن أبى وقاص عن أبيه.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٧/ ٨٧/ ٣٧٠١)، ومسلم (٨/ ١٨٩/ ٣٤).
من طريق: أبى حازم أخبرنى سهل بن سعد.... الحديث.

(٣) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٨/ ١٨٧/ ٣٢).
من طريق: عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال: .... الحديث.

«وهُمُ الخُلَفاءُ الرَّاشِدُونَ، والأئمَّةُ المَهْدِيُّونَ».

وَأَنَّ العشرَةَ الَّذينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ وبَشَّرَهُمْ بالجَنَّة نَشْهَدُ لهُمْ بالجَنَّة على ما شَهِدَ لهُم رسُولُ الله ﷺ، وقولُهُ الحقُّ، وهُمْ: أبُو بَكْر، وعُمَر، وعُثْمانُ، وعَلِيٌّ، وطلْحَةُ، والزُّبَيْرُ، وسَعْدُ، وسَعِيدُ، وعَبْدُالرَّحمنِ بنُ عَوْف، وأبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَاحِ وهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ رضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

عن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: **«أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدى، فسيرى اختلافاً كثيراً،فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»**(١).

قوله «وهم الخلفاء الراشدون...».

سؤال: هل ترتيب الخلفاء الراشدين فى الفضل كترتيبهم فى الخلافة؟

جواب: عن ابن عمر، قال: كنا نقول ورسول ﷺ حى: أفضل أمة النبى ﷺ بعده: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان(٢).

وفى «صحيح البخارى» قول عبدالرحمن بن عوف لعلى رضى الله عنهما: إنى قد نظرت فى أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان.

قال أيوب السختيانى: من لم يقدم عثمان على على، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

[وقد روى عن أبى حنيفة تقديم على على عثمان، لكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان على على وعليه عامة أهل السنة](*).

قوله «وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ...».

سؤال: اذكر فضل العشرة المبشرين بالجنة على غيرهم مدللاً على ما تقول؟.

جواب: اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم، لما اشتهر من فضلهم ومناقبهم وقد تقدم ذكر بعض فضائل الخلفاء الأربعة، وهذا ذكر بعض فضائل الستة الباقين.

سعد بن أبى وقاص: روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرق رسول الله ﷺ ذات

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٠٥، ٢٠٦/ ٤٦٢٨).

من طريق: سالم بن عبدالله: أن ابن عمر قال: .... الحديث.

(*) تهذيب الطحاوية، د/ صلاح الصاوى.

ليلة، فقال: «**ليت رجلاً صالحاً من أصحابى يحرسنى الليلة**»، قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال النبى ﷺ: «**من هذا؟**» فقال سعد بن أبى وقاص: يا رسول الله جئت لأحرسك(١).

وفى الصحيحين: أن رسول الله ﷺ جمع لسعد بن أبى وقاص أبويه يوم أحد فقال: «**ارم فداك أبى وأمى**»(٢).

طلحة: روى مسلم عن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة التى وقى بها النبى ﷺ يوم أحد قد شلت(٣).

وروى أيضاً عن أبى عثمان النهدى قال: لم يبق مع رسول الله ﷺ فى بعض تلك الأيام التى قاتل فيها النبى ﷺ غير طلحة وسعد(٤).

الزبير: روى مسلم عن جابر بن عبدالله قول النبى ﷺ: «**لكل نبى حوارى، وحوارى الزبير**»(٥).

وفى الصحيحين عن الزبير أن النبى ﷺ قال: «**من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم؟**» فانطلقت، فلما رجعت جمع لى رسول الله ﷺ بين أبويه، فقال: «**فداك أبى وأمى**»(٦).

أبو عبيدة: روى مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل أمة أميناً، وإن أمينا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»(٧).

وفى الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: جاء أهل نجران إلى النبى ﷺ فقالوا: يا

---

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٦/ ٩٥/ ٢٨٨٥)، ومسلم (٨/ ١٩٥/ ٣٩).
من طريق: يحيى بن سعيد أخبرنا عبدالله بن عامر بن ربيعة قال: سمعت عائشة رضى الله عنها تقول: .... الحديث.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٧/ ٤١٥/ ٤٠٥٩)، ومسلم (٨/ ١٩٦/ ٤١).
من طريق: إبراهيم عن أبيه عن عبدالله بن شدّاد عن على قال: .... الحديث.

(٣) [صحيح] أخرجه البخارى (٧/ ١٠٣/ ٣٧٢٤).
من طريق: خالد حدثنا ابن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال: .... الحديث.

(٤) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٧/ ٤١٦/ ٤٠٦٠)، ومسلم (٨/ ٢٠١، ٢٠٢/ ٤٧).
من طريق: معتمر عن أبيه قال: .... الحديث.

(٥) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٧/ ٩٩/ ٣٧١٩)، ومسلم (٨/ ٢٠٢/ ٤٨).
من طريق: محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال: .... الحديث.

(٦) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٧/ ٩٩/ ٣٧٢٠)، ومسلم (٨/ ٢٠٢/ ٤٩).
من طريق: هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن الزبير قال: .... الحديث.

(٧) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٧/ ١١٦/ ٣٧٤٤)، ومسلم (٨/ ٢٠٥/ ٥٣).
من طريق: أبى قلابة قال: قال أنس: قال رسول الله ﷺ: .... الحديث.

رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: «**لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين**»، فاستشرف لها الناس قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح(١).

سعيد بن زيد وعبدالرحمن بن عوف: روى أبو داود وابن ماجه والترمذى وصححه عن سعيد ابن زيد قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنى سمعته يقول: «**عشرة فى الجنة: النبى فى الجنة، وأبو بكر فى الجنة، وطلحة فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وسعد بن مالك فى الجنة، وعبدالرحمن بن عوف فى الجنة**» ولو شئت لسميت العاشر قال: فقالوا من هو؟ قال: سعيد بن زيد، وقال: لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر منه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح(٢).

وروى أحمد فى «مسنده» عن عبدالرحمن بن عوف أن النبى ﷺ قال: «**أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعلى فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير بن العوام فى الجنة، وعبدالرحمن بن عوف فى الجنة، وسعيد بن زيد فى الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة**»(٣).

سؤال: ما هى عقيدة الرافضة فى أصحاب رسول الله ﷺ؟.

جواب: [والرافضة يتبرأون من جمهور الصحابة، بل يتبرأون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً نحو بضعة عشر رجلاً، بل يكرهون لفظ العشرة، وفعل كل شىء يكون عشرة، ومعلوم أنه لو فرض فى العالم عشرة من أكفر الناس لم يهجر هذا الاسم لذلك، كما لم يهجر اسم التسعة مطلقاً لقوله تعالى: ﴿**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾ [النمل: ٤٨] بل اسم العشرة قد مدح الله مسماه فى مواضع من القرآن. قال تعالى: ﴿**وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾ [الفجر: ١ ـ ٢]. وقال تعالى: ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ**﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وقد كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، ويقول فى ليلة القدر: «**التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان**»(٤).

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٧/ ١١٦، ١١٧/ ٣٧٤٥)، ومسلم (٨/ ٢٠٥، ٢٠٦/ ٥٥).
من طريق: أبى إسحاق يحدث عن صلة بن زُفر عن حذيفة قال: . . . . الحديث.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٢١١/ ٤٦٤٨)، والترمذى (٥/ ٦٤٨/ ٣٧٤٨)، وابن ماجه (١/ ٤٨/ ١٣٣).
من حديث سعيد بن زيد رضى الله عنه.

(٤) [**صحيح**] أخرجه البخارى (٤/ ٣٠٥/ ٢٠١٧)، وأحمد فى «مسنده» (٦/ ٥٦، ٧٣/ ٢٠٤)، والترمذى (٣/ ١٤٩/ ٧٩٢).
من طريق: هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.
انظر «رياض الصالحين» (ح١١٩٣ ـ بتخريجنا).

وَمَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ فى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدْ بَرِيءَ مِنَ النِّفَاقِ.

وقال ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من أيام العشر**»، يعنى عشر ذى الحجة(١).

والحقيقة أن الرافضة إذ يبغضون خيار الصحابة، ويحقدون على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين، لفى ضلال بعيد، بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة: قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى. وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد!! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هم خير ممن استثنوهم أضعافاً مضاعفة!

والرافضة توالى بدل هؤلاء العشرة المبشرين بالجنة، اثنى عشر إماماً: أولهم على بن أبى طالب رضى الله عنه، ويدعون أنه وصيّ النبى ﷺ دعوى مجردة عن الدليل، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم على بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن على الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى ابن جعفر الكاظم، ثم على بن موسى الرضىّ، ثم محمد بن على الجواد، ثم على بن محمد الهادى، ثم الحسن بن على العسكرى، ثم محمد بن الحسن. ويغالون فى محبتهم ويتجاوزون الحد. ولم يأت ذكر الأئمة الإثنى عشر إلا على صفة ترد قولهم وتبطله.

ففى الصحيحين، عن جابر بن سمرة، قال: دخلت مع أبى على النبى ﷺ فسمعته يقول: «**لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً؟**» ثم تكلم النبى ﷺ بكلمة خفيت على فسألت أبى ماذا قال النبى ﷺ، قال: «**كلهم من قريش**». وفى لفظ: «**لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة**».

وكان الأمر كما قال ﷺ، والإثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية وابنه يزيد، وعبدالملك بن مروان وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبدالعزيز، ثم أخذ الأمر فى الانحلال. وعند الرافضة أن أمر الأمة لم يزل فاسداً فى أيام هؤلاء، يتوالى عليهم الظالمون والمعتدون، وأهل الحق أذل من اليهود، وقولهم ظاهر البطلان](٢).

قوله «ومن أحسن القول.....».

سؤال: اذكر دليلاً فى الإحسان إلى آل البيت؟.

---

(١) [صحيح] أخرجه البخارى (٢/ ٥٣٠/ ٩٦٩ ـ الفتح)، وأحمد فى «مسنده» (١/ ٢٢٤)، وأبو داود (٢/ ٣٣٨/ ٢٤٣٨).

من طريق: مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

انظر «رياض الصالحين» (ح١٢٥٢ ـ بتخريجنا).

(٢) «تهذيب الطحاوية» د/ الصاوى.

وعُلَماءُ السَّلَف مِنَ السَّابِقِين، ومَنْ بَعْدَهُم مِنَ التَّابِعِينَ، أَهْلِ الخَيرِ والأَثَرِ، وأَهْلِ الفِقْه والنظر، لا يُذْكَرُونَ إلا بالجَميلِ، ومَن ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلى غَيرِ السَّبيلِ.

«ولانُفَضِّلُ أَحَداً مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ، ونَقولُ: نَبِيٌ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ».

جواب: [روى مسلم، عن زيد بن أرقم، أن رسول الله ﷺ قام فكان مما قال: «**وأهل بيتى، اذكركم الله فى أهل بيتى**» ثلاثاً.

وأخرج البخارى، عن أبى بكر، أنه قال: ارقبوا محمداً فى أهل بيته][1].

سؤال: كيف أُحدث الرفض؟ وما هى طريقتهم لإفساد الدين؟

جواب: [الرفض باب الزندقة، ذلك أن الذى أحدثه منافق زنديق، قصده إبطال دين الإسلام، والقدح فى رسول الله ﷺ. فقد أراد عبدالله بن سبأ، بعد أن أظهر الإسلام أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى سعى فى فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم إلى الكوفة، أظهر الغلو فى على، والنصر له ليتمكن من أغراضه، وبلغ ذلك علياً فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيس، وخبره معروف فى التاريخ.

وطريقة هؤلاء فى إفساد الدين هى: إظهار التشيع والتباكى على ما وقع من ظلم على آل البيت، وضرورة التبرؤ ممن ظلمهم، ثم يتدرجون من سب الصحابة إلى سب أهل البيت، ثم آل الرسول ﷺ بعد أن كانوا ينسبون إليهم العجائب والخوارق.

ولهذا كان: [من أحسن القول فى أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه وذرياته فقد برىء من النفاق][2].

قوله «وعلماء السلف من السابقين...».

سؤال: ماهو واجب الأمة نحو سلفهم الصالح؟

جواب: [١ ـ يجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله، موالاة المؤمنين، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزل النجوم يهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

---

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

٢ ـ الإعتراف لهم بالخيرية:

لقد كانت كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول ﷺ من أمته، والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب وبه قاموا، متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباعه ﷺ.

٣ ـ عذرهم فيما خالفوا فيه السنة:

سبق أن العلماء متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباعه ﷺ، ولكن إذا وجد لأحدهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بد له فى تركه من عذر.

وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

* عدم اعتقاده أن النبى ﷺ قاله.

* عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

* اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[النساء: ١١٥].

فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق، وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا، وإيضاح ما كان منه يَخفى علينا، فرضى الله عنهم وأرضاهم.

﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[الحشر: ١٠][(١)].

قوله: «ولا نفضل أحداً من الأولياء....».

سؤال: بما يشير الشيخ بهذا القول؟

جواب: يشير الشيخ إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة، وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده فى العبادة، وتصفية نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم!

ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء !! ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء!! ويدعى لنفسه أنه خاتم الأولياء!!

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

ونُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِم، وَصحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِم.

[* ويكون ذلك العلم هو وحدة الوجود ! وهو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله، وفرعون أظهر الإنكار بالكلية.

ولكن فرعون كان في الباطن أعرف منهم بالله، فإنه كان مثبتا للخالق، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق، كابن عربى وأمثاله](١).

كما قال ابن عربى:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي!!

[* وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين. قال تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾[يونس: ٦٢، ٦٣]. والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة.

ولقد ضرب ابن عربى لنفسه المثل بلبنة من ذهب، وللرسول المثل بلبنة من فضة، فجعل بذلك نفسه أعلى وأفضل من الرسول، ﴿**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ**﴾، ﴿**إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[غافر: ٥٦]. وإن كفر ابن عربى وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿**لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ**﴾[الأنعام: ١٢٤].

ولكن ابن عربى وأمثاله منافقون زنادقة، والاتحادية في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين لإظهارهم الإسلام، لكن لو أظهر من أحدهم ما يبطنه من الكفر لأجرى عليه حكم المرتد، وفي قبول توبته خلاف، والصحيح عدم قبولها، وهي رواية معلى، عن أبي حنيفة رحمه الله](٢).

قال أبو عثمان النيسابوري: من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا، نطق بالحكمة، ومن أمّر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة.

سؤال: اذكر معنى المعجزة والكرامة، والفرق بينهما؟

جواب: المعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين، ولكن كثيراً من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

(١) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي. (٢) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوي.

سؤال: كيف يكون مرد الإعجاز إلى الله وحده؟

جواب: صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى، وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده، فإنه الذى أحاط بكل شئ علما، وهو على كل شئ قدير، وهو غنى عن العالمين، ولهذا أمر النبى ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿**قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَىَّ**﴾ [الأنعام: ٥٠]. وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر مايعطيه الله، فيعلم ما علمه الله إياه، ويقدر على ما أقدره عليه، ويستغنى عما أغناه عنه من الأمور المخالفة للعادة المطَّردة، أو لعادة غالب الناس، فجميع المعجزات والكرامات ما تخرج عن هذه الأنواع.

سؤال: وهل الاستقامة أعظم الكرامات؟ وكيف ذلك؟

جواب: لم يكرم الله تعالى عبدا بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله، ومولاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال فيهم: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس: ٦٢].

سؤال: وهل إذا صح الدين، حصلت الكرامة؟ كيف ذلك؟

جواب: إن الدين إذا صح علما وعملاً، فلا بد أن يوجب خرق العادة، إذا احتاج إلى ذلك صاحبه، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]. ﴿**إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا**﴾ [الأنفال: ٢٩]. ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾ [النساء: ٦٦ ـ ٦٨]. ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ**﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

وقال تعالى فيما يروى عنه رسول الله ﷺ: «**من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى، لأعيذنه، وما ترددت فى شئ أنا فاعله ترددى فى نفس عبدى المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته ولا بدله منه**»(١).

---

(١) [صحيح] أخرجه البخارى (١١/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩/ ٦٥٠٢)، والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٣٤٦)، (١٠/ ٢١٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

ونُؤْمنُ بأَشْرَاط السَّاعَة: منْ خُرُوجِ الدَّجَّال، ونُزُول عيسى ابن مَرْيَمَ عَلَيْه السَّلَامُ منَ السَّماء، ونُؤْمنُ بطُلُوعِ الشَّمْسِ منْ مَغْربها، وخُرُوج دَابَّة الأَرْضِ منْ مَوْضعها.

سؤال: اذكر أنواع الفراسة؟

جواب: الفراسة ثلاثة أنواع:

أولاً: فراسة إيمانية: وسببها نور يقذفه الله فى قلب عبده، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيمانا، فهو أحَدُّ فراسةً، والفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهى من مقامات الإيمان.

ثانياً: فراسة رياضية: وهى التى تحصل بالجوع والسهر والتخلى، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان ولا على ولاية، وهى من جنس فراسة الولاة، وأصحاب عبارة الرؤيا ونحوهم.

ثالثاً: فراسة خلقية: وهى التى صنف فيها الأطباء وغيرهم، استدلوا بالخَلْقِ على الخُلُق، لما بينهما من الأرتباط.

سؤال: ما هى علامات الساعة الكبرى؟ أو كيف ترتيبها؟

جواب: عن عوف بن مالك الأشجعى، قال: أتيت النبى ﷺ فى غزوة تبوك، وهو فى قبة من أدم. فقال: «**اعدد ستا بين يدى الساعة: موتى، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشرا ألفا**»(١).

وعن حذيفة بن أسيد، قال: اطلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف :خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»(٢) رواه مسلم.

---

(١) [صحيح] أخرجه البخارى (٦/ ٣٢٠/ ٣١٧٦).
من طريق: بسر بن عبيدالله أنه سمع أبا إدريس قال: سمعت عوف بن مالك قال: .... الحديث.
(٢) [صحيح] أخرجه مسلم (٩/ ٢٥٤، ٢٥٥/ ٤٠).
من طريق: أبى الطفيل عن أبى سريحة حُذيفة بن أسيد قال: ..... الحديث.

وعن ابن عمر قال: ذُكر الدجال عند النبي ﷺ فقال: «**إن الله لا يخفى عليكم، وإن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية**»(١).

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا أنذر قومه الأعور الدجال، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه ك ف ر**»(٢). فسره في رواية: «**أي: كافر**».

وعن أبي هريرة، قال: قال: رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، يقتل الخنزير، ويضع الجزية**(٣)**، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيرا من الدنيا وما فيها**». ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**﴾[النساء: ١٥٩](٤).

وأما خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب، فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**﴾ [النمل: ٨٢]. قال تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**»(٥).

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٩/ ٢٧٩/ ١٦٩).

من طريق: سالم قال عبدالله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (١٣/ ٩٧/ ٧١٣١)، ومسلم (٩/ ٢٨٦/ ١٠١).

من طريق: شعبة عن قتادة قال: سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: .... الحديث.

(٣) قال ابن حجر في «الفتح»٥/ ١٤٥: وليس ذلك منه نسخاً لشرع نبينا محمد ﷺ، بل الناسخ هو شرعنا على لسان نبينا لإخباره بذلك وتقريره اهـ.

(٤) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (٤/ ٤٨٣/ ٢٢٢٢)، ومسلم (١/ ٤٦٦/ ٢٤٢).

من طريق: ابن شهاب عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: .... الحديث.

(٥) [**متفق عليه**] أخرجه البخاري (١١/ ٣٦٠/ ٦٥٠٦)، ومسلم (١/ ٤٧١/ ٢٤٨).

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَلاَ نُصَدِّقُ كَاهِناً وَلاَ عَرَّافاً ، وَلاَ مَنْ يَدَّعِي شَيْئاً يُخَالِفُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ وإجْمَاعَ الأُمَّةِ.

وقال ﷺ: «**إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا**»(١). أى: أول الآيات التى ليست مألوفة.

[* وإن كان الدجال ونزول عيسى من السماء وخروج يأجوج ومأجوج قبل ذلك إلا أنها أمور مألوفة لأنهم بشر مشاهدة مثلهم مألوفة، أما الدابة التى تكلم الناس وتسمهم بالإيمان أو الكفر، والشمس التى تطلع من مغربها فذلك مما يخرج عن مجارى العادات، فالدابة على هذا أول الآيات الأرضية، وطلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية](*).

قال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شئ، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»(٢).

وقال ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهنا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»(٣). فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟

سؤال: ما الأدلة على أن الكهان والمنجمون ليسوا بشئ ؟

جواب: عن عائشة، قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال: «**ليسوا بشئ**»، فقالوا: يارسول الله، إنهم يحدثون أحيانا بالشئ فيكون حقا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرقرها فى أذن وليه فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة**»(٤).

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٩/ ٣٠٣/ ١١٨)، وأبو داود (٤/ ١١٢/ ٤٣١٠).
من طريق: أبى زرعة عن عبدالله بن عمرو.

(*) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(٢) [**صحيح**] أخرجه مسلم (٧/ ٤٨٤/ ١٢٥)، وأحمد فى «مسنده» (٤/ ٦٨).
من طريق: عبيدالله عن نافع عن صفيَّة عن بعض أزواج النبى ﷺ: .... الحديث.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ١٤/ ٣٩٠٤)، والترمذى (١/ ٣٤٢، ٣٤٣/ ١٣٥)، وابن ماجه (١/ ٢٠٩/ ٦٣٩)، وأحمد فى «مسنده» (٢/ ٤٠٨).
من طريق: حكيم الأثرم عن أبى تميمة الهجيمى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ..... الحديث.
قال الترمذى: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم الأثرم عن أبى تميمة [الهجيمى] عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٤) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٣٢١٠)، ومسلم (٢٢٢٨) والطحاوى (٣/ ١١٤ ـ ١١٥) والبغوى (٣٢٥٨) من حديث عائشة رضى الله عنها. انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً.

أعوذُ بعظيم هذا الوادى من سفهائه، فسيبيتُ فى أمنٍ وجوارٍ حتى يُصبح، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ يعنى: الإنس للجنِّ، باستعاذتهم بهم، رهقاً أى إثماً وطغياناً وجراءةً وشراً، وذلك، أنهم قالوا: قد سُدنا الجنَّ والإنس! فالجنُّ تُعاظمُ فى أنفسها، وتزداد كفراً إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[سبأ: ٤٠ ـ ٤١].

قوله: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً....».

سؤال: اشرح بالأدلة كلام الماتن؟

جواب: قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[الأنعام: ١٥٩]. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود: ١١٨ ـ ١١٩]. فجعل أهل الرحمة مُستثنينَ من الاختلاف.

وقد تقدم قوله ﷺ: «**إن أهل الكتابين افترقوا فى دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترقُ على ثلاث وسبعينَ ملة، يعنى: الأهواء، كلها فى النار إلا واحدة، وهى الجماعة**»(١). وفى روايةٍ: قالوا: منْ هى يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابى**»(٢) فبيَّنَ أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السُّنَّةِ والجماعة، وأنَّ الاختلاف واقعٌ لا محالة.

وعن النبى ﷺ، لما نزلَ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: «**أعوذ بوجهك**»(٣) ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «**أعوذ بوجهك**» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ

---

(١) [صحيح] أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والدرامى (٢/ ٢٤١) والآجرى فى «الشريعة» ص ١٨ من حديث معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما.

انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٢) أخرجها الترمذى (٢٦٤١) من حديث عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال أبو عيسى: هذا حديث مفسَّرٌ غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٣) قال الحافظ العراقى: وذكر الوجه إنما هو للتنبيه به على الأمور العظام لا للتخصيص، فلا يُسأل بوجهه فى الأمور الدنيئة، بخلاف الأمور العظام تحصيلاً أو دفعاً، كما يشير إليه استعاذة النبى ﷺ به

ا.هـ.

﴿بَعْضَكُم بِأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: «**هاتان أهون**»(١). فدلَّ على أنَّه لابدَّ أن يلبسهم شيعاً، ويذيقَ بعضهم بأس بعض.

وروى أحمد عن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال: «**الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية، والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد**»(٢).

سؤال: ما هى الآثار المترتبة على عدم رَدُّ النِّزاع إلى الله ورسوله؟

جواب: الأمور التى تتنازع فيها الأمة، فى الأصول والفروع، إذا لم تُرد إلى الله والرسول لم يتبيَّن فيها الحقُّ، بل يصير فيها المتنازعون على غير بيِّنة من أمرهم، فيقع بينهم الاختلاف المذموم، ويبغى بعضهم على بعض، إما بالقول مثل: تكفيره، وتفسيقه، وإمَّا بالفعل مثل: حبسه، وضربه وقتله.

[كالذين امتحنوا الناس بخلق القرآن حيث ابتدعوا بدعة، وكفروا من خالفهم فيها، واستحلوا منع حقه وعقوبته. وأكثر هؤلاء إما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون. قال تعالى: ﴿**وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾ [آل عمران: ١٩] وذلك كمن يدعى من المقلدين أن قول مقلده هو الصحيح بلا حجة يبديها، ويذم من خالفه مع أنه معذور. ولو سلكوا ماعلموه من العدل لأقر بعضهم بعضاً، ولم يظلم أحدهم الآخر أو يعتدى عليه](٣).

سؤال: ما هو اختلافُ التنوّعِ الذى لا يستدعى التنازع والشَّحناء؟

جواب: اختلاف التنوع على وجوهٍ، منه ما يكون كل واحدٍ من القولين أو الفعلين حقا مشروعاً، كما فى القراءات التى اختلفت فيها الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ، حتى زَجَرَهُم النبى ﷺ، وقال: «**كلاكُما مُحسنٌ**»(٤).

ومثله اختلاف الأنواع فى صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، ومحل سجود السهو، والتشهد، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، ونحو ذلك، مما قد شرع جميعه، وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل.

---

(١) [صحيح] أخرجه البخارى (٨/ ١٤١/ ٤٦٢٨).

من طريق: عمرو بن دينار عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال: . . . . الحديث.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) من طريق روح، حدثنا سعيد، عن قتادة، حدثنا العلاء بن زياد، عن معاذ بن جبل، وهذا سند صحيح، إلا أن العلاء بن زياد روايته عن معاذ مرسلة وأخرجه أحمد أيضا (٥/ ٢٤٣) من طريق قتادة، عن العلاء بن زياد، عن رجل حدثه يثق به، عن معاذ بن جبل. انظر «الطحاوية» تحقيق الأرنؤوط.

(٣) تهذيب الطحاوية د/ الصاوى.

(٤) [صحيح] أخرجه البخارى (٥/ ٨٥/ ٢٤١٠).

من طريق: النزَّال بن سبرة سمعت عبدالله يقول: «. . . . الحديث.

ثم تجد كثيـر من الأمة فى ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتـال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها ونحو ذلك!! وهذا عين المحرَّم.

ومنه ما يكون كلٌّ من القولين هو فى مـعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختـلفتان. ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقالتين، وذم الأخرى والاعتداء على قائلها!.

بل أكثـرُ الاختلاف الذى يـؤول إلى الأهواء بين الأمة، هو من هذا النوع، وكـذلك إلى سفك الدماء، واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء، لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق، ولا تنصفـها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخـرى كذلك. ولذلك جعل الله مصـدره البغى، فى قوله: ﴿**وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾والبغى مجاوزة الحدّ.

وقال رسول الله ﷺ: «**ذَرونى ما تركتكم، فإنَّما هَلَكَ من كانَ قَبْلكُم بكَثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكُم عن شىء فاجتنبوه، وإذا أمرتُكُم بأمر، فأتوا منه ما استطعتُم**»(١). فأمَرَهم بالإمساك عَمَّا لم يؤمروا به، مُعَلِلاً بأنَّ سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية.

سؤال: بين الأدلة على ثناء الشَّارع خيراً على المختلفين اختلاف تنوُّع، إذا لم يحصل بغىٌ.

جواب: قال تعالى: ﴿**مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[الحشر: ٥]. وقد كانوا اختلفوا فى قطع الأشجار، فقطع قومٌ، وتركَ آخرون.

وكما فى إقرار النبى ﷺ يوم بنى قريظة لمن صلى العـصر فى وقتها، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بنى قريظة(٢).

[وقال ﷺ: «**إذا اجتهد الحـاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهـد فأخطأ فله أجر**»(٣). وإما يقع الذم فى هذا الاختلاف على من بغى على الآخر فيه](٤).

---

(١) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١٣/ ٢٦٤/ ٧٢٨٨)، ومسلم (٣/ ٩/ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ النووى).
وابن حبان (٦/ ٦ ـ ٧/ ٣٦٩٦، ٣٦٩٧ ـ الإحسان).
من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (٢/ ٥٠٦/ ٩٤٦)، ومسلم (٦/ ٣٤٠/ ٦٩).
من طريق: جويرية بن أسماء، عن نافع، عن عبدالله قال: . . . الحديث.

(٣) [**متفق عليه**] أخرجه البخارى (١٣/ ٣٣٠/ ٧٣٥٢)، ومسلم (١٢/ ١٣ ـ النووى).
وأحمد فى «مسنده» (٤/ ١٩٨، ٢٠٤).
من حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه مرفوعاً.
انظر «الإحكام فى أصول الأحكام» (٤/ ٩٣٣ ـ بتخريجنا).

(٤) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

«ودينُ الله فى الأرضِ والسَّماءِ واحدٌ، وهو دينُ الإسلامِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وهو بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصيرِ، وبَيْنَ التَّشبيهِ والتَّعطيلِ، وبَيْنَ الجَبْرِ والقَدَرِ، وبَيْنَ الأَمْنِ والإياسِ».

سؤال: اختلافُ التَّضادِّ لا يَمْنَعُ مِنْ إنصافِ المخالفين اشرح ذلك بالدليل ما أمكن.

جواب: أمَّا اختلافُ التضاد: فهو القولانِ المتنافيان، إمَّا فى الأصول وإما فى الفروع، والمصيبُ واحدٌ، والخطبُ فى هذا أشدُّ، لأنَّ القولين يتنافيان، لكن نجد كثيراً من هؤلاء قد يكونُ القولُ الباطلُ الذى مع منازعه فيه حقٌّ ما، أو معه دليلٌ يقتضى حقاً ما، فيردُّ الحقَّ مع الباطلِ، حتى يبقى هذا مُبطلا فى البعض، كما كانَ الأول مبطلاً فى الأصل، وهذا يجرى كثيراً لأهل السُّنَّة.

[وأكثر الاختلاف الذى يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول، لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق، ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل والأخرى كذلك، ولذلك جعل الله مصدره البغى فى قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩] لأن البغى مجاوزة الحد](*).

سؤال: فى هذا الاختلاف، يُمدَحُ فيه أَهلُ الحقِّ فقط، بين ذلك.

جواب: قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩].

سؤال: ذمُّ الاختلافِ فى الكتابِ وضَرْبِ بعضه ببعض اشرح هذه العبارة مستدلاً لما تقول ما أمكنك؟

جواب: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، قال: خرج رسولُ الله ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون فى القدر، هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية، فكأنما فقئ فى وجهه حبُّ الرُّمان، قال: «أبهذا أُمرتم؟ ما أُمرتُم به فاتَّبعُوهُ، وما نُهيتم عنهُ فانتهوا»(١).

وفى رواية: «يا قومُ بهذا ضَلَّت الأممُ قَبْلَكم، باختلافهم على أنبيائهم وضَربهم الكتابَ بعضه ببعض، وإنَّ القرآنَ لم ينزل لتضربوا بعضه ببعضٍ، ولكن نَزَلَ القرآنُ يُصدِّقُ بعضه بعضاً، ما عرفتم منه، فاعملوا به، وما تشابه، فآمنوا به».

(*) «تهذيب الطحاوية» د/ صلاح الصاوى.

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٢/ ١٨١). من حديث عبدالله بن عمرو، رضى الله عنه.

وفى رواية: «**فإنَّ الأمم قبلكم لم يُلعنوا حتى اختلفوا، وإنَّ المراء فى القرآن كفرٌ**».

وعن عبدالله بن عمرو قال: هَجَّرْتُ إلى رسول الله ﷺ يوماً، فَسمعَ أصواتَ رجلين اختلفا فى آية، فخرج علينا رسولُ الله ﷺ يُعْرَفُ فى وجهه الغضبُ، فقال: «**إنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبلكم باختلافهمْ فى الكتاب**»(١).

وقال: «**فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إلى عالِمِه**»(٢).

سؤال: اذكر موقف أهل البدع من هذا النوع من الاختلاف؟.

جواب: [كافة أهل البدع مختلفون فى تأويل الكتاب مؤمنون ببعضه دون بعض، يقرون بما يوافق رأيهم من الآيات، وأما ما خالفه فإنهم يقابلونه إما بالتأويل الذى يحرفون به الكلم عن مواضعه، أو بالتفويض كقولهم: هذا مما لا نفهم من معانيه، وهو فى معنى الكفر بذلك، لأن الإيمان باللفظ بلا معنى هو من جنس إيمان أهل الكتاب. قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾ [الجمعة: ٥] وقال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ** ﴾ [البقرة: ٧٨]. أى تلاوة بلا فهم. وليس هذا كالمؤمن الذى يعمل بما فهم من القرآن، ويفوض إلى الله ما اشتبه عليه، كما أمره بذلك النبى ﷺ.

قال ﷺ: «.... **فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه**»](*).

ثَبَتَ عن النبى ﷺ أنَّه قال: «**إنّا مَعَاشِرَ الأنبياءِ ديننا واحدٌ**»(٣). وقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ [آل عمران: ٨٥]. عامٌّ فى كلِّ زمانٍ، ولكنَّ الشَّرائعَ تتنوَّع، كما قال تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾[المائدة: ٤٨].

فدين الإسلام: هو ما شرعهُ اللهُ سبحانه وتعالى لعباده على السنة رسله، وهو ظاهرٌ غاية الظهور، يمكن كل مميزٍ من صغيروكبير، وفصيح وأعجم، وذكى وبليد أن يدخل فيه بأقصر زمان، وإنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار كلمة أو تكذيب، أو معارضة، أو كذبٍ على الله، أو ارتيابٍ فى قول الله، أو رَدٍّ لما أنزلَ، أو شكٍّ فيما نَفَى اللهُ عنه الشَّكَّ، أو غيرَ ذلك مما فى معناه.

[ظهور الدين وسهولة تعلمه]:

---

(١) أخرجه مسلم فى «العلم»/ باب النهى عن اتباع متشابه القران (٨/ ٤٦٩/ ح٢٦٦٦).

(٢) أحمد فى «مسنده» (٢/ ١٨١) من حديث عبدالله بن عمرو.

(*) تهذيب الطحاوية د/ صلاح الصاوى.

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخارى فى «أحاديث الأنبياء» / باب: قول الله تعالى ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا**﴾ (٦/ ٥٥٠/ ح ٣٤٤٣) ومسلم فى «الفضائل»/ باب فضائل عيسى عليه السلام (٨/ ١٣٠/ ح٢٣٦٥).

وقد دل الكتاب والسنة على ظهور دين الإسلام وسهولة تعلمه، وأنه يتعلمه الوافد ثم يولى فى وقته، واختلاف تعليم النبى ﷺ فى بعض الألفاظ بحسب حال من يتعلم.

* فمن كان بعيد الموطن كوفد عبدالقيس علمهم ما لا يسعهم جهله.

* ومن كان قريباً يمكنه الإتيان فى كل وقت بحيث يتعلم على التدريج أجابه بحسب حاله وحاجته كالذى قال له: «قل آمنت بالله ثم استقم»](*).

سؤال: كيف يكون الإسلامُ بينَ الغُلُوِّ والتَّقصير(١)؟

جواب: قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**﴾[النساء: ١٧١]. ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ**﴾[المائدة: ٧٧]. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾[المائدة: ٨٧ ـ ٨٨].

وعَن عائشةَ رضى الله عنها: أنَّ ناساً مِنْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ سألُوا أزواج النبىِّ ﷺ عن عمله فى السِّرِّ؟ فقالَ بعضهم: لا آكلُ اللحمَ، وقالَ بعضهم: لا أتزوجُ النساءَ، وقال بعضهم: لا أنامُ على فِراشٍ، فبلغ ذلك النبىَّ ﷺ فقال: «**ما بالُ أقوامٍ يَقولُ أحَدُهُم كَذا وكذا؟! لكنى أصومُ وأُفطِرُ، وأنامُ وأقومُ، وآكلُ اللحمَ، واتزوجُ النساء، فمن رغبَ عن سُنَّتى فَلَيسَ مِنِّى**»(٢).

[وقد ذُكر فى سبب نزول هذه الآية الكريمة أن عثمان بن مظعون وعلى بن أبى طالب، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالماً مولى أبى حذيفة فى أصحابه: تبتلوا فجلسوا فى البيوت، واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح، وحرّموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما يأكل، ويلبس أهل السياحة

(*) تهذيب الطحاوية د/ صلاح الصاوى.

(١) قال ابن القيم فى مدارج السالكين (٢/ ١٠٢): قال بعض السلف: ما أمر الله بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما إلى تفريط وإما إلى مجاوزة، وهى الإفراط، ولايبالى بأيهما ظفر، زيادة أو نقصان ا ـ هـ.
وقال ابن تيمية فى الواسطية: فإن الفرقة الناجية أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به فى كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط فى فرق الأمة، كما أن الأمة هى الوسط فى الأمم.
فهم وسط فى باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط فى باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم. وفى باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم. وفى باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية. وفى أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج. ا ـ هـ.

(٢) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٩/ ٥، ٦/ ٦٣ ـ ٥٠٦٣)، ومسلم (٥/ ١٨٦/ ٥).
من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه.

«فَهذَا دِينُنَا وَاعتِقَادُنَا ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَنَحنُ بُرَآءُ إِلى الله تعالى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الذى ذَكَرنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ، ونسأل الله تعالى أنْ يُثَبِّتَنا عَلى الإيمان، وَيَخْتِمَ لَنَا به، وَيَعْصِمنَا مِنَ الأَهواء المُخْتَلِفة، والآراء المتَفَرِّقَة، والمذاهب الرَّدِيَّة، مثْلُ المشَبِّهَة، والمعتَزلة، والجهمية، والجَبْرِيَّة، والقَدَرِيَّة، وغيرهم، مِنَ الذينَ خالَفوا الجماعَةَ، وحالَفُوا الضَّلالَةَ، ونحنُ مِنْهُم بَراءٌ، وهم عندنا ضُلاَّلٌ وأَردِياءُ، وبالله العِصْمَةُ والتَّوفيقُ».

من بنى إسرائيل وهموا بالاختصاء وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت هذه الآية. فبعث إليهم النبى ﷺ فقال: «إن لأنفسكم عليكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً، وصوموا وأفطروا، وصلوا وناموا، فليس منا من ترك سنتنا»، فقالوا: اللهم سلمنا واتبعنا ما أنزلت](١)(٢).

سؤال: الإسلام بينَ التَّشْبِيه والتَّعطيلِ بين ذلك بالدليل.

جواب: قال تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾، نفى للتشبيه، وردٌّ على المُشَبِّهة. ﴿وهو السميع البصير﴾، اثباتٌ، وَرَدٌّ على المعطلة. وقد تقدم الكلامُ على هذا المعنى.

سؤال: الإسلام بين الجَبْرِ والقدَرِ والأمن والإياس بين ذلك.

جواب: أى أنَّ العَبْدَ غيرُ مجبورٍ على أفعاله وأقواله، وأنها ليست بمنزلة حركات المرتعش وحَركات الأشجار بالرياح، وليسَت مخلوقَةً للعبد، بل هى فعلُ العَبْدِ وكسبه، وخَلْقُ الله تعالى. وقد تقدَّم الكلام عن هذا.

«وبين الأمْنِ والإياسِ» أى يجب على العَبْدِ أن يكون حالُه بين الخَوفِ والرَّجاءِ، وقد تقدَّمَ.

قوله «فهذا ديننا ظاهراً وباطناً....».

سؤال: عرف ببعض الفرق الضالَّة.

جواب: المشبهة: هم الذين شبهوا الخالق بالمخلوق، كداود الجواربى وأشباهه.

المعتزلة: نسبة إلى عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، سموا بالمعتزلة لاعتزالهم مجالس المسلمين فى المسجد. يقوم مذهبهم على خمسة أصول لبسوا فيها الحق بالباطل.

---

(١) ذكره الطبرى فى «تفسيره» برقم (١٢٣٤٨) من طريق: القاسم، عن الحسين، عن حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قال ابن كثير بعد أن أورده عن ابن جرير: وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسلة ولها شاهد فى «الصحيحين من حديث عائشة يريد الحديث الذى ذكره المؤلف قبل هذا. وانظر «الدر المنثور» (٢/٣٠٧ - ٣٠٨). انظر الطحاوية تحقيق الأرنؤوط.

(٢) تهذيب الطحاوية د/ صلاح الصاوى.

١ـ **العدل**: ستروا تحته نفى القدر، وقالوا: كيف يخلق الله الشر ثم يعذب عليه؟ فمن لوازم العدل عندهم: نفى خلق الله للشر!!

٢ـ **التوحيد**: ستروا تحته القول بخلق القرآن، إذ لو كان غير مخلوق، لزم تعدد القدماء!!

٣ـ **الوعيد**: قالوا: من وعده الله بالنار، فلابد أن ينفذ فيه وعيده، فلا يغفر لمن يريد، ولا يعفو عمن يشاء.

٤ـ **المنزلة بين المنزلتين**: فعندهم: أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان، ولا يدخل الكفر، وهو بين المنزلتين!!

٥ـ **الأمر بالمعروف**: وهو الدعوة إلى باطلهم ومعتقداتهم. والنهى عن المنكر، ضمنوه الخروج على أئمة المسلمين بالقتال إذا جاروا!!

وهم يقدمون العقل على النقل، والكتاب والسنة عندهم بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب!! وإذا استدلوا بأدلة سمعية، إنما يذكرونها للاعتضاد بها، لا للاعتماد عليها، ومنهم من يذكرها ليبين موافقة السمع للعقل، ولإيناس الناس بها..!!

[وهم مشبهة الأفعال، لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال العباد. فقالوا: ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه، ويجب عليه أن يفعل كذا ولا يجوز له أن يفعل كذا. وهو فاسد، فإن السيد من البشر لو رأى عبيده تزنى بإمائه ولم يمنعهم، يعد إما مستحسناً للقبيح، أو عاجزاً عنه! فكيف يصح قياس أفعاله تعالى على أفعال عباده؟! وعندهم أن التوحيد والعدل من الأصول العقلية التى لايعلم صحة السمع إلا بعدها، فالقرآن والسنة فيها بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب، فالاستدلال بهما للاعتضاد بهما، لا للاعتماد عليهما، فهم بمنزلة من يتبع هواه، واتفق أن الشرع ما يهواه.

قال عمر بن عبدالعزيز: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذاً أنت لا تثاب على ما وافقته من الحق، وتعاقب على ما تركته منه؛ لأنك إنما اتبعت هواك فى الموضعين. وفى المعتزلة زنادقة كثيرة، وفيهم من ضل سعيه فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

الجهمية: نسبة إلى جهم بن صفوان، أظهر نفى الصفات والتعطيل. وقال بنفى الجنة والنار، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فعل لأحد فى الحقيقة إلا لله وحده، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز!!.

سؤال : ما هو اعتقاد الجهمية فى الله تعالى؟

جواب : الجهمية: هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندى، وهو الذى أظهر نفى الصفات والتعطيل وكان قد أخذ ذلك عن الجعد بن درهم الذى ضحى به خالد بن عبدالله القسرى بعد استفتاء علماء زمانه. وكان الجهم بعده بخراسان، فأظهر مقالته هناك، وتابعه عليها البعض بعد أن ترك الصلاة أربعين يوماً شكا فى ربه، أثر مناظرة جرت بينه وبين بعض فلاسفة الهند.

فقد قالوا: ربك هذا الذى تعبده: هل يرى؟ أو يشم؟ أو يذاق؟ أو يلمس؟ فقال: لا، فقالوا: هو معدم!

فلما خلا قلبه من معبود يؤلهه نقش الشيطان اعتقاداً نحته فكره، فقال: إنه الوجود المطلق ونفى جميع الصفات، واتصل بالجعد. وقتل الجهم بخراسان، قتله سلم بن أحوز، ولكن مقالته كانت قد فشت فى الناس وتقلدها بعده المعتزلة، إلا أن الجهم كان أدخل فى التعطيل منهم، لأنه ينكر الأسماء حقيقة، وهم ينكرون الأسماء بل الصفات.

سؤال: متى اشتهرت الجهمية؟

جواب : وإنما اشتهرت مقالة الجهمية من حين محنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة، فقد قويت شوكتهم فى إمارة المأمون الذى كان قد أقام بخراسان مدة واجتمع بهم.

سؤال : أذكر بعض الأمور التى تفرد بها الجهم؟.

جواب : ومما انفرد به الجهم ما يأتى:

* القول بفناء الجنة والنار.

* أن الإيمان هو المعرفة فقط، وأن الكفر هو الجهل فقط.

* القول بأن فعل العبد بمنزلة لونه وطوله، وإن نسب إليه فعله فعلى سبيل المجاز، كما يقال: تحركت الشجرة، وزالت الشمس.

وقد تنازع العلماء فى الجهمية: هل هم من الثنتين وسبعين فرقة أم لا؟ على قولين. وممن قال: إنهم ليسوا منهم: عبدالله بن المبارك، ويوسف بن أسباط.

الجبرية: أصل قولهم من جهم بن صفوان، وقالوا: إن العبد مسير، وفعله بمنزلة طوله ولونه، وهم عكس القدرية نفاة القدر. فالجبرية: غالوا فى إثبات القدر، والقدرية: غالوا فى نفى القدر!!

وقد تقدم الرد على مبادىء هذه الفرق الضالة كلها.

[الجبرية: أصل قولهم من الجهم، وهم عكس القدرية نفاة القدر فإنهم نسبوا إليه لتفيهم إياه، وقد تسمى الجبرية قدرية؛ لأنهم غلوا فى إثبات القدر.

سؤال: ما هو اعتقاد القدرية؟

جواب: القدرية: هم نفاة القدر، وقد نسبوا إليه لنفيهم إياه، وقد تسمى الجبرية قدرية لأنهم غلوا فى إثبات القدر.

وقد ورد فى ذم القدرية أحاديث فى السنن، منها:

ما رواه أبو داود عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»(١).

وقد روى فى ذمهم أحاديث أخرى تكلم أهل الحديث فى صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة، بخلاف الأحاديث الواردة فى ذم الخوارج، فإن فيهم فى الصحيح وحده عشرة أحاديث، أخرج البخارى منها ثلاثة وأخرج مسلم سائرها. لكن شبههم بالمجوس ظاهر، بل قولهم أردأ من قول المجوس، فإن المجوس: اعتقدوا وجود خالقين والقدرية اعتقدوا خالقين.

سؤال: ما هو اعتقاد المرجئة؟

جواب: المرجئة: سميت بذلك لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجئ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ومنهم من سموا بذلك لأنهم لا يجزمون بشىء من الوعد والوعيد، بل يغلون فى إرجاء كل أمر حتى الأنواع، فلا يجزمون بثواب من تاب، ولا بعقوبة من لم يتب.

وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعليًا، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر!.

سؤال: متى نشأت هذه الفرق الضالة؟.

جواب: وهذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة.

قال سعيد بن المسيب: وقعت الفتنة الأولى ـ يعنى: مقتل عثمان ـ فلم تبق من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية فلم تبق من أصحاب الحديبية أحداً، ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ. أى: عقل وقوة.

فالخوارج والشيعة حدثوا بعد الفتنة الأولى.

والقدرية والمرجئة فى الفتنة الثانية.

والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة.

فصار هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً يقابلون البدعة بالبدعة. أولئك غلوا فى على، وأولئك كفروه، وأولئك غلوا فى الوعيد حتى خلدوا بعض المؤمنين فى النار، وأولئك غلوا فى الوعد حتى نفوا بعض الوعيد، وأولئك غلوا فى التنزيه حتى نفوا بعض الصفات، وأولئك غلوا فى الإثبات حتى وقعوا فى التشبيه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩١) والحاكم (١/ ٨٥) من طريق أبى حازم سلمة بن دينار عن ابن عمر. وهو منقطع لان أبا حازم لم يسمع من ابن عمر.

سؤال: ما هو سبب الضلال عن صراط الله المستقيم.

جواب: سبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم، عدولهم عن الصراط المستقيم، الذى أمرنا باتباعه، فقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وقال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال ابن مسعود ـ رضى الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، وقال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره، وقال: «هذه سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾»(١).

لهذا شرع الله تعالى فى الصلاة قراءة أم القرآن فى كل ركعة، المشتملة على أشرف المطالب وأجلها، فقد أمرنا الله تعالى أن نقول: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾(٢). وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**اليهود مغضوبٌ عليهم، والنصارى ضالون**»(٣).

---

(١) [حسن] أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٣١٨)، وأحمد (١/ ٤٣٥، ٤٦٥) والطبرى (١٤١٦٨).
من طريق: عاصم، عن أبى وائل، عن عبدالله ـ رضى الله عنه ـ قال: ... الحديث قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبى.

(٢) قال ابن جرير فى التفسير (٢/ ٥): إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم فى الدين، فلاهم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم فى عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها اهـ.
وفى معنى الاستقامة: قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه: أن تستقيم على الأمر والنهى، ولا تروغ روغان الثعالب.
وقال الحسن: استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معاصيه.
وقال ابن تيمية: استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يتلفتوا عنه يمنة ولا يسرة.
وقال ابن القيم فى مدارج السالكين (٢/ ١٠٤ ـ ١٠٥): فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهى: القيام بين يدى الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد. والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله.
وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة اهـ.
وقال ابن كثير فى التفسير (١/ ٢٩): اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف فى تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شىء واحد، وهو المتابعة لله ولرسوله اهـ.

(٣) [حسن] أخرجه الترمذى (٥/ ٢٠٣/ ٢٩٥٤)، وأحمد (٤/ ٣٧٨)، والطيالسى (١٠٤٠).
من طريق: سماك بن حرب عن عبّاد بن حُبيش عن عدى بن حاتم عن النبى ﷺ قال: ... الحديث وصححه ابن حبان (١٧١٥).

سؤال: أذكر مسالك الفرق الضالة فى الوحى؟.

جواب: وللفرق الضالة فى الوحى طريقتان:

١ـ طريقة التبديل. ٢ـ طريقة التجهيل.

أما أهل التبديل فهم نوعان:

١ـ أهل الوهم والتخييل. ٢ـ وأهل التحريف والتأويل.

فأهل الوهم والتخييل يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر، والجنة والنار بأمور غير مطابقة للواقع، بل خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به: أن الله شىء عظيم كبير، وإن كان الأمر ليس كذلك، وإن كان كذباً فهو لمصلحة الجمهور! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل.

أما أهل التحريف والتأويل فإنهم يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق فى نفس الأمر، بل الحق ما علمناه بعقولنا، ثم يتأولون هذه الأقوال بما يوافق رأيهم ومعقولاتهم.

وأما أهل التجهيل والتضليل: فحقيقة قولهم: أن الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء، ويجوزون أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله وحده، فلا يعلمه جبريل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء! وأن رسول الله ﷺ كان يقرأ آيات الصفات فلا يعرف معانيها لأن ذلك لا يعرفه إلا الله، ويظنون هذه الطريقة طريقة السلف.

ومنهم من يقول: إن المراد بها خلاف مدلولها الظاهر، ولا يعرفه أحد كما لايعلم وقت الساعة.

ومنهم: من يقول تجرى على ظاهرها وتحمل على ظاهرها، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلاً يخالف ظاهرها، وقالوا مع هذا: إنها تحمل على ظاهرها.

فهؤلاء مشتركون فى القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التى يجعلونها مشكلة متشابهة.

ثم منهم من يقول: لم يعلم معانيها، ومنهم من يقول: علمها ولم يبينها بل أحال فى بيانها إلى الأدلة العقلية.

فهم مشتركون بأن الرسول ﷺ لم يأت بها بما يوافق عقولنا، وأن الأنبياء لايعرفون العقليات ولايفهمون السمعيات، وكل ذلك ضلال وتضليل عن سواء السبيل.

نسأل الله السلامة والعافية، من هذه الأقوال الواهية، المفضية بصاحبها إلى الهاوية.

***

الخاتمة:

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

عبدالمنعم إبراهيم عامر

مسلسل	الموضوع	الصفحة
١	**مقدمة تمهيدية**	٧
٢	**مؤلف هذه العقيدة السلفية المفيدة**	١٠
٣	**مقدمة العقيدة وقول المصنف «هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة...»**	١١
٤	**الرسم التوضيحي لمحتويات الكتاب.**	١٥
٥	**الفصل التمهيدي [حقيقة الإيمان]**	١٧
٦	**الأهداف الخاصة**	
٧	**الرسم التوضيحي للفصل التمهيدي**	١٨
٨	**التمهيد**	١٩
٩	**المبحث الأول: الخلاف في مسمى الإيمان**	٢٠
	قوله «والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان»	
١٠	**المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه**	٢٣
	قوله «والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء...»	
١١	**المبحث الثالث: الحكم بالإسلام والحكم بالكفر**	٢٤
	قوله «ونسمي أهل قبلتنا مسلمين، مؤمنين، مادامـوا بما جاء به النبي ﷺ معترفين...»	
١٢	**الربط بين الظاهر والباطن**	٢٤
١٣	**المبحث الرابع: الحكم بالكفر وضوابطه**	٢٥
	قوله «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، مالم يستحله»	
	قوله «ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»	
	قوله «ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه»	
١٤	**رد حكم الكتاب.**	٣٠
	قوله «فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب...»	
١٥	**ما يحل به دم المسلم**	٣٠
	قوله «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ....»	
١٦	**المبحث الخامس: الكبائر والصغائر**	٣١
	قوله «وأهل الكـبائر من أمة مـحمد ﷺ في النار لا يـخلدون إذا ماتوا وهم موحدون....»	
١٧	**المبحث السادس: حكم الشهادة لمعين بالجنة أو بالنار**	٣٤

	قوله «ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً»	
١٨	**المبحث السابع: صحة الإقتداء بأهل القبلة.**	٣٦
	قوله «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة. . . .»	
١٩	**المبحث الثامن: أركان الإيمان.**	٣٨
	قوله «والإيمان هوالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، . . .»	
	قوله: «ونؤمن بالملائكة، والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين. . .»	
	قوله «ونحن مؤمنون بذلك كله»	
	قوله «لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤا به»	
٢٠	**الخلاصة**	٣٩
٢١	**الاختبار البعدى للفصل**	٤٣
٢٢	**الباب الأول: التوحيد**	٤٣
٢٣	**الأهداف الخاصة، والرسم التوضيحى**	
٢٤	**تمهيد الباب الأول**	٤٧
٢٥	**الفصل الأول: توحيد الربوبية**	٤٩
	الأهداف الخاصة، والرسم التوضيحى	
٢٦	**المبحث الأول: فطر القلوب على هذا التوحيد**	٤٩
	قوله «نقول فى توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له».	
٢٧	**المبحث الثانى: الميثاق الذى أخذه الله من آدم وذريته**	٥٠
	قوله «والميثاق الذى أخذه الله من آدم وذريته حق»	
٢٨	**هو الخالق الرازق**	٥١
	قوله «خلق بلا حاجة، رازق «بلا مؤونة»	
٢٩	**المبحث الثالث: الخلاف فى أول هذا العالم**	٥٢
	قوله «خلق الخلق بعلمه»	
٣٠	**تقدير الأقدار**	٥٢
	قوله «وقدر لهم أقداراً»	
٣١	**الخلاصة**	٥٢
٣٢	**أسئلة التقويم الذاتى**	٥٤
٣٣	**الفصل الثانى: توحيد الإلهية**	٥٥
	الأهداف الخاصة، والرسم التوضيحى	
٣٤	**المبحث الأول: التوحيد الذى دعت إليه الرسل**	٥٦

	قوله «ولا إله غيره»	
٣٥	**المبحث الثاني: الدعاء وأثره في جلب المنافع، ودفع المضار**	٥٨
	قوله «والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات»	
٣٦	**المبحث الثالث: الكهانة والتنجيم**	٥٩
	قوله «ولا نصدق: كاهناً ولا عرافاً، ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة».	
٣٧	**المبحث الرابع: الولاية ومراتبها**	٦٠
	قوله «والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن»	
٣٨	**التفاضل بين المؤمنين بالتقوى**	٦٠
	قوله «وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن»	
٣٩	**الحب في الله والبغض في الله من تمام العبودية**	٦٢
	قوله «ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة»	
٤٠	**المبحث الخامس: المعجزة والكرامة**	٦٢
	قوله «ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم....»	
٤١	**المبحث السادس: الأنبياء أولا ثم الأولياء**	٦٣
	قوله «ولانفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء...»	
٤٢	**المبحث السابع: دور العقل مع النقل، فساد منهج المتكلمين**	٦٥
	قوله «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والإستسلام»	
٤٣	**القول على الله بغير علم**	٦٥
	قوله «فمن رام علم ما خطر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه...»	
٤٤	**الشك والحيرة لمن عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام**	٦٦
	قوله «فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب....»	
٤٥	**التفويض إلى الله فيما اشتبه علينا علمه.**	٦٦
	قوله «ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه»	
٤٦	**المبحث الثامن: حجية أخبار الآحاد**	٦٧
	قوله «وجميع ماصح عنه ﷺ من الشرع والبيان كله حق»	
٤٧	**الخلاصة**	٦٨
٤٨	**أسئلة التقويم الذاتي**	٦٩
٤٩	**الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات**	٧٠
	الأهداف الخاصة، والرسم التوضيحي	

٥٠	**المبحث الأول: قواعد كلية في باب الصفات**	٧١
٥١	**القاعدة الأولى: نفي التشبيه وبطلان التعطيل**	٧٣
	قوله «ولا شيء مثله»	
٥٢	**النفي والتشبيه مرضان من أمراض القلوب**	٧٣
	قوله «ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه»	
٥٣	**بطلان التشبيه**	٧٤
	قوله «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر. . . .»	
٥٤	**الرد على المشبهة**	٧٤
	قوله «لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام»	
٥٥	**القاعدة الثانية: أزلية الصفات**	٧٦
	قوله «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه»	
	قوله «لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته»	
	قوله «وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً»	
٥٦	**تنزيه الرب بصفاته**	٧٧
	قوله «فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، ونعوت الفردانية. . .».	
٥٧	**هو الخالق البارئ**	٧٧
	قوله «ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم «الخالق»، ولا بإحداث البرية استفاد اسم« البارى»	
	قوله «له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولامخلوق».	
٥٨	**هو المحيي.**	٧٨
	قوله «وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحياهم، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم. . .».	
٥٩	**المبحث الثاني: القرآن كلام الله.**	٧٩
	قوله «وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً».	
	قوله «وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً. . .».	
	قوله «فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر».	
	قوله «وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر. . . .».	
٦٠	**المبحث الثالث: استغناؤه عن خلقه، واحاطته بهم، وعلوه عليهم.**	٨٢
	قوله «وهو مستغن عن العرش وما دونه».	

	قوله «محيطٌ» بكل شئ وفوقه، وقد أعجز عن إلاحاطة خلقه»	
٦١	**المبحث الرابع: رؤية الله تعالى والرد على دعاة التأويل.**	٨٧
	قوله «والرؤية حق لأهل الجنة بلا إحاطة ولا كيفية»	
	قوله «وتفسيره على ما أراد الله تعالى و علمه....».	
	قوله «ومعناه على ما أراد لا ندخل فى ذلك متأولين بأرائنا...»	
	قوله «فإنه ما سلم فى دينه إلا من سلم لله عز وجل...».	
٦٢	**الرد على من أنكر الرؤية**	٨٩
	قوله «ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم...».	
٦٣	**المبحث الخامس: علم الله.**	٩٠
	قوله «خلق الخلق بعلمه»	
	قوله «لم يخف عليه شئ قبل أن يخلقهم»	
	قوله «وعلم ماهم عاملون قبل أن يخلقهم».	
	قدرة الله.	
	قوله «ولا شئ يعجزه».	
٦٤	**المبحث السادس: هو الأول والآخر.**	٩١
	قوله «قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء».	
٦٥	**المبحث السابع: الحى القيوم.**	٩٤
	قوله «حى لا يموت، قيوم لا ينام».	
	قوله «لا يفنى ولايبيد».	
٦٦	**المبحث الثامن: العرش والكرسى.**	٩٥
	قوله «والعرش والكرسى حق».	
٦٧	**المبحث التاسع: الغضب والرضا.**	٩٧
	قوله «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى».	
٦٨	**المبحث العاشر: الخلة والمحبة.**	٩٨
	قوله «ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليماً...»	
٦٩	**المبحث الحادى عشر: تنزيه الله تعالى عن الظلم.**	٩٩
	قوله «يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً».	
	قوله «يهدى من يشاء، ويعصم ويعافى فضلاً....»	
	قوله «وكلهم يتقلبون فى مشيئته بين فضله وعدله...».	
	قوله «ذلك بأنه على كل شئ قدير، وكل شئ إليه فقير...».	

٧٠	**المبحث الثانى عشر: تنزيه الله عز وجل عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات.**	١٠٤
	قوله: «وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات..».	
٧١	**الخلاصة**	١٠٦
٧٢	**أسئلة التقويم الذاتى**	١٠٨
٧٣	**الاختبار البعدى للوحدة**	
٧٤	**الباب الثانى: الإيمان بالملائكة**	١١٠
	الأهداف الخاصة، والرسم التوضيحى.	
٧٥	**المبحث الأول: أصناف الملائكة ومراتبهم.**	١١٢
	قوله «ونؤمن بالملائكة...».	
٧٦	**المبحث الثانى: الكرام الكاتبون.**	١١٣
	قوله «ونؤمن بالكرام الكاتبين...».	
٧٧	**المبحث الثالث: ملك الموت.**	١١٥
	قوله «ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين..».	
٧٨	**الخلاصة**	١١٥
٧٩	**الاختبار البعدى للوحدة**	١١٦
٨٠	**الباب الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة**	١١٧
	الأهداف الخاصة، والرسم التوضيحى.	
٨١	**المبحث الأول: الإيمان بالكتب عموماً.**	١١٨
	قوله «ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين..».	
٨٢	**المبحث الثانى: الإيمان بأن القرآن كلام الله.**	١١٩
	قوله «ولا نجادل فى القرآن».	
	قوله «ونشهد أنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين...».	
	قوله «وهو كلام الله تعالى لا يساويه شئ من كلام المخلوقين..».	
	قوله «ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين..»	
٨٣	**الخلاصة**	١٢٢
٨٤	**الاختبار البعدى للوحدة.**	١٢٣
٨٥	**الباب الرابع: الإيمان بالرسل.**	١٢٤
	الأهداف الخاصة، والرسم التوضيحى.	
٨٦	**المبحث الأول: المقصود من الإيمان بالرسل.**	١٢٦

	قوله «ونؤمن بالملائكة والنبيين...».	
٨٧	**المبحث الثاني: الأدلة على نبوة محمد ﷺ.**	١٢٧
	قوله «وإن محمداً عبده المصطفى....».	
٨٨	**المبحث الثالث: ختم النبوة بمحمد ﷺ.**	١٢٩
	قوله «وإنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء».	
	قوله «وكل دعوى نبوة بعده فغى وهوى».	
٨٩	**المبحث الرابع: عموم بعثته ﷺ.**	١٣١
	قوله «وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى...».	
٩٠	**المبحث الخامس: المفاضلة بين الأنبياء.**	١٣٣
	قوله «وسيد المرسلين».	
٩١	**خلة الله لنبيه**	١٣٤
	قوله «وحبيب رب العالمين».	
	قوله «ونحن مؤمنون بذلك كله، لانفرق بين أحد من رسله...».	
٩٢	**المبحث السادس: الإسراء والمعراج.**	١٣٦
	قوله «والمعراج حق، وقد أسرى بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة.»	
٩٣	**الخلاصة**	١٣٧
٩٤	**الاختبار البعدي للوحدة.**	١٣٨
٩٥	**الباب الخامس: الإيمان باليوم الآخر.**	١٣٩
	الأهداف الخاصة، والرسم التوضيحي.	
٩٦	**المبحث الأول: أشراط الساعة.**	١٤٠
	قوله «ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى...».	
٩٧	**حياة البرزخ**	١٤٥
	قوله «مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة».	
٩٨	**المبحث الثاني: عذاب القبر وفتنته.**	١٤٧
	قوله «وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره».	
	قوله «والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران».	
٩٩	**المبحث الثالث: انتفاع الموتى بالصدقة والدعاء**	١٥٠
	قوله «وفي دعاء الأموات وصدقاتهم منفعة للأموات».	
١٠٠	**الفصل الثاني: الإيمان بالمعاد.**	١٥٣
	قوله «ونؤمن بالبعث، وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض، والحساب».	

١٠١	**المبحث الثانى: الحوض.**	١٥٧
	قوله «والحوض الذى أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته حق».	
١٠٢	**الميزان**	١٥٨
١٠٣	**الصراط**	١٥٩
١٠٤	**المبحث الثالث: الشفاعة**	١٦١
	قوله«والشفاعة التى ادخرها لهم حق، كما روى فى الأخبار».	
١٠٥	**المبحث الرابع: وجود الجنة النار، وأبديتهما.**	١٦٣
	قوله «والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان».	
	قوله «فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً..».	
١٠٦	**الخلاصة.**	١٦٩
١٠٧	**الأختبار البعدى للوحدة.**	١٧١
١٠٨	**الباب السادس: الإيمان بالقدر.**	
	الأهداف الخاصة، والرسوم التوضيحية.	
١٠٩	**المبحث الأول: أصل القدر ونزاع الفرق فيه.**	١٧٤
	قوله «وأصل القدر سر الله تعالى فى خلقه...»	
	قوله «والتعمق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان...»	
١١٠	**المبحث الثانى: الايمان بالقدر أصل من أصول الدين.**	١٧٩
	قوله «والإيمان هو: الإيمان بالله، ... والقدر خيره وشره، حلوه ومره من الله تعالى...».	
١١١	**القدر نظام التوحيد.**	١٨٠
	قوله «وذلك من عقد الإيمان، وأصول المعرفة، والإعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته...».	
١١٢	**علم فقدر**	١٨١
	قوله «وعلى العبد أن يعلم: أن الله قد سبق علمه فى كل كائن من خلقه...».	
١١٣	**المبحث الثالث: عموم القدرة والمشيئة.**	١٨٣
	قوله «وكل شئ يجرى بتقديره ومشيئته..»	
	قوله «ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم...»	
	قوله «وكل شئ يجرى بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره..»	
	قوله «تقدس عن كل سوء وحين، وتنزه عن كل عيب وشين...».	
١١٤	**عموم الإرادة**	١٨٦

	قوله «ولا يكون إلا ما يريد»	
١١٥	**المبحث الرابع: تفصيل القول فى أفعال العباد.**	١٨٨
	قوله «وأفعال العباد هى خلق لله، وكسب من العباد...»	
١١٦	**المبحث الخامس: الإيمان باللوح المحفوظ والقلم.**	١٩٠
	قوله «ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم».	
١١٧	**كتابة المقادير.**	١٩١
	قوله «فلو اجتمع الخلق كلهم على شئ كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه...».	
	قوله «وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه».	
١١٨	**المبحث السادس: مرض القلب فى القدر.**	١٩٣
	قوله «فويل لمن صار قلبه فى القدر قلباً سقيماً، ولقد التمس بوهمه فى فحص الغيب سراً كتيماً...»	
١١٩	**المبحث السابع: الاستطاعة وعلاقتها بالتكليف.**	١٩٤
	قوله «والاستطاعة التى يجب بها الفعل...»	
	قوله «وأما الاستطاعة من حيث الصحة والوسع والتمكن وسلامة الالات فهى قبل الفعل...».	
١٢٠	**التكليف بما لا يطاق.**	١٩٧
	قوله «ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ماكلفهم...»	
	قوله «نقول: لاحيلة لأحد، ولا حركة لأحد، ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله...».	
	قوله «والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقى من شقى بقضاء الله».	
١٢١	**المبحث الثامن: العلم المفقود، والعلم الموجود.**	١٩٩
	قوله «فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى وهى درجة الراسخين فى العلم لأن العلم علمان: علم فى الخلق موجود، وعلم فى الخلق مفقود...».	
١٢٢	**الخلاصة**	٢٠٠
١٢٣	**الاختبار البعدى للوحدة.**	٢٠٢
١٢٤	**الباب السابع: متفرقات.**	٢٠٣
	الأهداف الخاصة، والرسم التوضيحى.	
١٢٥	**المبحث الأول: حب الصحابة إيمان وبغضهم كفر.**	٢٠٧

	قوله « ونحب أصحاب رسول الله ﷺ».	
	قوله «ولا نفرط فى حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم».	
	قوله «ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير»	
	قوله «وحبهم : دين وإيمان وإحسان».	
	قوله «وبغضهم: كفر ونفاق وطغيان».	
١٢٦	**المبحث الثانى: خلافة الراشدين.**	٢١١
	قوله «ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبى بكر الصديق رضى الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة...»	
١٢٧	**المبحث الثالث: فضل العشرة المبشرين بالجنة.**	٢١٧
	قوله «وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة...».	
	قوله «وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً،...».	
١٢٨	**البراءة من النفاق لمن أحسن القول فى الصحابة وأمهات المؤمنين.**	٢١٩
	قوله «ومن أحسن القول فى أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس...».	
١٢٩	**المبحث الرابع: توقير علماء السلف، واحترامهم.**	٢٢١
	قوله «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر...».	
١٣٠	**الفصل الثانى: المبحث الأول: وجوب اتباع السنة والجماعة واجتناب الشذوذ والفرقة**	٢٢٤
	قوله «ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة».	
١٣١	**المبحث الثانى: حرمة الفرقة**	٢٢٧
	قوله «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً...»	
١٣٢	**المبحث الثالث: وجوب الحج والجهاد مع البر والفاجر.**	٢٢٨
	قوله «والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين....»	
١٣٣	**المبحث الرابع: عدم الخروج على أئمة الجور.**	٢٣٠
	قوله «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا».	
	قوله «ولا ندعو عليهم»	
	قوله «ولا ننزع يداً من طاعتهم..»	
	قوله «ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، مالم يأمروا بمعصية....».	

١٣٤	**المبحث الخامس: جواز المسح على الخفين فى الحضر والسفر.**	٢٣٢
	قوله «ونرى المسح على الخفين فى السفر والحضر كما جاء فى الأثر..».	
١٣٥	**المبحث السادس: حقيقة دين الإسلام وتوسطه بين الإفراط والتفريط.**	٢٣٣
	قوله «ودين الله فى الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام...».	
	قوله «وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل...».	
١٣٦	**المبحث السابع: أهل القبلة بين الخوف والرجاء**	٢٣٦
	قوله «ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ولا نأمن عليهم...».	
	قوله «والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة».	
١٣٧	**المبحث الثامن: التبرؤ من الفرق الضالة.**	٢٣٩
	قوله «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً»	
	قوله «ونحن براء إلى الله من كل من خالف الذى ذكرناه وبيناه».	
	قوله «ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به».	
	قوله «ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية مثل «المشبهة»، و«المعتزلة»، و«الجهمية»، و«الجبرية»،....».	
	قوله «ونحن منهم براء، وهم عندنا ضلال وأردياء. وبالله العصمة والتوفيق».	
١٣٨	**الخلاصة**	٢٤٠
١٣٩	**الاختبار البعدى للوحدة.**	٢٤٢

مسلسل	الموضوع	الصفحة
	••قوله «نقول فى توحيد الله معتقدين بتوفيق الله...».	
١	اشرح بالدليل: أن التوحيد هو أول واجب على العبيد؟	٢٤٣
٢	توحيد الربوبية لم يذهب إلى نقيضه طائفة من بنى آدم بين ذلك؟	٢٤٤
٣	أذكر معنى توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية وهل هو التوحيد الذى دعت إليه الرسل؟	٢٤٤
٤	اذكر أصل شرك العرب.	٢٤٤
٥	جاءت الأدلة محذرة من اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد بين ذلك.	٢٤٥
٦	كل مولود يولد على فطرة الإسلام أشرح ذلك مدلاً على ما تقول.	٢٤٦
٧	هل توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؟	٢٤٦
٨	هل توحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية والعكس؟	٢٤٨
٩	ما هل التوحيد الذى دعت إليه الرسل؟	٢٤٨
١٠	هل القرآن كله يدور حول التوحيد ومتطلباته؟.	٢٤٨
١١	شهادة الله ـ عز وجل ـ بالتوحيد يكون بالقول والعمل بين ذلك.	٢٤٩
١٢	هل الآية دالة على بطلان ألوهية غير الله، وأن الله وحده الذى يستحق العبادة.	٢٤٩
١٣	اذكر الطرق التى بين الله تعالى بها التوحيد مدللاً على ما تقول؟	٢٥٠
١٤	لما أرسل تعالى رساله بالآيات الباهرات؟	٢٥٠
١٥	من أسمائة تعالى الحسنى: المؤمن، والشهيد هل تثبت ذلك؟	٢٥١
١٦	كيف يستدل بأسماء الله تعالى وصفاته على وحدانية، وعلى بطلان الشرك.	٢٥١
١٧	أكمل الناس توحيداً الأنبياء والمرسلون وهم يتفاضلون فيه أثبت ذلك،	
	ومن عامتهم، ومن خاصتهم ومن خواص الخواص منهم فى ذلك؟.	٢٥٢
١٨	اشرح تفسير الحديث.	٢٥٣
١٩	اذكر مفسدة الاشتغال بأقوال أهل الكلام ومصطلحاتهم على قلب الموحد،	
٢٠	وهل يوقع المرء فى الشكوك والحيرة والضلال؟	٢٥٣
٢١	ماهى أنواع التوحيد؟	٢٥٣
٢٢	اذكر موقف الناس جميعاً من توحيد الربوبية، وهل أنكره أحد؟.	٢٥٣
٢٣	اذكر الطوائف التى ضلت فى توحيد الربوبية ؟ وهل بضلالها هذا أنكرت توحيد الربوبية من أصله؟.	٢٥٤

٢٤	اذكر علاقة توحيد الربوبية بتوحيد الإلهية ؟ وعلاقته بالشرك؟	٢٥٤
٢٥	الشرك قد يكون فى بعض الربوبية. أتستقيم هذه العبارة مع ما تقدم قبلها، دلل على ما تقول؟	٢٥٥
٢٦	اذكر ما تضمنته الأية من أنواع التوحيد؟	٢٥٥
٢٧	التوحيد دعوة جميع الرسل، اذكر الأدلة على ذلك؟	٢٥٦
	••قوله «ولا شئ مثله».	
٢٨	وضح مذهب أهل السنة فى ذات الله وصفاته وأفعاله؟	٢٥٧
٢٩	هل تسمية العبد ووصفه ببعض أسماء الله تعالى وصفاته يبرر نفى صفات الله وأسمائه بدعوى التشبيه؟	٢٥٧
٣٠	اثبات صفات الله ـ عز وجل ـ لايستلزم التشبيه والتجسيم لمجرد إطلاق هذه الأسماء والصفات على العباد اشرح هذه العبارة؟	٢٥٨
	••قوله «ولا شئ يعجزه».	٢٥٩
٣١	هل النفى فى صفات الله يأتى لثبوت ضده؟ دلل على ما تقول.	٢٥٩
٣٢	منهج السلف الاثبات المفصل للصفات والنفى المجمل وضح ذلك، وهل اختلفوا عن غيرهم فى ذلك؟	٢٦٠
٣٣	التعبير عن الحق بالألفاظ الواردة فى الكتاب والسنة: مذهب أهل السنة والجماعة وضح ذلك، وهل خالفهم فى ذلك المعطلة؟	٢٦٠
	••قوله «ولا إله غيره».	٢٦١
٣٤	قول الطحاوى ـ رحمة الله: (ولا إله غيره)، هل يثبت التوحيد بهذه الكلمة؟.	٢٦١
٣٥	توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية، كيف ذلك؟	٢٦١
٣٦	ماهو التوحيد الذى دعت إليه الرسل؟ وهل شهد الله لنفسه بهذا التوحيد؟	٢٦٢
٣٧	اذكر مراتب الشهادة؟	٢٦٢
٣٨	اذكر طرق بيان الشهادة؟	٢٦٣
٣٩	كيف يعرف صدق الأنبياء والمرسلين؟.	٢٦٣
٤٠	كيف يستدل بأسمائه وصفاته على كماله وهو غير معهود فى الاصطلاح؟.	٢٦٤
٤١	هل يصح تقسيم التوحيد إلى توحيد عامة، وخاصة، وخاصة الخاصة؟.	٢٦٤
	••قوله «قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء»	٢٦٥
٤٢	اثبت بالأدلة أن اسم القديم ليس من أسماء الله تعالي.	٢٦٥
	••قوله «ولا يكون إلا ما يريد».	٢٦٦

٤٣	ما هى عقيدة أهل السنة فى القدر؟	٢٦٧
٤٤	وضح مذهب أهل السنة والجماعة فى معنى الإرادة الشرعية والإراده الكونية والفرق بينهما؟	٢٦٧
	••قوله «لايفنى ولا يبيد».	٢٦٨
٤٥	ما المقصود بالفناء والإبادة، وما فائدة الجمع بينهما بالنفى فى حق الله تعالى؟	٢٦٨
	••قوله «لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام».	٢٦٨
٤٦	من التهلكة وعدم السلامة أن يكلف الإنسان نفسه عناء البحث والتأمل فى ماهية الله تعالى وكيفية صفاته. وضح ذلك؟.	٢٦٨
	••قوله «ولا يشبهه الأنام»؟	٢٦٨
٤٧	بين أقوال أهل العلم فى المشبهةوفيمن يجحد الصفات بحجة عدم الوقوع فى التشبيه؟	٢٦٨
	••قوله «حى لا يموت، قيوم لاينام».	٢٦٩
٤٨	ما هما أعظم اسمان من أسماء الله الحسنى، دلل على ما تقول؟	٢٧٠
	••قوله «خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤونة».	٢٧١
٤٩	اذكر الدليل للمصنف فى قوله «خالق بلا حاجة، . . .». وما معنى مؤونة؟.	٢٧١
٥٠	اذكر الخلاف فى أول هذا العالم؟ وماهو الراجح من ذلك؟	٢٧١
	••قوله «مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة؟	٢٧٢
٥١	هل يجوز وصف الموت بالوجود وأنه يجسد ويرى؟	٢٧٢
	••قوله «ما زال بصفاته قديما قبل خلقه...».	٢٧٣
٥٢	هل مباشرة الله ـ عز وجل ـ لفعل فى وقت دون وقت لا يستلزم بحال أن الله لم يكن متصفاً بهذا الفعل قبل فعله؟	٢٧٤
٥٣	هل الصفة زائدة على الذات أم لا؟	٢٧٤
٥٤	هل يجوز أن نقول أن الصفات غير الذات وأن صفات الله غير الله؟	٢٧٤
٥٥	هل الاسم عين المسمى أو غيره؟	٢٧٥
٥٦	الصفات لا يصح تصورها منفصلة عن الذات بين ذلك؟	٢٧٥
٥٧	هل من صفاته تعالى أنه يفعل ما يشاء وقت ما يشاء وكل ما سواه فهو محدث كائن بعد أن لم يكن؟	٢٧٦
٥٨	ماهى خلاصة القول فى هذه المسألة؟	٢٧٦

	••قوله «ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق...».	٢٧٦
٥٩	ماذا يقصد الماتن بقوله هذا؟	٢٧٦
٦٠	ما الذى يدل عليه قوله تعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وضح ذلك؟	٢٧٧
	••قوله «له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق».	٢٧٧
٦١	اشرح قول الماتن« له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولامخلوق؟	٢٧٧
	••قوله «وكما أنه يحيى الموتى بعدما أحيا..».	٢٧٧
٦٢	ما المراد بقول المصنف «وكما أنه محيى الموتى إلى قوله.. قبل إنشائهم»؟	٢٧٧
	••قوله «ذلك بأنه على كل شئ قدير...».	٢٧٨
٦٣	ما هى ثمرات الإيمان بأن الله على كل شيء قدير؟	٢٧٨
٦٤	ما يلزم على العبد تجاه ربه؟	٢٧٨
٦٥	كيف دلل الله على كما له المطلق؟	٢٧٨
٦٦	اذكر تفسير السلف وعباراتهم فى المثل الأعلى.	٢٧٨
	••قوله «خلق الخلق بعلمه».	٢٧٩
٦٧	اذكر معنى قول الماتن «خلق الخلق بعلمه».	٢٧٩
٦٨	ما الدليل العقلى على علمه تعالي؟	٢٧٩
	••قوله «وقدر لهم أقداراً».	٢٧٩
٦٩	اذكر الأدلة من القرءان والسنة على قول الماتن؟	٢٧٩
	••قوله «وضرب لهم آجالاً».	٢٨٠
٧٠	اشرح قول الماتن مع الاستشهاد بالأدلة من القرءان والسنة.	٢٨٠
٧١	بين تأثيرصلة الرحم فى زيادة العمر ونقصانه.	٢٨٠
٧٢	هل للدعاء أثر فى زيادة العمر ونقصانه؟	٢٨٠
	••قوله «ولم يخف عليه شئ قبل أن يخلقهم..».	٢٨١
٧٣	اشرح قول الماتن مع الاستشهاد بالأدلة.	٢٨١
	••قوله «وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته».	٢٨١
٧٤	لما ذكر الماتن الأمر والنهى بعد ذكر الخلق والقدر؟ بين ذلك مع الاستشهاد بالأدلة من القرءان.	٢٨١
	••قوله «كل شئ يجرى بتقديره ومشيئته...».	٢٨٢
٧٥	كيف نرد شبهة المشركين: أن الشرك وقع منهم بمشيئة الله؟	٢٨٢
٧٦	بما يرد على من قال: أن أدم احتج على الخطيئة بقدر الله؟	٢٨٢
	••قوله «يهدى من يشاء ويعصم ويعافى فضلاً...».	٢٨٣

٧٧	كيف نستدل من القرءان على قول الماتن؟	٢٨٣
	••قوله «وكلهم يتقلبون فى مشيئته بين فضله وعدله».	٢٨٣
٧٨	كيف نستدل من القرءان على قول الماتن؟ مع بيان ذلك.	٢٨٣
	••قوله «وهو متعال عن الأضداد والأنداد».	٢٨٤
٧٩	اشرح قول الماتن بإيجاز مع الاستدلال بالقرءان؟	٢٨٤
	••قوله «لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ...».	٢٨٤
٨٠	بين قول الماتن بإيجاز؟	٢٨٤
	••قوله «آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلاً من عنده».	٢٨٤
٨١	ما المقصود بقوله «كلاً». فى قول المصنف «آمنا بذلك كله..»؟.	٢٨٤
	••قوله «وإن محمدا عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى».	٢٨٤
٨٢	كمال المخلوق فى تحقيق عبوديته لله تعالى وحده وضح ذلك بالأدلة؟	٢٨٤
٨٣	هل صدق الأنبياء دليل على صدق نبوتهم؟	٢٨٥
٨٤	يعلم صدق الرسل من وجوه متعددة اذكرها.	٢٨٦
٨٥	إنكار رسالة النبى ﷺ طعن فى الرب تبارك وتعالى وضح ذلك.	٢٨٧
٨٦	اذكر الفرق بين النبى والرسول.	٢٨٧
٨٧	ما النعمة فى إرسال الرسل؟ دلل على ما تقول.	٢٨٧
	••قوله «وأنه خاتم الأنبياء».	٢٨٨
٨٨	وضح قول الماتن من خلال الكتاب والسنة.	٢٨٨
	••قوله «وإمام الأتقياء».	٢٨٨
٨٩	اشرح قول الماتن بإيجاز.	٢٨٨
	••قوله «وسيد المرسلين».	٢٨٩
٩٠	استدل على قول الماتن من خلال الأحاديث النبوية.	٢٨٩
٩١	كيف توفق بين هذه الأحاديث والأحاديث التى تنهى عن التفضيل بين الأنبياء؟	٢٨٩
٩٢	هل يجوز تفضيله ﷺ على يونس بن متي؟	٢٩٠
٩٣	الخلة: خاصة بإبراهيم ونبينا محمد ـ صلوات الله عليهما، أما المحبة فهى عامة لجميع المؤمنين وضح ذلك؟	٢٩١
٩٤	هل يصح أن يوصف العبد بالعشق فى محبته لربه؟	٢٩٢
	••قوله «وكل دعوى النبوة بعده فغى وهوى».	٢٩٢
٩٥	اشرح قول الماتن؟	٢٩٢

	••قوله «وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى..».	٢٩٢
٩٦	ما الذى يدل على بطلان ما زعمه النصارى من: أنه رسول إلى العرب خاصة؟	٢٩٣
	••قوله «وإن القران كلام الله، منه بدأ بلا كيفية ..».	٢٩٣
٩٧	كيف يكون إضافة الأعيان إلى الله تعالى غير إضافة المعاني؟	٢٩٤
٩٨	هل الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال؟	٢٩٥
٩٩	اذكر مناظرة بين الإمام عبد العزيز المكى وبشر المريسي فى قضية خلق القرءان.	٢٩٥
١٠٠	كيف نرد شبهة من استدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير:١٩] وعلى أن الرسول أحدثه، وهل يكفر من قال ذلك؟	٢٩٥
١٠١	اذكر بعض الشبه الأخرى التى أوردت على مذهب أهل السنة؟ فى هذه القضية.	٢٩٦
١٠٢	ما هى أدلة المعتزلة على قولهم: أن كلام الله مخلوق، وإضافته إليه ـ سبحانه ـ للتشريف؟ وكيف أجاب عليهم أهل السنة.	٢٩٦
١٠٣	كلام الله صفة من صفاته نؤمن بها بلا كيفية ولاتشبيه أشرح ذلك مدللاً على ما تقول.	٢٩٨
١٠٤	اذكر حكم من أنكر أن القرآن كلام الله؟	٢٩٨
١٠٥	اذكر اختلاف الناس فى مسألة كلام الله وبيان ما عليه أهل السنة؟.	٢٩٨
١٠٦	ماهى أدلة ابن كلاب ومن تابعه كالأشعرى على قوله: أن كلام الله معنى واحد قائم بذاته تعالى لم يسمع منه وإنما هو الكلام النفسي؟ وما جواب أهل السنة عليهم؟.	٢٩٩
١٠٧	اذكر الدليل على فساد قول من قال: بأن كلام الله معنى واحد والتعدد حاصل فى الدلالات؟	٢٩٩
١٠٨	كيف تحل هذا الإشكال: كون القرءآن فى زبر الأولين، وكونه فى رق منشور، ولوح محفوظ.	٣٠٠
	••قوله «ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر...».	٣٠٠
١٠٩	اشرح قول الماتن بشىء من التفصيل؟	٣٠٠
	••قوله «والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية...».	٣٠١
١١٠	اذكر الأدلة على الرؤية وأقوال السلف؟	٣٠١
١١١	اذكر أدلة المعتزلة القائلين بنفى الرؤية، كيف رد عليهم أهل السنة؟.	٣٠٣

١١٢	ما المراد من قوله تعالى ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾؟	٣٠٤
١١٣	هل يرى الله تعالى أحد فى الدنيا بعينه؟	٣٠٥
١١٤	هل تثبت الرؤية القلبية لنبينا ﷺ؟	٣٠٥
١١٥	اذكر اختلاف أهل العلم فى رؤية أهل المحشر ربنا عز وجل؟	٣٠٦
١١٦	اشرح قول الماتن بشيءٍ من التفصيل؟	٣٠٦
١١٧	فإن قيل إنما نحمله على خلاف ظاهره لاستحالة إرادة الحقيقة ما الرد على ذلك؟.	٣٠٧
١١٨	هل هناك تعارض بين العقل السليم والنقل الصحيح فى ذلك؟	٣٠٧
١١٩	من لوزام الإيمان وشروطه التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره كيف يكون ذلك؟	٣٠٨
		٣٠٨
	••قوله «ولا تثبت قدم الإسلام الا على ظهر التسليم والاستسلام».	٣٠٨
١٢٠	من لوزام وشروط الإيمان الانقياد والتسليم لأمر النبى ﷺ من دون معارضةأو تعقيب. اشرح ذلك مع ذكر الأدلة؟	٣٠٨
	••قوله «فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه..».	٣٠٩
١٢١	على قدر التسليم للرسول ﷺ يكون التوحيد اشرح هذه العبارة؟	٣٠٩
١٢٢	اذكر الفرق الثلاثة التى كان أصل فساد العالم منها؟	٣١٠
١٢٣	اذكر مؤدى ما ذكره الغزالى ـ رحمه الله ـ عن علم الكلام؟	٣١١
	••قوله «فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب...».	٣١٢
١٢٤	اذكر شهادة علماء الكلام فى علم الكلام؟	٣١٢
١٢٥	اذكر حكم أهل العلم فى أهل الكلام؟	٣١٤
	••قوله «ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم...».	٣١٤
١٢٦	كيف ترد على المعتزلة ومن قال بنفى الرؤية ؟ وعلى من يشبه الله بشئ من مخلوقاته؟	٣١٤
	••قوله «لمن اعتبرها مذهم بوهم».	٣١٥
١٢٧	اشرح هذه العبارة من قول الماتن؟	٣١٥
	••قوله «أوتأولها بفهم».	٣١٥
١٢٨	اشرح معنى هذه العبارة مستدلاً على ما تقول؟	٣١٦
	••قوله «إذ كان تأويل الرؤية»..... وعليه دين المسلمين».	٣١٦
١٢٩	وضح مراد الماتن بما قال مستدلاً ما امكنك لما تقول؟	٣١٦

١٣٠	اذكر معنى التأويل ومذاهب الناس فيه؟	٣١٦
١٣١	ماهو بيان قوله تعالي: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؟	٣١٧
١٣٢	ما يترتب على التأويل الفاسد من مزالق ومحاذير؟	٣١٨
١٣٣	هل مرض الشبهة أشد خطراً من مرض الشهوة دلل على ما تقول؟	٣١٨
١٣٤	اذكر أنواع التشبيه؟	٣١٨
١٣٥	وضح أن دين الإسلام وسط بين التشبيه والتعطيل؟.	٣١٩
	••قوله «فإن ربنا جلّ وعلا موصوف بصفات الوحدانية...».	٣١٩
١٣٦	اشرح معنى هذه العبارة بالتفصيل مستدلاً لما تقول؟	٣١٩
	••قوله «وتعالى عن الحدود والغايات...».	٣١٩
١٣٧	اذكر اختلاف الناس فى إطلاق مثل هذه الألفاظ «تعالى عن الحدود والغايات... إلخ وما هو الراجع؟	٣١٩
١٣٨	وماذا كان قصد الطحاوى ـ رحمه الله ـ بقوله «وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات....» إلخ.	٣٢٠
١٣٩	يجب الاعتصام بالألفاظ الواردة بالكتاب والسنة وضح ذلك؟	٣٢١
	الله تعالى لا تحدد صفاته بشئ وهو بائن على خلقه اشرح هذه العبارة.	٣٢١
١٤٠	لفظ الأركان والأعضاء والأدوات كيف استدل بها النفاة على نفى بعض الصفات؟	٣٢١
١٤١	ماهو مقصود الطحاوى بالجهات الستة؟	٣٢٣
	••قوله «والمعراج حق وقد أسرى بالنبى ﷺ وعرج بشخصه فى اليقظة...».	٣٢٣
١٤٢	هل يثبت الإسراء والمعراج لنبينا ﷺ باليقظة بروحه وجسده مره واحدة؟	٣٢٣
١٤٣	ما الحكمة فى الإسراء إلى بيت المقدس أولاً؟	٣٢٥
١٤٤	ترجيح رؤية النبى ﷺ لربه بقلبه دون عينه، هل هذه العبارة صحيحة؟	٣٢٥
١٤٥	ما الفرق بين الدنو الذى فى سورة النجم والدنو الذى فى قصة الإسراء؟.	٣٢٥
	••قوله «والحوض ـ الذى أكرمه الله تعالى به غياثا لأمته ـ حق».	٣٢٥
١٤٦	اذكر صفات الحوض ملخصة من الأحاديث الواردة.	٣٢٦
١٤٧	أيهما قبل الآخر الميزان أم الحوض؟	٣٢٦
	••قوله «والشفاعة التى ادخرها لهم حق كما روى فى الأخبار».	٣٢٧
١٤٨	اذكر أحاديث الشفاعة أو بعضها؟	٣٢٧
١٤٩	ما حكم التوسل بالأنبياء والصالحين إلى الله تعالي.	٣٢٨

١٥٠	ما هو التوسل المشروع؟	٣٢٩
١٥٠	الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر وضح ذلك مع التدليل؟	٣٣٠
	••قوله «والميثاق الذى أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق».	٣٣٠
١٥٢	ما معنى قوله تعالي: ﴿شهدنا﴾ فى الآية الكريمة؟	٣٣١
١٥٣	اذكر خلاف العلماء فى فهم آية الميثاق؟	٣٣١
١٥٤	ناقش القول الثاني؟ وبين الراجح من القولين السابقين؟	٣٣٢
١٥٥	التوحيد أمرفطرى والشرك مكتسب طارئ وضح ذلك؟	٣٣٢
١٥٦	يجب «اتباع الرسل فى الدين دون الآباء» اشرح هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟	٣٣٣
	••قوله «وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة...».	٣٣٣
١٥٧	برهن للمصنف فيما قال؟	٣٣٣
	••قوله «وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم...».	٣٣٤
١٥٨	اشرح هذه العبارة من خلال أحاديث الرسول ﷺ؟	٣٣٤
	••قوله «وأصل القدر سر الله تعالى فى خلقه....».	٣٣٥
١٥٩	وضح عقيدة أهل السنةوالجماعة فى القدر؟	٣٣٥
١٦٠	اذكر الدليل من الكتاب والسنة على الفرق بين المشيئة والمحبة؟	٣٣٦
١٦١	كيف نرد على من قال: كيف يريد؟	٣٣٦
	••قوله «والتمق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان».	٣٣٩
١٦٢	المبالغة فى الكلام فى القضاءوالقدر وسيلة إلى الخذلان وضح ذلك؟	٣٣٩
١٦٣	كيف نهى النبى ﷺ عن اتباع سنن اليهود والنصارى والخوض بما خاضوا؟	٣٣٩
١٦٤	اذكر مكانة الاستسلام فى الدين؟ ومايبنى عليه؟	٣٤٠
	••قوله «فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالي...».	٣٤١
١٦٥	إلى أى شئ يشير المصنف بهذه العبارات (لهذا)، (العلم المفقود)، (العلم الموجود)؟ وما هو جزاء من ادعى علم الغيب؟	٣٤١
	••قوله «ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم».	٣٤٢
١٦٦	أيهما خلق أولاً: القلم أم العرش؟.	٣٤٢
١٦٧	هل هناك أقلام غير القلم الذى كتب به اللوح المحفوظ؟	٣٤٣
	••قوله «فلو اجتمع الخلق كلهم على شئ كتبه الله تعالى أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه...».	٣٤٣

١٦٨	اذكر عدد الأقلام كما دلت على ذلك السنة؟	٣٤٤
١٦٩	إذا كان الخير والشر بيد الله وأنه لا يكون إلا ما يريد فالواجب افراده سبحانه بالخشية والتقوى، اشرح هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟	٣٤٤
١٧٠	ما هى ثمار التقوي؟	٣٤٤
١٧١	تعاطى الأسباب والاكتساب لا ينافى التوكل وضح ذلك؟	٣٤٥
١٧٢	ما معنى قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾؟.	
	●●قوله «وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه...».	٣٤٥
١٧٣	ما المراد بقول المصنف [وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه...]؟	٣٤٥
	●●قوله «وعلى العبد أن يعلم: أن الله قد سبق علمه فى كل كائن من خلقه..».	٣٤٦
١٧٤	سبق علم الله الأزلى وجود المخلوقات. بين ذلك؟	٣٤٦
١٧٥	كيف ترد على من يقول: يلزم من قول المصنف السابق: أن يكون العبد قادراً على تغيير علم الله لان الله علم: أنه لايفعل فإذا قدر على الفعل قدر على تغيير علم الله؟	٣٤٦
١٧٦	وكيف ترد على من يقول: فإذا كان وقوع الفعل ـ مع علم الرب عدم وقوعه ـ محالاً لم يكن مقدوراً؟	٣٤٦
١٧٧	عرف الموجودات وأقسامها فى باب الهداية؟	٣٤٧
١٧٨	عطاؤه فضل، وعقابه عدل. بين ذلك مختصراً؟	٣٤٧
	●●قوله «وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة...».	٣٤٨
١٧٨	لماذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة؟	٣٤٨
١٨٠	هل ورد فى السنة ما يدل على ذم القدرية والتحذير منهم؟	٣٤٩
١٨١	ما الذى يتضمنه الإيمان بالقدر؟	٣٤٩
	●●قوله «فويل لمن صار لله تعالى فى القدر خصيماً...».	٣٥٠
١٨٢	اذكر أنواع مرض القلب؟	٣٥٠
١٨٣	ما هى علامة مرض القلب؟	٣٥١
١٨٤	ما هى أنواع الأغذية والأدوية للقلب المريض؟	٣٥١
١٨٥	ما هى صفة جماعة الحق التى يجب أن تتبع؟.	٣٥١
	●●قوله «والعرش والكرسى حق».	٣٥٢
١٨٦	ماهو العرش؟ وما الدليل على كونه حق؟.	٣٥٢
١٨٧	ماهو الكرسى ؟ وما الدليل على كونه حق؟.	٣٥٣

	••قوله «وهو مستغن عن العرش وما دونه...».	٣٥٣
١٨٨	هل يحتاج الله للعرش والكرسي؟.	٣٥٣
١٨٩	اذكر ما تعرفه عن إحاطة الله تعالى بكل شئ من المخلوقات؟	٣٥٣
١٩٠	هل تحدثت النصوص القرآنيه والسنة النبوية على كون الله فوق مخلوقاته؟	٣٥٤
١٩١	اذكر النصوص والآثار المصرحة بفوقية الله؟	٣٥٥
١٩٢	تقدمت أولاً شهادة النصوص والآثار لاثبات فوقية الله تعالي. فاذكر شهادة العقول؟	٣٥٨
١٩٣	اذكر ثالثاً شهادة الفطرة لإثبات الفوقية لله تعالي؟	٣٥٩
١٩٤	ماهى الاعتراضات على الأدلة العقلية؟ وما الجواب عليها؟	٣٦٠
١٩٥	ماهى الاعتراضات على الدليل الفطري؟ وما الجواب عليها؟	٣٦٠
١٩٦	هناك من تأول الفوقية بمعنى الخيرية والأفضلية . كيف رد عليهم أهل السنة؟	٣٦١
١٩٧	وهناك من تأول العلو بأنه علو المكانة والمنزلة أو علوه فى القلوب. اذكر كيفية الرد عليهم؟	٣٦١
١٩٨	لقد تعلق كثير من نفاة العلو ببعض النصوص التى حسبوا أنها تشهد لما ذهبوا إليه من نفى حقيقة العلو وتأويل النصوص التى تدل على ذلك. كيف رد عليهم أهل السنة؟	٣٦٢
١٩٩	استدل المؤولون بأدلة تدل على المعية العامة، وأخرى تدل على المعية الخاصة. اذكرهما والجواب عليهما؟	٣٦٣
	••قوله «ونقول أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليماً...».	٣٦٤
٢٠٠	مامعنى الخلة؟	٣٦٤
٢٠١	ما الفرق بين الخلة والمحبة؟	٣٦٥
٢٠٢	اذكر موقف الجهمية والصابئة والمشركين من اتخاذ الله إبراهيم خليلاً وكذلك محمد ﷺ وتكليم موسي؟ وماهى حجتهم؟	٣٦٥
٢٠٣	اذا كان النبى ﷺ أفضل من إبراهيم. فكيف يطلب له من الصلاة مثل ما لإبراهيم مع أن الأصل فى المشبه به أن يكون فوق المشبه؟.	٣٦٦
٢٠٤	ما الخصائص التى خص الله بها بيت إبراهيم؟	٣٦٦
	••قوله «ونؤمن بالملائكة والنبيين..».	٣٦٧
٢٠٥	أصل الدين الإيمان بما جاء به الرسول ناقش هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟	٣٦٧

٢٠٦	اذكر أصناف الملائكة وما وكلوا به من أعمال ومهام.	٣٦٧
٢٠٧	الملائكة عباد الله وجنده يفعلون ما يؤمرون ناقش هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟	٣٦٨
٢٠٨	وضح العلاقة بين الملائكة وخالقهم سبحانه وتعالي؟ وكيف ذكرهم القرءآن؟	٣٦٨
٢٠٩	هل للملائكة رؤساء؟ وإن كانوا كذلك فمن هم؟ وما وظائفهم؟	٣٦٨
٢١٠	هل تجوز المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر وهل هذا من واجبات الاعتقاد؟	٣٦٩
٢١١	وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل اشرح معنى ذلك؟ وهل للأنبياء والرسل عدد معين؟	٣٦٩
٢١٢	أولوا العزم من الرسل دلل على ما تقول؟	٣٧٠
٢١٣	كيف يكون الإيمان بجميع الكتب المنزلة على المرسلين؟	٣٧٠
٢١٤	اذكر تحريف الفلاسفة لأصول الدين؟	٣٧٠
٢١٥	اذكر تحريف المعتزلة لأصول الدين؟	٣٧٠
٢١٦	هل حرف فى أصول الدين أحد غير ما تقدم ؟ وماهو موقف أهل السنة؟	٣٧١
	••قوله «ونسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين...».	٣٧١
٢١٧	بما دلل للمصنف على قوله «ونسمى أهل قبلتنا مسلمين..»؟	٣٧١
	••قوله «ولا نخوض فى الله، ولا نمارى فى دين الله».	٣٧٢
٢١٨	اذكر معنى قول المصنف «ولا نخوض فى الله..»؟	٣٧٢
	••قوله «ولانجادل فى القرآن...».	٣٧٢
٢١٩	ما المراد بقول الماتن«ولا نجادل فى القرآن».؟	٣٧٢
٢٢٠	اشرح قول المصنف «ولانجادل فى القرآن».؟	٣٧٣
٢٢١	هل كان ابن مسعود يجوز القراءة بالمعني؟	٣٧٣
٢٢٢	كيف تكون مناظرة أهل القبلة؟	٣٧٣
٢٢٣	اشرح قول المصنف ـ رحمه الله «نزل به الروح الأمين»؟	٣٧٤
	••قوله «فعلمه سيد المرسلين».	٣٧٣
٢٢٤	اشرح هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟	٣٧٣
	••قوله «ولا نكفر أحد من أهل القبلة بذنب مالم يستحله...».	٣٧٤
٢٢٥	اذكر مذاهب الناس فى التكفير؟	٣٧٤
٢٢٦	القول بأنا لانكفر من أهل القبلة أحداً. لا يصح على إطلاقه وضح ذلك؟	٣٧٤

٢٢٧	انكار ماهو معلوم من الدين بالضرورة كفر وضح ذلك؟	٣٧٥
٢٢٨	البدع والفجور مظنتان للنفاق والردة اشرح هذه العبارة؟ مدللاً على ما تقول؟	٣٧٥
٢٢٩	المرجئة فى الطرف النقيض للخوارج اشرح هذه العبارة؟	٣٧٥
٢٣٠	ما الفرق بين الخوارج والمعتزلة فى مسألة الوعيد؟	٣٧٥
٢٣١	تكفير العام غير تكفير المعين وضح ذلك؟	٣٧٦
٢٣٢	هل من عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً بالظن والشبهات؟	٣٧٧
٢٣٣	بما نرد شبهة من قال: إن الشرع سمى بعض الذنوب كفراً واستدل به على تكفير مرتكب الكبيرة؟	٣٧٧
٢٣٤	باسمى أهل السنة ذلك الكفر الذى جاء به لسان الشرع فى حق مرتكب الكبيرة؟	٣٧٩
٢٣٥	اذكر صفة الحاكم بغير ما أنزل الله الذى يكفر كفراً أكبر، والحاكم الذى يكفر كفراً أصغراً؟	٣٨٠
٢٣٦	وضح خطأ من قال: لايضر مع الإيمان ذنب؟	٣٨٠
	••قوله «ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفى عنهم...».	٣٨٢
٢٣٧	أذكر لوازم الرجاء؟	٣٨٣
٢٣٨	الاستخفاف بالصغائر قد يلحقها بالكبائر اشرح هذه العبارة؟	٣٨٣
٢٣٩	أذكر الأسباب التى تمنع من لحوق الوعيد بالمعين؟	٣٨٤
٢٤٠	ما العلاقة بين الإستغفار والتوبة؟	٣٨٤
٢٤١	لا يدخل الجنة أحدٌ بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته، اشرح ذلك مع ذكر الدليل؟	٣٨٥
	••قوله «والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام...».	٣٨٦
٢٤٢	اذكر ما يجب على العبد فى جانب الخوف والرجاء؟	٣٨٦
	••قوله «ولانخرج العبد من الإيمان إلابجحود ما أدخله فيه».	٣٨٧
٢٤٣	هل ينحصر الخروج من الإيمان بجحود الحق؟	٣٨٧
٢٤٤	اذكر بعض طرق الخروج من الدين غير ماذكره المصنف؟	٣٨٧
	••قوله «والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان....».	٣٩٠
٢٤٥	اذكر مذهب الجمهور فى تعريف حقيقة الإيمان؟	٣٩٠
٢٤٦	اذكر قول بعض الفرق المنحرفة فى حقيقة الإيمان؟	٣٩٣
٢٤٧	ماهو الخلاف بين أبى حنيفة والجمهور؟	٣٩٣

٢٤٨	وماهى أدلة أبى حنيفة وأصحابه؟	٣٩٤
٢٤٩	اذكر مناقشة أهل السنة للدليل الأول لأبى حنيفة والجمهور؟	٣٩٥
٢٥٠	كيف ناقش أهل السنة الدليل الثانى لأبى حنيفة وأصحابه ؟	٣٩٦
٢٥١	كيف ناقش أهل السنة الدليل الثالث لأبى حنيفة وأصحابه؟	٣٩٧
٢٥٢	كيف ناقش أهل السنة الدليل الرابع لأبى حنيفة وأصحابه ؟	٣٩٧
٢٥٣	ماهى مراتب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه؟	٣٩٧
٢٥٤	كيف ورد الإيمان فى كلام الشارع؟	٣٩٨
٢٥٥	اذكر أقسام القول والعمل فى مسمى الإيمان، وما يحدث إن زالت؟	٣٩٩
٢٥٦	وضح فساد قول من لايدخل الأعمال فى مسمى الإيمان.	٤٠٠
٢٥٧	«وأهله فى أصله سواء والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى وملازمة الأولى.	٤٠١
٢٥٨	يرتفع الإيمان عن صاحبه بسبب معاصيه فإن أقلع عاد إليه وضح ذلك مدللاً على ما تقول؟	٤٠٢
٢٥٩	الإيمان لفظ يقابله الكفر اشرح هذه العبارة؟	٤٠٣
٢٦٠	اذكر أحاديث تدل على دخول الأعمال فى مسمى الإيمان؟	٤٠٣
٢٦١	كيف يكون صلاح الظاهر من صلاح الباطن؟	٤٠٥
٢٦٢	هل الإيمان يزداد وينقص دلل على ما تقول من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح؟	٤٠٦
٢٦٣	«مسمى الإيمان أحياناً يتضمن العمل ويشمل الإسلام» اشرح هذه العبارة مع التدليل؟	٤٠٧
٢٦٤	أحياناً يكون الإيمان له معنى مغاير للإسلام كيف ذلك؟	٤٠٨
٢٦٥	ماهى حقيقة الإسلام؟	٤٠٨
٢٦٦	هل الإسلام والإيمان مترادفان؟ ناقش ذلك بشئ من التفصيل؟	٤٠٩
٢٦٧	هل يصح الاحتجاج بآية الحجرات على الفرق بين الإيمان والإسلام وبما نرد على من أنكر ذلك؟	٤١٠
٢٦٨	مسألة الاستثناء فى الإيمان ما هى مذاهب الناس فيها؟ وما أحكمها؟	٤١١
٢٦٩	اشرح قول الموجبون للإستثناء؟	٤١١
٢٧٠	اشرح قول المحرمون للإستثناء؟	٤١٢
٢٧١	اشرح قول المفصلون فى مسألة استثناء الإيمان؟	٤١٣
٢٧٢	هل يقبل خبر الأحاد إن صَحَّ وهل يفيد العلم اليقين؟ دلل على ما تقول.	٤١٣

٢٧٣	اشرح موقف أهل السنة من النص الصحيح؟	٤١٥
	••قوله «المؤمنين كلهم أولياء الرحمن».	٤١٦
٢٧٤	من هم أولياء الرحمن دلل على ما تقول؟	٤١٦
٢٧٥	ما معنى الولاية؟	٤١٦
٢٧٦	ولايةُ الخالق ليست كولاية المخلوق للمخلوق. وضح ذلك؟	٤١٦
٢٧٧	قد يجتمع فى المؤمن مايستلزم موالاته من وجه، وعداوته من وجه اشرح هذه العبارة مدللاً على ما نقول؟	٤١٧
٢٧٨	هل للولاية مراتب؟ وضح ذلك؟	٤١٧
٢٧٩	هناك بعض المفاهيم الخاطئة الخاصة بالولاية. اذكر بعضها وناقشها بالدليل؟	٤١٩
٢٨٠	هل يجوز الاستغناء عن الوحى بالعلم اللدني؟	٤٢١
	••قوله «وأكرمهم عند الله أطوعهم واتبعهم للقرآن».	٤٢٢
٢٨١	أيهما أفضل الفقير الصابر أم الغنى الشاكر؟	٤٢٢
	••قوله «والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه...».	٤٢٢
٢٨٢	ماهى أركان الإيمان؟	٤٢٢
٢٨٣	هل بين تفسير الإيمان فى حديث جبريل، وتفسيره فى حديث وفد عبد القيس تعارض؟ وماذا قال المصنف فى ذلك؟	٤٢٣
٢٨٤	لماذا خصت فرائض الإسلام الخمسة بالذكر مع أن أعمال الإسلام الظاهرة أكثر من ذلك؟	٤٢٣
٢٨٥	الإيمان بالقدر أصل من أصول الدين. بين ذلك؟ مدللاً على ما تقول؟	٤٢٤
	ماهو وجه الجمع بين قوله تعالى ﴿**قل كل من عند الله**﴾ وقوله ﴿**فمن نفسك**﴾؟	٤٢٤
٢٨٦	ما المراد بالنعمة والسيئة وهل يجوز نسب الشر إليه؟	٤٢٤
٢٨٧	ما الحكمة من تولية ملك ظالم فى الدنيا رغم الظلمة؟	٤٢٥
٢٨٨	بين بطلان احتجاج القدرية بقوله تعالى: ﴿**فمن نفسك**﴾ مدللاً على ما تقول؟	٤٢٥
٢٨٩	لما كان انفع الدعاء الفاتحة؟	٤٢٥
٢٩٠	بين أهمية الدعاء بالهداية؟	٤٢٦
	••قوله «ونحن نؤمن بذلك كله، ولانفرق بين أحد من رسله...».	٤٢٧
٢٩١	التكذيب برسول واحد يستلزم التكذيب بجميع الأنبياء والرسل. اشرح ذلك؟	٤٢٧

	••قوله «أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون..».	٤٢٧
٢٩٢	اذكر عقيدة أهل السنة والجماعة في أهل الكبائر؟	٤٢٧
٢٩٣	ماهي الكبائر؟ وما عددها، وما أقوال العلماء فيها، وما أمثل تلك الأقوال، دلل على ما تقول؟	٤٢٨
٢٩٤	ماهي الصغائر؟	٤٢٩
	••قوله «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة وعلى من مات منهم».	٤٣٠
٢٩٥	هل يجوز الصلاة خلف مستور الحال؟	٤٣٠
٢٩٦	ما هي الحالات التي تترك فيها الصلاة خلف الفاسق والمبتدع؟	٤٣١
٢٩٧	هل إذا أخطأ الإمام تجب الإعادة على المأموم؟	٤٣٢
٢٩٨	هل تجب طاعة الأئمة في موارد الإجتهاد؟	٤٣٢
٢٩٩	هل تكون الصلاة على موتى المسلمين وإن كانوا فجاراً؟	٤٣٢
٣٠٠	هل تجزئ الصلاة والاستغفار على من عرف بالنفاق أو مات مرتداً؟	٤٣٢
	••قوله «ولا ننزل منهم أحداً جنة ولا ناراً».	٤٣٣
	متى يشهد لمعين بالجنة أو النار؟ وما أقوال السلف في ذلك؟	٤٣٣
٣٠١	**••قوله «ولانشهد عليهم بكفر ولابشرك ولابنفاق مالم يظهر منهم شئ..».**	٤٣٣
٣٠٢	اعتماد الظاهرفي الحكم على المرء كفراً وإيمانا. اشرح ذلك مع ذكر الدليل؟	٤٣٣
	••قوله «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ ...».	٤٣٥
٣٠٣	إلى أي شئ أشار الماتن بقوله «ولانرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ»؟	٤٣٥
	••قوله «ولانرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا...».	٤٣٦
٣٠٤	«طاعة أولوا الأمر من طاعة الله ورسوله» اشرح هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟	٤٣٦
٣٠٥	ما الحكمة من عدم الخروج على أئمة الجور؟ دلل على ما تقول؟	
	••قوله «ونتبع السنة والجماعة...».	٤٣٦
٣٠٦	بين معنى السنة والجماعة؟ والدليل على وجوب اتباعها وعدم الشذوذ عنها؟	
	••قوله «ونحب أهل العدل والأمانة..».	٤٣٩
٣٠٧	وضح أن هذه الجملة ـ من قول الماتن ـ من كمال الإيمان وتمام العبودية؟	٤٣٩

٣٠٨	من لوازم الإيمان أن تحب ما يحبه الله وتكره ما يكرهه الله؟ اشرح هذه العبارة مدللاً على ما تقول؟	٤٤٠
٣٠٩	كيف تكون الموالاة والمعاداة بحسب خصال الخير والشر؟	٤٤١
	••قوله «ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه».	٤٤١
٣١٠	من يفتى الناس بغير علم يأثم من وجهين اذكرهما؟ دلل على ما تقول؟	٤٤١
	••قوله «ونرى المسح على الخفين فى السفر والحضر...».	٤٤١
٣١١	لماذا أدخل الماتن قوله «ونرى المسح على الخفين..». فى متن عقائدى علماً بأن المقولة فقهية؟	٤٤٢
	••قوله «والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين..».	٤٤٣
٣١٢	نسبة العصمة إلى الأئمة يترتب عليها مزالق عقدية عدة . اذكر ثلاثة منها؟	٤٤٣
٣١٣	ما الحكمة من وجوب الجهاد مع البر والفاجر؟	٤٤٣
	••قوله «ونؤمن بالكرام الكاتبين...».	٤٤٤
٣١٤	هل الإيمان بالملائكة الكتبة والحفظة من أصول الاعتقاد؟ دلل على ما تقول؟	٤٤٤
٣١٥	هل الملائكة تكتب القول، والفعل والنية؟ دلل على ما تقول؟	٤٤٤
	••قوله «ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين».	٤٤٦
٣١٦	هل يصح أضافة التوفى إلى ملك الموت وغيره من الملائكة دلل على ما تقول؟	٤٤٦
٣١٧	هل للإنسان نفس واحدة لها صفات لها صفات؟ أم له ثلاثة أنفس، دلل على ما نقول؟	٤٤٦
	••قوله «وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً...».	٤٤٧
٣١٨	الروح بعد مفارقتها للجسد لاتموت دلل على ذلك؟	٤٤٧
٣١٩	اذكر أنواع تعلق الروح بالبدن؟	٤٥٠
٣٢٠	هل يكون السؤال فى القبر للروح والبدن؟	٤٥٠
٣٢١	وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟	٤٥٠
٣٢٢	هل سؤال منكر ونكير خاص بهذه الأمة؟	٤٥١
٣٢٣	هل من مات مستحقاً لعذاب القبر ناله العذاب قبر أو لم يقبر؟	٤٥١
٣٢٤	«نار القبر ونعيمه ليست من جنس نار الدنيا ونعيمها» اشرح ذلك؟	٤٥١
٣٢٥	أين يكون مستقر الأرواح بعد الموت؟	٤٥٢
٣٢٦	الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء والشهداء، بين ذلك؟	٤٥٢
٣٢٧	كيف تكون حياة الشهداء بعد موتهم فى الدنيا؟ وهل يختصون بتلك الحياة؟	٤٥٢

٣٢٨	ماهى الروح؟ وبما توصف؟	٤٥٣
٣٢٩	هل الروح حادثة أم هى قديمة؟ دلل على ما تقول؟	٤٥٤
٣٣٠	اذكر شبه القائلين بقدمها؟ وبما نرد عليهم؟	٤٥٤
٣٣١	هل تموت الروح؟ وما هو موتها؟	٤٥٥
٣٣٢	هل النفس والروح شيء واحد؟ وعلى ما يطلق كلاً منهم؟	٤٥٥
٣٣٣	هل لابن آدم ثلاثة أنفس «مطمئنة، ولوامة، وأمارة»؟	٤٥٥
	••قوله «ونؤمن بالبعث والحساب وجزاء الأعمال يوم القيامة...».	٤٥٧
٣٣٤	بما نرد شبهة منكرى البعث بزعم: أنه لم يفصح بميعاد الأبدان إلا محمد ﷺ؟	٤٥٧
٣٣٥	هل الأنبياء مجمعون على الإيمان بالبعث واليوم الآخر؟ دلل على ما تقول؟	٤٥٧
٣٣٦	هل أمر النبى - ﷺ - أن يقسم بالميعاد وعلى أى شيء يدل ذلك؟	٤٥٨
٣٣٧	هل ذم الله المكذبين بالمعاد؟ وبما رد شبههم؟	٤٥٨
٣٣٨	اذكر بعض أدلة الجزاء على الأعمال؟	٤٦٠
٣٣٩	اذكر بعض أدلة العرض والحساب، وقراءة الكتاب من الكتاب والسنة؟	٤٦٠
٣٤٠	ماهو اعتقاد أهل السنة فى النشأة الأخرى؟ وماهى اعتقادات الفرق الضالة؟	٤٦١
٣٤١	هل يصعق الخلائق فى الموقف؟ وماهو اعتقاد أهل السنة فى ذلك؟	٤٦٢
٣٤٢	ماوجه الجمع بين حديث «إن الناس يصعقون يوم القيامة...». برواية«..فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة يوم الطور» وبرواية «...فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش؟	
٣٤٣	وإن قيل: لقد روى البعض هذا الحديث بلفظ «فلا أدرى أفاق قبلى أم كان ممن استثنى الله عز وجل» كيف تجيب على ذلك؟	٤٦٢
٣٤٤	هل الصراط حق؟ دلل على ما تقول؟	٤٦٢
٣٤٥	ما المراد بورود جهنم بالنسبة للمؤمنين؟	٤٦٣
٣٤٦	هل يوجد صراط آخر غير الصراط الأول؟	٤٦٣
٣٤٧	هل يجب الإيمان بالميزان الذى توزن به الأعمال يوم القيامة؟ وهل هو ميزان واحد؟	٤٦٤
٣٤٨	ميزان الأعمال حسى مشاهد أم معنوى دلل على ما تقول؟	٤٦٤
٣٤٩	هل يوزن العامل مع أعماله؟	٤٦٥
٣٥٠	ما الحكمة من وزن الأعمال يوم القيامة؟	٤٦٥
٣٥١	هل يكون الصراط بعد الميزان أم قبله؟	٤٦٦

	••قوله «والجنة والنار مخلوقتان لاتفنيان أبداً ولا تبيدان...».	٤٦٦
٣٥٢	اذكر مذهب أهل السنة فى وجود الجنة والنار مدللاً على ما تقول؟	٤٦٦
٣٥٣	ماهى أدلة القائلين بأنهما لم يخلقا بعد؟	٤٦٧
٣٥٤	كيف أجاب أهل السنة على القدرية والمعتزلة بأن الجنة تفنى وتبيد؟	٤٦٨
٣٥٥	الجنة والنار باقيتان لاتفنيان أبداً ولا تبيدان اذكر الأدلة على ذلك؟	٤٦٩
٣٥٦	ما معنى الاستثناء الوارد فى سورة هود فى قوله تعالى ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾؟	٤٦٩
٣٥٧	اذكر الأدلة على أبدية النار ومن الذى يخرج منها؟	٤٧٠
٣٥٨	ماهى أدلة القول الأول؟	٤٧١
٣٥٩	ماهى أدلة الفريق الثانى القائلين ببقاء النار وأنها لا تفنى؟	٤٧٢
٣٦٠	اذكر مذهب الجهمية فى ذلك؟	٤٧٢
٣٦١	خلق الله تعالى لكل من الجنة والنار أهلاً دلل على ذلك؟	٤٧٢
٣٦٢	الله تعالى منزه عن الظلم؟ وضح ذلك بالأدلة؟	٤٧٣
	••قوله «والاستطاعة التى يجب بها الفعل....».	٤٧٣
٣٦٣	الاستطاعة التى يترتب عليها التكليف.	٤٧٣
٣٦٤	الاستطاعة القدرية الكونية ما أدلة ثبوتها؟	٤٧٤
٣٦٥	ماهو مذهب القدرية والمعتزلة فى: الاستطاعة، والقدرة، والوسع؟	٤٧٤
٣٦٦	[لاتكون القدرة إلا مع الفعل] ناقش هذا القول؟	٤٧٥
٣٦٧	ماهو القول الراجح فى الاستطاعة؟	٤٧٥
٣٦٨	ما هى الاستطاعة المشروطة فى الشرع وهل تكفى وحدها فى وجود الفعل؟	٤٧٥
	••قوله «وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد».	٤٧٦
٣٦٩	اذكر منهج واعتقاد أهل السنة فى خلق أفعال العباد؟	٤٧٦
٣٧٠	ماهى الأدلة على خلق الله لأفعال العباد؟	٤٧٧
٣٧١	ماهى أدلة الجبرية على أن التدبير فى أفعال العباد كلها لله، وهى كلها	
٣٧٢	اضطرارية، وإضافتها للخلق مجاز؟	٤٧٧
٣٧٣	كيف ناقش أهل السنة حجج الجبرية؟	٤٧٧
٣٧٤	ماهى أدلة المعتزلة القائلين: بأن أفعال العباد كلها اختيارية لاتعلق لها بخلق الله؟	٤٧٨
٣٧٥	كيف ناقش أهل السنة حجج المعتزلة؟	٤٧٨
٣٧٦	إن قيل: كيف يعذب الله المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟ فأين العدل فى تعذيبهم على ماهو خالقه وفاعله فيهم؟! بما نرد عليهم؟	٤٧٩

٣٧٧	إن قيل: فماذا عن الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب بما نرد على ذلك؟	٤٧٩
٣٧٨	إن قيل: فهذا العدم من خلقه فيه؟ بما نجيب؟	٤٧٩
٣٧٩	إن قيل: إن كان هذا الترك أمراً وجودياً عاد السؤال جذماً، وإن كان الأمر عدمياً فكيف يعاقب على العدم المحض؟! بما نرد عليهم؟	٤٧٩
٣٨٠	إن قيل: فهل كان يمكنهم أن يأتوا بالإخلاص من غير أن يخلق ذلك فى قلوبهم؟ كيف نجيب عليهم؟	٤٨٠
٣٨١	إن قيل: فإذا لم يخلقه فى قلوب البعض ولم يوفقوا إليه ولاسبيل لهم إليه بأنفسهم عاد السؤال كما كان وكان منعهم منه ظلمًا، ولزمكم القول بأن العدل هو تصرف المالك فى ملكه بما شاء،كيف ترد؟	٤٨٠
٣٨٢	إن قيل: لم يتفضل على هذا ولم يتفضل على الآخر؟ كيف ترد؟	٤٨٠
٣٨٣	إن قيل: فإذا حكمتم باستحالة الإيجاد من العبد فإذًا لا فعل له أصلاً. كيف ترد على ذلك؟	٤٨٠
٣٨٤	إن قيل: خلق الفعل مع العقوبة عليه: ظلم . كيف ترد على ذلك؟	٤٨١
٣٨٥	ماهى المحصلة والنتيجة المترتبة على عرض هذه الإشكالات؟	٤٨١
	••قوله «ولم يكلفهم الله تعالى مالا يطيقون....».	٤٨١
٣٨٦	اذكر اختلاف الناس فى التكليف بما لايطاق؟ وماهو منهج أهل السنة فى ذلك؟	٤٨١
	••قوله «وكل شئ يجرى بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره... ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.	٤٨٣
٣٨٧	اشرح قول المصنف «وكل شئ يجرى بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره»؟	٤٨٣
٣٨٨	فإن قيل: كيف التوفيق بين الحديث السابق وبين أن المؤمن لايخاف ظلماً ولاهضماً ولا يضيع شيئ من حسناته؟ اجب عن ذلك	٤٨٣
٣٨٩	هل تنقسم هذه الأشياء إلى كونية وإلى شرعية (القضاء، الإرادة، والأمر، والكتاب، الحكم، والتحريم، الكلمات) بين ذلك؟	٤٨٤
٣٩٠	اشرح قول المصنف «يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً؟ مدللاً على ما تقول؟	٤٨٥
٣٩١	الله تعالى حرم على نفسه الظلم وهو قادر عليه. بين ذلك؟	٤٨٦
٣٩٢	الله تعالى منزه عن العبث والوصف المعيب المذموم. بين معنى هذه العبارة؟	٤٨٧

	••قوله «وفى دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات».	٤٨٧
٣٩٣	انتفاع الميت فيما تسبب إليه فى حياته بين ذلك؟	٤٨٧
٣٩٤	هل ينتفع الميت بدعاء الآخرين واستغفارهم له.	٤٨٧
٣٩٥	هل يصل ثواب الصدقة إلى الميت؟	٤٨٨
٣٩٦	هل يصل ثواب الصوم إلى الميت؟	٤٨٩
٣٩٧	هل يصل الحج إلى الميت؟	٤٩٠
٣٩٨	بما يسقط الدين عن الميت؟	٤٩٠
٣٩٩	هل يجوز ويجزىء قراءة القرآن على الميت؟	٤٩١
٤٠٠	ما حكم قراءة القرآن عند القبور؟	٤٩٢
٤٠١	ما حكم الإهداء إلى رسول الله ﷺ؟	٤٩٢
٤٠٢	ما معنى قوله تعالى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ﴾.	٤٩٢
	••قوله «والله يستجيب الدعوات ويقضى الحاجات».	٤٩٢
٤٠٣	هل الدعاء من أسباب جلب المنافع ودفع المضار؟	٤٩٣
٤٠٤	هل غضب الله على من لا يسأله؟	٤٩٣
٤٠٥	اذكر المعانى المستخلصة من ندب الله تعالى إلى الدعاء؟	٤٩٣
٤٠٦	التعلق بالأسباب شرك، والإعراض عنها نقص فى العقل وقدح فى الشرع وضح ذلك؟	٤٩٣
٤٠٧	استجابة الدعاء تكلم عن كيفيته بشىء من التفصيل؟	٤٩٤
٤٠٨	هل أثر الداعى فى ربه حتى أعطاه؟	٤٩٥
٤٠٩	كيف ترد على هذه الشبهة؟	٤٩٥
٤١٠	ما حكم من قال: بحق النبي، أو بحق فلان؟	٤٩٦
٤١١	إذا كان لايجوز قول (بحق فلان)، فما الجواب على حديث «أسالك بحق ممشاى هذا وبحق السائلين عليك»؟	٤٩٦
١٢	ما الفرق بين الشفاعة عند الله وبين الشفاعة عند البشر؟	٤٩٧
	••قوله «ويملك كل شئ ولا يملكه شيئ..».	٤٩٨
٤١٣	اشرح قول المصنف «ويملك كل شئ ولا يملكه شئ...»؟	٤٩٨
	••قوله «والله يغضب ويرضي، ولا كأحد من الورى».	٤٩٨
٤١٤	كيف رد أهل السنة على الجهمية فى نفيهم لهذه الصفات؟	٤٩٩
	••قوله «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ...».	٤٩٩
٤١٥	ثناء الله ورسوله على الصحابة وضح ذلك من خلال الأدلة من الكتاب والسنة المطهرة؟	٥٠٣

٤١٦	عند الروافض والشيعة من لوازم موالاة أئمتهم البراء من الصحابة وضح منهج أهل السنة فى ذلك؟	٥٠٥
٤١٧	لما كان حب الصحابة: دين، وإيمان، وإحسان؟	٥٠٥
٤١٨	ماذا يقصد المصنف بقوله (وبغضهم كفر)؟	٥٠٦
	••قوله «ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبى بكر الصديق..».	٥٠٦
٤١٩	ما الدليل على إثباتها بالنص؟	٥٠٦
٤٢٠	ما حجة من قال: لم يستخلف بالنص؟	٥٠٨
٤٢١	اذكر ما حصل فى ثقيفة بنى ساعدة؟	٥٠٩
	••قوله «ثم لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه».	٥٠٩
٤٢٢	اذكر بعض فضائل عمر؟	٥١٠
	••قوله «ثم لعثمان ـ رضى الله عنه».	٥١١
٤٢٣	اذكر قصة مقتل عمر ومبايعة عثمان؟	٥١١
٤٢٤	اذكر بعضاً من فضائل عثمان بن عفان؟	٥١٣
	••قوله «ثم لعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنه».	٥١٣
٤٢٥	اكر بعضًا من فضائل على بن أبى طالب؟	٥١٤
	••قوله «وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون».	٥١٥
٤٢٦	هل ترتيب الخلفاء الراشدين فى الفضل كترتيبهم فى الخلافة؟	٥١٥
	••قوله «وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة...».	٥١٥
٤٢٧	اذكر فضل العشرة المبشرين بالجنة على غيرهم؟ مدللاً على ما تقول؟	٥١٥
٤٢٨	ماهى عقيدة الرافضة فى أصحاب رسول الله ﷺ؟	٥١٧
	••قوله «ومن أحسن القول فى أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات...».	٥١٨
٤٢٩	اذكر دليلاً فى الإحسان إلى آل البيت؟	٥١٨
	••قوله «ولا نفضل أحداً من الأولياء...».	٥١٩
٤٣٠	بما يشير الشيخ بهذا القول؟	٥١٩
٤٣١	كيف أحدث الرفض؟ وماهى طريقهم لإفساد الدين؟	٥١٩
	••قوله «وعلماء السلف من السابقين...».	٥١٩
٤٣٢	ماهو واجب الأمة نحو سلفهم الصالح؟	٥١٩
	••قوله «ولا فضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء....».	٥١٩

	••قوله «ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم.».	٥٢١
٤٣٣	اذكر معنى المعجزة والكرامة. والفرق بينهما؟	٥٢١
٤٣٤	كيف يكون مرد الإعجاز لله وحده؟	٥٢٢
٤٣٥	هل الاستقامة أعظم الكرامات؟ وكيف ذلك؟	٥٢٢
٤٣٦	هل إذا صح الدين حصلت الكرامة؟ وكيف ذلك؟	٥٢٢
٤٣٧	اذكر أنواع الفراسة؟	٥٢٣
	••قوله «ونؤمن بأشراط الساعة..».	٥٢٣
	••قوله «ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً...».	٥٢٥
٤٣٨	ما الأدلة على أن الكهان والمنجون ليسوا بشئ؟	٥٢٥
٤٣٩	هل كسب الكاهن حرام؟	٥٢٦
٤٤٠	ما حكم التنجيم وادعاء أن للنجوم أثر؟	٥٢٦
٤٤١	ماهى أنواع الكهان والعرافين؟	٥٢٧
٤٤٢	ما حكم الإسلام فيمن يتعاطى السحر وفيمن يستعين ويستعيذ بغير الله؟	٥٢٨
	••قوله « ونرى الجماعة حقاً وصواباً...».	٥٣٠
٤٤٣	اشرح بالأدلة كلام الماتن؟	٥٣٠
٤٤٤	وجوب رد النزاع إلى الله ورسوله وضح ذلك؟ وما هى الآثار المترتبة على عدم رد النِّزاع إلى الله ورسوله؟	٥٣١
٤٤٥	ما اختلاف التنوع الذى لا يستدعى التنازع والشحناء؟	٥٣١
٤٤٦	ثناء الشارع خيراً على المختلفين اختلاف تنوع، إذا لم يحصل بغى بين الأدلة على ذلك؟	٥٣٢
٤٤٧	اختلاف التضاد لا يمنع من إنصاف المخالفين اشرح ذلك مع الدليل؟	٥٣٣
٤٤٨	فى هذا الاختلاف يمدح فيه أهل الحق فقط بين ذلك	٥٣٣
٤٤٩	ذم الاختلاف فى الكتاب وضرب بعضه ببعض أشرح هذه العبارة مستدلاً لما تقول ما أمكنك؟	٥٣٣
٤٥٠	اذكر موقف أهل البدع من هذا النوع من الاختلاف؟	٥٣٤
	••قوله « ودين الله فى الأرض والسماء واحد...».	٥٣٥
٤٥١	كيف يكون الإسلام بين الغلو والتقصير؟	٥٣٥
٤٥٢	الإسلام بين التشبيه والتعطيل بين ذلك؟	٥٣٦
٤٥٣	الإسلام بين الجبر والقدر بين ذلك؟	٥٣٦
	••قوله «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً...».	٥٣٦

٤٥٤	عرف ببعض الفرق الضالة؟	٥٣٦
٤٥٥	ماهو اعتقاد الجهمية فى الله تعالى؟	٥٣٨
٤٥٦	إذكر بعض الأمور التى تفرد بها الجهم؟	٥٣٨
٤٥٧	ماهو اعتقاد القدرية؟	٥٣٨
٤٥٨	ماهو اعتقاد المرجئة؟	٥٣٩
٤٥٩	متى نشأت هذه الفرق الضالة؟	٥٣٩
٤٦٠	ماهو السبب فى ضلال هذه الفرق؟	٥٤٠
٤٦١	اذكر مسالك الفرق الضالة فى الوحى؟	٥٤١
٤٦٢	الخاتمة	٥٤٢

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣